

الرسائل الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة البقرة الاية ٢٨٦)

الاهداء

الى رسول الانسانية النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

والى عترته الطاهرة المطهرة (عليهم السلام)

والى الصفوة الصافية من اصحابه (حشرنا الله معهم)

والى الشهداء الذين بذلوا دمائهم من اجل الدين الحنيف

(اللهم اجعلنا من السائرين خلفهم)

والى كل الذين وقفوا وقفة مشرفة لبناء هذا البلد العزيز

(اللهم اجعلنا منهم)

اهدي هذا الجهد المتواضع .

شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

لا بد و انا في مرحلة انهاء البحث ان اشكر الله المبدئ المعيد ، المنشى المبيد، الفعال لما يريد ، الذي جرت احكامه بمشيئته السابقة في جميع العبيد : من اعزاز واذلال ، وادبار واقبال ، واكثار واقلال ، وهداية واضلال ((لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون)) .

ويطيب لي الواجب وانا أتقدم بهذا الجهد المتواضع ان اعبر عن اعتزازي بجهود الذين وقفوا الى جانبي و ساعدوني في اتمام هذا البحث ، ولا سيما الاستاذ الكبير المشرف د. محمد سعيد رضا لبالغ حرصه وتوجيهاته القيمة ومتابعته المستمرة ، لما قدمه لي من جهد وعون في خدمة هذا البحث واظهاره بشكله النهائي .

واجد لزاماً علي ان اتقدم بجزيل شكري و تقديري الى اساتذتي الفضلاء ممن كانوا لي مثالا في عطائهم العلمي ، د. عبد حمزة لما ابداه من متابعة لأتمام البحث ، والدكتورة الفاضلة زينب فاضل مرجان والاستاذ الكبير الجليل عبد الاله كريل رزوقي والدكتور ماجد محيى ، والدكتور عباس ابراهيم حمادي ، الذي فتح لي ابواب مكتبته القيمة على مصراعيها ، والاستاذ محمد ضايع ، والاستاذ بدر ، والاستاذ ابراهيم سرحان لملحوظاتهم القيمة ، والاستاذ حسن الطائي ، والاستاذ حازم الصافي ، والاستاذ عباس هاني الجراخ ، والاستاذ رياض حميد مجيد الجواري ، والاستاذ بهاء موسى حبيب ، والاستاذ عبد الخضر جاسم حمادي ، والاستاذ جاسم محمد سلمان ، الاستاذ عمار نصار ، وعميق شكري الى الاستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة من الاردن ، والاستاذ الدكتور محمد عيسى الحريري من مصر ، والاستاذ عبد الجليل التميمي من تونس لما قدموه من تعاون اثناء مراسلتي لهم .

وعرفانا بالجميل اتقدم الى كوادر كل من مجمع اللغة الاردني، ومركز الملك فيصل للبحوث الاسلامية في السعودية ، و مكتبة الملك فهد في السعودية ، ومجلة دراسات اندلسية في تونس، والمجلة التاريخية المغربية في الرباط ، لما قدموه من مساعدة في اثناء مراسلتي اياهم .

وأتقدم بالشكر والامتنان الى السفارة الاسبانية والى كوادر كل المكتبات التي قدمت لي العون والمساعدة .

ويلزمني الواجب ان اقدم شكري الى اخوتي واقاربي واصدقائي الذين شجعوني ورفعوا من معنوياتي لأجل الاستمرار في مواصلة البحث ولا سيما منهم الاخ نجاح فخري ساعدي الايمن .

ولا يفوتني ان اقدم شكري الى زملائي كل من ، عامر عجاج ، ومحمد عبد الله المعموري وسعد كاظم عبد ، وصلاح غلام غضيب ،وطالب حمادي ،وكل طلبة الدراسات العليا قسم التاريخ جامعة بابل .

واقدم شكري وحبي الكبير الى الاخوان مصعب ، وسيد علي خضير ، ومشتاق و حسن علي حسين ، وباسم ، ومثنى ، ومناف .

ويطيب لي ان اشكر الاستاذ حسين ،والست دنيا ،والاستاذ حمزة ، والاستاذ حسين علي لترجمتهم العديد من النصوص الاجنبية الى العربية .

عميق شكري الى الست ريم والست صبا والست اسراء ، لجهودهن المبذولة من اجل اخراج الرسالة بالمستوى المطلوب ولتحملهن المتاعب الشاقة معي اثناء الطباعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على نبينا محمد و على اله الطيبين الطاهرين و صحبه منهم المنتجبين

يتناول هذا البحث موضوعاً من الموضوعات التي لم تحظ بعناية الباحثين لأسباب متعددة لعل اولها واكثرها اهمية قلة المصادر المتاحة امام الباحثين في هذا المجال ولا سيما فيما يتعلق بمرحلة القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) مجال البحث .

فضلا عن انصراف الباحثين انصرافا يكاد يكون تاما الى موضوعات تبدو للوهلة الأولى اكثر التصاقا بالحاجات الأكاديمية بحسبِ اعتقادهم ،وان رغبة الباحث في التجاوز المتعقل الـهيّن لهذين الأمرين وكذلك متابعة الواقع السياسي العربي الراهن الملحوظ في ادارة العلاقات السياسية الخارجية يبدو للوهلة الأولى كافيا لتشجيع الباحث في عمله ويعطي أهمية لكل جهد بحثي مشابه غايته تجذير المعرفة بالعلاقات السياسية الخارجية للممالك العربية سواء أكانت مشرقية أو مغربية ، وكذلك مناطق النفوذ العربي خارج حدوده المتمثلة في الوجود العربي الأسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية.

ان تصور اطار عملي تأريخي ومن ثَّمَ تحديد مارتكبته القيادات العربية الأسلامية في تلك الفترة من أخطاء، ناهيك عن مايمكن ملاحظته من فتراتٍ مشرقة سيمنح الممارسة السياسية العربية الآنية فرصة للقيام بعمليات مقارنة ومراجعة تتسم بالموضوعية فالعلاقات السياسية الخارجية التي قام بأدارتها امراء سلطنة غرناطة إّبان فترة ازدهارها ومن ثم ضعفها وسقوطها وفشل الكيانات السياسية التي أمدتها في تقديم العون يمثل مرحلة مهمة من مراحل التاريخ العربي اذ لم تتمكن تلك الكيانات من نجدة غرناطة لأسباب متعددة، ومراقبة هذه الأسباب وتحليلها سيمنح الواقع السياسي العربي فرصة للتعامل بواقعية مع المشكلات الراهنة..

ومن الاهداف الرئيسية للبحث :

١. محاولة توفير دراسة عملية متواضعة غايتها التعرف على طرائق أداء العلاقات السياسية على وفق المفهوم الأسلامي مع الأخذ بنظر الأعتبار أن تكون غرناطة القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) أنموذجا لذلك ٠

٢. تبيان عواقب التشرذم بين المسلمين وأثره في قضاياهم اعتمادا على تحليل مأساة سقوط غرناطة ٠

٣. توفير الأجابة عن التساؤل الذي يقول :كيف استطاعت هذة السلطنة التي تواجه عدواناً صليبياً مصمماً على اسقاطها في الوقت الذي كانت الاضطرابات و الفتن تسود الجبهة الداخلية فيها .

٤. توفير تصورات معقولة عن الدبلوماسية الغرناطية في المراحل الأخيرة التي شهدت سقوط غرناطه.

كما ان من دواعي اختياري البحث في موضوع العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة مبعثه سببين الاول : رغبتي البسيطة في الاتيان بدراسة معمقة قدر الامكان تختص بتتبع أمر العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة في القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) وجعله موضوعا رئيسا في بحث مستقل اذ أن جل الباحثين قد مروا على هذا الموضوع مرورا عابرا من خلال بحوثهم .

الثاني : رغبتي في فك الاشتباك الذي حصل في كثير من المفاهيم والحوادث التاريخية للموضوع .

اختص هذا البحث المتواضع في نطاق المرحلة الزمنية المعرفة بالقرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي)وهي الفترة الأكثر حرجا وتقع حدوده الجغرافية في نطاق سلطنة غرناطة التي تشغل الجزء الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الايبيرية .

اشتمل البحث على فصول اربعة تناول الفصل الاول : الأوضاع السياسية للسلطنة في القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) .

اما **الفصل الثاني** فقد بحثت فيه العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة ومملكتي قشتالة ،وارغون منذ بداية (القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) حتى عام (٨٨٤هـ /١٤٧٩م) .

و اشتمل **الفصل الثالث** على أهم الأحداث السياسية بين سلطنة غرناطة ومملكة قشتالة الموحدة خلال الفترة (٨٨٤-٩٠٥هـ /١٤٧٩-١٤٩٩م) .

اما **الفصل الرابع** فقد خصصته لعلاقة سلطنة غرناطة مع الدول الاسلامية الكبرى في المغرب و المشرق .

يمكننا من خلال فصول هذا البحث المتواضع الذي اجزم بأنه سيكتمل بجهود اخرى قادمة، نستطيع ان نستخلص الحقيقة الاتية : وهي ان طبيعة الاوضاع الداخلية والخارجية و شكلها

هي التي ساعدت على نضج الظروف السياسية التي ادت فيما بعد الى تدهور وسقوط سلطنة غرناطة، ومن ثم نهاية النفوذ العربي في شبه الجزيرة الايبرية، ان تلك الاوضاع قد اثرت كثيرا في صياغة وتحديد شكل العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة ومحيطها الخارجي.

والحقيقة الاكثر وضوحاً التي يمكن ان يشير اليها الباحث في مرحلة الوصف الاولي للطبيعة العامة للنظام السياسي في سلطنة غرناطة في المرحلة التي شملتها الدراسة هي ان النظام كان ينتمي الى الانظمة الاستبدادية ذات الطبيعة الوراثية.

فعلى مدى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وهي المدة التي اهتم البحث بتناولها تناوب تسعة من السلاطين على حكم السلطنة، ولم تتميز هذه الفترة باحترام كامل لأي شكل من اشكال الشرعية اذ حكم اكثر من سلطان لأكثر من مرة، فالسلطان محمد الايسر ارتقى العرش خمس مرات بمعاونة القشتاليين، في حين حكم خلال هذه المدة الزمنية خمسة سلاطين العرش مرتين .

ان هذا الاضطراب البين الذي وسم عمليات تداول السلطة كانت له نتائج واضحة المعالم في طبيعة الاداء السياسي فيها، ومن ثم طبيعة العلاقات السياسية التي يمكن ان تتبناها سلطنة غرناطة.

و أسهمت في ايجاد هذه العلاقات ايضا كثرة الفتن والاضطرابات، وتعدد الولاءات السياسية، وانتقالها من سلطان لآخر، كما نودُّ أن نشير هنا الى ظهور اشكال جديدة من الممارسات المتمثلة بتدخل النساء في بلورة العلاقات السياسية، وتعاظم اثر الاسر الغرناطية الكبيرة في توجيه سياسة سلطنة غرناطة بطريقة ما، ناهيك عن التدخل غير الشرعي في صياغة تلك السياسات.

ان هذه الاوضاع ادت الى مجموعة نتائج واضحة المعالم مثل، انقسام السلطنة الى قسمين متناحرين يترأس كل قسم سلطان من السلاطين.

وهذا ما ادى الى بدء ظهور التصورات الاولى للسياسة الغرناطية على الصعيد الخارجي ولعل طبيعة الموقع الجغرافي للسلطنة قد اسهم كذلك مع تلك العوامل في فرض معطيات سياسية تحدد طبيعة علاقاتها السياسية.

وبعد ان استعرضنا الاثر البالغ الذي تركته طبيعة الاوضاع السياسية الداخلية للسلطنة وكذلك اثر موقعها الجغرافي في تشكيل علاقاتها السياسية، يمكن ان نشير الى الزاوية الثالثة من المثلث البحثي الذي يمكن ان يكون كشافاً لطبيعة الاداء الوظيفي للعلاقات السياسية الغرناطية.

وتلك الزاوية هي زاوية البعد الديني اذ ان الطبيعة الدينية لهذه المرحلة كانت ذات اثر كبير في رسم صورة العالم، وكانت ذا اثر مباشر في المناطق القريبة من التأثير الكنسي البابوي وهي المناطق التي كانت مهّيأة لحدوث صدام حضارات ذي منشأ عقائدي بين الديانات المختلفة تلك

المنطقة التي يمكن رسم شكلها ابتداءً من الحدود الشرقية للدولة العثمانية وصولاً الى مضيق جبل طارق، ان المتتبع يستطيع ان يحدد بسهولة ان الكنيسة لم تعد تكتفي بتأثيرها الديني وحسب بل كانت تطمح الى دور سياسي يعمل جنباً الى جنب مع طبيعة مهمتها الكنسية.

ان هذه الحقيقة كان لها اثر مباشر في تحديد طبيعة علاقات سلطنة غرناطة السياسية فتلك السلطنة تمثل بحسب رأي الكنيسة جيباً للكفار مدسوساً في خاصرة مناطق النفوذ المسيحي في تلك المدة الزمنية ، الامر الذي ادى الى حدوث تأثير واضح في السلطنة.

ويمكن ان نثّبت هنا مظهرين مهمين يكشفان طبيعة التوجهات المسيحية.

اولهما: الاتحاد السياسي بين مملكتي قشتالة وارغون والمستند على توجهات دينية محضة.

وثانيهما: المفاهيم المستخلصة من الخطب البابوية، فنقرأ من خطاب البابا نيقولا الخامس الموجه الى هنري الملاح ملك البرتغال قوله: ((ان سرورنا لعظيم ان نعلم ان ولدنا العزيز، هنري امير البرتغال سلر في خطى ابيه، الملك جون، بوصفه جندياً قديراً للمسيح ليقضي على اعداء الله واعداء المسيح من المسلمين الكفرة)).

ان هذه المراهنة على قدرة التوحد المسيحي في إلحاق الاذى بالمسلمين اسهمت بشكل واضح في دفع سلاطين غرناطة الى تلمس عمقهم الستراتيجي والبحث عن مساندة اسلامية يمكن ان تعينهم في الحفاظ على سلطنتهم ، لاسيما ان الباحث المدقق يمكن ان يلحظ على الفور ان طبيعة علاقات غرناطة السياسية مع الاخرين تحددها الى درجة كبيرة طبيعة علاقاتها مع مملكة قشتالة التي اصبحت رهينة الخطاب المسيحي البابوي.

ان الاضطهاد الذي تعرض له اهالي غرناطة وهم يواجهون محاولات تمييع دورهم السياسي قد جعل علاقات غرناطة مع الممالك الاسلامية علاقات استغاثة ونجدة وطلباً للعون والنصرة، فالعثمانيون على سبيل المثال وعلى الرغم من اعتقادهم الصارم بأنهم يمثلون ما تبقى من الخلافة الاسلامية كانوا يرغبون في الواقع بنصرة غرناطة والاستجابة للمطالب التي حملتها المراسلات الغرناطية، الا انهم كانوا يعون ايضاً رهناً للضوابط الستراتيجية التي كانت تحكم العلاقات الدولية في تلك الفترة والمعبر عنها بالمصالح المتبادلة وعوامل الضغط المختلفة.

وهي الوصفة التي تصح عند الحديث عن مدى استجابة الدولة المملوكية لنداءات الاستغاثة الغرناطية، فالمماليك كانوا يخشون من طموحات الدولة العثمانية المتاخمة لحدودهم، وبالتالي كانوا مهتمين بإدامة علاقات ودية مع دول الساحل الجنوبي لأوربا، والاحتفاظ بما لديهم من قوة بصراع محتمل مع الدولة العثمانية.

كما ان الكيانات الجديدة التي صارت اليها الدولة المرينية في شمال افريقيا ضعيفة لدرجة لا يمكن معها ان تكون سنداً حقيقياً للغرناطيين سوى كونها معبراً ومأوى للناجين من التعسف المسيحي في غرناطة.

ان علاقات الدول الاسلامية مع غرناطة الآيلة الى السقوط كانت تعبر بصورة لا لبس فيها عن العجز الكبير في توفير استجابة سريعة تكشف عن شيء من التلاحم الاسلامي.

وعلى اية حال فان عجز الغرناطيين من تدبر علاقات سياسية جيدة مع دول الجوار المسيحي المحكوم بالغلو الديني، وكذلك عجز الممالك الاسلامية على ان توفر لنفسها القدرة على الاستجابة للمطالب الغرناطية، قد أسهم بشكل كبير في ضعف مقاومة غرناطة، وبالتالي سقوطها وانتهاء النفوذ العربي الاسلامي في شبه الجزيرة الايبرية.

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
فهرست الموضوعات	أ–ز
المقدمة	ح–ن
تمهيد	١–١٠
الفصل الاول: الاوضاع السياسية لسلطنة غرناطة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي .	١١–٦٣
المبحث الاول :الاوضاع السياسية لسلطنة غرناطة في المدة الزمنية (٧٩٧–٨٦٧هـ / ١٣٩٤–١٤٦٢م)	١١–٣١
١– نهاية مرحلة القوة (٧٩٧–٨٢٠هـ /١٣٩٤–١٤١٧م)	١١–١٣
تولي محمد السابع العرش	١١–١٢
تولي ابو الحجاج يوسف الثالث عرش السلطنة	١٢–١٣
٢– فترة الضعف و الانحلال	١٤–٣٠
ارتقاء السلطان محمد الايسر Elzurdo عرش غرناطة	١٤–١٥
تولي السلطان ابو عبد الله محمد الثامن (الزغير) عرش غرناطة مرة اخرى	١٥–١٦
عودة السلطان محمد الايسر للعرش للمرة الثانية	١٧
حدوث زلزال في غرناطة	١٧–١٨
تمرد يوسف المدجن	١٨–١٩
ثورة يوسف الرابع بن المول على السلطان محمد الايسر	٢٠–٢٢
تولي محمد الايسر للسلطنة للمرة الثالثة والقضاء على يوسف الرابع بن المول	٢٢–٢٣
ظهور فئات سياسية متعددة معارضة للسلطان محمد الايسر	٢٣–٢٤
تاثير الطاعون الذي اصاب غرناطة سنة ٨٤٤هـ /١٤٤٠م على الاوضاع السياسية الداخلية	٢٤
الصراع بين محمد الاحنف ومحمد الايسر والرئيس ابن اسماعيل على السلطة	٢٥–٢٨
عزل السلطان سعد وتولي يوسف الخامس بن اسماعيل للمرة الثانية	٢٩–٣٠

قضاء السلطان سعد على السلطان يوسف الخامس بن اسماعيل وارتقاءه السلطنة للمرة الثانية	٣٠
تمرد الامير ابو الحسن علي على والده السلطان سعد المستعين و توليه السلطنة بدلا عنه	٣١
المبحث الثاني : الاوضاع السياسية في سلطنة غرناطة خلال المدة الزمنية (٨٦٧-٨٩٧هـ /١٤٦٢-١٤٩٢م)	٣٢-٥٢
١- مرحلة الانتعاش المؤقت (٨٦٧-٨٨٣هـ /١٤٦٤-١٤٧٨م)	٣٢-٣٦
حدوث الاستقرار و الانتعاش في السلطنة	٣٤-٣٦
٢- دور النساء في سلطنة غرناطة (٨٨٤-٨٨٧هـ /١٤٧٩-١٤٨٢م)	٣٦-٣٩
سجن ابو الحسن علي لعائشة وولديها وهروبهم من السجن	٣٨-٣٩
٣- الثورة في غرناطة (٨٨٨-٨٨٩هـ /١٤٨٣-١٤٨٤م)	٣٩-٤٢
انقسام سلطنة غرناطة الى قسمين	٤٠-٤١
اسر السلطان ابي عبد الله الصغير للمرة الاولى من قبل القشتاليين	٤١
٤- الحرب الاهلية في سلطنة غرناطة (٨٩٠-٨٩٦هـ /١٤٨٥-١٤٩٠م)	٤٢-٤٨
قضاء محمد الزغل على منافسية في العرش	٤٢-٤٣
تجدد الحرب بين محمد الزغل وابي عبد الله	٤٣-٤٤
حدوث الصلح بين محمد الزغل وابي عبد الله	٤٤-٤٥
وقوع السلطان ابي عبد الله الصغير في الاسر مرة اخرى	٤٥
تجدد الحرب بين محمد الزغل وابي عبد الله الصغير بعد اطلاق سراحه	٤٦-٤٨
٥- الاوضاع السياسية قبيل تسليم غرناطة (٨٩٦هـ /١٤٩٠م)	٤٨-٥١
الاوضاع السياسية في سلطنة غرناطة اثناء تسليمها (٨٩٧هـ /١٤٩٢م)	٥١-٥٢
اثر الوزراء و القضاة و الفقهاء في الاحوال السياسية لسلطنة غرناطة خلال المدة (٧٩٧-٨٩٧هـ /١٣٩٤-١٤٩٢م)	٥٣-٦٣
الفصل الثاني : العلاقات السياسية بين سلطنةغرناطة و ممالك الشمال الاسبانية في المدة الزمنية ٧٩٧-٨٨٤هـ /١٣٩٤-١٤٧٩م	٦٤-٩٨
المبحث الاول : العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة و مملكة قشتالة في المدة الزمنية (٧٩٧-٨٨٤هـ /١٣٩٤-١٤٧٩م)	٦٤-٨٣

عقد الصلح بين سلطنة غرناطة ومملكة قشتالة	٦٦-٦٧
نقض الصلح ومواصلة الحرب	٦٧-٦٨
عقد الصلح بين سلطنة غرناطة ومملكة قشتالة	٦٩
انتهاء اجل الصلح وتجدد الحرب بين الطرفين	٦٩
عقد الصلح بين سلطنة غرناطة ومملكة قشتالة	٦٩-٧١
تجدد الحرب بين الطرفين	٧١
تدخل مملكة قشتالة لأعادة السلطان محمد الايسر الى العرش	٧١-٧٣
وثيقة ولاء مطلق لملك قشتالة	٧٣-٧٦
اهم الشروط التي تعهد بها يوسف الرابع بن المول لملك قشتالة خوان الثاني	٧٦-٧٧
الشروط التي تعهد بها خوان الثاني ملك قشتالة ليوسف الرابع بن المول	٧٧-٧٨
اعلان مملكة قشتالة الحرب مع سلطنة غرناطة مرة اخرى	٧٨-٨٠
عقد الصلح بين الطرفين سنة (٨٤٢هـ /١٤٣٨م)	٨٠-٨١
تمرد ابن اسماعيل على العرش الغرناطي	٨١-٨٣
المبحث الثاني : العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة ومملكة اراغون والبرتغال وبعض الدول المجاورة خلال المدة (٧٩٧-٨٨٤هـ /١٣٩٤-١٤٧٩م)	٨٤-٩٨
الاوضاع السياسية في مملكة اراغون	٨٥-٨٨
عقد معاهدة بين سلطنة غرناطة و مملكة اراغون	٨٨-٨٩
نصوص معاهدة عام (٨٠٨هـ /١٤٠٥م)	٨٩-٩٢
الأوضاع السياسية في مملكة البرتغال والبابوية وانعكاساتها على سلطنة غرناطة	٩٢-٩٨
الفصل الثالث : العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والموريسكيين و بين مملكة قشتالة الموحدة خلال الفترة (٨٨٤-٩٠٥هـ/١٤٧٩-١٥٠٠).	٨٩-١٤٨
المبحث الاول : العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة ومملكة قشتالة الموحدة خلال الفترة (٨٨٤-٨٩٦هـ /١٤٧٦-١٤٩٠م)	٩٨-١٢٢
تجديد هدنة عام (٨٦٨هـ /١٤٦٣م) بين سلطنة غرناطة وقشتالة الموحدة	٩٩
تجدد الحرب وامتلاك الغرناطيين منطقة الصخرة	٩٩-١٠٠
استرجاع الاسبان لمنطقة الصخرة من المسلمين و دخول الحامة Al-Hama	١٠٠-١٠٣

الموضوع	الصفحة
فشل محاولة الاسبان في السيطرة على مدينة لوشة	١٠٣-١٠٤
انتصارات ابو الحسن علي و محمد الزغل على الاسبان في مالقة	١٠٤
اسر ابو عبد الله الصغير و تدمير قواته من قبل الاسبان	١٠٥-١٠٦
عقد معاهدة سرية بين ابو عبد الله الصغير وقشتالة الموحدة سنة ٨٩٠هـ /١٤٨٥م.	١٠٦-١٠٧
مهاجمة قشتالة حصون سلطنة غرناطة سنة ٨٩٠هـ /١٤٨٥م	١٠٧-١٠٨
سيطرة الاسبان على مدينة رنده	١٠٨
الصراع بين ابي عبد الله الصغير ومحمد الزغل واثره في العلاقات السياسية مع قشتالة الموحدة	١٠٨-١٠٩
محاولة الاسبان السيطرة على مدينة لوشة	١٠٩
شروط المعاهدة التي عقدت مع مدينة لوشة سنة ٨٩١هـ /١٤٨٦م	١١٠
اسر ابي عبد الله الصغير مرة اخرى واطلاق سراحه مقابل شروط لصالح قشتالة	١١٠-١١١
اهم النشاطات العسكرية التي قام بها الاسبان ضد مسلمي غرناطة خلال المدة ٨٩٠-٨٩١هـ /١٤٨٥-١٤٨٦م	١١١-١١٣
اطلاق سراح ابي عبد الله الصغير واثره في العلاقات السياسية	١١٣-١١٤
مهاجمة الاسبان مدينة مالقة والسيطرة عليها (٨٩٢هـ /١٤٨٦م)	١١٤-١١٥
دخول محمد الزغل في طاعة ملك قشتالة	١١٥-١١٦
مهاجمة مملكة قشتالة لمدينتي بسطة والمرية (٨٩٤هـ /١٤٨٨م)	١١٦-١١٧
عقد اتفاقية بين يحيى النجار امير بسطة و ملكي قشتالة	١١٧-١١٩
تسليم محمد الزغل مدينة وادي اش للقشتاليين	١١٩
شروط تسليم مدينة وادي اش في سنة ٨٩٥هـ /١٤٨٩م	١٢٠-١٢٢
المبحث الثاني : العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة و مملكة قشتالة الموحدة خلال الفترة (٨٩٦-٨٩٧هـ /١٤٩٠-١٤٩١م)	١٢٣-١٤٨
مطالبة فرناندو ابا عبد الله الصغير بتسليم غرناطة	١٢٣-١٢٤
مهاجمة الاسبان لمدينة غرناطة	١٢٤-١٢٥
محاصرة مدينة غرناطة من قبل الاسبان	١٢٥-١٢٦
تصميم الاندلسيين على الدفاع عن غرناطة	١٢٦-١٢٧
تشديد الحصار على مدينة غرناطة من قبل الاسبان	١٢٨

محاولة موسى بن ابي الغسان الفاشلة في الهاب نار الحرب ضد الاسبان	١٢٨-١٢٩
دور البابوية في سقوط غرناطة	١٢٩-١٣٣
صدى سقوط غرناطة في الفاتيكان	١٣٤-١٣٦
الموريسكيين خلال الفترة (٨٩٧-٩٠٦هـ /١٤٩٢-١٥٠٠م)	١٣٦-١٤٢
ثورة البيازين (٩٠٤هـ /١٤٩٨م)	١٤٣-١٤٨
الفصل الرابع : العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والموريسكيين وبين الدول الاسلامية الكبرى	١٤٩-١٩٣
المبحث الاول : العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدول الاسلامية في بلاد المغرب العربي (٧٩٧-٩٠٦هـ /١٣٩٤-١٥٠٠م)	١٤٩-١٦٧
الوضع السياسي العام في الدول الاسلامية الكبرى	١٤٩-١٥١
١-العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة المرينية	١٥٢-١٥٨
ثورة اهالي منطقة مضيق جبل طارق	١٥٤-١٥٦
محاولة سلطنة غرناطة والدولة المرينية توحيد الجهود واسترجاع مدينة سبته	١٥٦-١٥٧
اتفاق قشتالي مريني ضد سلطنة غرناطة	١٥٧-١٥٨
سقوط الدولة المرينية واثره على سلطنة غرناطة	١٥٨
٢-العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة الحفصية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي	١٥٩-١٦٢
التعاون الحفصي القشتالي لأسترجاع السلطان الغرناطي محمد الايسر الى العرش	١٦٠-١٦٢
٣- العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة وامارة تلمسان	١٦٣-١٦٤
اثر بلاد المغرب العربي في احتضان المهاجرين الغرناطيين	١٦٤-١٦٥
فتوى الونشريسي بحق الغرناطيين المهاجرين	١٦٥-١٦٦
فتوى المغراوي بحق الغرناطيين المهاجرين	١٦٦-١٦٧
المبحث الثاني : العلاقة بين سلطنة غرناطة ودولة المماليك في مصر وبلاد الشام	١٦٨-١٨٢
سفارة سلطان غرناطة محمد الايسر الى السلطان المملوكي الظاهر جقمق (٨٤٤هـ	١٦٨-١٧٢

/١٤٤٠م)	
رسالة استنجاد بعثها السلطان الغرناطي محمد الايسر لسلطان مصر جقمق سنة (٨٥٥هـ /١٤٥١م)	١٧٢-١٧٣
استنجاد السلطان الغرناطي سعد بالسلطان المملوكي خشقدم سنة (٨٦٨هـ /١٤٦٣م)	١٧٤-١٧٥
ارسال السلطان محمد الزغل عبدالله بن الازرق بسفارة الى السلطان المملوكي قايتباي	١٧٥-١٧٧
رسال السلطان الاشرف قايتباي تهديداً حمله راهب دير صهيون الى رومانيا واسبانيا سنة (٨٩٢هـ /١٤٨٦م)	١٧٧-١٨٠
سفارة قشتالية الى السلطان المملوكي الاشرف قايتباي	١٨٠-١٨١
اهم الاسباب التي ادت الى عدم تقديم المماليك المساعدات العسكرية اللازمة الى سلطنة غرناطة	١٨١-١٨٢
المبحث الثالث : العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية	١٨٣-١٩٣
الخاتمة	١٩٤-١٩٦
الملاحق	١٩٧-٢٧٢
ملحق (١): وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري	١٩٧-٢٠٠
ملحق (٢) : رسالة السلطان محمد الايسر سلطان غرناطة الى ملك قشتالة دون خوان	٢٠١-٢٠٢
ملحق (٣) : صدر مكاتبة صاحب الاندلس الامير ابي عبد الله محمد بن نصر الخزرجي صاحب الاندلس	٢٠٣-٢٠٤
ملحق (٤) : نسخة كتاب صاحب الاندلس محمد الايسر ابو عبد الله	٢٠٥-٢٠٦
ملحق (٥) : نسخة كتاب صاحب الاندلس الوارد الى الابواب الشريفة الملكية الظاهرية خشقدم	٢٠٧-٢١١
ملحق (٦) : نص الاتفاقية السرية معاهدة تسليم غرناطة السرية المعقودة بين ابي عبد الله الصغير و الملكين الكاثوليكيين ضون فرناندو وضونيا ايزابيلا	٢١٢-٢١٧
ملحق (٧) : نص الاتفاقية العلنية المعقودة بين ابي عبد الله الصغير والملكين الكاثوليكيين ضون فرناندو وضونيا ايزابيلا	٢١٨-٢٢٩
ملحق (٨) : الروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس	٢٣٠-٢٤٦
ملحق (٩) : فتوى الونشريسي بحق الاندلسيين الموريسكيين التي سميت (اسنى	٢٤٧-٢٦٠

المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر)	
ملحق (١٠) : مما كتبه بعض اهالي الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان ابي زيد خان العثماني رحمه الله	٢٦١-٢٦٦
ملحق (١١) : النصيحة التي ارسلها المغراوي الى الغرباء في الاندلس	٢٦٧-٢٦٨
خريطة توضح مراحل سقوط المدن الغرناطية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي	٢٦٩
خريطة توضح سقوط المناطق الاندلسية بيد الاسبان بأتجاه الجنوب حتى سقوط سلطنة غرناطة	٢٧٠
خريطة توضح موقع سلطنة غرناطة في شبه الجزيرة الايبيرية	٢٧١
مخطط يوضح نسل ابي الحسن علي سلطان غرناطة	٢٧٢
المصادر و المراجع	٢٧٣-٣٠٦

المختصرات

المختصر	تعريفه
مج	مجلد
ق	قسم
ج	جزء
ص	صفحة
مخ	مخطوطة
م	ميلادي
هـ	هجري
د. ت	دون تاريخ
ط	طبعة
ت	توفي

المقدمة وتحليل المصادر

أهمية البحث:

بتناول هذا البحث موضوعاً من الموضوعات التي لم تحظ بعناية الباحثين لأسباب متعددة لعل اكثرها اهمية قلة المصادر المتاحة امام الباحث في هذا المجال ولا سيما فيما يتعلق بمرحلة القرن (التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي) مجال البحث .

كذلك انصرف الباحثون انصرافا يكاد يكون تاما الى موضوعات تبدو للوهلة الأولى اكثر التصاقا بالحاجات الأكاديمية بحسب اعتقادهم ،كما ان رغبة الباحث في التجاوز المتعقل الهيّن لهذين الأمرين وكذلك متابعة الواقع السياسي العربي الراهن الملحوظ في ادارة العلاقات السياسية الخارجية يبدو للوهلة الأولى كافيا لتشجيع الباحث في عمله ويعطي أهمية لكل جهد بحثي مشابه غايته تجذير المعرفة بالعلاقات السياسية الخارجية للممالك العربية سواء أكانت مشرقية أو مغربية ، وكذلك مناطق النفوذ العربي خارج حدوده المتمثلة في الوجود العربي الأسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية.

ان تصور اطار علمي تأريخي ومن ثم تحديد ماارتكبته القيادات العربية الأسلامية في تلك الفترة من أخطاء ناهيك عن مايمكن ملاحظته من فترات مشرقة سيمنح الممارسة السياسية العربية الآنية فرصة للقيام بعمليات مقارنة ومراجعة تتسم بالموضوعية فالعلاقات السياسية الخارجية التي قام بأدارتها امراء سلطنة غرناطة ابان فترة ازدهارها ومن ثم سقوطها وفشل الكيانات السياسية التي مدتها في تقديم العون لها يمثل مرحلة مهمة من مراحل التاريخ العربي اذ لم تتمكن تلك الكيانات من نجدة غرناطة لأسباب متعددة ومراقبة هذه الأسباب وتحليلها سيمنح الواقع السياسي العربي فرصة للتعامل بواقعية مع المشكلات الراهنة.

هدف البحث:

١. محاولة توفير دراسة عملية متواضعة غايتها مراقبة طرائق أداء العلاقات السياسية على وفق المفهوم الأسلامي مع الأخذ بنظر الأعتبار أن تكون غرناطة القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) نموذجا لذلك ٠
٢. تبيان عواقب التشرذم بين المسلمين وأثره في قضاياهم اعتمادا على تحليل مأساة سقوط غرناطة ٠

٣. توفير الأجابة عن التساؤل الذي يقول :كيف استطاعت هذة السلطنة التي تواجه عدواناً صليبياً مصمماً على اسقاطها في الوقت الذي كانت الاضطرابات والفتن تسود الجبهة الداخلية .
٤. توفير تصورات معقولة عن الدبلوماسية الغرناطية في المراحل الأخيرة التي شهدت سقوط غرناطه٠

دواعي اختيار البحث:

أن اختيار البحث في موضوع العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة مبعثه سببين اولها : رغبتي البسيطة في الاتيان بدراسة معمقة قدر الامكان تختص بتتبع أمر العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة في القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) وجعله موضوعا رئيسا في بحث مستقل اذ أن جل الباحثين قد مروا على هذا الموضوع مرورا عابرا من خلال بحوثهم ٠
ثانيها: رغبتي في فك الاشتباك الذي حصل في المفاهيم والحوادث التاريخية للموضوع ٠

حدود البحث :

يعمل هذا البحث المتواضع في نطاق المرحلة الزمنية المعرفة بالقرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) وهي الفترة الأكثر حرجا وتقع حدوده الجغرافية في نطاق سلطنة غرناطة التي تشغل الجزء الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الايبيرية .

المشاكل التي واجهت البحث :

واجهت الباحث بعض المشاكل وفي مقدمتها قلة المصادر الاصيلة التي تتحدث عن تأريخ سلطنة غرناطة في هذه الحقبة ويعود السبب في ذلك الى ان الاسبان قاموا بحرق اعداد كبيرة من الكتب التي تحمل في طياتها تأريخ الحقبة التي تناولها البحث، لذلك نجد ان بعض المصادر يتكرر ذكرها في الهامش ومن المشاكل الاخرى هي ان تاريخ السلطنة خلال المدة الزمنية الممتدة بين عامي (٨٢٠-٨٨٦هـ / ١٤١٧-١٤٨١م) غامضة لا تكاد المصادر او المراجع توضحها تماما لذلك فقد حاول الباحث التوفيق بين ما ذكرته المصادر وما ذكرته المراجع ، لاسيما ما ذكره الاستاذ محمد عبدالله عنان في كتابه نهاية الاندلس الذي كان الاعتماد عليه اكثر من غيره من المراجع .

اضف الى ذلك فأن قلة المصادر ادت بالباحث الى ان يراسل بعض الدول العربية وطلب المساعدة من جامعاتها ومكتباتها بالأضافة الى استعانته ببعض المختصين من اساتذة الجامعات ، كما استعان الباحث بالسفارة الاسبانية لعمق العلاقة بين التاريخ العربي والتاريخ الاسباني ، وللاسف الشديد لم يحصل على ما كان يطمح إليه من معلومات من تلك الجهات إلا النزر اليسير .

ومن المشاكل الاخرى ارتباك الاوضاع السياسية في البلد الامر الذي ادى إلى عرقلة عمل الباحث واصبحت عملية الحصول على المصادر والمراجع عملية شاقة تحتاج الى جهد مضاعف مقارنة بالفترة السابقة .

ورغم كل هذا العناء فاحمد الله واثني علية اذ امدني بالعون والصبر حتى توصلت إلى ما توصلت إليه من نتائج والتي اتمنى ان تكون رافدا للمكتبة العربية والدراسات التاريخية .

اشتمل البحث أربعة فصول تناولت ما يأتي:

١- **الفصل الأول** : الأوضاع السياسية للسلطنة في القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) وتطرق الى مواضيع متعددة منها كثرة توالي السلاطين الغرناطيين على السلطنة وكان حكم بعض السلاطين مكررا الى درجة انه في بعض الأحيان يرتقي عرش السلطنة سلطانين في عام واحد . اضافة لذلك فقد انقسمت السلطنة في الفترة الأخيرة الى قسمين متناحرين كل قسم يحكمه سلطان مستقل عن الآخر كذلك حكم بعض السلاطين اكثر من مرة حتى ان محمد الأيسر تولى العرش خمس مرات يخلع في كل مرة ، وتناول هذا الفصل الأحداث السياسية الداخلية ومنها الفتن والاضطرابات التي تميزت بها هذه الفترة من عمر السلطنة .

وتناول هذا الفصل النشاط السياسي لأهم الأسر الغرناطية والدور الذي لعبته هذة الأسر في ادارة دفة الأوضاع السياسية ،حتى أصبح مصير السلطنة معلقا بأيدي أبناء هذه الأسر ،التي تعرض بعضها لقمع السلاطين الغرناطين بسبب اثارتها للقلاقل والفتن .

تناول هذا الفصل ايضا اثر الوزراء والفقهاء والعلماء في الحياة السياسية الغرناطية وكيف انهم قاموا بتوجيه سياسية السلطنة داخليا وخارجيا لما يخدم مصالحهم في بعض الأحيان ولاسيما الوزراء، أما الفقهاء والعلماء فكان لهم اثر كبير في توجيه الشعب الغرناطي وإثارة حماس الجهاد ضد الصليبيين من أعداء الإسلام في الأندلس .

ووضح هذا الفصل اثر النساء في تحريك الأحداث ولاسيما في فترة حكم السلطان أبي الحسن علي الأخيرة حتى سقوط غر ناطة فكان من أهم أسباب سقوط غرناطة هو ما لعبته

النسـاء مـن أثـر كبيـر فـي توجيـه الأحـداث السياسـية وانقسـام السـلطنة الـى قسـمين متنـاحرين ، متصارعين ،إضافة إلى صراعهم مع الأسبان .

٢- **الفصل الثاني** : تناول العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة ومملكتي قشتالة ،وارغون منذ بداية (القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) حتى عام (٨٨٤هـ /١٤٧٩م) . فعرج هذا الفصل على ذكر العلاقات السلمية والحربية بين غرناطة وقشتالة التي كانت دائما تشعل نار الفتنة داخل سلطنة غرناطة من خلال احتضانها الأمراء المنشقين والمعارضين لسلاطين غرناطة ومدهم بالقوة العسكرية والسلاح للحصول على اكبر قدر ممكن من المكاسب المتمثلة بالأراضي الأسلامية أو إحداث الفتن والاضطرابات و تناول الفصل العلاقة بين سلطنة غرناطة و مملكة اراغون و البرتغال خلال هذه المدة .

٣-**الفصل الثالث** : تناول هذا الفصل أهم الأحداث السياسية بين سلطة غرناطة ومملكة قشتالة الموحدة (٨٨٤-٩٠٥هـ /١٤٧٩-١٤٩٨م) ، معرجا على فترات السلم والحرب بين الطرفين وتنـاول الفصـل المرحلـة الأكثـر حراجـة مـن تـاريخ السـلطنة الا وهـي مرحلـة تصـميم الملكـين الكاثوليكيين اللذين – أعلنا الوحدة بين مملكة قشتالة ، وأراغون بعد زواجهما – على اسقاط سلطنة غرناطة وانهاء نفوذ المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية، متناولا مدة الحصار الذي ضرب على السلطنة الاسلامية من قبل الاسبان وبناء الملكين الكاثوليكيين مدينة سنتيافي ومقاومة موسى بن أبي الغسان للاسبان ، وتصميمه على القتال دفاعا عن غرناطة حتى الموت ، ثم تناول الفصل سقوط سلطنة غرناطة ومن ثم نزوح المسلمين الموريسيكيون الى المغرب العربي وغيرها من البلدان القريبة والبعيدة ودور البابويه في دعم الملكين الكاثوليكيين للقضاء على المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية نهائيا .وذكر هذا الفصل الموريسكيين وما آلو إليه من الأوضاع المتردية واعتداءات الآسبان وتنصيرهم قعسراً ، وحرق تراثهم الفكري و محاولة تذويب هويتهم من خلال منعهم من التكلم بالعربية وقراءتها او تعليم أبنائهم لها ، إضافة إلى منعهم من ممارسة طقوسهم الدينية وهجرتهم إلى مناطق متعددة حيث كان المغرب العربي هو الموطن الرئيسي لاستقبالهم .

٤- **الفصل الرابع** : تناول هذا الفصل علاقة سلطنة غرناطة مع الدول الاسلامية ، فتناول علاقة السلطنة بالدول الاسلامية في شمال أفريقيا ، المتمثلة بالدولة المرينية والزيانية والحفصية وتطرق الى فتاوى علماء أفريقيا حول الموريسكيين وأحتضان بلاد المغرب لهم ولجوء السلطان الغرناطي أبو عبد الله الصغير الى بلاد المغرب العربي .

وتطرق الفصل أيضا الى علاقة سلطنة غرناطة السياسية مع دولة المماليك في مصر والمراسلات بين الدولتين والاستنجادات التي وصلت الى دولة المماليك واستجابتهم في ارسال بعض المساعدات للغرناطيين .

كما تناول الفصل العلاقة مع الدولة العثمانية التي وصلت الى أوج عظمتها في تلك المدة الزمنية ، فحدثت مراسلات من قبل الغرناطيين في عهد السلطان محمد الفاتح وفي عهد بايزيد الثاني ولاسيما الرسالة التي وصلت الى بايزيد الثاني التي هي عبارة عن مقطوعة شعرية تطالب بالنجدة من العثمانيين وبالرغم من عدم وصول مساعدة عسكرية من العثمانيين بسبب انشغالهم في قتالهم في اوربا الشرقية وحربهم مع دولة المماليك الا أن هناك تعاطف عثماني تجاه الغرناطيين أصبح واضحا في فترة القرن العاشر الهجري / الحادي عشر الميلادي.

تحليل المصادر:

من المؤكد ان لكل بحث مصادره الأصلية ولزاما على الباحث التعرف على مصادر بحثه قبل تسجيله والشروع بالعمل فيه وعلى الرغم من معرفتي بقلة المصادر الأصيلة التي تناولت موضوع غرناطة في مدة القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) وسبب قلة هذه المصادر ليس لأن العرب المسلمين في تلك الناحية قد تركوا التدوين التاريخي واصبحوا لايهتمون بكتابة تاريخهم، بل على العكس من ذلك تماما فقد دونت الكتب التاريخية في تلك الحقبة الزمنية الأ ان الأيدي الكافرة المعادية لتأريخ العرب المسلمين هي التي حالت دون وصول المدونات ألينا وذلك من خلال ارتكاب عمل إجرامي كان القصد منه القضاء على هوية العرب المسلمين هناك من خلال حرق المدونات العربية والاسلامية من مخطوطات وكتب كما سيمر علينا خلال البحث .

حاولت أن اسهم في اضاءة وتنوير تلك الحقبة الزمنية من تاريخ الدولة العربية الاسلامية في الاندلس، محاولا قدر الامكان ان احقق نتائج ايجابية ، وقد اعتمدت على بعض المصادر العربية التي وصلت إلينا وبعض المراجع العربية ، والاجنبية للوصول إلى تحقيق نتائج البحث ومن المصادر التي اغنت البحث ببعض المعلومات : مؤلفات الوزير لسان الدين ابن الخطيب (ت. ٧٧٦ هـ) التي افادت التمهيد بالمعلومات القيمة ومؤلفاته لايمكن لباحث يكتب عن تاريخ سلطنة غرناطة الاستغناء عنها،لانة عاصر الاحداث وشاهد عيان لها وقد شغل منصب وزير في هذه السلطنة فهو قريباً جداً من التطورات السياسية فيها ومن كتبه (الاحاطة في أخبار غرناطة) يتكون من (٤ أجزاء) دون فيه معلومات كثيرة عن الاحوال السياسية للسلطنة وعلاقاتها بالدول والممالك المجاورة ، وله مؤلف اخر هو : (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) الذي اختص بنقل تأريخ

سلاطين دولة بني نصر (سلطنة غرناطة) وبتسلسل تاريخي لمدة حكم كل سلطان ونهاية حكمه وينتهي تاريخ هذا الكتاب عام (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) وله كتاب اخر تم الاعتماد عليه هو : (أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام) واعتمدت على كتابه (كناسة الدكان قبل انتقال السكان) وله كتاب : (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب) قدمت هذ المؤلفات للتمهيد معلومات قيمة عن تاريخ سلطنة غرناطة .

الا ان المؤلَّف المهم الاخر هو لابن عاصم الغرناطي (ت.٨٥٧ هـ) تحت عنوان (جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى) ، كان هذا الكتاب الذي حققه (الدكتور صلاح جرار) يحمل في صفحاته معلومات كثيرة مهمة جداً على الصعيد السياسي للسلطنة ويعتبر مؤلفه شاهد عيان للاحداث في مرحلة البحث أمد الفصل الاول ، والفصل الثاني بالمعلومات المفيدة التي تنقل من مكان قريب جداً لمكان الحدث ومعاصراً له ، ويستمر معنا هذا الكتاب في نقل الاحداث السياسية حتى عام (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) حيث توفي مؤلفه ، ومن المصادر المهمة التي اعتمدها البحث هو كتاب لمؤلف مجهول من (أعيان القرن العاشر الهجري) تحت عنوان (نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر) طبع هذا الكتاب ثلاث طبعات بعناوين تكاد تكون مختلفة ، فطبعة (مولر) في كتابه (نخب من تاريخ عرب المغرب) ، وطبعة (رضوان الداية) تحت عنوان (آخر أيام غرناطة) وطبع ضمن كتاب(رواية آخر بني سراج) الذي ترجمه شكيب ارسلان .

يّعد هذا المصدرالرافد الاصيل للاحداث السياسية وبالتفصيل منذ تولي السلطان ابي الحسن علي ، ويستمر معنا في نقل الاحداث بعد سقوط غرناطة ونزوح الاندلسيين الى بلاد المغرب العربي ، أّمد هذا الكتاب الفصل الثالث، والفصل الرابع بالمعلومات المهمة جداً فيما يخص سلاطين غرناطة في هذه الفترة والصراعات والفتن والانقسامات ومواجهة غرناطة لقشتالة وسقوط الحصون ومقاومة اهالي غرناطة أبان فترة حصارها من قبل الملكين الكاثوليكيين وموقف موسى بن أبي الغسان في الدفاع عن غرناطة، ومعاهدتي تسليم غرناطة السرية والعلنية، ونزوح عرب ومسلمي الأندلس إلى مناطق المغرب العربي.

ومن المصادر المهمة الأخرى كتابين للمقري التلمساني(ت.١٠٤١هـ) هما(نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب)،و(أزهار الرياض في أخبار عياض) الأول منها كتاب أدبي أكثر منه تاريخي إلا انه يحمل في طياته معلومات تاريخية عن تاريخ سلطنة غرناطة أفادت البحث في كل فصوله، والثاني قدم معلومات مهمة للبحث ولاسيما الفصل الثالث والرابع، ومن المصادر المهمة ايضا كتاب للناصري السلاوي بعنوان(الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى) أمد هذا الكتاب البحث بمعلومات سياسية عن علاقة غرناطة بدول

المغرب العربي في شمالي أفريقيا ، الدولة المرينية وزود الفصل الرابع بمعلومات مهمة جعلته أكثر تناسقا ووضوحا.

أما بالنسبة للمراجع العربية التي إعتمدها البحث فهي كتاب د.محمد عبد الله عنان (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتتصرين) تناول هذا الكتاب معلومات مهمة وكثيرة ، وطروحاته التي أغنت البحث كثيرا، وتطرزت فصول البحث الاربعة بمعلوماته المهمة .

واما كتب الأستاذ محمد عبدة حتامله ومنها(محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة) الذي أفاد الفصل الاول والفصل الثالث والرابع بالمعلومات المفيدة ولاسيما بعد تولى أبي الحسن علي حتى سقوط السلطنة وكتابة(التنصير القسري في عهد الملكين الكاثوليكيين) الذي أتحفني بمعلومات بما يخص الفترة بعد سقوط سلطنة غرناطة.

وكان لكتاب محمد شكري فرحات(غرناطة في ظل بني الآحمر)، فائدة كبيرة أيضا، اذ لاتقل فائدته عن الكتب السابقة اذ رافق البحث في فصوله الأول، والثاني،والثالث فقد تناول فيه سلاطين غرناطة وسنوات حكمهم وحياتهم لذلك كان له أثر في حل الأشتباك التاريخي في سنوات حكم السلاطين الغرناطيين ولا سيما الفصل الأول والثاني.

و من المراجع الاجنبية التي افادت البحث بمعلومات مهمة فهو كتاب (Apolitical History of Muslim Spain) لمؤلفه S.M,Imamuddin وكتاب The Moorish in Spain لمؤلفه Poole , Stanly Lean و كتاب The Splender of Moorish Sapin لمؤلفه McCabe ومراجع اخرى باللغة الاجنبية تمت الاستفادة منها خلال عملية البحث .

تمهـــــيد:

مـرت سـلطنة غرناطـة Granada [1] بتـاريخ حافـل بالأحـداث السياسـية الجسـيمة منـذ تأسيســـــــــها فـــــــي ســـــــــنة (٦٣٥ هـــــــ / ١٢٣٧م) عنـــــــــدما دخلهـــــــــا

---

[1] غرناطـة ، Granada ،- بفتح اولـه و سكون ثانيـة ، ثـم نـون ، و بعد الالـف طـاء مهملـة ، و الـبعض يراهـا إغرناطـة ، و هـي كمـا يـرى الـبعض تعنـي الرمانـة بلسـان عجـم الانـدلس ، و سـميت بـذلك لحسـنها ، بينمـا يقـول اخرون انها اقيمت على ارض الرمان ، و تقع سلطنة غرناطة في المنطقة الجنوبية الشرقية من الاندلس ، وتقع على خط عرض (٣٧.٧ °) سبع و ثلاثون درجة و سبع عشره دقيقة شمالاً ، و على خط طول (٣٧ °٣) غرباً ، علماً ان ابن الخطيب يذكرانها تقع على خط عرض (١٠ °٣٧) شمالاً و ذكر طولها (٣٠ °٢٧) ، وتشتمل على ثلاث ولايات هي ، ولاية غرناطة في الوسط ، وولاية مالقة في الجنوب ، وولاية المرية في الشرق .

وللتعرف على تفاصيل اكثر حول المدلول اللغوي لغرناطـة ، و موقعها و حدودها و عدد ولاياتها التابعـة لهـا. ينظر . ابن القوطية، ابو بكر محمد (ت ٣٦٧هـ /٩٧٧م) ، تاريخ افتتاح الاندلس ،تحقيق عبد الله انيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، (١٣٧٨هـ /١٩٥٨م) ، ص٥٣-٥٥ ؛ ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد (ت ٤٥٦ هـ) ، فضائل الاندلس واهلها ، تحقيق صلاح الدين منجد ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت – ١٩٦٨) ، ص ٥٦؛ الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله الصقلي (ت ٥٦٠هـ) ، صفة المغرب وارض السودان والمغرب والانـدلس ، (جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق) ، طبعة بيرل ، (ليدن -١٩٨٢) ، ص٢٠١ ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر، (بيروت -١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ، مج١ ، ص ٢٤٤ ، مج٤ ، ص١٩٥ ؛ ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب ، ط٢ ، (بيروت – ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م) ، ص٢ ؛ ابن سعيد ، علي بن موسى بن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د.شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٣، (القاهرة -١٣٨٣هـ /١٩٦٣م) ، ج١ ، ص٩٣؛ ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (٧٧٩هـ) ، تحفة النظار في غرائب الامصار المعروفة (بالرحلة) ، دار صادر، بيروت، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) ، ص ٦٧٠ ؛ المكناسي ، محمد بن عثمان (ت ١٢١٢هـ) ، الاكسير في فكاك الاسير ، تحقيق ، محمد القاسي ، مطبعة الدال ، (الرباط -١٩٦٣) ، ص١٧٤ ؛ مؤنس حسين ، رحلة الاندلس ، الشركة العربية للطباعة و النشر ، ط١ ، (القاهرة -١٣٨٥هـ /١٩٦٣م) ، ص١٦٧ ؛ عنان ، محمدعبد الله ، الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال ، لجنة التأليف والنشر، ط٢، (القاهرة -١٣٨٣هـ /١٩٦١م) ، ص١٦٠ ، .

- Anwar , G. Chegne , Historia De Espana MusulMana , Ediciones Catedro S.M., (Mardid –1980) , P.91-92 .
- Fullard , Harold , Phlips New School Atlas (London –1983) P.P., 34.
- Pres cott , W., History of region of Ferdinand and Isabella , the Catholic , (London –1860) , P.190.

ابو عبد الله [١]محمد بن يوسف بن نصر [٢] ، ويعلل ابن خلدون[٣] قيام دولة بني الاحمر[٤] بما يتفق ونظريته في قيام الدولة على العصبية ، حيث ان ابن الاحمر اعتمد على عصابة قليلة من قرابته كانوا يسمونها الرؤساء ، ولم يحتج لأكثر منها لقلة العصائب في الاندلس ، و يوضح ذلك بقوله ((**فلا تظن انه [ابن الاحمر] تعبير عصابة فليس كذلك ، و قد كان مبدأه بعصابة الا**

---

[١] ' ابن عذاري ، ابو العباس محمد بن محمد (ت ٧١٣هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب (تطوان – ١٩٦٠م) ، ج٢ ، ص ٣٣٦–٣٣٧ .

[٢] محمد بن يوسف بن نصر ، و نصر هو الذي تسمى احيانا بأسمه دولة (بني نصر) ، ولد في ارجونة ، وهو حصن من حصون قرطبة في سنة (٥٩١هـ /١١٩٥م) ، ونشأ وترعرع في بيت نعمة واصالة وشهرة وتحول من مهنة الفلاحة الى مهنة العسكرية ، وأمل نفسه بالرأسة ، وعرف منذ صغره بالشجاعة والخشونة والطموح و الصلابة ، و يرجع نسبه الى قيس بن سعد بن عباد سيد الخزرج ، فهو ابو عبد الله حميد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن خميس بن عقيل بن نصر بن قيس بن سعد بن عبادة ، ينظر ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، ط٢ ، ص ٣٣٦–٣٣٧ ، ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق ، محمد كمال شبانه ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة – ٣٨٦هـ / ١٩١٦ م) ، ص١٨، مقدمة المحقق ؛ ابن الخطيب ، شرح رقم الحلل في نظم الدول ،المطبعة المحمودية ، (تونس – ١٣٣٦) ، ص٣١٩ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبارغرناطة ، تحقيق ، صلاح الدين منجد ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت–١٩٦٨) ،ج٢ ، ص ٩٢–٩٣ ؛ النباهي ، ابو الحسن علي ابن عبد الله بن الحسن ،(٧٩٣هـ) ، نزهة البصائر والابصار ، نشرة مولر في كتابه (نخب من تاريخ عرب المغرب) ، (ميونخ – ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م) ، ص١١ ؛ القلقشندي ، شهاب الدين احمد بن علي (ت. ٨٢١هـ) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية للطباعة ، (القاهرة –١٩٦٣) ، ج٥ ، ص٢٦٠ ؛ المقريزي تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) ، شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق ، محمد السيد علي بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، (النجف –١٩٦٧) ، ص ٨٧ ؛ ابن مخلوف ، محمد بن محمد ،شجرة النور الزكية في طبق من المالكية ، (القاهرة– ١٣٥٠هـ)، ج٢ ، ص ١٤٠ ؛ عبد الله ، خالد محمود ، جهاد بني مرين في الاندلس (٦٥٦–٦٨٥هـ / ١٢٥٨–١٢٨٦ م) ، رسالة ماجستير (بغداد – ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ، ص ٣٨ ؛ شبانه ، محمد كمال ، باب الشريعة ، احدى مداخل الحمراء ، بحث منشور في مجلة دعوة الحق ، العدد / ٦–٧ ، السنة العاشرة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧ ، ص١٢١ .

[٣] ، ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ) ، مقدمة ابن خلدون ، (لبنان –١٩٩٢) ، مج١ ، ص٢٩٨–٢٩٩.

[٤] ابن الاحمر ، يسمى بهذا الاسم نسبة الى جده الذي يسمى قيل بن نصر ولقب بالأحمر لشقرة فيه ، حيث انه في المصادر الاسبانية يسمى (بالبرميخو) ومعناه اللون البرتقالي الضارب الى الحمرة ،وهو لون شعره . ينظر حمودة ، علي محمد ، تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ،دار الكتاب العربي ، (القاهرة ،١٩٥٧) ، ص ٢٩٥ ، العبادي ، احمد مختار ، الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد /٦ ، (بغداد –١٩٧٨) ، ص١٣ ؛ عبد القادر ، زمامة ، بنو الاحمر في غرناطة ، مجلة البحث العلمي ، العدد /٢٦ ، (الرباط –١٩٧٦) ، ص١٠١ .

انها قليلة و على قدر الحاجة فأن وطن الاندلس لقلة العصائب والقبائل فيه يستغني عن كثرة في التغلب عليهم)) .

ويتضح على الرغم من صغر السلطنة التي شكلها السلطان محمد بن يوسف الا انها استطاعت ان تبقى لمدة طويلة وتقاوم ضغط الممالك الشمالية الاسبانية ، وان تحافظ على الوجود العربي في الاندلس زهاء قرنين ونصف من الزمان علماً ان تأسيسها تزامن مع ازدياد تصميم الاسبان في القضاء على المسلمين نهائياً واسقاط سلطنة غرناطة والسيطرة عليها.

وحتى يضمن ابن الاحمر (مؤسس الدولة) بناء دولتة واستمرارها لجأ الى مهادنة الاسبان ولا سيما عندما حوصرت غرناطة من قبل فرناندو الثالث Fernando III (٦١١-٦٥٠هـ/١٢١٤-١٢٥٢م) ملك قشتالة [١] Gastile الذي لم يستطع دخولها فغادر عنها [٢] ، ومن ثم وقعت معاهدة الصلح بين الطرفين في سنة (٦٤٣هـ / ١٢٤٥ م) [٣] ، وعلى الرغم من التنازلات التي قدمت من قبل ابن الاحمر ، مثل دفع جزية سنوية لفرناندو ، ومساعدته على اعدائه [٤]استطاع ابن الاحمر التخلص من بنود هذه المعاهدة وقيودها بمساعدة دولة بني مرين التي نشأت في بلاد المغرب العربي ، ووصلت اوج عظمتها في عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن

---

[١] قشتالة ، Costile ، هي من الاقاليم العظيمة في شمال الاندلس ، عرفت بهذا الاسم لأن قاعدتها تسمى قشتالة ، للمزيد من التفاصيل حول تكوين هذه المملكة و تطور نشأتها و موقعها الجغرافي و المناطق التابعة لها ، ينظر ،

ابن بسام ، ابو الحسن علي الشنتريني (٥٤٢هـ) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق د. احسان عباس ، ط٢ ، دار الثقافة ، ق٤ ، ج١ ، ص ٣٠-٣١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٥ ، ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٤١٧؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان تاريخ اسبانيا الاسلامية ، دار المكشوف (بيروت-١٩٥٦) ، ص٣٢٤-٣٢٨ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٨٣ ؛ عنان، نهاية الاندلس ، ص٥٣٨ ؛ عبد الحليم ، رجب محمد ، العلاقات بين الاندلس الاسلامية و اسبانيا في عصر بني امية و ملوك الطوائف ، دار الكتب الاسلامية ، القاهرة -١٩٨٥) ، ص ٢٠٣-٢٠٤

[٢] ابن خلدون ، العبر ، ج٧ ، ص ٢٥٢ ؛ عنان، نهاية الاندلس ، ص٩٠ .

[٣] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تعليق محي الدين الخطيب ، دار الافاق الجديدة ، (بيروت-١٩٧٨م) ، ص ٤٨ .

[٤] المقري ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٥٠٩-٥١٠ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص٣٥-٣٦ .

عبد الحق[1] – وواتته الفرصة عندما طلب من الفونسو العاشر Alfonso XI (٦٥٠-٦٨١هـ /١٢٥٢-١٢٨٢م) – ان يسلم الاسبان الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف Tarifa [2] .

فرفض ابن الاحمر ما طلبه منه بحجة ان الفقهاء لم يوافقوا على ذلك[3] فطلب المساعدة من بني مرين الذين بحرو الى الاندلس لمساعدته [4] ، وتكررت مرات العبور وحقق بنو مرين عدة انتصارات عديدة حتى وصلوا الى مشارف قرطبة Cordova [5]فقتلوا كثيراً من الاعداء ، وغنموا كثيراً من الاسلحة والاموال [6]، الا وسرعان ما انقلب الامر الى صراع بين الغرناطيين، وبين بني مرين على منطقة الجزيرة الخضراء المهمة [7] ، اضافة الى ذلك فقد حدثت منافسات بين الطامعين في العرش ، وحدثت تمردات عديدة على السلطة [8]، ادت في كثير من الاحيان الى اقتطاع اجزاء من اراضي السلطنة ، لتصبح خاضعة لنفوذ المتمردين الذين كانوا يطلبون المساعدة من مملكة قشتالة التي لم تتوان يوما في تقديم المساعدة الى كل متمرد ضد السلطة المركزية في سلطنة غرناطة ومثال على ذلك تمرد ((**اسرة قوية نابهة من المولودين** [*])) [1]الذين يسمون ببني اشقيلولة

---

[1] الناصري السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، نشره جعفر و محمد ابناء المؤلف ، (الدار البيضاء – ١٩٧٢) ، ج٣ ، ص٦٦-٦٧ .

[2] طريف Tarifa ، جزيرة على البحر المتوسط وهي مدينه صغيرة عليها سور تراب يشقها نهر صغير بينها وبين الجزيرة الخضراء عشرة اميال ؛ الحميري ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (٧١٠هـ) ، صفة جزيرة الاندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، (القاهرة –١٣٥٧هـ /١٩٣٧م) ، ص١٢٧ .

[3] الصدفي ، رزق الله ، تاريخ دول الاسلام ، مطبعة الهلال ، (القاهرة –١٩٨٠م) ، ج٣ ، ص٣ .

[4] المقري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص ٤٤٨ .

[5] قرطبة Cordova ، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ، و كانت سريراً لملكها وقصبتها ، بينها وبين البحر خمسة ايام وهي حصينة بسور من حجارة و لها بابان في نفس السور . ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج٤ ، ص٣٢٤ .

[6] الملزوزي ، ابو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد (ت ٦٩٧هـ) ، نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك ، (الرباط –١٩٦٣) ، ص٩٧-٩٨ .

[7] ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن عبد الله (ت ٧٢٦ هـ) ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، (مدريد –١٩٨٠) ، ج٢ ، ص ٢٢١ .

[8] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق٢ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ .

[*] المولدون، هم من ابناء الاسبان الذين اصبحوا تابعين للعرب المسلمين الفاتحين عن رضا ورغبة واعتنقوا الاسلام ، وربوا تربية ممزوجة من اخلاق اجدادهم واخلاق المجتمع الاسلامي ، حافضوا على عاداتهم واعرافهم ، وزاولوا مهن عديدة . تخلصوا من دفع الجزية بدخولهم الى الاسلام ، وهم ليس من الطبقة الفقيرة فحسب ، بل

[2] في عهد السلطان محمد الثاني بن يوسف (٦٧١-٧٠١هـ /١٢٧٢-١٣٠١م) الملقب بالفقية الذي تولى العرش الغرناطي بعد وفاة ابيه محمد بن الاحمر [3] واستطاع ان يتغلب على الاضطرابات الداخلية [4] .

كان الثمن في القضاء على هذه الفتن استنزاف طاقات كبيرة ضعفت خلالها البلاد مما سهل امر القشتاليين في مهاجمة حدود المملكة [5] .

من النبلاء والزراع، ومنهم من ينحدر من اسر عريقة ، ارتبط بعضهم مع المسلمين بروابط المصاهرة ، وعلى كل المستويات ، في ظل التعايش الاسلامي السلمي. للتفاصيل ينظر ، ابن حيان ، ابو مروان حيان ابن خلق بن حسين (ت ٤٦٩هـ)، المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، تحقيق ، عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، (بيروت –١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ح١،ص١٢٩؛ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ،ح٢ ، ص٧؛ مجهول، ذكر بعض مشاهير اعيان فاس في القديم ، نشر بعنوان بيوتات فاس الكبرى،(الرباط–١٣٩٢–١٩٦٨م)ص٦٨؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ط٣ ، ص ٥٠١ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، التعريف بـأبن خلدون و رحلته غرباً ومشرقاً ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت –د.ت) ، ص٨٤ ؛ كرباخ ، جورج ، عناصر المجتمع الاندلسي ، مجلة افاق عربية ، العدد الحادي عشر (بغداد – ١٣٠٢هـ /١٩٨٤) ، ص٤٢ ؛ عتيق ، عبد العزيز ، الادب العربي الاندلسي ، دار النهضة للطباعة و النشر ، ط١، (بيروت –١٣٩٥هـ /١٩٧٥)، ص١٣٤ ؛ خطاب ، محمود شيت ، الاندلس و ما جاورها ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن و الثلاثون ، الجزء الثاني و الثالث (بغداد –١٣١٥هـ /١٩٨٧) ، ص١٢١ ؛

Henri Peres La Poesie Andolous en Arab Classigue auxisielle (Paris –1937) . P.254-255 , 274 .

[1] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٤٠ .

[2] بني اشقيلولة ، تعود العلاقة بين بني اشقيلولة ، ومؤسس الدولة الى الفترة قبل تأسيس السلطنة ، واساس هذه العلاقة والتعاون هو ان هناك مصاهرة بين الطرفين ، وابن اشقيلولة هو من ابناء بلدة بني الاحمر ، اتفقا على اقتسام الملك فيما بينهما ، و عندما غلب ابن الاحمر ولي بني اشقيلولة قيادة الجيش ، و حدث تمردهم بعد وفاة حميد بن يوسف ، حيث كانت بذوره موجودة ايام محمد بن يوسف . حول تفاصيل هذا التمرد ينظر، ابن ابي زرع ، المطرب بروض القرطاس ،ج٢ ، ص٢٢٠ ؛ الذهبي ، شمس الدين ابي عبد الله حمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، دول الاسلام ، (حيدر اباد –١٣٣٧هـ) ، ط٢ ، ص١٣٢ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق٢ ، ص ٢٨٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ط٧ ، ص ٢٦٢-٢٦٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص ٤٨ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص٤٠ .

[3] ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص٥٥٦ .

[4] النباهي ، نزهة البصائر والابصار ، ص١١٩ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ط٥ ، ص٢٦١ .

[5] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص٢٩١ .

وظلت الاستفسارات تترى على بلاد المغرب التي ظلت تجهز الجيوش وتخوض الحروب، تارة ضد بني اشقيلولة الى جانب السلطان الغرناطي [1] واخرى الى جانب بني اشقيلولة ضد القشتاليين والسلطان الغرناطي [2] .

في خضم الصراع بين بني الاحمر من جهة وبين المتمردين من بني اشقيلولة ، والقشتاليين وبني مرين من جهة اخرى ، قام السلطان محمد الفقيه بتجديد اتفاقية مع مملكة اراغون Aragon [3] في سنة (٧٠١هـ /١٣٠٢م) ، كانت هذه الاتفاقية قد عقدت في سنة (٦٩٥هـ /١٢٩٥م) [4] .

بعد وفاة محمد الفقيه تولي العرش محمد الثالث (٧٠١-٧٠٨هـ /١٣٠١-١٣١٨م) الملقب بالمخلوع الذي سار على نهج ابيه بما كانت لديه من خبرة في الادارة ايام ابيه[5] ، تودد الى بني مرين ودار بين الدولتين تبادل مراسلات وسفارات [6]،ودارت حروب بينه وبين مملكة قشتالة حقق فيها انتصارات كبيرة وقدم هدايا من سبي الحروب لسلطان بني مرين [7] ، الا ان احتلال سبتة [8]من قبل بني الاحمر ادى الى ان تسوء العلاقة بين مرين وبني الاحمر [9].

---

[1] الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ط٣ ، ص٣٨ ، الغنيمي ، مأساة الفردوس المفقود ، ص٣٤٣ .

[2] ابن خلدون ، العبر ، ط٧ ، ص٢٦١ ، مجهول ، الذخيرة ، السينة في تاريخ الدولة المرينية ، نشر محمد بن ابي شغب ، (الجزائر –١٩٢٠) ، ص١٦٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج٢ ، ص٢٨٨ .

[3] اراغونة Aragon ، بالفتح ثم السكون و ضم الكاف ، و واو ساكنة ، و نون ، حصن منيع بالأندلس من اعمال سنتمرية . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص١٥٤ .

[4] بهاء موسى ، و من غرناطة في مواجهة تحديات ، ص٩٤ .

[5] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٦٠ ، لين بول ، ستانكي ، طبقات سلاطين الاسلام ، منشورات البصري (بغداد –١٩٦٩) ، ص٥٦ .

[6] ابن خلدون ، العبر ، ط٧ ، ص٣٠١ ، الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ط٣ ، ص٨٢ .

[7] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٦٣ .

[8] سبته Ceuta ،مدينة كبيرة على بحر الزقاق ، تقابل الجزيرة الخضراء ، ويحيط بسبته البحر من كل جهاتها ماعدا جهة الغرب . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٠٣ .

[9] ابن خلدون ، العبر ، ط٧ ، ص ٣٠٣ ؛ المياحي ، عبد الحمزة محسن ، العلاقات السياسية لمملكة غرناطة في القرن الثالث الهجري / الرابع عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه ، مقدمة الى مجلس كلية الاداب ، جامعة بغداد (١٤١٦هـ /١٩٩٦م) ، ص٤٠-٤٣ .

فبعد ان قدم بني مرين النجدات العسكرية [١] لبني الاحمر ، وخاضوا حروب مشتركة ضد الاسبان وبعد ان كانت علاقة مودة وصداقة تحولت الى صدام عسكري بين الطرفين [٢]، وسبب ذلك يعود الى نفوذ شيخ الغزاة الواسع وتدخله في كثير من امور دولة بني الاحمر [٣].

تم خلع محمد الثالث بسبب مرض مزمن اصابه في عينيه ، فأستبد بالأمر وزيره ابو عبد الله بن الحكم [٤] لذلك تحرك اخوه نصر وسيطر على عرش السلطنة ليستمر حكمه خلال المدة (٧٠٨-٧١٤هـ /١٣٠٨-١٣١٤هـ) [٥] .

فحدثت احداث عديدة منها غزو قشتالة للجزيرة الخضراء برا وغزوها لمضيق جبل طارق بحرا ثم ان مملكة اراغوت فتحت جبهة مؤازرة لمملكة قشتالة [٦].

تنازل نصر بن محمد (ابو الجيوش) عن الحكم ، ليتولى بعده ابو الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٤-٧٢٥هـ /١٣١٤-١٣٢٤م) وهو (**(سلطان مهيب شجاع حازم ناهض بأعباء الملك عديم النظير عديم السطوة**))[٧] استطاع تكبيد القشتاليين خسائر كبيرة في احدى المعارك التي حدثت في سنة (٧١٩هـ /١٣١٩م) قدرت الخسائر بخمسين الف قتيل او اكثر وقتل قائد الجيش القشالي [٨] .

---

[١] عن نجدات بني مرين لبني الاحمر ينظر ، سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج١ ، ص٨٧٠.

[٢] نصر حسين ، الشعر في غرناطة في عهد بني الاحمر ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد ، غير منشورة ، (بغداد -١٩٨٩)، ص ٩.

[٣] ابن الخطيب ،الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تحقيق ، د. احسان عباس ، (بيروت-١٩٦٣) ، ص١١ .

[٤] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٦٧ .

[٥] ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج٣ ، ص٣٣٤ ؛ اللمحة البدرية ، ص٧٠ .

[٦] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٧٠ .

[٧] العسقلاني ، احمد بن الحسن بن حجر ، الدرر الكامنه في اعيان المائة الثامنة ، ضبطه و صححة ، الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٧) ط ، ص ٢١٩ .

[٨] ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ،ج٣ ، ص٣٨٩ ؛ اللمحة البدرية ، ص٨٥ ؛ اعمال الاعلام ، ص٢٩٥ ؛ ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة و النشر (بيروت -دت) ، ط٦ ، ص٥١ ؛ النباهي نزهة البصائر والابصار ، ص١٢٩ ، شيال ، مهدي عواد ، القضاء في مملكة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ /١٢٣٨-١٤٩٢) ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد ، (بغداد -١٤٠٨هـ /١٩٨٧) ، ص٥١ .

توفي السلطان ابو الوليد اسماعيل اثر طعنة خنجر وجهت له من ابن عمه لنزاع كان بينهما [1] ليتولى بعده ولي عهده ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (٧٢٠-٧٣٣هـ /١٣٢٠-١٣٣٢م) وكان عمره نحو تسع سنوات [2] ، عقد معاهدة صداقة مع اراغون [3] ودار صراع بين السطان الغرناطي وشيخ الغزاة على اثر سعايات دارت بينهما [4] ، هاجم القشتاليون اراضي السلطنة مستغلين اضطراب الاوضاع واستولوا على بعض الحصون [5] .

بعد مقتل ابي عبد الله محمد بن اسماعيل اثر عملية اغتيال دبرت له من قبل قادت بني مرين في غرناطة [6] . بويع ابو الحجاج يوسف بن اسماعيل (٧٣٣-٧٥٥هـ /١٢٣٥-١٣٥٤م) وهو الغالب بالله- لم يبلغ السادسةعشرة من عمره ، بعد مقتل اخيه محمد بن اسماعيل [7] استطاع ان يكبح جماح الوزراء الطامعين في ملكه [8] قدمت له نجدات من بني مرين [9] وحدثت وقائع كثيرة بين الغرناطيين والمرينين من جهة وبين الاسبان من جهة اخرى [10] سقطت على اثرها الجزيرة الخضراء بأيدي الاسبان مما اضطر الى عقد هدنه بين الطرفين و شملت السلطان المريني ايضاً [11] .

كانت توجد في سلطنة غرناطة وسائل دفاعية طبيعية الا وهي الموقع الجغرافي الذي تتمتع فيه حيث ان موقعها الجغرافي بين قوى تفوقها عدة وعدداى تحيط بها من كل جانب فرض عليها اتباع استراتيجية ذكية خاصة، فعندما كانت قشتالة تحدها من جهة الشمال واراغون من جهة الشرق ، والبرتغال من جهة الغرب ، ودولة بني مرين في المغرب من جهة الجنوب ، لذلك كانت مصلحة الدولة الاساسية في اقامة العلاقات الخارجية لها ، فنجد انها تقترب مرة الى المغرب

---

[1] ابن الخطيب ، الاحاطة ،ج٣ ، ص٣٩٢-٣٩٣ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢١.

[2] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج٢ ، ص ٢٩٥ ؛ اللمحة البدرية ، ص٩٠ .

[3] بالار ، ماريوتوس ارپياس ، بنومرين في الاتفاقات المبرمة بين اراغون وغرناطة ، (تطوان -١٩٦٣) ، ص١٩٥ .

[4] ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص٥٣٥ .

[5] م . ن ، ج١ ، ص ٥٣٦ .

[6] الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٣ ، ص١٢٣ .

[7] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق٢، ص٣٠٤ ؛ ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٠٢ .

[8] ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص ٣١٩ .

[9] ابن خلدون ، العبر ، ج٧ ، ص٣٤٥ ؛ الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٣ ، ص١٣٥ .

[10] بن خلدون ، العبر ، ج٣ ، ص٣٤٧-٣٤٨ ؛ الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٣ ، ص١٣٧-١٣٨ .

[11] ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج٤ ، ص٣٣٢ ؛ خالد محمود عبد الله ، معاهدات الصلح ، ص١٠٣ .

العربي ضد قشتالة، واخرى الى قشتالة ضد المغرب العربي وثالثة تقترب الى ارغون والبرتغال ضد قشتالة وهكذا [١] .

تعرض ابو الحجاج يوسف الى طعنة خنجر من رجل مخبول [٢] (سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م) وهو في محرابه يصلي ففارق الحياة ليتولى العرش بعده حمد بن يوسف (الغني بالله) [٣] .

مرت السلطنة بظروف مختلفة حتى استطاع بعض السلاطين ان يرتقوا بها الى ان وصلت الى اوج عظمتها ايام السلطان الغني بالل محمد بن يوسف (٧٥٥-٧٩٣هـ /١٣٥٤-١٣٩١م) وهي مدة طويلة استمرت حوالي خمسة وثلاثين عاماً تخللها انقطاع لمدة ثلاث سنوات[٤] ، الا انها مدة زمنية مهمة في تاريخ السلطنة رافقتها احداث سياسية داخلية كثيرة [٥] .

اعتمد السلطان الغني بالله في ادارة السلطنة على بعض الشخصيات المهمة في الادارة منهم وزيره لسان الدين ابن الخطيب [٦] ، كذلك حاجبه ابو النعيم رضوان الذي تحمل اعباء الدولة مع السلطان الغرناطي [٧]، ورجل ثالث هو شيخ الغزاة ابو زكريا يحيى بن عمرو بن رحو [٨] .

شهدت السلطنة في هذه المدة الاستقرار والهدوء نتيجة لتدهور الاوضاع الداخلية في مملكة قشتالة من جانب [٩] ، ومناصرة السلطان المريني ابي عنان ابن ابي الحسن بن ابي سعيد بن ابي

---

[١] العبادي ، احمد مختار ، الاعياد في مملكة غرناطة ، مجلة معهد الدراسات السلامية ، مدريد ، العدد/١٥ ، السنة /١٩٧٠ / ص ١٣٧ .

[٢] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ١١٠ .

[٣] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق٢ ، ص٣٠٦ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٧ ، ص٤٠٥ .

[٤] ان سبب هذا الانقطاع هو حدوث ثورة على السلطان الغني بالله سنة (٧٦٠هـ /١٣٥٨م) نتيجتها ان بويع اخوه اسماعيل ، ثم قتل اسماعيل و تولى بعده ابن عمه ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ، حتى استعاد الغني بالله عرشه بمساعدة سلطان المغرب المريني ابي سالم ، و تم ذلك في سنة (٧٦٣هـ /١٣٦١م) . ينظر ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج٢ ، ص٢٧-٢٩ ؛ ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١٢١-١٢٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٢ ، ص٤٠٥-٤٠٩ .

[٥] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة تحديات ، ص ١١٩ .

[٦] ترجمة لسان الدين أبن الخطيب في ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج٤ ، ص٤٣٨ ، و ما بعدها ، المغرب ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٤٠٤ ، المغرب ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ) ، ازهار الرياض في اخبار غياض ، تحقيق مصطفى السقا ، و ابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، (القاهرة ، ١٩٣٩م) ، ط١ ، ص٦٢-٦٣.

[٧] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص١١٥ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج٢ ، ص١٥-١٦ .

[٨] ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج٢ ، ص١٦ .

[٩] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة ، ص١٢٠ .

يوسف من جانب اخر [١] حيث كان السلطان الغني بالله يرسل ابن الخطيب الذي كان يستصرخة بقصائد حماسية تثير عنده روح الجهاد ، يطلب من خلالها نصرته لمسلمي غرناطة [٢] فيستجيب لدعوات السلطان الغرناطي دائماً [٣] .

وبعد وفاة الغني بالله (٧٩٤هـ /١٣٩١م) دخلت سلطنة غرناطة مرحلة نهاية القوة لتتحدر شيئا فشيئا الى الهاوية والضعف والانحلال ، فأصبحت الحياة السياسية محفوفة بالمؤامرات والدسائس والفتن [٤].

---

[١] عن تفاصيل حياته ينظر، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج٢ ، ص١٨-٢٢ ؛ اللمحة البدرية ، ص١١٧-١١٩ .

[٢] الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٣ ، ص١٩٤ .

[٣] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة تحديات ، ص١٢٩ .

[٤] ارسلان ، الامير شكيب ،خلاصة تاريخ الاندلس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت ، ص١١٦.

المبحث الاول

الاوضاع السياسية لسلطنة غرناطة في المدة

(٧٩٧-٨٦٧/١٣٩٤-١٤٦٢م)

١- نهاية مرحلة القوة ٧٩٧-٨٢٠هـ/١٣٩٤-١٤١٧م

تولي محمد السابع العرش

تعاون رجال الدولة و كبارها مع السلطان محمد السابع بن ابي الحجاج يوسف الثاني ابن السلطان محمد (٧٩٧-٨١٠هـ /١٣٩٤-١٤٠٧م) الذي تمكن من [١] اقناع الفقهاء ورؤساء القوم بأبعاد اخيه يوسف [٢] ، اذ ان اول الاعمال التي قام بها بعد تسلمه الحكم هو القاء القبض على اخيه (منافسه) و زجة الى السجن وشدد عليه الحجز [٣] في سجن الدولة(قلعة شلوبانيه Salobrena * الحصينة) [٤] ، ووصف السلطان محمد السابع بأنه وافر العلم والجرأة، رفيع الخلال فياض الكرم والشجاعة [٥] واوكل امور الدولة الى احد صنائع ابيه يدعى محمد الخصاصي

---

[١] ابن خلدون ، العبر ،ج٧ ، ص٢٢٨ ؛ ابن عاصم الغرناطي (ت ٨٥٧هـ) ، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله و قضى ، تحقيق صلاح جرار ، دار البشير ، (الاردن –١٤١٠هـ /١٩٨٩م) ، ج١ ، ص١١، مقدمة المحقق ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص ١٥٠ .

[٢] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١١ مقدمة المحقق ؛ فرحات ، يوسف شكري ، غرناطة في ظل بني الاحمردراسة حضارية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت – ١٩٨٢)،ص ٥٠.

[٣] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١١ ، مقدمة المحقق .

* شلوبانيه Salobrena ، قرية على ضفة البحر بينها و بين المنكب عشرة اميال ، و يوجد فيها الموز و قصب السكر . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص١١١ .

[٤] ابن خلدون، العبر ، ج٧ ، ص٢٢٨ ؛ ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٠ ، مقدمة المحقق.

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٠ .

[1] وكانت لهذا السلطان نشاطات عسكرية ضد الاسبان [2] تمكن خلالها من رد الاعتبار لسلطنته وايقاف اطماع الاسبان فيها و ظلت الحروب بين الطرفين [3] حتى وفاة السلطان محمد السابع سنة ٨١٠هـ /١٤٠٧م [4] و الذي عندما اشتد به المرض امر بقتل اخيه الاكبر (يوسف) [5] ولكن عاجلته الوفاة قبل تنفيذ هذه الاوامر [6] .

ويمكن القول ان الفقهاء ووجهاء القوم كان لهم أثّر فاعلٌ في ادارة السلطنة ، فكان السلطان يأخذ رأيهم ، و كانت السلطنة فيها من القوة ما يمكّنها من حفظ حدودها .

تولي ابي الحجاج يوسف الثالث عرش السلطنة .

بعد وفاة محمد السابع تولى الحكم اخوه ابو الحجاج يوسف الثالث [7] بن ابي عبد الله ابن الحجاج [8] (٨١٠-٨٢٠هـ /١٤٠٧-١٤١٧م) ،الذي كان سجينا في قلعة شلوبانية التي اخرج منها ، ودخل غرناطة في حفل فخم و قد تم استقباله من قبل السكان اذ كان الشعب الغرناطي يعلق عليه امالا كبيرة لتمتعه بصفات حسنة ، فهو راجح العقل ، سياسي بارع ، محب لرعيته [9] .

---

[1] ابن خلدون ، العبر ،ج٧، ص ٢٢٨ .

[2] ينظر الرسالة ، ص٦٨ .

[3] ابن عاصم ، الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٢ ، مقدمة المحقق .

[4] القلقشندي ، احمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ /١٤١٨م) ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فرج، (الكويت -١٩٦٤)، ج٢ ، ص٢٠٩ .

[5] S.M. Imamuddin , Apolitical History of Muslims Spain peranted at zeco,1., Pakistan , (P.182 , 1961)

[6] ابن القاضي المكناسي ، ابي العباس احمد بن محمد (٩٦٠-١٠٢٥هـ) ، ذيل وفيات الاعيان المسمى درة الحجال في اسماء الرجال ، تحقيق د.محمد الاحمدي ابو النور ، المكتبة العتيقة دار التراث (القاهرة -١٣٩١هـ /١٩٧١م) ، ج٢ ، ص٢٨٣ ؛ ابن القاضي ،المكناسي ، ابي العباس احمد بن محمد ، لقط الفرائد في لفاظة حقق الفوائد ، المطبوع ضمن كتاب الف سنة من الوفيات ، تحقيق ، محمد صبحي ، (الرباط -١٣٩٦هـ /١٩٧٦م) ، ص٢٣٦ .

[7] J.D. Latham , Nasirds , E L^2 , V11, (Leiden, 1983) , P.1020.

[8] القلقشندي ، مآثر الانافة ، ج٢ ، ص ٢٠٩-٢٢٠.

[9] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٣-١٥٤.

خاضت السلطنة صراعات مع القشتاليين و المغاربة المرينيين ، وقد كان لوزيره عبد الله الامين اثر كبير في ادارة دفة السلطنة اذ تعاون مع القشتاليين[١] وفي اواخر حياته التي امضاها بسلام اهتم بتحسين الادارة ، وكان مشهوراً بعدالته وحسن اخلاقة ، حتى ان الكثير من الاسبان كانوا يأتون الى غرناطة لأنهاء النزاعات بينهم على يد السلطان الغرناطي يوسف الثالث، واهتم بالجوانب التدريبية للجيش النظامي ، فأزدهرت في عهده غرناطة، وانتشرت الافراح بين الناس ، وعّم الترف بينهم [٢].

وعد بعضهم عهده صفحة مشرقة في تاريخ سلطنة غرناطة [٣] اما سياسته في الجبهة الخارجية فقد عقد صلحاً مع قشتلة واصبح خاضعاً لها [٤] وأتم تصفية حساباته مع بني مرين[٥].

لقد انعكس الصلح مع قشتالة على اوضاع السلطنة الداخلية ، اذ ساد بلاط غرناطة وبلاط اشبيلية السلام والوئام ، وغصت غرناطة بالأشراف النصارى واقيمت مبارزات بين الاسبان والمسلمين في اغلب ساحات سلطنة غرناطة ، يشهدها المسلمون والمسلمات ، حتى عّم الامن والرخاء وضعفت معه القوة الدفاعية ضد الاعداء [٦] وقد ضعفت السلطنة خلال هذه المدة فتحللت الروح العسكرية لدى الغرناطيين ، و صاروا ميالين للترف واللهو والدعة [٧].

يتضح مما تقدم ان سلطنة غرناطة في عهد السلطان يوسف الثالث قد نعمت بالسلام ولاسيما ايام حكمه الاخيرة ، و يعود السبب في ذلك الى عقد الهدنة مع قشتالة وتقديم الولاء والطاعة لها ، لجعل السلطنة الاسلامية تعيش في سلام ، ولكن هذا السلام سرعان ما اثر في سلوك الناس الذين اثروا اللهو واللذائذ ، على الاحتفاظ بالمنعة و الثبات والاحتفاظ بقوة السلطنة، وهكذا فأن آثارالركون الى السلم مع الاسبان في مراحل لاحقة ، انعكس على مصير السلطنة .

---

[١] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٢ .

[2] S.M. Imamudin , Op.Cit , P. 181; Revista " Al-Andalus " , El Cementerio Reldelos Nazaries En Mondujar , Revista deles Estudios Arabs de Madrid Y . Grarad , Vol. VII ,(Granada , 1942) P.283 .

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٤ .

[4] Retvista Al-Andalus , " Revista deles Estudies Arabets de Modrid , Y. Granada , Madrid –(Granada – 1948) , P. 48

[٥] يوسف الثالث ، ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ، حققه و قدم له ووضع فهارسه ، عبد الله كنون ، (تطوان – ١٩٥٨) ، المقدمة ، ص غ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٣-١٥٤ .

[٦] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٤ .

[7] Mc Cabe, Joseph , Op. Cit , P.263.

٢- فترة الضعف والانحلال (٨٢٠-٨٦٧هـ/١٤١٧-١٤٦٢م).

ارتقاء السلطان محمد الايسر [١] Elzurdo عرش غرناطة

وبعد وفاة يوسف الثالث تولى عرش السلطنة عدد من السلاطين الضعفاء [٢] كان اولهم ابنه محمد بن يوسف الثالث ، المعروف بمحمد الثامن (الزغير) Elequeus [٣] حكم السلطنة للمرة الاولى خلال المدة (٨٢٠-٨٢٢هـ /١٤١٧-١٤١٩م) [٤]، الذي خلعه و ارتقى العرش بعده محمد بن نصر (٨٢٢-٨٣٠هـ /١٤١٩- ١٤٢٦م) [٥]، وهو ابو عبد الله محمد الغالب بالله بن نصر بن محمد بن يوسف بن اسماعيل بن يوسف ، الملقب بالأيسر الذي وصل الى دفة الحكم بمساعدة بني سراج * [٦] و يمكن عد هذا التاريخ بداية عصر الانحلال الحقيقي في سلطنة غرناطة ، اذّ دب الخلاف بين ابناء الاسرة الغرناطية ، و كثرت الفتن الداخلية والحروب الخارجية وغرقت هذه الفترة بسلسلة من المؤامرات و الخيانات [٧].

---

[١] الايسر Elzurdo ، سمي كذلك لأنه يستخدم اليد اليسرى ، و ربما سمي كذلك لسوء حظه بالملك . ينظر ، Conda . J.A. , History of the Dominion of the Arabs in Spain , Translated from the spanish of , Mrs . Jonathan , Foster (London –1913) , Vol. III , P.309.

[٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٤.

[٣] الزغير ، Elequeus ، وهو النطق الاندلسي العامي لكلمة صغير ، و يقال ان معناها السكير . عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٥ ، هامش رقم (٢) .

[٤] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٢ ، مقدمة المحقق .

[5] Paredes , Luis Seco de Lucena , Muhammad IX Sultan de Granada , Patranata de la hambra (Granada –1978) , P. 19-23.

* بنو سراج ، دخلوا مع بني امية الى الاندلس و انزلوهم في بجانه التي سمي اقليمها (ارش اليمن) و قد بلغ بنوسراج اوج عظمتهم في عهد يوسف بن سراج وزير السلطان محمد ابي عبد الله الملقب (بالأيسر) (٨٢١-٨٣١هـ /١٤١٨-١٤٢٧ م) . ايرفنج ، واشنطن ، بنو سراج حظوظهم و مصيرهم في قصر الحمراء ، المجله التاريخية المغربية ، العدد ٢١ -٢٢ السنة الثانية ، (تونس –١٩٨١) ، ص٦٣ ، هامش (١).

[٦] السخاوي ، شمس الدين محمد عبد الرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د.ت) ، ح١ ، ص٦٨ .

[٧] بن شريفة ، محمد ، البسطي اخر شعراء الاندلس ، ط١ ،دار المغرب الاسلامي (بيروت –١٩٨٥) ،ص٤٦.

اقترنت هذه المدة بأسم بني سراج الذين هم من اعظم سادات غرناطة [1] ،وترجع اصول بني سراج الى مالك بن ادد وينتهون الى منجع [2] .

كان يوسف بن سراج (وزير السلطان الايسر) الواسطة الوحيدة لأتصال السلطان بالشعب وكبار القوم [3]بسبب قسوة السلطان محمد الايسر وتعاليه على الشعب الغرناطي بعيدا عن الاهتمام بهم [4] .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها هذا الوزير لتخفيف السخط على السلطان ، الا انه كان امراً صعباً [5] اذّ ان سلطنه غرناطة في بداية حكم محمد الايسر مرت بسلسلة من الفتن والاضطرابات حتى قامت تمردات متعاقبة انتهت بخلع السلطان محمد الايسر [6] .

تولي السلطان ابي عبد الله محمد الثامن (الزغير) عرش غرناطة مرة اخرى .

نقم الشعب الغرناطي على السلطان محمد الايسر في العاصمة غرناطة وثاروا ضده لتبجحه وتعالية عليهم ، وعدم قدرته على ردّ اعتداءات قشتالة ، فزحف الثوار على غرناطة وبايعوا محمد بن محمد بن يوسف الثالث سلطاناً على غرناطة [7] ، وهو ابن اخ محمد الايسر * [8] .

وعندما عرف السلطان محمد الايسر ان زمام الامور انفلتت من يده هرب بأهله وخاصتة الى تونس طالباً الحماية من اميرها ابي فارس عبد العزيز الحفصي [9].

---

[1] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٣.

[2] ابن حزم ، علي بن احمد (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون (القاهرة –١٩٦٢) ، ص٤٧٦–٤٧٧ .

[3] عنان ، نهاية الاندلس ، ص ١٥٤ .

[4] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٣ .

[5] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٤–١٥٥ .

[6] م، ن، ص١٥٥ .

[7] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٣ .

* و في رواية ولده . عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٥ .

[8] لوثينا ، لويس سيكو دي ، وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، (مدريد – ١٣٨٠هـ /١٩٦١م) ، وثيقة رقم ١٩ ، ص٤٠ .

[9] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٥ ، مقدمة المحقق .

ان ثورة محمد الثامن في سنة (٨٣٠هـ /١٤٢٦م) التي انهت مدة حكم السلطان محمد الايسر الاولى (٨٣١هـ /١٤٢٧م) ، لتبدأ مدة حكم محمد الثامن الثانية ، كانت بمساعدة بني الثغري[١] Al-Zegri [٢] .

لم تهدأ الدسائس والفتن في سلطنة غرناطة ، على الرغم من محاولة السلطان محمد الثامن اخمادها [٣] ، وظل بنو سراج يشجعون الاضطرابات ضد خصمهم السلطان الجديد ، الامر الذي حال دون الاستقرار في السلطنة [٤] .

ان تحركات بني سراج هذه ادت الى ان يقوم السلطان محمد الثامن بمطاردتهم محاولة منه لأستتباب الامن داخل السلطنة ، ولكسب ود الشعب الغرناطي قام السلطان محمد الثامن بأقامة حفلات و مباريات فروسية [٥] . لأستئصال الموالين لبني سراج من الفرسان والقادة [٦] ، ومداهمتهم، هذه المداهملت و المطاردات أدت بأبن سراج الى ان يهرب حالاً مع اسرته وخاصته الى ولاية مرسية (Murcia) [٧] ثم الى اشبيلية (Sevilla) [٨] اذّ التقى بملك قشتالة خوان الثاني (Juan II) (٨٠٩-٨٥٨هـ /١٤٠٦-١٤٥٤م) الذي رحب بهم ولاسيما عندما طلبوا منه المساعدة لأرجاع السلطان الايسر للحكم[٩] .

---

[١] بني الثغري Alzegri، هم الاندلسيون الذين نزحوا من اراغون او الثغر الاعلى الاندلسي، الى غرناطة بعد سقوط سرقسطة بأيدي الاسبان و يبدو ان كلمة ثغري لقب لكل من نزح من الثغر الاعلى. عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٦ ، هامش رقم (٢) .

[2] Paredes , Luies Seco de lucena ,Op. Cit., P27-28 ; Conde . J. A., Op. Cit. , P.310-311.

[٣] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٤.

[٤] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٦.

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٦ .

[٦] ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٢٠ .

[٧] مُرْسِيَة Murcia ، بضم اوله و السكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء ، مدينة بالأندلس، من اعمال تدمير ،اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية وهي ذات اشجار وحدائق وصارت قاعدة الاندلس في عهد بن مردنيش . الحموي ، من كتاب معجم البلدان ، ص٣٧٥ .

[٨] اشبيلية Sevilla ، مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسير ثمانية ايام ومن الاميال ثمانون ، يقال ان الذي بناها يوليوس قيصر . الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٨ .

[٩] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٦ .

عودة السلطان محمد الايسر الى العرش للمرة الثانية .

رحب ملك قشتالة بطلب الوزير السراج للمساعدة ،وسارع في تقديم العون لهم ، و تم استدعاء الايسر من تونس ، حيث نزل المرية [١] Almeria ، وقد استقبله الشعب بحفاوة [٢] وعندما علم محمد الثامن بخبر مقدمة وجه له الجيش لأيقافه أو الحيلولة دون وصوله الى غرناطة ، الا ان هذا الجيش سرعان ما انتقل معظمه الى جانب محمد الايسر ، الذي كلما ظهر في بلد قدم له الناس الولاء و الطاعة [٣].

ودخل محمد الايسر الى غرناطة بعد ان سلمها جيش محمد الثامن له ليعود الايسر مرة اخرى الى الحكم [٤] ، و تم القاء القبض على محمد الثامن، و اخيه ابي الحسن علي بن يوسف واعتقلا [٥] في قلعة شلوبانية [٦] الحصينة و هي سجن الدولة الرئيس ، بعد ان ظل في الحكم ما يقارب عامين (٨٣١-٨٣٢هـ /١٤٢٧-١٤٢٨م) [٧] ، و هناك من يزيد بضعة اشهر على العامين [٨] .

حدوث زلزال في غرناطة

كان للكوارث الطبيعية التي حدثت في هذه المدة الاثر الواضح في الشعب الغرناطي ، فقد حدثت زلزلة عظيمة شديدة بجزيرة الاندلس ، ولاسيما في مرج غرناطة ، سقطت الابنية وهلك

---

[١] المرية Almeria ، بالأندلس مدينة امر ببنائها الناصر لدين الله سنة ٣٤٤هـ وهي جبلان بينهما نفق تشتهر فيها الصناعة ، الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٤٨ .

[٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٦ .

[٣] أيرفينج ، واشنطن ، بنوسراج و مصيرهم في قصر الحمراء ، ص٦٦ .

[٤] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٤.

[٥] وهناك رواية تذكر ان محمد الايسر قبض علي الزغير و قطع رأسه و قبض على اولاده و اهله . عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٦ ؛ فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٤ ، و هناك رواية ثالثة حول مصير محمد الثامن تذكر انه عندما تحصن في قصر الحمراء للدفاع عن نفسه ضد محمد الايسر قتله جنوده ولاءً للأيسر . ينظر ، ايرفنج ، واشنطن ، بنو سراج ومصيرهم في قصر الحمراء ، ص٦٦ .

[٦] أيرفينج ، واشنطن ، بنوسراج و مصيرهم في قصر الحمراء ، ص٦٦ .

[7] Revista Alandalus , XXIV , 7959 , P.284.

[٨] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٥ . مقدمة المحقق ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٧ .

السكان ،اذّ يوضح لنا ابن الصيرفي [1] هول الفاجعة على الرغم من المبالغة الموجودة في الرواية فيقول : (**(فأبتلعت الارض هذه البلاد بناسها و دوابها وبقرها و غنمها و جميع ما فيها حتى بقي من يجوز عليهم بقول (كانت هنا بلاد) ... وسقط نصف قلعة غرناطة ، وتهدم كثير من الجامع الاعظم ، و سقط اعلى منارتة ، ورای جماعة من الثقات حائط الجامع يرتفع مقدار عشر اذرع ثم يرجع ، وفعل هذا مرتين واقامت الارض بعد ذلك نحو خمسة واربعين يوماً تهتز حتى خرج الناس الى الصحراء وتركوا الدور وسكنوا الصحراء خوفا من المدينة ان يسقط بناؤها عليهم ... وكان هذا قبل وصول السلطان الذي خلع ابا عبد الله محمد الايسر * ...فأشتد البلاء بأهل غرناطة لقلة مالهم وفناء عسكرهم في الفتنة ** و مصابهم الاعظم بالزلزلة حتى انه عد من هلك ... فوجد زيادة على ستة الاف نفس))** [2] .

عندما دخل محمد الايسر الى غرناطة مرة اخرى سنة (٨٣٣هـ /١٤٢٩م) كان اول الاعمال التي قام بها هو اعادة يوسف بن سراج الى الوزارة [3] و هذا يدل على انه قام بهذا العمل وفاًءله لصنيعه معه ومساعدته في الرجوع الى العرش .

تمرد يوسف المدجن .

ان عدم استطاعة محمد الايسر الوقوف بوجه توسع الاسبان في الاراضي الاندلسية ادى الى نقمة الشعب الغرناطي على السلطان مرة اخرى **وانقسمت [السلطنة] الاسلامية شيعاً و احزاباً متخاصمة** [4]والذي زاد من الانقسامات هو دخول السلطنة في حروب خاسرة مرة بعد اخرى مع مملكة قشتالة ، حتى تذمر العامة والجند بسبب سقوط المدن ، والقلاع ، والحصون بأيدي الاسبان دون ان يتمكن السلطان انجاز أي نصر يذكر [5] هذا من ناحية و من ناحية اخرى فقد برزت

---

[1] الصيرفي ، علي بن داود (توفي في القرن العاشر الهجري) ، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، تحقيق وتعليق، د. حسن حبشي ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٣ ، ج٣ ، ص٢٢١-٢٢٢.

* يقصد ابا عبد الله محمد الايسر الذي هرب الى تونس بعد ثورة محمد الثامن عليه .

** يقصد بالفتنة الحرب بين محمد الثامن ، و ابو عبدالله محمد الايسر .

[2] الصيرفي ، علي بن داود ، نزهة النفوس والابدان ، ج٣ ، ص٢٢١-٢٢٢.

[3] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٤ .

[4] عنان ، نهاية الانلس ، ص١٥٨ .

[5] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة تحديات ، ص١٣٤-١٣٥ .

جماعات معارضة لحكم الايسر ، وهذه الجماعات قامت بتنظيم نفسها و كسب الانصار ، وتجهيز عدة الحرب التي يمكن من خلالها اسقاط السلطان محمد الايسر [1] وعلى سبيل المثال حركة المدجن [2] يوسف **((وهو رجل من المتصوفة كان له اتباع كثيرون ، صنعوا سفناً والات حربية وهاجموا بعض ارباض غرناطة في حدود سنة ٨٣٤هـ /١٤٣١م ودعوا الى مبايعة يوسف المدجن))** [3] ، الذي هاجم غرناطة **((داعياً الناس الى بيعته ، فأنتدب له من الغوغاء و الاوباش عدد الحصى ، هاتفين بالخلعان ، معلنين بالأقامة لدعوته ، متهالكين بالأستماتة في طاعته باذلين للنفوس والاموال في خدمته))**[4] .

تمكن جيش السلطان من ملاحقته و قتله وافشال حركته ، و ظل اصحابه يقولون برجعته وانه المهدي الذي يملأ الارض عدلا و قسطا معتقدين بذلك [5] .

---

[1] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٦ ، ص١٨٦-١٨٨ .

[2] المدجنون ، هم السكان المسلمون في الاندلس الذين استولى الاسبان على اراضيهم و بالتالي عاشوا في وسط الممالك الاسبانية ، و من المحتمل ان بعظهم كان عبيدا في الحروب ، أو عبداً بالولادة ، او انهم احرار خضعوا الى الحكام الجدد . للتفاصيل ينظر ، اتر ستافيز ، بيارتر ، حول مفهوم المدجن الاسباني – العربي وابعاده الاجتماعية والفنية و الادبية ، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية ، العدد/٣ ، (تونس – ١٩٧٥م) ، ص٦٢ ؛ هارفي ، ليونارد باتريك ، المدجنون ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ، ط١ ، (بيروت –١٩٩٨) ، ج١ ، ص٢٨٥-٣٠٠ .

[3] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٦ ، مقدمة المحقق .

[4] م.ن ، ج١ ، ص١٨٧.

[5] م.ن ، ج١ ، ص١٨٨ ؛ ابن الازرق ، ابو عبد الله احمد بن علي (ت٨٩٦هـ) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، دراسة وتحقيق ، د. محمد بن عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب (تونس –١٩٧٦) ، ج١ ، ص١٣٩.

ثورة يوسف الرابع بن المول *على السلطان محمد الايسر

ابن المول ، وهو من الاثرياء وكان يرى أن له الحق في حكم سلطنة غرناطة [1] وتمكن من كسب عدد كبير من الانصار ،وحصل على موافقة ملك قشتالة خوان الثانيJuan II (٨٠٩-٨٥٨هـ /١٤٠٦-١٤٥٤م) بالمساعدة [2] ، و بالفعل زوده ملك قشتالة برجال وسلاح وقام بمهاجمة غرناطة سنة (٨٣٤هـ /١٤٣٠م) ، فلم يكن امام السلطان محمد الايسر الا الهرب مرة اخرى ، ولكن هذه المرة الى مالقة** [3] ، بعد ان قتل الوزير يوسف ابن السراج في معركة مع يوسف بن المول ، ودخل السلطان الجديد غرناطة فخضع اهلها له [4] .

وهكذا فأن سلطنة غرناطة كانت تسير بأتجاه السقوط ، حيث تضطرب احوالها وتزداد سوءاً كل يوم ، كما ان هناك اطرافاً معارضة للسلطان الغرناطي تسعى الى تسلم الحكم بأي ثمن

---

* يوسف بن المول ، امير ينتمي الى البيت الغرناطي عن طريق جده والد امه ، حيث ان امه هي ابنة السلطان الغرناطي محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله الذي حكم غرناطة سنة ٧٥٥هـ /١٣٥٤م ، اما والده فهو احد وزراء سلطنة غرناطة في عهد السلطان يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل (٧١٣-٧٥٥هـ /١٣١٣-١٣٥٤م) . ابن الخطيب ، اللمحمة البدرية ، ص١١٣ ، ص٨٩-٩٠ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٧ ، ص٤٠٥ ؛ ابن الاحمر ، اسماعيل بن يوسف بن محمد (ت ٨٠٧هـ) ، نثير الجمان في نظم فحول الزمان ، دراسة و تحقيق ، محمد رضوان الدايه ، دار الثقافة ١٩٦٧ ، ص٢١ ؛ ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١١ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٨ .

[1] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٨٩ و ما بعدها ؛ عنان ، محمد عبد الله ، وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، (مدريد -١٩٥٤) ، ص٣٨-٤٥.

[2] لم تكن هذه المساعدة مجانية و لكن مقابل تنازلات ذليلة تعهد بها ابن المول لملك قشتالة . ينظر الفصل الثاني من الرسالة،ص٧٦.

** مالقة Malaga ، بفتح اللام و القاف ،مدينة في الاندلس عامرة من اعمال قرية على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء و المرية ، اللتين على ساحل بحر التجار المعروف بالزرقاق . مجهول ، الاندلس و ما فيها من البلاد نسخة مصورة عن اصل مخطوط دار صدام للمخطوطات ، تحت رقم (٨٧٩٩) ، ص٤ .

[3] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٣٠٢-٣٠٣ ؛

- SM.Imaudelin , Optic , P182

[4] Revista , Al-Andalus , XIII , 1946 , P.497-500.

كان ، و يطلبون العون و المساعدة من ايه جهة يمكنها ان تمد يد العون لهم ، في الجانب الاخر كانت مملكة قشتالة العدو الرئيس و التقليدي ، تتابع بترقب سير الاحداث السياسية في داخل غرناطة ، و تحاول انتهاز كل فرصة مناسبة للتدخل في شؤون السلطنة الاسلامية ، و كان قادتها دائما يحصلون على المكاسب و التنازلات سواءً اكانت هذه تنازلات من سلاطين غرناطة انفسهم مقابل السلام، ام من المعارضين للسلطة مقابل تقديم المساعدة لهم لتحقيق اهدافهم .

عندما اتجه السلطان محمد الايسر الى مالقة بعد ان حمل معه امواله و اهله و خاصته ، ظلت مالقة تحت طاعته [1]. و يبدو ان بقاء مالقة على طاعة السلطان محمد الايسر يعني ان السلطنة الغرناطية اصبحت اجزاء منها خارجة عن طاعة السلطان يوسف الرابع بن المول في غرناطة ، وهذا الجانب ساعد على اضعاف السلطنة و زاد الاضطرابات في الاوضاع السياسية الداخلية لسلطنة غرناطة ، والخارجية ايضا ، زد على ذلك أن اول عمل قام به يوسف بن المول (يمكن ان نطلق عليه اسم يوسف الرابع)[2] عند تسلمه زمام السلطة هو الاعتراف ببنود المعاهدة [3] التي عقدها مع خوان الثاني (٨٠٩-٨٥٨هـ /١٤٠٦-١٤٥٤م) ملك قشتالة [4] .

لم يحكم ابن المول طويلا ، اذّ كانت مدة حكمه ستة اشهر فقط ولم يفعل خلالها شيئاً سوى اعترافه بطاعة ملك قشتالة [5] .

في غضون هذه الاحداث نجد ان السلطان محمد الايسر يعد العده على قدم وساق ، ويحشد حشوده ، ويبذل جهوده في مالقة لأستعادة العرش مرة اخرى [6]، فطلب المساعدة من الخارج ، **(من الدولة الحفصية ، ومن مملكة اراغون)**، واتجهت قواته بأتجاه غرناطة التي وقف يوسف بن المول مدافعاً عنها ، بعد ان فشل في القضاء على محمد الايسر في مالقة ، سارعت مملكة قشتالة بتقديم العون الى حليفها ابن المول الذي لم يتمكن من ايقاف زحف محمد الايسر بأتجاه غرناطة [7] ، التي اصبح الان قريبا منها ، ويخطط لغرض أقامة الحصار عليها **((فنفذ**

---

(1) ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ،ج١ ، ص٣٠٠ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٠ .

(2) عنان ، وثيقة اندلسية قشتالية ، ص٤٥ .

(3) ينظر الى بنود المعاهدة ، الرسالة ، ص ٧٦-٧٧.

(4) ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٣٠٠ .

(5) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٠ .

(6) حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة تحديات ، ص١٣٥

(7) ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٣٠٠-٣٠١.

هناك بالأوامر و النواهي ، و اجرى الرسوم و الالقاب على ما هي ، وانتقى من قواده لمه الزمهم حصار الحمراء))[١] .

ثورة محمد الايسر السلطنة للمرة الثالثة و القضاء على يوسف الرابع بن المول .

دخل السلطان محمد الايسر للمرة الثالثة الى غرناطة في (جمادي الاولى من سنة ٨٣٥هـ /٢٧ يناير ١٤٣٢م) [٢]، بعد ان تمكن من القضاء على ثورة ابن المول الذي اختلفت الروايات في نهايته ، فتذكر الرواية الاسبانية **((انه مات بعد اقل من سنة لأنه كان طاعنا في السن))**[٣] . في حين يذكر ابن عاصم الغرناطي[٤] – الذي كان يميل الى السلطان محمد الايسر، وهو معاصر له اذّ كان معه في هذه الاحداث – انه عندما دخل السلطان محمد الايسر الى قصر الحمراء ، امر بالبحث عن ابن المول **((فلم يجدوه ، فوقع البهت و توقفت الحيلة ... ونقب عنه في الاماكن المقفلة وعزم على استقراء منازل الحمراء بالكبس والتفتيش مكاناً مكانا ... ولقي في مخدع صغير او خزانة متخذة في عرض الحائط ، وسبل عليها حصير الحائط المعدلة بما يوهم ان ليس هناك شيئ ، الا لمن يعرفه سابقاً ، فقضى نحبه ، و فرج الله الازمة))**[٥] .

بعد ان تسلم محمد الايسر زمام امور السلطنة [٦] ، اختار له وزيرا من بقايا بني سراج، و هو عبد البر بن سراج [٧] ، اذّ كان له رأي سديد فقد نصح السلطان محمد الايسر بوجوب انتهاج سياسة معتدلة بعيدة عن روح الانتقام ولكن لم يمض وقت طويل حتى تكررت الخلافات بين الامراء الغرناطيين و المتزعمين [٨] ، وعاد محمد الايسر مرة اخرى الى سيرته السابقة في تجاهل

---

[١] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

[٢] عنان ، وثيقة اندلسية قشتالية ، ص٤٥ ؛ ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٢١ .

[3] Revista , Al-Andalus , XIII, 1948 , P.497 -500

[٤] جنة الرضا ، ج١ ، ص٣٠٣ .

[٥] م.ن ، ج١ ، ص٢٠٣ .

[٦] ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٢١ .

[٧] عبد البر بن سراج ، هو ابن وزير السلطان محمد الايسر السابق يوسف بن سراج الذي قتل اثناء دفاعه عن محمد الايسر . ينظر ، أيرفينج ، واشنطون ، بنوسراج و مصيرهم في قصر الحمراء ، ص ٦٨ الهامش رقم (٦) .

[٨] عنان ، وثيقة اندلسية قشتالية ، ص٤٥ .

الشعب الغرناطي ، فسخط مجتمع غرناطة عليه مرة اخرى ، على الرغم من بلائه الحسن في مدافعة القشتاليين[١] الذين عاودوا الاسلوب السابق نفسه وهو التدخل في الامور الداخلية لغرناطة، فشجعوا المنشقين عن البيت الغرناطي ، وقدموا لهم المساعدات المغرية [٢] التي شجعتهم في العودة الى نشاطهم المعارض مرة اخرى ، وطلبوا العون والمساعدة من قشتالة [٣] .

ويمكن القول ان مملكة قشتالة لم تكن تقدم المساعدة للمنشقين في حالة وقوف السلطان الغرناطي ضدها فقط ، بل ان سياستها تكمن في اضعاف السلطنة بكل وسيلة يمكن استخدامها ، فكانت تعقد الصلح مع السلطان الغرناطي الرسمي من جهة ، و تقوم بمهاجمة اراضي المسلمين قبل انقضاء الصلح من جهة اخرى ، وهكذا كانت سياستها مع المسلمين دائما.

ظهور فئات سياسية متعددة معارضة للسلطان محمد الايسر.

ان السياسة الجافة التي انتهجها السلطان محمد الايسر شجعت الفئات المتعددة على العمل ضده، إذّ ان معارضيه من القادة و الفرسان – وعلى رأسهم : يوسف بن احمد حفيد السلطان يوسف الثاني ابن عم محمد الايسر [٤]المعروف في التواريخ القشتالية بـ ((**ابن اسماعيل**))* – طلبوا العون ضده من مملكة قشتالة [٥] .

لم تكن فئة ابن اسماعيل الفئة الوحيدة المعارضة لحكم السلطان محمد الايسر بل ان اهل المرية اول من ايدوا الامير محمد [٦] بن نصر بن محمد الغني بالله ، المعروف

---

[١] عنان، نهاية الاندلس ، ص١٦٣ .

[٢] عنان ، وثيقة اندلسية قشتالية ، ص٤٥ .

[٣] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص ٥٥ .

[٤] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٣ .

* ابن اسماعيل ، يسمى بهذا الاسم نسبة الى السلطان ابي الوليد اسماعيل ، الذي تولى عرش غرناطة خلال المدة (٧١٣-٧٢٥هـ /١٣١٣-١٣٢٤م) و هو السلطان ابو الوليد اسماعيل بن فرح بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن محمد بن يوسف بن الاحمر ، فهو بالنتيجة يرجع الى اسماعيل اخي السلطان محمد بن يوسف بن يوسف بن الاحمر مؤسس الدولة . ينظر، ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٧٨ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص٣٨٤ ؛ ابن الاحمر ، نثير الجمان ، ص١٨ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٣ .

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٣ .

[٦] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٥ .

بالأحنف[1]Elcojo (محمد العاشر) الوالي على مدينة المرية [2]. والذي كان يتحين الفرص المناسبة لتحقيق اهدافه في ارتقاء العرش ، فتمكن مع مجموعة من انصاره من الدخول الى غرناطة ، و كان هدفهم اشعال نار الفتنة والقيام بتمرد على السلطان محمد الايسر ، قام محمد الاحنف بخوض حروب داخلية وصدامات مسلحة مع السلطان محمد الايسر [3] .

تأثير الطاعون الذي اصاب غرناطة سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م في الاوضاع السياسية الداخلية.

كانت هناك عوامل أسهمت في ذلك منها الكارثة الطبيعية التي حلت بغرناطة في (٨٤٤هـ /١٤٤٠م) ، فقد اجتاحت غرناطة موجة من الطاعون الذي هدد سكان غرناطة بالخطر فكانت نتائجة سلبية على الاوضاع الداخلية ، فهذا المرض الخطير ادى بالنتيجة الى انتقال عدد كبير من الغرناطيين الى مالقة هرباً من هذا الوباء الذي اودى بحياة كثير من الناس في غرناطة [4] .

ويتضح ان انتقال الغرناطيين الى مالقة ، وتركهم اعمالهم في غرناطة وموت الاعداد الكبيرة من السكان ، كان له انعكاس على الحياة الاقتصادية ومن ثم الاجتماعية والسياسية التي تتأثر كثيرا بالأقتصاد .

رغب السلطان محمد الايسر للتغلب على المشكلات الداخلية والفتن ان يسالم مملكة قشتالة [5] ،فيذكر ابن عاصم الغرناطي [6] هذا التقرب بقوله : **((ان مسالمة هؤلاء النصارى المجاورين كانت قد انعقدت على اتاوة اقتضاها ازم ذلك الزمان ، وشدة لاحقة النفاق))** . ويبدو ان الشدة اللاحقة النفاق هي التمرد عليه من قبل معارضية .

---

[1] الاحنف Elcojo ، أي الاعرج ، ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ح١ ، ص٢١ .

[2] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢١ .

[3] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٣.

[4] القلصادي ، ابو الحسن علي الاندلسي، رحلة القلصادي دراسة و تحقيق محمد ابو الاجفان ، (تونس –١٩٧٨م) ، ص٨٤ ؛ المقري ، ازهار الرياض ، ج١ ، ص١٢٥ وما بعدها .

[5] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٢ ، مقدمة المحقق .

[6] جنة الرضا ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

الصراع بين محمد الاحنف ومحمد الايسر والرئيس ابن اسماعيل على السلطة .

كانت نتائج الحرب والصدامات التي حدثت بين محمد الاحنف وبين السلطان محمد الايسر في غرناطة ، قد تمخضت عن انتصار محمد الاحنف الذي تمكن من السيطرة على العرش الغرناطي ، اما السلطان محمد الايسر فقد تم القاء القبض عليه وزجه في السجن مع اهله وحاشيته[١].

وهذه الثورة التي قام بها محمد الاحنف في سنة (٨٤٨ هـ /١٤٤٤م) هي التي خلع على اثرها محمد الايسر للمرة الثالثةمن الحكم و تَربعً السلطان محمد الاحنف تخت السلطنة [٢].

ولكن السلطان محمد الايسر تمكن من استرجاع عرشه مرة اخرى من السلطان محمد الاحنف في سنة (٨٤٩هـ /١٤٤٥م) وهي المرة الرابعة ، الا ان تمرداً قد حدث في العام نفسه ضد السلطان محمد الايسر ، تزعم هذاالتمرد ابن اخت له ، وهو يوسف الخامس بن احمد بن نصر [٣].

كان يوسف الخامس في مدينة المرية و قائداً لقصبتها ، الا ان تدخل اهل السعايات والوشايات بينه و بين خاله السلطان محمد الايسر ساعد على اعلان التمرد ضد حكم خاله ، وايد اهالي غرناطة هذا التمرد و سانده ايضاً اهالي وادي اش [٤] مما اضطر السلطان محمد الايسر ان يتوجه هارباً الى مالقة ، و من هناك اخذ يخطط لأسترجاع عرشه ، فقام بشن هجمات على غرناطة لكنه لم يفلح في تحقيق ما اراد ، فأعتزل بشرط ان يُسَمّح له بالأقامة في قصر الحمراء ، فوافق السلطان يوسف الخامس على ذلك و اقطعه بعض الاقطاعات [٥] .

---

(١) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٣ . ينظر :

- Elsgundo Ren Chico , Muhammed , x1,y lasa cesion de las de Abu Nasr Sada 1452-56 , Al-Andalus , Revista de Las Eescu las de Estudics Arabes de Madrid Y Granda XX VII , 1963 , P. 331.

(2) Parcdes , Luies Seco de Lucena , Op.Cit , P.327-328.

(٣) ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٢ ، مقدمة المحقق .

(٤) وادي اش ، Guadix ، مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة ، يقع جبل شيلر الى شرقها و هي على ضفته؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٠٤ .

(٥) ابن عاصم الغرناطي ، ج١ ، ص٣٠٩-٣١١.

يبدو ان موافقة السلطان يوسف الخامس (٨٤٩-٨٥١هـ / ١٤٤٥ – ١٤٤٧ م) على تلبيه مطالب خاله محمد الايسر كانت تجنبا للمتاعب التي من الممكن ان يسببها له اذا ما بقي بعيدا عنه فأراده ان يكون تحت انظارة و قريباً منه .

والدليل على ذلك ان ابن عاصم [١] عد هذا الحادث اعتقالاً و يقول عنه : ((**كان اعتقالا مرهوب العاقبة محدود الغائلة مسلوكاً به في الظاهر مسلك الَمبرَّه ، مضنوناً به في الباطن يخشى المظرة))** .

وبعد مرور اربعة اشهر من ذلك ، تمرد الرئيس ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر ، الا ان تمرده هذا قد فشل ، وسبب فشله هو ان السلطان يوسف الخامس قام بأسناد الوزارة الى ابي القاسم يوسف بن محمد بن سراج ،الذي عمل بجد و نشاط على تحصين الثغور و((**بث العطاء في الجند و اجمل مواعد الناس ... و نزع عن الفتنة الكثير ممن اشرأبت اليها ، و عاد الرئيس الى اعماق قشتالة آيسا مما كان قد اثر فيه من نجح القصد**))[٢] ، وهكذا نرى ان السياسة التي عمل بها الوزير قد نجحت في القضاء على هذا التمرد ، وهذا ان دل على شيء فأنما يدل على حنكتة السياسية ، الا ان مكافأة هذا الوزير من قبل السلطان يوسف الخامس هو أعتقاله مع يوسف بن فرج بن كماشة [٣] ثم قام بالهجوم على وادي اش للقبض على اميرها ابراهيم بن عبد البر ، الا ان اهالي المنطقة اظهروا ضروباً من الشجاعة في الدفاع عنه مما حال دون اعتقاله [٤].

ان محاولة اعتقال ابن عبد البر هذه ، ادت الى ان يقوم هذا القائد بتوجيه الدعوة الى الرئيس ابن اسماعيل الذي كان في قشتالة ، مؤيداً له ، فوافق الرئيس ابن اسماعيل على طلبه ، و توجه الى وادي اش [٥] . وعندما وصلت انباء وصول الرئيس ابن اسماعيل وادي اش الى مسامع السلطان يوسف الخامس ، هرب الاخير من غرناطة مصطحباً معه القائدين المعتقلين يوسف بن محمد بن سراج وابي القاسم بن فرج بن كماشة ، وذويه و اتجه الى المرية ، اما السلطان محمد الايسر فقد اتجه الى شلوبانيه واستقر هو واهله و خاصته هناك [٦].

---

[١] جنة الرضا ، ج١ ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

[٢] م. ن ، ج١ ، ص٣١٠-٣١٢.

[٣] م.ن ، ج١ ، ص٣١١-٣١٣.

[٤] م. ن، ج١ ، ص٢٥ ، مقدمة المحقق .

[٥] م. ن، ج١ ، ص٣١٣-٣١٥ .

[٦] م. ن، ج١ ، ص٣١٦-٣١٨ .

إنّ بقاء الرئيس ابن اسماعيل في منطقة وادي اش ادى الى ان يقوم السلطان محمد الايسر بالأسراع الى غرناطة وتربع عرشها للمرة الخامسة [١] .

اما بالنسبة للرئيس ابن اسماعيل فقد جدد تمرده في سنة (٨٥٤هـ /١٤٥٠م) تمكن خلاله من احتلال مالقة في العام نفسه ، فأستنكر الناس هذا التمرد الذي كان بمباركة وتشجيع مملكة قشتالة ، و لأن هذا التمرد يشتت شمل الغرناطيين فقد انبرى العلماء والفقهاء يبينون للناس مخاطره فأنصرف الناس عنه ، وتمكن السلطان محمد الايسر من استرجاع مالقة ، وقتل الرئيس ابن اسماعيل وبهذا انتهى دوره السياسي وزال خطره [٢] .

وعندما اصدر السلطان محمد الايسر امراً بقتل قائده ابن عبد البر الذي فشل في مواجهة القشتاليين ، فأن تصرفه هذا ادى الى هيجان الشعب الغرناطي و لاسيما بني سراج الذين ايدوا اميراً ثائراً في مالقة ، وهو الامير سعد المستعين (٨٥٧هـ /١٤٥٣م) الذي هاجم غرناطة، وهرب الايسر مع اهله و ذويه الى البشرات التي منها حاول استرجاع عرشه مرة اخرى[٣].

ادت محاولاته هذه لأسترجاع عرشه الى ان يقوم السلطان سعد (٨٥٧-٨٦٧هـ /١٤٥٣-١٤٦٢م) الذي استولى على غرناطة بتجهيز حملة قادها ابنه علي بن سعد ، وتمكن من اسر السلطان محمد الايسر و قتله في قصر الحمراء في احدى قاعاتها الى اليمين من ساحة الاسود و بهذا تنتهي مرحلة حكمه الخامسة [٤] والاخيرة و قتل معه

---

[١] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٣١٦-٣١٨ .

[٢] م.ن ، ج١ ، ص ١٩٠-١٩١ .

[3] Paredes , Iuiessecode lucena , Op. Cit., P.226-227 .

[٤] يذكر في كتاب (جنة الرضا لابن عاصم ، ج١ ، ص١٤) ان محمد الايسر حكم خلال المدة الزمنية (٨٢٢-٨٥٨هـ /١٤١٩-١٤٥٤م) خمس مرات يخلع في كل مرة بثورة تقام عليه ، في حين (السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١ ، ص٦٨) و (ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق ، د. حسن حشبي ، (القاهرة -١٩٧١) ، ج٣ ،ص٥١١ ، يذكر ان محمد الايسر حكم ثلاث مرات فقط .

وينسب (عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٣) الاحداث التي حدثت خلال المدة الزمنية (٨٤٩هـ /١٤٤٥م) الى محمد الاحنف ، و ليس للسلطان محمد الايسر ، ويعتبر نشاط محمد الايسر السياسي قد انتهى على يد محمد الاحنف منذ عام (٨٤٩هـ /١٤٤٥م) وهي اخر مرة قد تولى بها السلطنة ، بينما ينسب كوندي (Conde) في كتابه (Dominion in the Arabic in Spain , Vol. III , P.330) الاحداث التي حدثت خلال المدة (٨٤٩-٨٥٨هـ /١٤٤٥-١٤٥٤م) الى السلطان محمد الاحنف و ليس للسلطان محمد الايسر.

ويذكر (احمد دراج ، المماليك و الفرنج ، ص١٨١)نصاً لرسالة مؤرخة في ١٣ جمادي الاولى سنة (٨٥٥هـ /١٤٥١م) ، يقول ان مرسلها هو السطان محمد الاحنف الغرناطي الى السلطان المملوكي جقمق. الا ان اسم محرر هذه لرسالة ليس مذكوراً فيها ، و هذا لا يمنع ان يكون السلطان محمد الايسر هو الذي ارسلها وليس

ابن عاصم الغرناطي سنة (٨٥٧هـ /١٤٥٣م) [١] .

من الواضح ان الشعب الغرناطي عندما يتذمر من سياسة احد السلاطين يقوم بتشجيع الحركات المناوئة له ، والمعادية للسلطة ، بهدف تغيير السلطان ، من خلال استدعاء الامراء الذين يرونهم مؤهلين لقيادتهم واحلالهم محل السلطان السيئ السيرة الذي تتعارض افعاله مع رغباتهم.

استطاع سعد (المستعين) بمساعدة مؤيديه ، و بعض الفرسان الاسبان الذين مده بهم ملك قشتالة من مهاجمة غرناطة و دخولها و تبوأ العرش الغرناطي [٢].

كانت سياسة السلطان الجديد سعد (المستعين) تتركز على توطيد الامن في السلطنة ، اذّ حصن الحصون و القلاع ، مستغلا ضعف ملك قشتالة هنري انريكي الرابع (Henry Enrigue IV) (٨٥٨-٨٧٩هـ /١٤٥٤-١٤٧٤م)[٣] .

السلطان محمد الاحنف الذي يعتقد احمد دراج انه ارسلها في مدة توليه العرش للمرة الثانية (ينظر ، ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٥٢٩) .

و هذا خلاف ما وصل اليه محقق كتاب (جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٩ مقدمة المحقق) الذي يضعف رواية تولي الاحنف ثانية بقوله ، ((وسواء نجح محمد الاحنف في الاستيلاء على عرش غرناطة مرة ثانية ام لم ينجح فأن هناك دلائل قوية تشير الى ان محمد الايسر كان متربعاً على عرش غرناطة الى ما بعد (٨٥٧هـ /١٤٥٣م) ، وفي نفس كتاب (جنة الرضا) ، (ج١ ، ص ٢٩ ، هامش رقم ٣)، يعطي بعض الادلة لتولي السلطان محمد الايسر في هذه المدة الزمنية، والدليل على ان السلطان الايسر كان على عرش غرناطة في هذه المدة هو اسمه ((قد ورد في نص الظهير الذي قدم ابن عاصم للنظر في امور الفقهاء سنة (٨٥٧هـ)))، و الدليل الاخر ((عندما يترجم عبد الباسط بن خليل – في كتابه (الروض الباسم) – للسلطان سعد بن الاحمر الذي ولى سنة(٨٥٨ هـ /١٤٥٣م) يقول انه ((ملك بعد عمه او قريبه الغالب بالله بن الاحمر)) والغالب بالله هو نفسه السلطان محمد الايسر .

[١] البغدادي ، اسماعيل باشا ، هدية العارفين اسماء المؤلفين و اثار المصنفين من كشف الضنون ، دار الفكر ، (١٤٠٢هـ /١٩٨٢) ، ج٢ ، ص ٢٠٠ ؛ مخلوف ،محمد بن محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، حققها و ضبطها و شرحها ووضع فهارسها ، مصطفى السقا ، و اخرون ، دار القلم (بيروت – د.ت) ج١ ، ص٢٣٩.

[٢] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٥ .

[3] S.M. Imama ddin , Op. Cit., P.183 .

عزل السلطان سعد و تولي يوسف الخامس بن اسماعيل للمرة الثانية.

كانت مدة حكم السلطان سعد الاولى اربعة اعوام ، ثم عزله السلطان يوسف الخامس الذي حكم للمرة الثانية مدة قليلة لا تتجاوز العام (٨٦٦-٨٦٧هـ /١٤٦١-١٤٦٢م) [١] .

لم تتحسن الاوضاع السياسية للسلطنة بل ازدادت سوءاً خلال حكم السلطان يوسف الخامس ، فلم تكن الوصاية على العرش منتظمة ، بل كان الصراع يزداد في الداخل بين السلاطين وعامة المجتمع والمتنفذين ، زد على ذلك ان الهيئات السياسية ضعيفة جدا ، وليس لديها الامكانية في الوقوف امام المشكلات الكثيرة التي كانت تنخر بالسطنة من الداخل ولم تكن لدى الحكومة القوة لمقاومة العنف الذي كانت تسيره وتحركه التكتلات السياسية التي تحارب من اجل مصالحها [٢] .

انتهج السلطان يوسف الخامس سياسة لينة حاول من خلالها ان يكسب الشعب الغرناطي الى جانبة فقام بأعمال عمرانية ، واهتم بضبط الامن في الداخل وتحصين الثغور[٣] ، ولكن هذه الانجازات لم تقف حائلا امام التنافس بين الاسر المتنفذة في السلطنة، فأصبحت السلطنة تمر بأيام عصيبة ومضطربة ، واحتد التنافس بين اسرة بني سراج ، وبني اضحى [٤] ، وبني ثغري، زيادة على كثرة الصراعات بين هذه الاسر، ازدياد نفوذ النساء في البلاط الغرناطي ، وبسبب ذلك كاد السلطان يوسف الخلمس ابن اسماعيل ان يقضي على بني سراج نهائياً [٥] حيث يرى المستشرق

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٤؛ عباس ، صالح مهدي ، الحياة الفكرية في مملكة غرناطة الاسلامية (٦٣٥-٨٩٧هـ /١٢٣٨-١٤٩٢م) ، رسالة دكتوراه ، مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، (بغداد – ١٤١٦هـ /١٩٩٥م) ، ص٣٩ .

[2] Angle , Miguel Ladero Que Sada , " Granada-Historia de un pais Islamico 1232-1572 edilor , Gredos , 20 ed. Madrid , 1979 , P.77.

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٤ .

[٤] بنو اضحى ، هم من سادة غرناطة واعيانها ، يطلق عليهم احيانا بني ضحى .عنان ، نهاية الاندلس ، ص٦٦ ، هامش رقم (٢) .

[٥] يرى البعض ان محاولة قضاء السلطان الغرناطي على اسرة بني سراج حصل في عهد السلطان ابي الحسن علي (٨٦٨-٨٨٧هـ /١٤٦٣-١٤٨٢م) وليس في عهد السلطان سعد المستعين ، ومفادها ان امير من بني سراج موصوف بالجمال علقت بحبه الاميرة الغرناطية ، وضربت له موعدا في احدى خلوات القصر ، فوشى بهما نفر من بني ثغري لدى السلطان الذي كبس عليهما ، فأرسل الى رجال بني سراج فضرب اعناقهم في احدى قاعات قصر الحمراء ، ويقال ان صوت انين ينبعث هناك اثناء الليل عندما تهدأ الاصوات ، وهي رواية لم تذكرها المصادر العربية ، ولم يذكرها صاحب كتاب "نفح الطيب" للمقري الذي ملأ كتابة بقصص الغرام .

جانيوس (Janios) ان منافسات بني سراج وبني الثغري كانت من اهم الاسباب التي عجلت بسقوط غرناطة [١] .

قضاء السلطان سعد على السلطان يوسف الخامس وارتقاؤه السلطنة للمرة الثانية .

قام السلطان سعد المستعين بانقلاب ناجح كانت نتيجته ان قضى على يوسف الخامس الذي انتهى دوره السياسي في سنة (٨٦٧هـ /١٤٦٢م) ، ليرتقي بعده السلطان سعد المستعين عرش السلطنة للمرة الثانية بمساعدة اعوانه وانصاره [٢].

مما تقدم يتضح ان للأسر الكبيرة في غرناطة دوراً كبيراً في تحريك السياسة الداخلية للسلطنة ، حتى ان التنافس بين الاسر ، للتقرب الى السلطان ادى الى حدوث تبدلات سريعة ، وخلال فترات قصيرة ، والدليل على ذلك هو ارتقاء سلاطنين العرش والنزول عنه خلال عام واحد فقط .

فلم تدم المدة التي حكم فيها السلطان يوسف الخامس الا شهر واحد ليرتقي العرش السلطان سعد المستعين [٣] ، الذي عقد معاهدة مع قشتالة قدم لها فروض الطاعة والولاء من بنودها المذلة للمسلمين الاندلسيين في غرناطة [٤] .

وايرفينج ، واشنطن ، قصص الحمراء ، ترجمة ، ابراهيم الابياري ، مراجعة زكي رشيد ، ط٢ ، دار المعارف ، (مصر –١٩٥٨)، ص٢٦٥-٢٦٦ .

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٦ .

[٢] م ، ن ، ص١٦٧ .

[٣] عبد الرزاق ، زاهدة عبد الله ، الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال عهد مملكة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧/١٣٣١-١٤٩٢) ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية / الجامعة المستنصرية – بغداد (١٤١٨هـ/١٩٨٧م) ، ص٧٠ .

[4] S.M. Imamuddin , P.183 . ;

تمرد الامير ابي الحسن علي والده السلطان سعد المستعين و توليه السلطنة بدلا عنه .

في العام الذي تولى فيه سعد المستعين مرة ثانية تمرد عليه ولده ابو الحسن علي ، وكان هذا التمرد بتحريض من بني سراج ، فتم اخراج سعد المستعين من غرناطة فأتجه الى مالقة ، ليتربع ابو الحسن علي على تخت ملك ابيه . [١]

الا ان هناك من يذكر ان السلطان سعد المستعين سجنه ابنه ابو الحسن علي [٢] ، بعد ان حرضه بنو سراج للقيام بتمرد ضد ابيه (سعد المستعين) الذي توفي في سنة (٨٦٨هـ /١٤٦٣م) [٣]وهناك رواية اخرى ترى ان ابا الحسن في العام الثاني من تمرده على ابيه واعتلائه العرش عاد فعقد صلحا مع ابيه بسبب ضغط القشتاليين على حدود السلطنة ، واطلق سراحه وهذا يعني انه كان سجينا ، واختار سعد الاقامة في مدينة المرية ، ولم يتعرض لولده حتى توفي في سنة (٨٦٨هـ /١٤٦٣م) وعند ذلك خلص العرش لولده ابي الحسن [٤].

وهذا ان دل على شيء فأنما يدل على عدم كفاءة سلاطين غرناطة الادارية من جهة ، وتربص مملكة قشتالة بها ، من خلال مد المتمردين بالمساعدة المالية والعسكرية من جهة اخرى، الامر الذي ساعد على تذبذب الولاءات السياسية التي تشجعها كبار البيوت الغرناطية المتصارعة فيما بينها مرة ، وصراعها مع السلاطين مرة ثانية ، وصراع السلاطين فيما بينهم مرة ثالثة .

---

[١] مخطوطة الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم ، وهو نسخة عن مخطوطة وحيدة من هذا الكتاب بمكتبة الفاتيكان الرسولية برقم Bry ٧٢٨/٧٢٩ ، وهي في مجلدين الاول يقع في ٢٥٩ ورقة كبيرة ، و الثاني في ٦٦ ورقة . ترد اخبار الاندلس مبعثرة في حوليات المجلدين المتوالية . نقلا عن عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٧ والهامش رقم (١) منها ،

- Revista " Al-Andalus " , Cuanda Subio Muley Hacen at trono de Granada , Revista de les Estudios Arabes de Madrid Y. Granada Madrid – Granada , Vol. XXII , 1957 , P.21 .
- Revista " AlAndalus " Mas rectificaciones A Historia de los ultmo ، Nasries , unsultanllamado muhammad , " El ChiQuto " , Revista de les Estudios Arabes demadridy Granada , Madrid – Granada , Vol. XXIV , 1995. P.275.

[٢] ابو الحسن علي بن نصر بن سعد بن السلطان ابي عبد الله محمد بن السلطان ابي الحسن بن المول النصري مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٣١ .

[٣] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٦ .

[٤] عنان ، نهايةالاندلس ، ص١٦٧ .

المبحث الثاني

الاوضاع السياسية في سلطنة غرناطة خلال المدة الزمنية

(٨٦٧-٨٩٧هـ/١٤٦٢-١٤٩٢م)

١-مرحلة الانتعاش المؤقت(٨٦٧-٨٨٣هـ/١٤٦٢-١٤٧٨م).

تمكن ابو الحسن علي – او يسمى احيانا (مولاي حسان)[١] ، الذي وقعت تحت حكمه كل سلطنة غرناطة، التحرر من سيطرة القواد الذين كانوا يستصغرون شأنه[٢]، وكانت الفترة التي ارتقى بها العرش فترة غليان سياسي شديد ، ضمرت فيها القوة العسكرية في سلطنة غرناطة [٣] ، التي مرت بتاريخ من الدم ، وسلسلة طويلة من المؤمرات والمكائد ، حاول ان يسيطر عليها بعد اعتلائه السلطنة [٤] .

كان امام ابي الحسن علي ، مشاكل اخرى تتمثل بأخويه ، وعلى رأسهم ابي الحجاج يوسف الذي طلب الحكم لنفسه ، و دارت صراعات بينهما لم تنته الا بوفاة ابي الحجاج يوسف[٥] بسبب الطاعون سنة (٨٧١هـ /١٤٦٦م)[٦] ، بعد ان تخلص ابو الحسن علي من تمرد اخيه قام

---

(١) حتاملة ، محمد عبده ، محنة مسلمي الاندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها ، الجامعة الاردنية ، ط١ ، (١٣٩٧هـ /١٩٧٧) ، ص٨ ؛ فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٧ .

- Terrasse Henry , Islam D.E. Spogne Une rencontre de L'orient Et DeL'occident , d-ibrairie , plan , print .5 (Paris –1958) , P. 242.
- Mc Cabe Joseph, op.cit , P.225.

(٢) مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٣٤ .

(٣) فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٧ ؛ . Mc Cabe, Joseph, Op.Cit , P.270.

(4) Mc Cabe , Joseph, Op.Cit , P.270 .

(٥) حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٨ .

(٦) بول ، ستانلي لين، طبقات سلاطين الاسلام ، ص٥٤ .

بتحصين السلطنة ، واهتم بالشؤون الداخلية لها ،و نظم مؤسساتها[1] ، واختار القائد ابا القاسم بن رضوان بنيغش وزيراً [2] ، الا ان السلطة لم تستقر امورها بعد ، فقد تمرد عليه اخوه ابو عبد الله محمد بن سعد ، المعروف بالزغل *[3] ، الذي كان والياً على مالقة ويقارع ابا الحسن في الجرأة والشجاعة وحب القتال ، الا ان وقوف ابي الحسن بوجه هذا التمرد حدى بمحمد الزغل [4] ان يلجأ الى ملك قشتالة هنري الرابع يستنصره على اخيه ابي الحسن وحدث هذا في سنة (٨٧٤هـ /١٤٦٩م) [5] فوعده بالمساعدة [6] ، في هذه الاثناء حدث تمرد في مالقة، قادة محمد الفرطوسي [7] وهو احد القادة الذين دعوا محمد الزغل [8] بالتوجه اليهم الى مالقة ، وبالفعل جاء من بلاط قشتالة وبويع في مالقة [9] فأشتعلت نار الفتنة بين السلطان ابي الحسن علي الموجود في غرناطة ، ومحمد الزغل والقادة المتمردين في مالقة[10] .

---

[1] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٢ .

[2] وهو وزير ابيه سابقاً ، و يرجع اصلة الى اسرة نصرانية ، اسر جده في بعض المعارك ، ربي في دار السلطنة ، حتى اصبحت اسرته لها مكانة رفيعة بين الاسر الغرناطية ، اشتركت في حوادث غرناطة السياسية ، ووصل بها الشأن الى تولي الوزارة . عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٢ .

* الزغل ، يعني الشجاع او الباسل ، حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٨ .

[3] المقري، نفح الطيب ،ج٦ ، ص ٢٥٨ .

[4] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٢ .

[5] في هذا العام تم زواج فرناندو و ايزابيلا ، وكان سلطان غرناطة قد شهد عقد الزواج ، ووقع عليه لذلك يرجح ان يكون محمد الزغل هو نفسه الذي شهد الزواج وليس ابو الحسن ، لأن محمد الزغل كان في هذه الفترة في بلاط قشتالة لطلب العون . ينظر، لورد ، دوروثي ، اسبانيا شعبها و ارضها ، ترجمة طارق عودة ، مكتبة النهضة المصرية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، (القاهرة –١٩٦٥) ، ص٦٨ .

[6] الحسيني ، د. محمد باقر ، اضواء على نهاية العرب في الاندلس من خلال نقد ذهبي بأسم الملكين الكاثوليكيين فرديناند وايزابيلا ، مجلة افاق عربية ، العدد /١ ، السنة الرابعة ، ايلول –١٩٨٧ ، ص١٠٧ ،

Jackson Joseph , The last story of Granada , (London –1998) , P.7.

[7] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٢ .

[8] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٥٨ .

[9] مجهول ، كتاب نبذة العصر ، في انقضاء دولة بني نصر ، طبع ضمن كتاب اخر بني سراج للفيكونت دوناتو بريان ، ترجمة شكيب ارسلان ، مطبعة المنار ،(مصر –١٣٤٣هـ /١٩٢٥م) ، ص٣٧١ .

[10] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٨ .

و بعد نوازل وحروب كثيرة ترك محمد الزغل القادة في مالقة ، وذهب الى اخيه ابي الحسن في غرناطة ، بعد ان جزع من الحروب الداخلية التي استمرت لمدة ثلاث سنوات متتالية، كانت تدعمها مملكة قشتالة ، فتم التوصل الى عقد اتفاق بين الطرفين [1] ، وهذا الاتفاق يدعو الى احترام السلم بين الطرفين على ان يبقى محمد لزغل في مالقة واحوازها ويكون تابعاً لأبي الحسن علي ، الذي يبقى متربعاً على عرش غرناطة ، توجه السلطان ابو الحسن الى مالقة فحاصرها بمن فيها من القادة المتمردين و قضى عليهم و انتهت الفتنة ، ودعت مالقة السلطان ابا الحسن لمبايعته بعد ان استمرت الفوضى فيها طيلة فترة التمرد [2] ، **((وانقرضت الفتنة وخمدت نارها ودانت له [ابو الحسن] جميع غرناطة ، ولم يبق له فيها معاند))** [3].

استطاع ابو الحسن علي بعد ذلك ان يخوض حروباً عديدة مع القشتاليين حقق فيها انتصارات رائعة عليهم **((وجاهد المشركين ، وافتتح عدة اماكن ، ولاحت له بارقة الكرة على العدو الكافر ،وخافوه ، وطلبوا هدنته ، وكثرت جيوشه فأجمع على عرضها كلها بين يدية))** [4] .

حدوث الاستقرار والانتعاش للسلطنة

كان من نتائج الهدنة مع قشتالة ان زادت خيرات البلاد وارزاقها ، وانتشر الامن، فأنتعش اقتصاد غرناطة ، وتمكن السلطان ابو الحسن علي من **((ضرب سكة جديدة طيبة))**[5] ورخصت الاسعار و شملت اهل غرناطة العافية في هذه الفترة [6] وكان السلطان قد وعد الناس بوعود منها **((ان يصلح شأنهم ، وان يظهر الاحكام ، وان ينظر في مصالح الوطن ، ويقيم الشريعة فمالت اليه الرعية و اعانوه ... الى ان اظفره الله))** [7] .

---

[1] م.ن، ص١٩٤ .

[2] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٧١ ؛مجهول، اخر ايام غرناطة ، ص٣٥-٣٦ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦،ص٢٥٨.

[3] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٧١ .

[4] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٥٩ .

[5] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٧٢ .

[6] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٣٧.

[7] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٧١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ط٦ ، ص٢٥٩ .

وقد وصفت غرناطة في هذه الفترة بأن **((...اهلها من خيار اهل البلاد و اشجع الناس يقال ان بها ثمانين الف رامٍ بقوس ...))** (١) اراد ابو الحسن علي ان يجعل دولته قوية يمكنها مناجزة القشتاليين ، فأعد جيشاً قوياً ، يتكون من مجموعة كبيرة من الفرسان الشجعان ، ومجهزه بالذخيرة الحربية الجيدة والوفيرة ، وزوده بالمدفعية التي لم يتمكن أي من سلاطين غرناطة السابقين امتلاكها (٢) .

حاول ابو الحسن علي الذي كان واثقاً من كفاءة قواته ان يهاجم القشتاليين في اخر ايام حكم الملك القشتالي هنري انريكي الرابع ، مستغلاً ما تمر به مملكة قشتالة من فتن اهلية ، وقد استرجع خلال هجماته عدداً من الحصون والاراضي التي اخذها القشتاليون من المسلمين في فترات سابقة، وكان مغتراً بقوة هذا الجيش (٣) .

هذه الاستعدادات العسكرية كانت تحتاج الى اموال كبيرة لتسديد نفقاتها ، لذلك وجد ابو الحسن علي انيقوم بأستعراض عسكري استمر اكثر من شهراً كاملاً (٤) **من ١٩ ذي الحجة سنة ٨٨٢هـ /٢٤ مارس ١٤٧٨م الى ٢٢محرم عام ٨٨٣هـ /٢٥ ابريل ١٤٧٨م**(٥) .

وقام السلطان ببناء مكان للجلوس ، وجعل الطريق والرحبة لمجال الخيل ، و ندب الفرسان **((فكان اهل غرناطة يخرجون كل يوم الرجال والنساء الصبيان للسبيكة * ، فأقبلت فرسان الاندلس بأجمعها من شرقيها وغربيها))** (٦) وهذا دليل على الانتعاش الذي اصبحت تتمتع به سلطنة غرناطة في هذه المدة وحلول الامان حيث اصبحت محط انظار لكل الشجعان في الاندلس او مجد الرجال الابطال الغرناطيين .

---

(١) الملطي ، عبد الباسط خليل بن شاهين (من رجال القرن التاسع الهجري) ، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، نشرة ديلافيدا في مجلة الاندلس ضمن بحث بعنوان ،
Heri della vida , II Rogon de Granada nel 1405-66 nel 1405-660nei recordi di un viaggiate Fjiziano , Al-Andalus – Madrid – Granada , 1933 , Vol.I , P.313 –314 .

(٢) حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص١٥ .

(٣) م . ن ،ص١٧ .

(٤) مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٣٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٥٩ .

(٥) حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص١٥ .

* السبيكة ، السهل المنبسط الذي تشرف عليه الحمراء من الناحية الشرقية . مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٣٩.

(٦) مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٣٩-٤٠ .

فبعث الله سبحانه وتعالى سيلا عرما في اخر يوم من ايام الاستعراض (الميز) فدمرت البلاد من هذا السيل الذي قطع الاشجار والنخيل وهدم البيوت [١] . **((ومن وقت هذا السيل العظيم بدأ ملك الامير ابي الحسن في التقهقر والانتكاس والانتقاص ، وذلك انه انشغل باللذات والانهماك في الشهوات واللهو بالنساء والمطربات ... وضيع الجند واسقط كثيرا من نجدة الفرسان ، وثقل المغارم ، وكثر الضرائب ... و نهب الاموال ، وشح بالعطاء ، وغير ذلك من الامور التي لا يثبت معها الملك))** [٢] .

يتبين مما تقدم ان سلطنة غرناطة و بعد ان تمكن سلطانها ابو الحسن علي من القضاء على القتن الداخلية ، انتعشت فيها الحياة ، واصبحت لها قدرة عسكرية تمكنها من حماية نفسها ، بل مهاجمة الاسبان في بعض الاحيان ، وبهذا فهي تمر بفترة انتعاش ولكنها مؤقته ، حيث انعكست هذه السياسة فجأة ، ليركن السلطان ابو الحسن الى الملذات واللهو ، وفرض الضرائب، وذلك بعد حادث السيل الذي اصاب غرناطة اخر ايام الاستعراض (الميز) .

٢- دور النساء في سلطنة غرناطة (٨٨٤-٨٨٧هـ/١٤٧٩-١٤٨٢م).

كان السلطان ابو الحسن علي متزوجا من ابنة عمه السلطان محمد الايسر واسمها عائشة [٣] الحرة التي اعقبت له ولدين هما : **((ابو عبد الله الصغير ، وابو الحجاج يوسف))**[٤]، وزوجته الثانية وهي نصرانية واسمها ايزابيل دي سوليس [٥] Isabel de solis (ثريا) ، التي انجبت له

---

[١]مجهول ، اخر ايام غرناطة، ص٤١-٤٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٥٩ .

[٢] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٥٩ .

[٣] هناك اختلاف حول اسم هذه السلطانة فقيل ان اسمها فاطمة و ليس عائشة ، و هناك من يقول انها ابنه محمد الاحنف و ليس محمد الايسر وقد عالج الاستاذ محمد عبد الله هذه المسألة ،على ان اسمها عائشة ابنة السلطان محمد الايسر ، بحسب الوثيقة الرسمية التي تم بها تسليم سلطنة غرناطة ، على ضوئها ويذكر فيها صراحة (الملكة عائشة والدته) . للتفاصيل ، ينظر ، عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٦-١٩٧ ، المتن والهوامش .

[4]Mc cabe, Joseph , Op.cit , P.272

[٥] ايزابيل دي سوليس Isabel de Solic ، و هي ابنة احد الضباط النصارى اسمه سانشو خيمينيس دي سوليس (Don sancho ximenezde solis) الذي قتل في حرب ضد المسلمين ، وجئ بها صبيه ، واعتنقت الاسلام وترعرعت في الحمراء و سماها ابو الحسن (ثريا) او كوكب الصباح ، واحتلت ثريا (الرومية) كما يسمونها في العاصمة غرناطة قلب ابو الحسن وتزوج منها . ينظر ، حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص١٣-١٤ . تسميها بعض المصادر القشتالية زريدة . عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٨ .

ثلاث اولاد **اكبرهم يسمى سعداً ، والثاني يدعى نصراً ، والثالث فقد توفي بعد عمر قصير اثر وباء حقيقي** [١].

جعلت ثريا السلطان ابا الحسن العوبة بيدها ، وكانت تطمح لأن تكون ولاية العهد لأحد ولديها اللذين انجبتهما منه [٢] ، في حين كان السلطان ابو الحسن وكبار رجال الدولة تدعمهم عائشة الحرة يرون ان ولاية العهد لأبنها الاكبر ابي عبد الله بن ابي الحسن ، حتى ضعفت السلطنة بسبب الغيرة بين الزوجتين العربية والنصرانية ،والصراع بين الاخوة الاربعة ، فحشدت كل منهما طاقاتها الكبيرة لكسب الجولة لصالحها ، مما ادى الى ان يزداد ضعف السلطنة بسبب التحزبات والتكتلات [٣] .

لقد تمكنت ثريا الرومية من اغواء زوجها على ولديه و زوجته عائشة العربية ، وعمل بتوجيهها وهجرهما وامهما ، حتى اصبحت لثريا الحضوة الكبيرة لدى السلطان ((**فأدرك ابنة عمه من الغيرة ما يدرك النساء على ازواجهن ووقع بينهما نزاع كثير وقام الاولاد محمد ويوسف مع امهما و غلضت العداوة بينهما**)) [٤] . اصبحت غرناطة في هذه الفترة تعج فيها الفتن والانقسامات وضعف النظام الاداري ، واصبح للنساء الصوت المسموع في بلاطها [٥].

سجن ابي الحسن لعائشة وولديها وهروبهم من السجن

---

[١] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص١٣ .

[٢] طه ، عبد الواحد ذنون ، تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس و اثره على سقوط غرناطة ، بحث منشور في مجلة البحث العلمي ، العدد / ٣٤ ، (الرباط –١٩٨٤) ، ص٧٢ .

[٣] طربية ، جرجي انطونيوس ، الوجدية واثارها في الاندلس ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت –١٩٨٠). ص١٣٦.

[٤] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٤٩ .

[٥] حسون ، محمد عبد الغني ، صراع العرب خلال العصر ، دار العالم العربي ، (القاهرة د.ت)، ص٦٤.

ان تحريض ثريا و الحاحها على السلطان ابي الحسن علي ادى به الى ان يقوم بسجن عائشة وولديها في حصن قمارش [١] Camres [٢] ووسط هذه الانقسامات بين زوجتي السلطان انقسم الناس الى فريقين ، وساعد على هذا الانقسام تصرف السلطان ابي الحسن في اعتكافه الى اللهو واللذات [٣] واسلم السلطة الى وزيره (ابن بنيغش) الذي اصبح سيء السيرة امام الناس وذلك لفرضه الضرائب الثقيلة التي لا مبرر حقيقي مقنع لفرضها [٤] .

كان السلطان ابو الحسن بعدما سجن عائشة وولديها ، امر بالتشديد بالحراسة والقسوة عليهم . في الوقت نفسه كان بنوسراج من الذين ((**اصطفوا الى جانب السلطانة الحرة وولديها، حيث استعانت بهم لتدبير وسائل الفرار والهروب من السجن الذي هم فيه))** [٥] وبعد فرارهم من السجن لجأوا الى (وادي اش) حيث جمعوا حولهم الانصار المعارضين لحكم السلطان [٦] ابي الحسن علي و بفرار السلطانة عائشة وولديها الى وادي اش (٨٨٧هـ /١٤٨٢م) [٧]، اصبحت تحاك تحاك الدسائس والمؤامرات داخل السلطنة ، كل يكيد للأخر ، الضرة للضرة ، والاب للأبن ، والعم لأبن اخيه ، هذه الفتن قدمت خدمة للأسبان لتحقق مصالحهم وهي ضعف السلطنة، واثرت هذه الانقسامات على سياسة السلطان ابي الحسن علي الداخلية والخارجية [٨] تمكنت عائشة وولديها من تكثيف جهودهم بمساعدة بني سراج ، والحصول على البيعة لأبي عبد الله [٩] ، من المرية

---

[١] حصن قمارش Camres ، قرب الحمراء تحيط به الكروم والزيتون ، وهو مستودع لذخائر سلاطين بني الاحمر . ابن الخطيب ، لسان الدين محمد عبد الله ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، دراسة وترجمة اسبانية للنص العربي ، محمد كمال شبانه المعهد الجامعي للبحث العلمي (المغرب –١٩٧٧) ، ص٥٤–٨٨

[٢] ادهم ، علي ، مأساة سقوط غرناطة ، بحث منشور في مجلة العربي ، العدد ٢٤١ ، ديسمبر ١٩٧٨ ، ص١١٨.

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٠ ،ينظر ،

Mc Cab Josphen , Op. Cit , P.271

[٤] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٤٩–٥٠ .

[٥] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٧ .

[٦] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ نهاية الاندلس ،ص٢٠٢–٢٠٣ .

[٧] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٦٠–٦١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ ادهم ، علي ،مأساة سقوط غرناطة ، ص١١٨ .

[8] Rafael , Al-tamira , A History of Spain from the beginnings to the present , (London –1949),P.271

[٩] و يسميه الاسبان استصغاراً به بوبدل (bobdil) . ينظر ،

-MC Cab, Joseph, Op. Cit. , P.272

،وبسطة [١] Baza [٢] ومن ثم حصل التأييد لهم من اهالي غرناطة نفسها ، ليقوم بعد ذلك ابو عبد الله بالتمرد على والده ابي الحسن بتحريض من والدته عائشة [٣] .

في ضوء ما تقدم تبين ان زوجات ابي الحسن علي كان لهن دور كبير في ما الت اليه السلطنة من الضعف ، وازداد انقسامها اكثر ، وعمت الخلافات ، وكثرت التكتلات ، حتى ان الناس نقموا على سلطانهم وحضيته ثريا ، فضلا عن سياسة الوزير السيئة المتمثلة بفرض المغارم ، وكذلك كبر سن السلطان الذي اصبح عاجزاً عن قيادة الدولة ، هذه العوامل كانت اسباب رئيسة هيأت الناس في غرناطة ان يكون لديهم الاستعداد للقيام بالتغيير والتمرد ضد السلطان .

٣- الثورة في غرناطة (٨٨٨-٨٨٩هـ/١٤٨٣-١٤٨٤م) .

كان الشعب تفور في داخلة الثورة ، و لم يكن السلطان ابو الحسن علي قادراً على الحفاظ على السلطة [٤] ، وان تمكنه من الدفاع عن بعض المناطق التي تعرضت لهجمات الاسبان لم يجد يجد له نفعاً امام سخط الشعب الذي كان كارها لسياسته ، فكانت الامور مهيأة لقيام ابي عبد الله بثورة ضد والده السطان الذي لم يتمكن من الوقوف بوجه الثورة التي اتجهت الى غرناطة ، فما كان منه الا الهرب الى مالقة حيث كان اخوه محمد الزغل والياً عليها [٥].

انقسام سلطنة غرناطة الى قسمين .

بهذه الثورة التي فجرها ابو عبد الله الصغير ، بمساندة والدته السلطانة عائشة ، انقسمت السلطنة مرة اخرى الى قسمين و هما :

---

[١] بسطة Baza ، و مدينة بالأندلس من الجبال . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص٤٢٢ .

[٢] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٢ .

[٣] اليوسف ، د. عبدالقادر احمد ، علاقات بين الشرق و الغرب بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ،(بيروت –١٩٦٩) ، ص٢٥٤ ؛ حتي ، فيليب ، و اخرون ، تأريخ العرب مطول ، دار الكشاف للطباعة و النشر و التوزيع ، ط٤ ، ١٩٦٥ ، ج٢ ، ص٦٥٦ .

[٤] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٦٠–٦١ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٢–٢٠٣.

[٥] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٣٢ هامش رقم (٢) ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٢–٢٠٣.
G.levl Dellvida IL Regno Digrananta Nel-1465 –66 , Neirlco , Dl, Unviagglatore , Lzono-Al-Andalus Vol-1 –Fase – 2 –1933 , P.325-328 .

مالقة و غربي غرناطة بأيدي ابي الحسن علي ، ومحمد الزغل [١] . وغرناطة وبسطه، والمرية ، ووادي اش ، كانت تحت سيطرة ابي عبد الله الصغير ، وكان هذا الانقسام نتيجة الحروب الاهلية التي حدثت بين الاب و الابن [٢] الذي بقي في غرناطة تسانده الاسر المتزعمة القوية النفوذ التي تشغل معظم المناصب الادارية ، والعسكرية في البلاط الغرناطي ، فلم يكن في الدولة منصب اداري او عسكري مهم الا تحت نفوذ هذه الاسر التي تحاول التقرب للسلطان والتنافس على نيل الحضوة لديه[٣] الامر الذي ساعد على حوك المؤمرات بعضهم ضد الاخر ، حتى كاد يهلك ال سراج نتيجة مؤامرة دبرت ضدهم [٤] ،و نستنتج من هذا ان صفوف العرب المسلمين في انحلال دائم .

وفي الجانب الاخر كان الاسبان يوحدون صفوفهم ، و يعززون قواتهم لأخراج العرب المسلمين نهائيا من الاندلس [٥] فقام الاسبان بمواصلة احتلالهم للمدن و الحصون و القلاع المهمة المهمة التابعة لسلطنة غرناطة [٦] .

قام السلطان ابو الحسن علي و اخوه محمد الزغل في مالقة ، بهجمات على الاسبان ، كرد فعل على هجماتهم ، تمكنا من تحقيق انتصارات عديدة [٧] ،و جاءا بالأسرى و الغنائم [٨] فدبت الحماسة لدى اهالي مالقة ،وانتعشت الامال مرة اخرى ، ووصلت بشائر هذه الانتصارات الى اهالي غرناطة الذين فرحوا كثيرا بهذه الاخبار [٩] .

---

[١] مجهول ، اخبار العصر ، ص٢٧٧-٣٧٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٢ . ينظر ،

- Stanly Lan Poole , The Moorsh in Spain , With the Collaboration of Arthur Gllman , M.A. Khats , bent, 1967 , P.247.

[٢] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٣-٢٤ .

[٣] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٦١-٦٢ ؛ ينظر ،

- Trrasse , Henri , Op. Cit., P.242 .

[٤] ايرفينج ، واشنطن ، قصص الحمراء ، ص٢٦٥ .

[٥] ندا ، د.طه ، فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية ، دار النهضة العربية ، (بيروت –١٩٧٥) ، ص١٤٦ .

[6] Fletgher , Richard , Morish Spain University of California Press Berkeley , Printed in in the United States of America , (Los – Angeles –1984) , P.165 .

[٧] ينظر الرسالة، ص١٠٤ .

[٨] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٦٢-٦٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٣ .

[٩] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٧٩ ، ينظر ،

- Jamil Abvn –Nasr , A History of the Maghrib ,(Cambridg – 1975) , P.159-6 .
- Terrasse , Henri , Op. Cit., P.243.

اسر السلطان ابي عبد الله الصغير للمرة الاولى من قبل القشتاليين .

هذه الانتصارات التي حققها ابو الحسن علي ،ومحمد الزغل شجعت ابا عبد الله الصغير على اعلان الحرب ضد الاسبان لتحقيق نصراً مشابهاً ، حتى يكسب الموقف السياسي ،والتشجيع الشعبي الذي كان ينظر بعين اعجاب لأنتصارات المالقيين ، فأتجه مع جنده سنة (٨٨٨هـ /١٤٨٣م) نحو قرطبة الا ان النتيجة لم تكن بمثل ما كان يتمنى حيث تم اسره بعد ان خسر الجولة و قتل و اسر معظم جيشه [١].

ان وقوع السلطان ابي عبد الله الصغير في الاسر ، ادى الى ان تبقى غرناطة دون سلطان فأجتمع زعماؤها و اتفقوا على ان يستدعوا السلطان ابا الحسن علي ليتولى السلطنة مرة اخرى[٢]، الا ان فقدان بصره [٣] نتيجة اصابته بالصرع ،ولعدم قدرته في ادارة دفة الحكم لكبر سنه ، تنازل عن العرش الى اخيه محمد الزغل [٤] الذي كانت الرعيه تأتمر بأمر محمد الزغل اكثر اكثر منه [٥] .

يتضح ان عرش السلطنة قد تعرض الى اهتزازات قوية عنيفة ، بسبب الاحقاد والمنافسات بين الاب وولده ، والمصالح التي تحركها تدخلات النساء ، وبعض كبار رجال الدولة ، ادت هذه الاهتزازات الى ان تتدنى السلطنة وتصل الى مرحلة حرجة جدا ، و على الرغم من ان عرش غرناطة ، عاد ليصبح تحت امرة سلطان واحد وهو محمد الزغل ، الا ان هذا لا يعني نهاية الصراع بين السلاطين .

٤- الحرب الاهلية في سلطنة غرناطة (٨٩٠-٨٩٦هـ/١٤٨٥-١٤٩٠م) .

بعد تنازل ابي الحسن علي عن العرش الى محمد الزغل [٦] انتقل الاول الى المنكب [١] (Almunecar) ، مع زوجته ثريا و ابنيه سعد ، ونصر ، الى الجنوب من غرناطة ، وكان ذلك

---

[١] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٣ .

[٢] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٧٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٤ .

[3] Mc Cab ,Joseph , Op., Cit, P.274

[٤] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٤ .

[٥] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٣

[٦] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٧٩-٣٨٠ ؛ فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٦١ .

في عام (٨٩٠هـ /١٤٨٦م) حيث توفي هناك ونقل جثمانه الى المقبرة التي يدفن بها سلاطين غرناطة وكان نقله الى هذه المقبرة بأمر اخية محمد الزغل [٢] الذي اخذت قوتة تزداد بزيادة انتصاراته حتى عادت ثقة الغرناطيين به شيئاً فشيئاً [٣].

قضاء محمد الزغل على منافسية في العرش .

ان تولي السلطان محمد الزغل العرش لا يعني توقف الحرب الاهلية التي كانت تضطرم بين مؤيديه في غرناطة ، و مؤيدي ابي الحجاج يوسف [٤]حيث نشبت بينهم وقائع [٥] في مدينة المرية استمرت الى ان استولى محمد الزغل على غرناطة ، واراد ان يستخلصها لنفسه [٦] كلها ، فحدثت معارك مع ابن اخيه ابي الحجاج يوسف الذي أستقل عنه في المرية ، فسار اليه محمد الزغل و تغلب عليه بواسطة انصاره ، الذين تسللوا ودخلوا الى المرية وفتحوا لعسكره الابواب ، حيث قتل يوسف اثناء ذلك بأمر من عمه الزغل [٧] ، الذي ما كاد يدخل الى غرناطة بعد عودته من المرية [٨] حتى تم اطلاق سراح ابي عبد الله الصغير من الاسر [٩]

---

[١] المنكب Almuncar ، هو بلد على ساحل جزيرة الاندلس ، من اعمال البيرة ، بينه و بين غرناطة اربعون ميلا ، بالقرب من شلوبين دون المريه ، بها دار صناعة للسفن والسكر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٢١٦ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٢١٨ .

[٢] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٣ .

[٣] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٣ .

[٤] هو ابن عائشة الحرة واخ لأبي عبد الله الصغير الذي كان واليا على مدينة المرية من قبل اخيه قبل اسرة ؛ مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٦٢ ، هامش رقم (١).

[٥] حدثت بعض هذه الوقائع عندما لجأ ابو الحسن علي الى اخيه محمد الزغل في مالقة ،ولكن اسفرت الفتن والحروب الى ان استولى الزغل على عرش غرناطة ، بعد تنازل اخيه ابي الحسن علي .عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٨ .

[٦] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٦٢ ، هامش (١) .

[٧] ويقال ان من امر بقتله هو والده ابو الحسن علي ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٨ .

[٨] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٨ .

[٩] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٦ ؛ الناصري السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد ، الاستقصا ، ج٤ ، ص ١٠٢ .

الحرب الاهلية بينه و بين عمه الزغل و تفريق كلمة المسلمين مرة اخرى[١] ، هذه الاحداث كانت في عام (٨٩٠هـ /١٤٨٦م) .

اصبحت الشكوك تدور حول ابي عبد الله الصغير بالتآمر مع الاسبان[٢] و مع كل هذا فقد فقد بايعه اهالي ربض البيازين [٣] Albacin ، الذين سمعوا بما ينوية ابو عبد الله الصغير من اقامة الصلح بين المسلمين ، والاسبان ، و ذلك لأن معظمهم كان يعمل بالتجارة و يهمه الاستقرار ، والامن وكانت السلطانة عائشة قد ارسلت بعض الناس الذين رشتهم الى غرناطة ليدعون الى ابي عبد الله الصغير [٤] .

تجدد الحرب بين محمد الزغل و ابي عبد الله .

كان محمد الزغل في غرناطة التي بايعه اهلها بينما كان ابو عبد الله الصغير في حي البيازين الذين وقفوا الى جانبه لذلك اعلنت الحرب الاهلية التي اشتعلت في ٣ بيع الاول ٨٩١هـ/اوائل عام ١٤٨٧ ، و استمرت حتى ١٥ جمادي الاولى من العام نفسه [٥] أي استمرت لمدة شهرين و حاول محمد الزغل القضاء على الفتنة واخمادها بالقوة ، فأتجه اهالي ربض البيازين ، الذين كانوا يدعون ابي عبد الله الصغير بالتوجه اليهم ، وهو في بعض المدن الشرقية، وكان يعدهم بالمجئ اليهم [٦]، وقف اهالي البيازين موقفاً دفاعياً صلباً ضد السلطان محمد الزغل

---

[1] Terresse , Henri , Op. Cit. P.243.

[2] S.M. , Op. Cit. P. 185.

[٣] البيازين Albacin، ضاحية تقع الى الشمال الشرقي من غرناطة ، و كان اكثر سكانها من التجار . مجهول ، ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٧ .

[٤] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٥٣ .

[٥] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٨ ؛ العبادي ، عبد الحميد ، دراسات في تاريخ الاندلس ، مطبعة السعادة، ط١ ، (القاهرة –١٩٥٩) ، ص١٩٢ .

[٦] عنان ، نهاية الاندلس ،ص٢٠٩ .

الذي هاجمهم بكل قسوة واستخدم ضدهم اسلحة متنوعة حيث قام بتسليط الانفاط[١] والمنجنيقات ضدهم [٢] .

حدوث الصلح بين محمد الزغل وابي عبد الله .

اتجه ابو عبد الله الصغير الى عمه محمد الزغل لعقد الصلح ،و بالفعل تم عقده بين الطرفين [٣] ، اختلف المؤرخون في تفاصيل هذا الصلح ، منهم من يذكر انضواء ابي عبد الله تحت لواء عمه محمد الزغل حيث ان صاحب كتاب (اخر ايام غرناطة) يذكر انه: **((وقع الصلح بينه [ابو عبد الله الصغير] وبين عمه الامير محمد بن سعد سلطان غرناطة في حينه على ان يسلم لعمه المذكور في المملكة على ان يكون هو من تحت يديه))**[٤] يوافقه في هذا الرأي صاحب النفح حيث يقول **((قدم على لوشة (Loga) [*] [ابو عبد الله الصغير] ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه و بين عمه صاحب قلعة غرناطة ، بأن العم يكون له الملك وابن اخيه تحت ايالته بلوشة ، او بأي المواضع احب ، ويكونون يدا واحدة على عدو الدين))**[٥] في حين حين تنقل لنا الرواية القشتالية غير ذلك ، حيث تقول بتقسيم السلطنة الى قسمين ، كالأتي :

كان لمحمد الزغل : مالقة ، والمرية ، والمنكب، والبشرات.

و كان لأبي عبد الله الصغير **((علاوة على حي البيازين وما تبقى من ذلك الى اقليم مرسيه الذي كان ملاسقاً لحدود الولايات المسيحية))** [٦] .

---

[١] الانفاط ، للتعرف عليهذا السلاح الذي كان مستخدماً انذاك في الحروب بأعتباره من الاسلحة الخطرة و الفتاكة . ينظر ،عنان ، نهاية لاندلس ، ص٢١١-٢١٣ .

[٢] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٦ ؛ ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٠٧ .

[٣] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٨ .

[٤] م.ن ، ص٧٨ .

[*] لوشة Loga ، بالاندلس من اقليم البيرة ، تبعد عنها ثلاثين ميلا . الحميري ، الروض المعطار ، ص٥١٣ .

[٥] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٦ .

[٦] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٢ ، نقلا عن ،

-Ballesteros Y. Beretta , Antonio Historia de Espana Y. su inflaenciaenla Historia Universal . ,(Barcelona , 1922) , T.111 , P. 678 .

- Caspar Y. Remiro “ Ultimus Poctos Corespondencia inxima enter los catolicos J. Boobdil , (Granuada –1910) , P. 24 .

مما تقدم يتضح ان الرواية العربية تحاول اسباغ نوع من التفاهم بين السلطانين المتصارعين تدفعها الحمية العربية الاسلامية لتوحيد الصف الاسلامي امام القوة المسيحية الاسبانية الكاسحة لبلاد غرناطة ، اما الرواية القشتالية فهي تؤكد تقسيم المملكة بين الاميرين المتنازعين ، و يؤيد الباحث الرواية العربية ، بدليل ان ابا عبد الله الصغير وقف للدفاع عن لوشه التي هاجمها الاسبان ، واخذ اسيراً مرة اخرى ، حيث اعتبر الاسبان دفاعه عن لوشه خرقاً لما تم الاتفاق عليه ايام اسره الاول ، وما مهاجمة الاسبان لمدينة لوشه الا رد فعل للخرق الذي قام به ابو عبد الله الصغير لما تم الاتفاق عليه بين ابو عبد الله الصغير و القشتاليين حيث كان الاسبان يريدون الحرب الاهلية ان تستمر اطول لتضعف السلطنة اكثر .

وقوع السلطان ابي عبد الله الصغير في الاسر مرة اخرى .

تمكن الاسبان من اسر السلطان ابي عبد الله الصغير مرة اخرى [1]اثناء دفاعه عن لوشة[2] .

و يذكر ان ابا عبد الله الصغير وقّع مع الاسبان اتفاقية [3] تعهد في احد بنودها ان يحارب عمه السلطان محمد الزغل [4] وهذا دليل واضح على رغبة الاسبان في عدم استقرار سلطنة غرناطة سياسياً وتشجيعهم للحرب الاهلية بين السلاطين الغرناطيين .

تجدد الحرب بين محمد الزغل و ابي عبد الله الصغير بعد اطلاق سراحه .

---

[1] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٨٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٧٣ .

[2] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٨٣ ؛ مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٨٠ .

[3] ينظر الرسالة ، بنود الاتفاقية السرية ، ص ١١٠-١١١.

[4] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٦ .

اصبح محمد الزغل سلطانا على غرناطة [١] بأجمعها بعد اسر ابي عبد الله الصغير، وظل الاسبان يتحينون الفرص المناسبة لأطلاق سراح ابي عبد الله [٢] ، و في نفس الوقت هاجموا الاراضي الاسلامية في غرناطة لأسقاطها تماماً [٣] .

اطلق سراح ابي عبد الله الصغير سنة (٨٩١ هـ /١٤٨٦م)[٤]، في الانحاء الشرقية ، التي غادرها الى البيازين ، و اجتمع حوله انصاره ، وذاع انه عقد الصلح مع الاسبان الذين زودوه بالرجال و الذخائر و الانفاط ، هذا مما زاد في اشتعال نار الفتنة [٥] وشدد محمد الزغل الضغط على ربض البيازين ، و بعد ان كانت الحرب مستعرة اراد السلطان محمد الزغل القضاء نهائيا على القوة الموجودة في البيازين مع الامير ابي عبد الله الصغير[٦] فقام بأستدعاء النجدات العسكرية من المرية ، ووادي اش ، ومالقة ، وغيرها من الاراضي التابعة لغرناطة ، هذا من ناحية [٧] ، من ناحية اخرى تمكن محمد الزغل من الحصول على فتوى [٨] تجيز له مقاتلة اهالي البيازين واعتبارهم عاصين لله ولرسوله [٩] وبهذا حصل على انصار اكثر وتأييد عسكري و ديني .

كانت الاوضاع صعبة على أبي عبد الله الصغير ، الا ان القشتاليين انجدوه بمهاجمتهم مالقة سنة (٨٩٢هـ /١٤٨٦م) لتخفيف الضغط عن البيازين [١٠] ، حاول محمد الزغل انجاد مالقة ،الا ان محاولته هذه كانت متأخرة حيث اتم القشتاليون احتلالها سنة ٨٩٣هـ /١٤٨٧م وسلم اهلها

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٣ .

[٢] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٨٠ .

[٣] م.ن. ، ص٨٠-٨٤ .

[٤] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٨ .

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٣ .

[٦] حتاملة ، محنة مسامي الاندلس ، ص٤٠ .

[٧] شاهين ، طلعت ، احتضار الاندلس ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد /٤٨ ، السنة الثانية ، (ابو ظبي – ١٩٨٨) ، ص٨.

[٨] راجع مبحث اثر الوزراء العلماء و الفقهاء (من الرسالة) ، ف١، ص٦٤ .

[٩] الونشريسي ، احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والاندلس والمغرب ، اشراف ، محمد حجي ، ط١ ، دار المغرب الاسلامية ، (بيروت – ١٩٨١) ، ج١١، ص٥٠-٥١ .

[١٠] سالم ، السيد عبد العزيز ، من تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة (القاهرة – د.ت) ، ص٣٩٩ .

لهم [١] ، وعندما حاول محمد الزغل الرجوع الى غرناطة مرة اخرى وجد ابا عبد الله الصغير قد دخلها وحصل على بيعة اهلها فعاد ادراجه الى وادي اش [٢] .

تدخل بعض الوجهاء من اهالي غرناطة حيث عرضوا على السلطانين المتنازعين اقتسام السلطة فيما بينهما خوفاً من تمادي العدو اكثر ، وتم الاتفاق على ان يكون لمحمد الزغل منطقة وادي اش ، وتتبعه الاجزاء الشرقية من غرناطة ، في حين تكون لأبي عبد الله الصغير غرناطة واعمالها [٣] .

بهذا العمل ارتقى ابو عبد الله الصغير عرش غرناطة مرة اخرى ، الا ان حكمه هذه المرة على اجزاء صغيرة من السلطنة بعد ان اقتطعت منها الكثير من الاراضي من قبل القشتاليين ، واستقلال محمد الزغل في منطقة وادي اش والمدن الشرقية للسلطنة [٤] .

اما بالنسبة لمحمد الزغل فقد تفرق عنه انصاره ، واصبح ضعيفاً جدا لا يمكنه الوقوف بوجه الاسبان ، فقرر ان يعترف بطاعتهم ، ويدخل تحت لوائهم هو وقادته الذين بدورهم ساعدوا مملكة قشتالة في الحصول على باقي المناطق التابعة لمحمد الزغل دون قتال [٥].

وبما ان محمد الزغل لم يكن يريد البقاء قي غرناطة لذلك قرر بيع املاكه أليهم والتوجه الى بلاد المغرب العربي [٦] ، وقد حدث ذلك سنة (٨٩٦هـ /١٤٩٠م) [٧].

لم يبق من الاندلس سوى غرناطة ، التي كان ابو عبد الله الصغير سلطاناً عليها و كان شديد الفرح بخسارة عمه محمد الزغل ، فقد هتف ابو عبد الله الصغير بوجه الرسول الذي نقل له رحيل عمه محمد الزغل قائلاً : **((من الان فصاعداً لا يوجد احد يسميني بأسم (زغيبي)** [*] **لأن حظي الان قد انعدل))**[١] .

---

[١] مخلوف ، محمد بن حميد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية،(القاهرة –١٣٤٩هـ) (١٩٥٠) ، التتمه ، ص١٥٠ .

[٢] سالم ، السيد عبد العزيز ،في تاريخ و حضارة الاسلام في الاندلس ، ص٣٩٩ .

[٣] سالم ، السيد عبد العزيز ، واحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، دار النهضة النهضة العربية ، (بيروت –١٩٦٩) ، ص٣٦٧ .

[٤] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٦ ، ص ٢٣٠ .

[٥] مجهول ،اخر ايام غرناطة ، ص٩٩ .

[٦] ينظر الرسالة، ص١٢٣ .

[٧] حمودة ، علي محمد ، تاريخ الاندلس ، ص٢٩٨ ؛

-Terasse , Henri , Op. Cit, P.245.

[*] كان الزغل يطلق عليه هذه التسمية استخفافاً به . ينظر ،

يمكن القول ان الانقسامات في السلطنة ادت الى عدم حدوث أي استقرار سياسي فيها خلال هذه الفترة ، اذ اصبحت السلطنة تتقلص امام ضربات الاسبان الموجعة ، حتى اقتربت من سقوطها الذي يعتبر حلم الاسبان .

٥- الاوضاع السياسية قبيل تسليم السلطنة (٨٩٦هـ/١٤٩٠م).

لم يكن الشعب الغرناطي يحب ابا عبد الله الصغير ، الذي كان يسمع السب و اللعن ضده بأذنية في العاصمة ،ووصفوه بالخائن المتحالف مع الكفار ، الا انه كان مرتاحاً لأن منافسه قد زال ، لقد نسى ان الدائرة قد دارت عليه ، وأن عليه ان يسلم غرناطة حسب الاتفاق مع الاسبان [٢] .

كان ملوك اسبانيا يرون ان الفرصة حانت لتوجيه الضربة النهائية لغرناطة التي كان سلطانها متوهماً بأن الجو الان قد صفا له [٣] ، و لكن ارسل الاسبان اليه مطالبين اياه بتسليم السلطنة ، وان بامكانه العيش في غرناطة في أي منطقة يختار منها [٤] ، وامام الحاح الاسبان الذين طلبوا منه في عام (٨٩٥هـ /١٤٨٩م)[٥] ، ان يقوم بتسليم المدينة وحاصروا غرناطة حصاراً شديداً في العام التالي ، كان رد فعل السلطان كبيرا امام هذا الطلب ، فقام بعقد مجلس للنظر في قضية التسليم التي اصبحت جدية ، فأجتمع اهالي غرناطة من العامة والخاصة ، وقادة الجيش ((**فأجمعوا على قتاله ومدافعته [العدو]عنهم لما امكنهم حتى يفتح الله عليهم ، او يهلكون عن اخرهم**)) [٦] .

ولكن الحصار الذي فرض من قبل الاسبان اخذ من اهالي المدينة ماخذه من المدنيين الذين كابدوا معاناة الحصار، والرعب [٧] .

- Pool , Stanley, Lane Op. Cit , P.25

[1]Ibid , P.259 .

[2]Poole ,Stanly Lane , Op. Cit ., P.260

[٣] الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد ، كيف ضاع الاسلام من الاندلس بعد ثمانية قرون ،مأساة الفردوس المفقود ، (٩٢-٨٩٧هـ /٧١١-١٤٩٢م)، دار الكتب القومية ، ١٩٩٣ ، ص٢٧٠-٢٧١ ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ط١ ، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣ ، ص١٢٥٧ .

[٤] طه ، عبد الواحد ذنون ، تحالف الممالك الاسبانية ، ص١٩٦ .

[٥]عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٣٠.

[٦] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٩٢.

[7]McCab ,Joseph , Op. Cit., P.277.

ان استمرار الحرب و تدهور الاوضاع الداخلية للسلطنة ادى الى ان يهجر عدداً كبيراً من اهالي غرناطة المدينة ، والتوجه الى منطقة البشرات القريبة ، حيث كان الطريق اليها يمر بجبل شلير[1] ، وكان هذا الطريق مفتوحا وهو المنفذ الوحيد الذي يتمكن من خلاله اهالي غرناطة النفاد منه والى الخارج [2] .

ومن الواضح ان هذا الامر ساعد على خروج عدد كبير من الناس الذين كانوا يعدون عنصرا مهما في القوة المدافعة عن السلطنة مما أضعف القدرة الدفاعية عنها .

لم يقاتل ابو عبد الله الصغير الاسبان الا من اجل مجاراة الشعب الغرناطي [3] ، لأن جموع الناس الغاضبة التي ملأت الشوارع في غرناطة تريد الدفاع عن المدينة ، فقام وجهاء غرناطة و كبار رجالها بالضغط على ابي عبد الله ، وان عليه ان يختار احد الامرين ، بين التنازل عن العرش ، او محاربة الاسبان ، وقد اكتشف اخيرا فيه ومضة من الشجاعة فأختار الدفاع عن غرناطة وقاد القوات الغرناطية المدافعة [4] ودارت الحرب بين الطرفين لمدة سبعة اشهر،كانت تدور الحرب خلالها كل يوم [5] .

كان موسم الشتاء الذي اقبل اكثر تاثيرا في اهالي غرناطة اثناء ايام الحصار المفروض عليهم فنزول الثلج من جبل شلير ادى الى انقطاع الطريق الوحيد المؤدي الى البشرات ، وبهذا انعزلت غرناطة عن العالم الخارجي نهائيا ، فأنقطعت المساعدات الخارجية التي كانت تأتي من البشرات ، بواسطة هذا الطريق ،وهذا ما ساعد على زيادة تدهور الاوضاع الداخلية ((**اشتد الحال على الناس بالجوع وقلة الطعام و ادرك الجوع كثيرا من الناس الموسورين**)) [6] .

سرت شائعات في اوساط عامة اهالي غرناطة ان السلطان ابا عبد الله [7] ووزيره ابا القاسم القاسم عبد الملك [8] ، وبعض القادة ، متفقون سراً مع ملك الاسبان لتسليم المدينة له [1] .

---

[1] جبل شلير ،يلفظ التصغير ، و اخره راء ، جبل من الاندلس من اعمال البيره لا يفارقه الثلج شتاءاً و لا صيفاً . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٣ ، ص٣٦٠ .

[2] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٢٠-١٢١ .

[3] MC Cab ,Josphen , Op. Cit. P.280 .

[4] Ibid , p.277.

[5] مجهول ، اخبار العصر ، ص٤٠٠-٤٠١ .

[6] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٢١.

[7] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٤٢ .

[8] ايرفينج ، واشنطن ، سقوط مدينة غرناطة في يد الملكين فرديناندو و ايزابيلا ، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث و المعاصر ، السنة العاشرة ، العدد/٣١-٣٢ ، (تونس –١٩٨٣) ، ص١٢٥ .

الا ان هذه الشائعات التي اشيعت ما هي الا حقائق ، بدليل ان كثيرا من كبار قادة الدولة وعلى رأسهم ، السلطان والوزير، قاموا ببيع ممتلكاتهم الخاصة منذ بدأ الحصار على المدينة سنة (٨٩٦هـ /١٤٩٠م) ، بل شمل البيع الفرسان الذين باعوا عقاراتهم وبساتينهم، وباع السطان ابو عبد الله في ٢٩ مادي الاولى سنة ٨٩٦هـ /١٠ ابريل ١٤٩٠ ، الجنة المعروفة بجنة عصام [٢] في غرناطة [٣] .

وثبتت هذه الشائعات ، عندما عقد اجتماع ضم الاهالي ،والقادة ، وعلى رأسهم موسى بن ابي الغسان ومساعديه ، نعيم بن رضوان ، ومحمد بن زائدة [٤] للمشاورة في تسليم المدينة وضمن شروط [٥] وافق عليها الاسبان [٦] .

وفي نفس الوقت عقدت معاهدة سرية [٧] منح خلالها **((ابو عبد الله و افراد اسرته ووزراءه منحاً خاصة بين ضياع واموال نقدية وحقوق مالية اخرى))**[٨] .

وبهذا تتجلى الخيانة المقصودة من خلال المعاهدة السرية التي حرص ابو عبد لله الصغير على ان لا يعرف بها الشعب الغرناطي ، فضلا عن ذلك تتجلى الخيانة من خلال تسليم المدينة قبل الموعد المتفق عليه وهو ستون يوماً [٩] فكان المعارض الوحيد على التسليم هو موسى بن ابي الغسان الذي ابى الا ان يموت ميته شريفة ، فخرج الى مصيره المجهول ، الا ان الرواية الاسبانية تذكر ان مصيره لم يكن مجهولا ، بل تذكر الرواية بعض الاحداث حول مصيره الذي لاقاه عند خروجه من الاجتماع الذي عقد مع السلطان ابي عبد الله الصغير حول التسليم [١٠] .

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٤٢ .

[٢] جنة عصام ، هي منطقة مجاورة للعاصمة غرناطة . لوثينا ،سيكودي ، وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، (مدريد –١٣٨٠–١٩٦١) ، ص١١٢.

[٣] لوثينا ، سيكودي ، وثائق عربية غرناطية ، ينظر الوثيقة رقم (٦٥) ، ص١١١ ، الوثائق المرقمة (٧٣،٧٤،٧٥،٧٦،٧٧) ، ص١٢٢–١٢٥ .

[٤] المقري ، نفح الطيب ، ج٤، ص٥٢٥.

[٥] ينظر المعاهدة العلنية ، حتاملة ، الاعتداءات الافرنجية الصليبية على ديار العرب في الاندلس و المشرق (حرب متواصلة على الاسلام) ، (الاردن – ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) ، ملحق رقم ١ ، ص٨٨–٩٧.

[٦] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٣٩.

[٧] انظر المعاهدة السرية ، حتاملة ، الاعتداءات الافرنجية ، ملحق رقم ٢ ، ص ٩٨–١٠٣.

[٨] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥٢٥.

[٩] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٤٢–٢٥٧.

[10] Poole , Stanley Lane, Op. Cit., P.266.

٦- الاوضاع السياسية في سلطنة غرناطة اثناء تسليمها (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) .

تم الاتفاق على شروط التسليم [١] وقد وضعت هذه الاتفاقية في ٢١ محرم ٨٩٧هـ /٢٥ نوفمبر سنة ١٤٩١م) ،على ان تسلم المدينة بعد مرور شهرين من هذا التاريخ [٢] ، ولكن عندما اذيعت انباء تسلم غرناطة عم الحزن و الاسى بين الناس ، وخاصة عندما عرف الناس ان هناك معاهدة سرية قد ابرمت [٣] بين ابي عبد الله الصغير و ملك قشتالة ، حصل خلالها ابو عبد الله الصغير على امتيازات كثيرة .

وسط هذا السخط المتصاعد ، ظهر رجل نحيف خطب بالجماهير الغفيرة المتجمعة في الساحة العامة من غرناطة وراح يتهجم على اتفاقية التسليم ، وعلى ابي عبد الله الصغير ، واعيان غرناطة ووصفهم انهم مسلمون بالأسم فقط ، فلم يمض وقت قصير حتى تجمع الناس في شوارع غرناطة ، للوقوف ضد تسليم المدينة ، واغلقت المنازل و الحوانيت ابوابها خوفاً من هذه التظاهرة ، التي ازدادت اعدادها ، حتى ان السطان لم يعد قادراً على الخروج ، فظل في قصر الحمراء وظلت التظاهرة تجوب ارجاء غرناطة وشوارعها ذهاباً واياباً ، الا ان السلطان جمع قواه وتمكن من الخروج ، والقى على مسامع المتظاهرين خطبة امتص من خلالها النقمة الشعبية عليه ، وحببهم في الاتفاقية ، حتى ان بعض المتظاهرين نادى بحب السلطان ابي عبد الله الصغير ، وانصرف المتظاهرون لذلك ارسل السلطان الغرناطي ابو عبد الله الى الاسبان يطلب منهم التعجيل في تسلُم لمدينة قبل الموعد المتفق عليه ،خوفاً من رجوع الناس الى الموقف الثوري المعادي له [٤]. وفي (٢ ربيع الاول سنة ٨٩٧هـ /كانون الثاني ١٤٩٢) تم تسليم المدينة على وفق الشروط المتفق عليها [٥].

---

[١] ايرفنج ، واشنطن ، سقوط مدينة غرناطة بيد الملكين ، ص١٢٩-١٣٠.

[٢] حتي ، فيليب واخرون ، تاريخ العرب مطول ، الكشاف للطباعة و النشر و التوزيع ،ط٤، ١٩٦٥.

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٥٦.

[٤] ايرفنج ، واشنطن ، سقوط مدينة غرناطة بيد الملكين ، ص١٢٩-١٣٠.

[٥] المقري ، شهاب الدين محمد بن محمد (١٠٤١هـ) ، ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ، تحقيق ، مصطفى السقا واخرون ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر،(القاهرة –١٣٥٨/١٩٣٩م) ،ج١، ص٦٥ ؛ Jamil Abou , Nasr , Op. Cit. , P.261 ; Henri, Terrasse, Op. Cit. P.245.

هذا التاريخ الذي تم التسليم فيه كان بعد مرور ٣٩ يوماً ، من عقد المعاهدة التي اتفق من خلالها الطرفان ، ان يكون موعد التسليم بعد ستين يوماً وبهذا العمل اراد ابو عبد الله الصغير ان يثبت حسن نواياه للأسبان [١].

اما بالنسبة الى مصير السلطان المخلوع ،فقد غادر غرناطة في اليوم الذي تم فيه التسليم و اتجه الى البشرات جنوبي جبل شلير ، وفي السنة التالية امره الاسبان بالعبور الى بلاد المغرب العربي[٢] فقضى هناك ايامه الاخيرة [٣] في ذل و هوان [٤].

وهكذا يتضح مدى تدهور الاوضاع السياسية للسلطنة في هذه الفترة ، وعلى الرغم من هذا الا انه كان هناك من ينادي بالوقوف بوجه الكفر ، وعدم التعاون مع السلطان المتآمر مع الاسبان ، لكن طول فترة الحصار ادت بالتالي الى تدهور الحالة المعاشية لدى السكان ، وخوف السلطان الذي ادرك عدم حب الشعب له جعله يسرع في عملية تسليم السلطنة .

المبحث الثالث

اثر الوزراء و القضاة و الفقهاء ، في الاحوال السياسية لسلطنة غرناطة خلال المدة (٧٩٧-٨٩٧هـ/١٣٩٤-١٤٩٢م).

---

[١] المقري ،، ازهار الرياض ، ج١ ، ص٦٥ .

[٢] مجهول ، نبذة العصر ، ص٤٠٣-٤٠٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ح٤ ، ص٥٢٩ ؛ الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٤ ، ص١٠٥ .

[٣] بروكلمان ، كارل ، الامبراطورية الاسلامية و انحلالها ، نقله الى العربية ، د. نبيه امين فارس ، و منير البعلبكي ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، (بيروت -١٩٦١) ، ص٢١٥ .

[٤] حول مصيره . ينظر ، المقري ، ازهار الرياض ، ج١ ، ص٦٧ .

ان نظام الحكم في سلطنة غرناطة كان استمراراً طبيعيا لنظام الحكم الاسلامي في الاندلس ، وفي بقية العالم الاسلامي ، وكان يعتمد على القران الكريم ، والسنة النبوية ، في العبادات والمعاملات ، وكان النظام المتبع في سلطنة غرناطة من قبل سلاطينها هو نظام الحكم المطلق ،والسلطان هو السلطة العليا وصاحب القرار النهائي ، اما من يتصرف في شؤون السلطنة دون السلطان و الاقل مرتبة منه كالوزير وقائد الجيش ، فعليهم مراجعة السلطان في كل ما يتخذونه من قرارات من جانبهم ، وللسلطان رفضها او قبولها ، وكانت سلطنة غرناطة تعد ملكا خالصاً للسلطان بما تحتويه، من الناس ، والاملاك والاموال [١] .

الا ان هذا لا يعني انفراد السلطان بالأمور الادارية دائما ، فقد كان مجلس السلطنة يشترك فيه الوزراء و القضاة ، وقادة الجيش للمشاورة ، يفتح و يختم هذا المجلس بتلاوة الأيات القرانية ، واعضاؤه من ذوي الثقة والرأي [٢] ، وكان السلطان يتمتع بالسلطة الدينية والدنيوية وتشمل اقامة الحدود ،وحماية الثغور، جباية الاموال ، قيادة الجيش ،واختبار الاكفاء لأدارة البلاد [٣] ، مثل

---

[١] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٤٢ ؛ شلبي ، د. احمد ، السياسة و الاقتصاد في التفكير الاسلامي ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، (بيروت – ١٩٧٩) ، ص٥٨ ؛ غوشه ، عبد الله ، الدولة الاسلامية دولة انسانية ، المؤسسة الصحفية ، (عمان – ١٩٧٩) ، ص٩٩ ؛ فكري ، احمد ، قرطبة في العصر الاسلامي ، تاريخ و حضارة ، مطبعة جريدة السفير ، (الاسكندرية –د.ت) ، ص١٨٦ ؛ السائح ، د. حسن ، غرناطة في عصر ابن الخطيب ، مجلة دعوة الحق ، العدد (٧) ، سنة ١٣٩٨هـ /١٩٥٣م ، ص١٤٦ ؛ العراقي ، احمد ، ابو الحجاج يوسف الاول ملك غرناطة شاعراً ، مجلة دعوة الحق ، العدد / ١٥-١٦ ، سنة ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م ، ص١٥٢ .

[٢] الثعالبي ، ابي المنصور عبد الملك محمد بن اسماعيل (ت. ٤٤٩هـ) ، تحفة الوزراء ، تحقيق ، حبيب علي ، مطبعة العاني ، (بغداد – ١٩٧٧) ، ص٨٩-٩٠ ؛ الطرطوشي ، محمد بن الوليد الفهري (ت. ٥٢٠هـ) ، سراج الملوك ، بولاق ، (مصر –١٢٨٩هـ) ، ص١٧٠ ؛ ابن الخطيب ، لسان الدين (٧٧٦هـ) ،ديوان الصيب والجهام والماضي الكهام ، تحقيق محمد الشريف ماهر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط٢ ، (الجزائر – ١٩٧٣) ، ص٢٤ ؛ الشكعه ، مصطفى ، الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ،دار العلم للملايين ، ط٢ ، (بيروت –١٩٧٩) ، ص٩٧ .

[٣] ابو يعلى الفراء ، محمد بن الحسين (ت. ٤٥٨هـ) ، الاحكام السلطانية ، تحقيق حامد النقي ، مطبعة امين عمران و اخرون ، ط٣ ، (مصر –١٣٥٦-١٩٣٨) ، ص١١-١٢ ؛ النباهي ، ابو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن ، (ت .٧٩٣هـ) ، المرقيه العليا فيمن يستحق القضا و الفتيا ، المكتبة التجارية ، (بيروت –لبنان – د.ت) ؛ السبكي ، تاج الدين نصر عبد الوهاب (ت .٧٧١هـ) ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق ، وداود و لهام مرهون ، (ليدن –١٩٠٨) ، ص٢٧-٣٠ ؛ النبهان ، محمد فاروق ، نظام الحكم في الاسلام ، مطبعة جامعة الكويت ، (الكويت –١٩٨٧) ، ص٥١٠-٥١١ ؛ موسى ، محمد يوسف ، نظام الحكم في الاسلام ،

الوزراء ، والكتاب والقضاة ، واصدار قوانين البلاد [1] ، وكان سلاطين بني الاحمر يقودون جيوشهم بأنفسهم ، لذلك غلب عليهم الطابع العسكري [2] وهذا يدرج ضمن متطلبات المرحلة التي تمر بها سلطنة غرناطة وهي مرحلة الجهاد العسكري [3] .

كان الوزراء من جملة من يختارهم السلطان لتغطية المناصب المهمة ،وكانوا لا يتخلفون عن تنفيذ الاوامر التي يصدرها السلطان ، ومن واجباتهم متابعة واطلاع السلطان على شؤون السلطنة الداخلية [4] ، واحيانا ينوبون عن السلطان في ادارة السلطنة اثناء غيابه ويقودون الجيش والمسير الى الحرب [5] ، وكان الوزراء يوفدون الى خارج السلطنة للقيام بمهام السفارة للدول الخارجية ، وتمثيل سلاطينهم في الدول المجاورة [6] .

يعد منصب الوزارة [7] من المناصب المهمة في دولة بني الاحمر ، حتى عد من يتولى هذا المنصب الرجل الثاني في الدولة ، اذ يتبنى تصريف الشؤون الداخلية والخارجية ويكون على اتصال دائم بالسلطان [1] .

تحقيق ، حسين يوسف موسى ، مطبعة دار الكتاب العربي ط٢ ، (القاهرة . د.ت) ، ص١٣٩-١٤٠ ؛ العربي ، محمد عبد الله ، نظام الحكم في الاسلام ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) ، ص٣٧ .

[1] المرادي ، ابو بكر محمد بن الحسن ، الاشارة الى ادب الوزارة ، تحقيق ، رضوان السيد ،دار الطليعة ، ط١ ، (بيروت –١٩٨١) ، ج٧ ، ص٤٤٨ ؛ حمادة ، د.محمد ماهر ، الوثائق السياسية و الادارية في الاندلس و شمالي افريقيا ، ٦٤-٨٩٧هـ /٦٨٣-١٤٩٢م ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت –١٩٨٠) ، ص٤٩٣-٤٩٦ ، ٥٣٣.

[2] النباهي ، المرقبة العليا ، ص٦ ؛ الجزائري ، ابو بكر جابر ، الدولة الاسلامية ، مطبعة الكتاب الاسلامي ، ط٢ ، (بيروت –١٤٠٢هـ /١٩٨٢) ، ص٤٢ .

[3] الزجالي ، ابو علي (ت. ٦٩٤هـ) ، امثال العوام في الاندلس ، تحقيق د. محمد بن شريفة ، مطبعة وزارة الدولة ، (الرباط –١٩٧٥) ، ق١ ، ص٢٢٣-٢٢٤ .

[4] ابن عبدون ، محمد بن احمد التجيبي ، رسالة في القضاء و الحسبه ، نشرت ضمن ثلاث رسائل اندلسية في ادب الحسبة و المحتسب ، تحقيق ، ليفي بروفينسال ، مطبعة المعهد العالي الفرنسي ، (مصر –١٩٥٥) ، ص١٤ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص٤٤٢.

[5] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٤٤٢ .

[6] التميمي ، عباس جبر سلطان ، نظم الحكم والادارة في الاندلس ((عصر بني الاحمر)) (٦٣٥-٨٩٧هـ)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ، ص٤١

[7] الوزارة ، هي أم الخطط السلطانية و الرتب الملوكية لأن متوليها يقتسم المسؤولية مع السلطان ، ولهذا السبب كانت تعني هذه الكلمة الوزن أو الثقل ، لتحمل الوزير ثقل المسؤولية ، و تأتي بمعنى (الازر) او (الظهر) ، او الوزر و هو الملجأ ، ومن قوله تعالى (كلا لا وزر) (سورة لقمان – الاية ١١) أي لا ملجأ ، وظهر هذا المنصب لأول مرة بشكل واضح و مستقر في العصر العباسي الاول ، و اول من تلقب بوزير هو ابو سلمه

قام بعض الوزراء في القرن (التاسع الهجري ،/ الخامس عشر الميلادي) بدور الوسيط بين العامة والسلطان ، ومثلما حصل في مدة حكم السلطان محمد الايسر الاولى (٨٢٠-٨٣١هـ /١٤١٧-١٤٢٧م) ، فقد كان وزيره يوسف بن سراج الواسطة الوحيدة للأتصال بالشعب و ذلك لتعالي السلطان على الشعب الامر الذي ادى الى ان ينقم الشعب على السلطان ،ونجح الوزير في التخفيف من شدة هذه النقمة على السلطان ، وساعده في نجاح مهمته نباهته وذكاؤه ، ومنصبه الاجتماعي ، وان كان ذلك النجاح في التقليل من حقد الشعب على السلطان امرا صعبا [٢] لأن تمادي السلطان كثيرا ادى الى ان تقوم عليه ثورة تمكن من الافلات منها ليهرب الى افريقيا [٣] .

لم تنته مهمة الوزير بهذا الفرار من التضحية للسلطان محمد الايسر ، و ذلك ان الوزير يوسف بن سراج هرب الى قشتالة ، و من هناك اصبح يعمل لأرجاع سلطانه الى العرش ثم الاتصال بين قشتالة و تونس ، و تم ارجاع السلطان الايسر الى العرش مرة اخرى [٤] ، في نفس العام الذي اخرج فيه (٨٣٥هـ /١٤٣١م) ليتغلب مرة اخرى على السلطنة بجهود وزيره الذي اعاده

الخلال ايام السفاح (١٣٢هـ /٧٥٠م) . للتفاصيل ينظر ، الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت. ٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية جمع بين المسائل الشرعية والسياسة ، المطبعة المحمدية (مصر – د.ت) ، ص٢٢ ؛ الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ) ، ادب الوزير ، تحقيق ، حسن الهادي حسن ، مطبعة العصور ، (مصر – ١٣٤٨هـ /١٩٢٩م) ، ص٩ ؛ ابو يعلي الفراء ، الاحكام السلطانية ، ص١٣ ؛ ابن الطقطقي ، محمد علي بن طباطبا ، (ت٧٠٩هـ) ، الفخري في الاداب السلطانية و الدول السطانية ، دار صادر ، (بيروت –١٩٦٠) ، ص١٥٣ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، النظم الاسلامية ، بيت الحكمة ، (بغداد –١٩٨٨) ؛ ص١٦٠ متز ، ادم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة ، د. محمد عبد الهادي ابو ريده ، مطبعة لجنة التأليف ، (القاهرة –١٣٥٩هـ /١٩٤٠) ، ص١٤٤ ؛ ماجد ، عبد المنعم ، تاريخ الحضارات الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة سجل العرب (القاهرة –١٩٧٣) ، ص٣٢ ؛ سالم ، سيد عبد العزيز ، دراسات في تاريخ العرب ، مطبعة مؤسسة شباب الجامعة ،(القاهرة – د.ت) ، ص٢٥١-٢٥٢ .

(١) ابن خلدون ، التعريف بأبن خلدون ، ص١٢٨ ؛ شبانة ، د. محمد كمال ، يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة ، لجنة البيان العربي ، (القاهرة –١٩٦٩) ، ص٤٩-٥٠ .

(٢) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٤ .

(٣) ايرفينج ، واشنطن ، بنو سراج و مصيرهم في قصر الحمراء ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة الثانية ، العدد (٢١-٢٢) ، (تونس –١٩٨١) ، ص٦٣-٦٤ .

(٤) ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٥ ؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٢٠-١٢١ ؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٤٥ .

السلطان محمد الايسر الى الوزارة مرة اخرى ليلمع نجمه ويرتفع حظ بني سراج اكثر في قصر الحمراء [1] .

كان الوزراء في سلطنة غرناطة يقومون في بعض الاحيان بقيادة الجيوش ، ضد التمردات و قمعها ، مثلما حدث ذلك اثناء ثورة يوسف بن المول سنة (٨٣٦هـ /١٤٣٢م) عندما هجم على غرناطة ، فتصدى له الوزير يوسف بن سراج لصده عنها ، و كانت النتيجة ان هزم يوسف بن سراج وقتل ودخلت قوات يوسف بن المول الى الحمراء ، وهرب الايسر مع اسرته الى مالقة [2] .

كان سلاطين غرناطة في الغالب يقودون جيوشهم بأنفسهم الامر فكانوا عسكريين مدبرين للقيادة [3] ، الا انه في كثير من الاحيان ينوب الوزير عن السلطان في قيادة الجيوش ضد الاسبان والمثال على ذلك قيادة ابراهيم بن عبد البر زعيم بني سراج الجيش الغرناطي في المناطق الشرقية وتكبيد القشتاليين خسائر كبيرة وتم اسر وقتل عدد كبير منهم [4].

كان لبعض الوزراء اثر كبير في مسايرة و مجاراة السلطان في اهوائه وملاذه ، والتعسف ضد كبار اهالي غرناطة من الوجهاء ، والاساءة الى الشؤون السياسية الداخلية والخارجية للسلطنة ، والاثقال بالمغارم والضرائب ، ومثالنا على ذلك الوزير الذي استوزره ابو الحسن علي وهو ابو القاسم بن رضوان بنيغش* [5] ، دخل الاسبان مدينة الحمة سنة (٨٨٧هـ / ١٤٨٢ م) ، واستولوا على البلدة و كل ما فيها من الرجال و النساء والصبيان والاموال ، فلما بلغ اهالي غرناطة ما صنع بأهالي الحامة قالوا **((لا صبر لنا على هذه المصيبة العظمى و لا خير لنا في عيش بعد هذه النكبة الكبرى اما ان نفك**

---

[1] ايرفينج ، واشنطن ، بنوسراج و مصيرهم في قصر الحمراء ، ص٦٦-٦٧ .

[2] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٣٠٠ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٠ .

[3] النباهي ، المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا ، ص٦ .

[4] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٨ -١٩ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦١ .

* ابو القاسم بن رضوان بنيغش ، وهو وزير السلطان سابقاً والد ابي الحسن علي وهو سليل لاسرة نصرانية ، اسر جده في بعض المعارك ، وربي في الدار السلطانية ، وتدرجت اسرته حتى اصبحت من الاسر الغرناطية الرفيعة المكانة في غرناطة واشتركت هذه لاسرة في حوادث غرناطة السياسية ، وتولت الوزارة وتنتقل اسرة بنغيش – وهو تحريف لأسمها الاسباني Losvanagas في الشوارع القشتالية خيرا ملحوظا ، وقد عاد بعض افرادها الى النصرانية بعد سقوط غرناطة فنتج منها عدد من القادة ورجال الدين . عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٢ الهامش رقم (١) .

[5] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٥ .

اخواننا او نموت دونهم ؟ فأجتمعوا مع الامير ابي الحسن ووزيره فجعل الامير والوزير يعجزانهم عن المسير ويتربصان بهم ، ويقولون لهم اصبروا حتى نأخذ اهبتنا فلم تزل بهم العامة حتى اخرجوهما ... ثم اقبل المسلمون ... فقاتلوهم [الاسبان]قتالاً شديداً ... حتى دخلوا بعض ابواب المدينة ... وتعلقوا بأسوار البلد و طمعوا في الدخول اليه ، فبينما هم كذلك اذ وصل لهم امر من الامير ابي الحسن والوزير ، يأمرانهم فيه بالرجوع عن القتال ، فأبى الناس الرجوع))[١]، وهذا دليل كبير على تخاذل السلطان والوزير وتثبيطهم من همة المقاتلين .

((بينما الناس كذلك اذ ساء ظنهم بأميرهم ووزيرهم))[٢] وقام السلطان بعدة اعمال مخزية منها **((ركن الى الراحة و الغفلات ، و ضيع الجند ، واسقط كثيرا من نجدة الفرسان وثقل المغارم و كثرة الضرائب في البلدان ، ومكس الاسواق ، ونهب الاموال ، وشح بالعطاء ، الى غير ذلك من الامور ... وكان للامير ابي الحسن وزير يوافقه على كل ذلك ، ويظهر للناس الصلاح والعفاف وهو بعكس ذلك))**[٣] .

لم تتوقف اعمال الوزراء على ذلك بل كثيرا ما اوكل للوزراء مهمات التفاوض مع الدول المجاورة ، كما قام الوزير ابن كماشة المبعوث من قبل السلطانة عائشة للتفاوض مع الاسبان بشأن اسر السلطان ابي عبد الله الصغير ، حيث نجحت مهمته في التفاوض واطلق سراح السلطان الصغير ضمن شروط وقع عليها الطرفان [٤] .

وبعد حصار غرناطة و اشتداد الخطوب فيها ، عقد السلطان ابو عبد الله مجلساً ، دعا اليه كبار الجند و الفقهاء و اعيان غرناطة ، و حضره ابو القاسم عبد الملك وهو حاكم مدينة غرناطة من قبل ابي عبد الله وله صلاحيات الوزير ، حيث شرح لهم ما وصلت اليه الحال في غرناطة ، وعدم امكانية الدفاع عنها ، فتوصلوا الى ان يقوم ابو القاسم بن عبد الملك بالتفاوض مع ملك الاسبان، يساعده في ذلك الوزير يوسف بن كماشة ، استمرت المفاوضات عدة اسابيع تقرر بعدها تسليم غرناطة للأسبان ، ودبت شائعات على ان ملك غرناطة ووزراؤه خائنون وان لهم

---

[١] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٥٢ .

[٢]مجهول ،اخرايام غرتاطة، ص٥٥ .

[٣] م.ن ، ص٤٥-٤٦ .

[٤] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٥ ؛ فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٦١ .

اتصالاً سرياً مسبقاً مع الاسبان ، ولكن سرعان ما هدأت هذه الشائعات ، وتم تسليم غرناطة للأسبان [١] .

ومن الوزراء الذين تولوا منصب الوزارة في سلطنة غرناطة خلال القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) هم : -

١- علي بن العلاق وزير السلطان الايسر (٨٢٠-٨٥٨هـ /١٤١٧-١٤٥٤م)[٢]

٢- يوسف بن سراج كان وزيرا للسلطان الايسر (٨٢٧-٨٣٥هـ / ١٤٢٣-١٤٣١م) [٣]

٣- ابو اسحق ابراهيم بن عبد البر توفي سنة (٨٥٦هـ /١٤٥٢م) [٤]

٤- ابو القاسم رضوان بنيغش ، استوزره ابو الحسن علي ، بعد ان كان وزيرا لأبيه من قبل [٥].

٥- محمد بن سيدهم ، استوزره السلطان ابو الحسن علي بن سعد في سنة (٨٦٨هـ /١٤٦٣م) [٦] [٦]

٦- ابو القاسم بن عبد المليح ، وزير السلطان ابي عبد الله الصغير (٨٨٧-٨٨٨هـ / ١٤٨٢-١٤٨٣)[٧]

٧- يوسف بن كماشة وزير السلطان ابي عبد الله الصغير الذي تفاوض معه ابي القاسم بن عبد الملك على تسليم غرناطة ، توفي سنة (٩٤٠هـ / ١٥٣٣) [٨] .

---

[١] للتفاصيل عن التفاوض و التسليم . ينظر ، مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٢٠-١٣٢ ؛ ايرفينج ، واشنطون ، سقوط مدينة غرناطة في يد الملكين الكاثوليكيين ، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر ، السنة العاشرة ، العدد/ ٣١-٣٢ ، مطبعة الاتحاد العام التونسي للتشغيل ، (تونس -١٩٨٣) ، ص١٢٥-١٣٥ ؛ شيخة ، جمعة ، صدى سقوط غرناطة في الشعر الاندلسي ، ص٢٠ ؛ حتاملة ، محمد عبده ، محنة مسلمي الاندلس عشية سقوط غرناطة ، ص٥٥ .

[٢] المقري ، ازهار الرياض ، ج٢ ، ص١٠-١١ ؛ الشكعة ، الادب الأندلسي ، ص٢٧٩ .

[٣] ايرفينج ، واشنطن ، بنو سراج و حظوظهم في قصر الحمراء ، ص٦٥-٦٦ ؛ العبادي ، احمد المختار ، فترة مضطربة من تاريخ غرناطة ، ٦٩ص ؛ التميمي ، عباس جبر سلطان ،نظم الحكم والادارة في الاندلس، ص٤٨ .

[٤] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٣٠ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦١ .

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٢ .

[٦] التميمي ، عباس جبر سلطان ، نظم الحكم و الادارة في الاندلس ، ص٤٨ .

[٧] ن.م ، ص٤٨ .

[٨] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٤٤ ؛ ايرفينج ، واشنطون ، سقوط مدينة غرناطة ، ١٢٩ .

يعدّ القاضي احد موظفي كبار الدولة في سلطنة غرناطة ، يتولى هذا المنصب بأمر من رئيس الدولة (السلطان) [١] ، او من يخوله سلطة التعيين نيابة عنه [٢] ، ومنصب القضاء من المناصب المهمة في الدولة الاسلامية ، لأضفاء طابع القداسة عليه وكان اول من تولى هذا المنصب في الدولة الاسلامية هو الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) [٣] .

استمدت مؤسسه القضاء في الاندلس اصولها من المشرق الاسلامي واصبحت هذه المؤسسة شبه مستقلة في الاندلس ، فهي غير تابعة للسلطان ، بعكس الوزارة وقيادة الجيش وهما منصبان تابعان للسلطان في الاندلس [٤] ولابد ان تتوافر في القاضي مجموعة من الشروط تؤهله لتولي هذا المنصب هي : الاسلام ، والعقل ، والذكورة ، والحرية ،والبلوغ [٥] .

لقد حظى القضاة في الاندلس بمكانه تميزهم من غيرهم ونرى ذلك من خلال عبارات ترد في تراجم القضاة نحو (كان معظماً عند الخاصة) [٦] (او كانت له حاجة عند السلطان) [٧]. ومن الاسباب التي ساعدت على احترام السلطان للقاضي هو محاولة الاستفادة من المكانة التي يتمتع بها القضاة في المجتمع [٨] .

---

[١] الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ، (ت ٤٥٠هـ) ، ادب القاضي ، تحقيق ، د. حجي هلال السرحان ، مطبعة الارشاد ،(بغداد –١٣٩١هـ – ١٣٩٢هـ /١٩٧١–١٩٧٢م) ، ج١ ، ص١٣٧ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، ط١ ، (بيروت –١٩٧٨م) ، ص٢٢٠ .

[٢] ابن فرحون ، برهان الدين بن ابراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ) ، تبصرة الحكام في اصول الاقضية و مناهج الحكام ، المطبعة البهية ،(مصر –١٣٠٢هـ) ، ج١ ، ص١٥ .

[٣] ابن العربي ، محي الدين ،(ت .٥٤٣ه) ، انشاء الدوائر ،(ليدن –١٣٣٩هـ) ، ص١٥٦ ؛ بطانية ، د. محمد مخيف ، القضاء في الاسلام ، المؤرخ العربي ، العدد /٣٢ ، لسنة /١٣، ١٤٠٧ه /١٩٨٧ ، ص١٩٦ .

[٤] المقري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٠٦ ؛ ارسلان ، الامير شكيب، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، مطبعة الرحمانية ، (مصر –١٣٥٥ هـ /١٩٣٦) ، ج١ ، ص٢٥٢ .

[٥] ابن الربيع ، شهاب الدين احمد بن محمد ، سلوك الملوك في تربية الممالك ، تحقيق ، ناجي التكريتي ، دار الاندلس ، ط٣ ، (بغداد –١٩٨٠)، ص١٦١ ؛ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٥٩ ؛ الماوردي ، ادب القاضي ، ج١ ، ص٦٢٦ .

[٦] ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنه ، ج٣ ، ص٣٣٩ ؛ ابن مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ج١ ، ص١٨١.

[٧] الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات ، دار صادر ،(بيروت –١٩٧٠) ، ج١ ، ص٢٠٢.

[٨] المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت. ٧٠٣ هـ) ، الذيل و التكملة لكتابي الموصول والصله ؛ تحقيق محمد بن شريفة ، دار الثقافة (بيروت – د.ت) ، ح١ ، ص٤٥٠ .

ومع تصاعد المواجهة مع الاسبان فقد حث القضاة الشعب الغرناطي المسلم على الوقوف بوجه الاعداء مجاهدين متحدين غير متفرقين **((و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا))** [1] لأجل ذلك قام قاضي الجماعة [2] ، ابو يحيى محمد بن ابي بكر بن عاصم في سنة ٨٣٨هـ /١٤٣٤م ، بتأليف كتاب سماه **((جنة الرضا في التسليم لما قدر الله و قضى))** يحتوي هذا الكتاب على سطور يحث بها المسلمين على التقدم الى الجهاد ، ومقاتلة الاعداء ، ويجب عليهم نصرة الدين ، ووضح فيه الاسباب التي شجعت الاسبان اعداء ، الدين على الاستخفاف بالمسلمين والسيطرة على اراضيهم ومن أهم الاسباب هو تفرق الكلمة والخلافات والمنازعات بين القادة والمسؤولين [3] ، ودعاهم الى نبذ الخلافات وتوحيد الجهود من اجل تخليص البلاد من الخطر القادم [4] .

وعندما وقعت حركة ابي الحجاج يوسف بن احمد (ابن المول) سنة (٨٤٩هـ /١٤٤٥م) استعان السلطان محمد الايسر الذي كان مخلوعاً – بالقاضي ابن عاصم الغرناطي للقيام بالسفارة الى ابن المول وعقد الصلح بين الطرفين [5] .

وفي مدة حكم السلطان ابي عبد الله محمد الزغل ، ارسل ابن الازرق **((من اقرب الناس الى بلاط بني نصر فهو لذلك من اقطاب السياسة في ذلك العهد ... وانها ليس وظيفا شرعيا و**

---

[1] سورة ال عمران ، (الاية ، ١٧) .

[2] قاضي الجماعة ، ان المراد بالجماعة هم جماعة القضاة ،و هو منصب ظهر بالأندلس ، و في خلافة المسلمين في الشرق ، يسمى (قاضي القضاة) . النباهي ، ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن (٧٩٣هـ) ، تاريخ قضاة الاندلس ، وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا المكتب التجاري للطباعة والنشر و التوزيع ، (بيروت – د.ت)، ص٢١ .

[3] شيال ، مهدي عواد ،القضاء في مملكة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ /١٢٣٨-١٤٩٢م) ،رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب – جامعة بغداد،(١٤٠٨هـ /١٩٨٧م)، ص٢٣٣ .

[4] المقري ، ازهار الرياض ، ص١٦٥ ؛ ابن عاصم ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٥٢ ، مقدمة المحقق .

[5] الدليمي ، حسين حبيب نجم ، دور العلماء في الحياة السياسية والادارية والاجتماعية في سلطنة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ /١٢٣٧-١٤٩٢م) ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية الاداب ، جامعة بغداد ١٤١٩هـ /١٩٩٨ م ، ص٩٥ ..

لكنه رجل دولة))[١] ، فالدولة او السلطنة كانت تختار انذاك الفقهاء لتنفيذ سياستها واغراضها السياسية [٢] ،فتوجه الى فاس ثم تلسمان ثم تونس فمصر [٣] يستنهض الهمم .

لم يكن القضاة هم المتمتعون بالأحترام فقط بل كان للفقهاء والعلماء مكانة كبيرة ، من لدن السلطنة والمجتمع في غرناطة ، اذ كان لهم اثر فاعل في المواقف السياسية الحرجة التي تمر بها السلطنة ، والدليل على استبسالهم وجهادهم والموت في سبيل الله ومبادئ الاسلام الحنيف ، هو كثرة من استشهد منهم في المعارك ضد اعداء الدين [٤] قال تعالى: **((ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله))**[٥].

وكانوا يوجهون نقدا للسلطة ولا سيما السلاطين الذين لا يراعون ذمة المسلمين و مصالحهم ، و سار علماء و فقهاء غرناطة على ما سار عليه علماء المسلمين [٦] **((الذين هم حفظة الشريعة الحنيفية و ان تتعدى حدودها))** [٧] لذلك وقف العلماء و الفقهاء الموقف المشرف بوجه المتمردين على السلطة ، ففي ايام السلطان محمد الايسر وعندما تمرد ابن اسماعيل عليه بمساعدة ملك قشتالة ، انبرى العلماء والفقهاء منبهين الناس على مخاطر هذا التمرد ، وان ملك قشتالة ينوي تفريق المسلمين و افلحوا في صرف الناس عن ابن اسماعيل وانتهى التمرد بقتله [٨] . **((و حذروا**

---

[١] التازي ، عبد الهادي ، مع ابن الازرق في مخطوطته بدائع السلك في طبائع الملك ، مجلة دعوة الحق ، العدد / ٦ ، (المغرب ١٣٩٤هـ /١٨٧٤ ، ص١٤٥ .

[٢] سلمان ، صفاء داود ، الفكر التربوي و المنهج التعليمي عند ابن الازرق (محمد بن علي بن قاسم بن سعود ابو عبد الله ت ٨٩٦هـ) ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، (بغداد (١٤٢٠/١٩٩٩م) ، ص٢٨ .

[٣] ابن الازرق ، محمد بن علي بن قاسم بن السعود (ت. ٨٩٦هـ) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق د. علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة و النشر،(بغداد ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ، ج١ ، ص١٠-١١ ، مقدمة المحقق .

[٤] مجهول ، بلغة الامنية و مقصد اللبيب فيمن كان بسبته من الدوله المرينية من مدرس و استاذ و طبيب ، تحقيق ، محمد بن تاويت ، مجلة تطوان ، العدد التاسع ، ١٩٤٤ ، ص٢١ ؛ الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد ، غاية النهاية من طبقات القراء ، دار الكتب العلمية (بيروت-١٩٨٠م) ، ج١ ، ص٣١٦ ، ج٢ ، ص١١ ؛ ابن العماد الحنبلي ،، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٦٢ .

[٥] سورة التوبة ، (الاية ، ١١١) .

[٦]الدليمي ، حسن حبيب نجم ، دور العلماء ، ص٩٥.

[٧] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج٢ ، ص٣٠٠ .

[٨] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٩٠-١٩٣ .

من عواقب هذه الاحوال و ناصح الفقهاء من ذلك الدين الحنيف و الاسلام الشريف فجزموا بخطر الواقع وحرمته وثبتوا على الاستمساك بعز الملك وحرمته ، وحافضوا للملك المصون عن وفائه خدمة للطاغية يرعى ذمته ، فكان ذلك من اعظم الاسباب لأئتلاف القلوب وتيسير الغرض المطلوب)) [١] .

ووقف العلماء و قفة مشرفه بوجه السلاطين الذين لايلبون مصالح المسلمين وذلك عن طريق توجيه النقد **((لأولئك السلاطين او عن طريق التنبيه والتذكير ، وحقق هذا الاسلوب نجاحاً واضحاً في عدول بعض السلاطين ، والرجوع الى طريق الصلاح و من امثلة ذلك ان قام العالم الجليل والفقيه ابو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي (ت ٨٥٧هـ /١٤٥٣م) بأنشاء رسالة للمجتمع الغرناطي قصد منها على حد قوله : [قصد] لتنبيه ... ولايقاظ ارباب الدولة من الغفلة))** [٢] .

وعندما تولى السلطان ابو الحسن علي (٨٦٨-٨٨٧هـ /١٤٦٣-١٤٨٢م) العرش للمرة الثانية ، بعد وقوع ابنه ابي عبد الله الصغير في الاسر للمرة الاولى ، اعرض عدد كبير من الناس عن مبايعته ولا سيما انصار ابي عبد الله الصغير، وراح بعض الفرسان يتعاونون مع الاسبان ، لذلك اصدر قاضي الجماعة ابن الازرق ، ومجموعة من الفقهاء فتوى مفادها ان كل من خلع بيعة السلطان ابي الحسن ، ودعا لأبنه ابي عبد الله الصغير يعد خارجاً عن طاعة **(الرسول محمد (صلى الله عليه و اله و سلم))** وذكرت الفتوى ان الباب مفتوح امام من يرجع عن عمله هذا [٣].

مما تقدم يتضح ان للعلماء و الفقهاء اثراً واضحاً في ارساء قواعد الاسلام في سلطنة غرناطة ، وكانت اراؤهم وفتاواهم تسمع وتنفذ ، وهو دليل على مدى تمسك المجتمع الغرناطي باراء هؤلاء الفقهاء الثقاة الذين يمثلون الجانب الروحي لهم .

---

[١] ن. م ، ج١ ،ص١٩٩ .

[٢] م. ن ، ج١، ص٢٨٩ .

[٣] الونشريسي ، احمد بن يحيى ،المعيار المعرب و الجامع المقرب عن فتاوى علماء افريقيا و الاندلس والمغرب ، ، بأشراف جماعة من الفقهاء ، دار الغرب الاسلامي ، ط١ ، (بيروت -١٩٨١) ، ج١١ ، ص٥٠-١٥١ ؛ ابن الازرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١ ، ص١٠ ، مقدمة المحقق .

المبحث الاول

العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة و مملكة قشتالة

في المدة الزمنية (٧٩٧-٨٨٤هـ/١٣٩٤-١٤٧٩م)

تعد مملكة قشتالة من الاقاليم الواقعة الى الشمال من الاندلس [١]، سميت بهذا الاسم لأن قاعدتها عرفت بقشتالة [٢] وهي عمل من الاعمال الاندلسية قاعدته قشتالة وسمي العمل بها ، وقالوا ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى اشبانيا ، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة [٣] وكان الحكم وراثيا في ابنائها [٤]، وبعد استقلال قشتالة عن مملكة اصبحت مملكة قشتالة مستقلة وليس لملكها طاعة لأحد واخذ ملوك قشتالة على عاتقهم عهدا للوقوف الى جانب الممالك النصرانية الباقية ضد المسلمين والاستمرار في مجاهدة المسلمين وقتالهم [٦].

في عام (٧٩٧هـ /١٣٩٤م) اعتلى عرش سلطنة غرناطة السلطان محمد بن يوسف [٧] بن محمد بن يوسف [٨]بن اسماعيل النصري المسمى محمد السابع[٩] بعد وفاة ابيه وكانت اولى

---

[١] ياقوت الحموي ، معجم البلدان مج٤ ، ص٣٥٥ .

[٢] العمايرة ، د. محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الاندلسية بيد الاسبان ،ط١، عمان ، (الاردن ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩) ، ص٩١ .

[٣] الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٨٣ .

[٤] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق١ ، ص٣٢٤.

[٥] ظلت تابعة لحكم ليون حتى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٦م . ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق١، ص٣٢٥ .

[٦] العمايرة ، مراحل سقوط الثغور الاندلسية ، ص٩٣ .

[٧] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٠ .

[٨] ابن القاضي ، ابو العباس احمد بن محمد (٩٦٠هـ) ، درة الحجال في اسماء الرجال المسمى (ذيل وفيات الاعيان) ، تحقيق ، محمد الاحمدي ابو النور ، المكتبة العتيقة ، دار التراث، (القاهرة ١٣٩١هـ /١٩٧١م)، ج٢ ، ص٢٧٧ .

[٩] ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج٢ ، ص٥٩١ .

الخطوات التي خطاها هو تجديد الهدنة مع مملكة قشتالة واعادة صلات المودة بين الدولتين [١].

ومن الجدير بالذكر ان سلاطين بني الاحمر كانوا قد دخلوا في معاهدات صلح مع مملكة قشتالة منذ تأسيس سلطنة غرناطة . اذ ان مؤسس دولة بني نصر السلطان محمد بن يوسف بن نصربن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/١٢٣٧-١٢٧٢م) كان قد طلب الصلح والمهادنة مع مملكة قشتالة [٢].

عقدت مع قشتالة – في عهد ملكها هنري انريكي الثالث (Henri Enriqi III) (٧٩٢-٨٠٩هـ /١٣٨٩-١٤٠٦م) ابن خوان الاول Juan I (٧٨١-٧٩٢هـ /١٣٧٩-١٣٨٩)[٣] معاهدة لأيقاف هجماتها على السلطنة لمدة مؤقته ، اذ رغب سلطان غرناطة بالركون الى السلم، والابتعاد عن المواجهة العسكرية بين الدولتين ولكن هذه المعاهدة على الرغم من موافقة القشتالين عليها ، الا انها حصلت لأعداد العدة لمهاجمة السلطنة الاسلامية ، حيث اعتبرت فرصة للأستعدادات الحربية القشتالية [٤] ، بيد ان هذه المعاهدة التي عقدها السلطان محمد السابع مع قشتالة ، والتي لم تصل الينا بنودها انتهت بعد مرور سنتين من عقدها اذ عاودت مملكة قشتالة هجماتها على الاراضي الاندلسية [٥].

استدعى هنري (انريكي) الثالث III مستشاريه الحربيين لبحث السبل التي يمكن من خلالها تدمير قوة غرناطة [٦] وذلك ان اطماعه كانت كبيرة في سلطنة غرناطة وجهز القوات الاسبانية البرية ، والبحرية من اجل تحقيق اطماعه تلك[٧] ، فقام جيشه بالأغارة على اراضي

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٠ .

[٢] النباهي ، ابو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن (ت ٧٩٣هـ /١٣٩٠م) ، نزهة البصائر و الابصار ، نشر ضمن كتاب ، نخب من تاريخ عرب المغرب ، تحقيق ، مولر ، (ميونخ – ١٨٦٦م) ، ص١١٧؛ وللتعرف اكثرعلى تفاصيل المعاهدة ينظر ، عنان ، وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الثاني (١٣٧٣هـ /١٩٥٤م) ن العدد ١-٢ ، ص٣٩-٤٠.

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٤-١٧٥ .

[٤] ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص٢٢٨ .

[٥] عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح بين الاندلس و الممالك الاسبانية (٦٣٥-٨٩٧هـ /١٢٣٧-١٤٩٢م) ، رسالة مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي ، (١٤١٧هـ /١٩٩٦م) ، ص١٠٦ .

[6]. Imamuddin ,S.M , Op. Cit , P.181

[٧] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة تحديات ، ص١٣٠ .

المسلمين في بسائط غرناطة وعاث بها فساداً [١]ولكن محمد السابع لم يكن يرضى بهذه الاوضاع فقام بتجهيز حملة بحرية اشتركت فيها دول شمال افريقيا[٢] انتهت هذه الحملة بتدمير الاسطول الاسلامي في البحر المتوسط في سنة (٧٩٩-١٣٩٦م)[٣] .

عقد الصلح بين سلطنة غرناطة و مملكة قشتالة

كان رد الفعل الذي جاء من سلطنة غرناطة قد تمثل في مهاجمة السلطان محمد السابع بعض المناطق التابعة لقشتالة وتوغل في منطقة (جيان –Jaen) [٤]. وسبى وغنم منها الكثير وهذا الاجراء ادى بالملك القشتالي هنري (انريكي) الثالث ان يسارع الى طلب الصلح ، وقد تم توقيعه في ٢٢ ربيع الاخر سنة (٨٠٩هـ /٦ تشرين الاول ١٤٠٦م) وتقرر فيه تشكيل لجنة لتقرير اضرار الطرفين ، وتسمية الطرف المعتدي ، على ان تنهي هذه اللجنة اعمالها خلال سنتين من تاريخ الهدنة المذكوره [٥].

ان الضغط الذي قامت به سلطنة غرناطة على الاراضي القشتالية حدا بالملك هنري الثالث ملك قشتالة الذي خط سياسة جديدة ، وهي طلبه للصلح مع سلطنة غرناطة بنفسه،على الرغم من ان قوته العسكرية تفوق قوة المسلمين في شبه الجزيرة الايبرية ، الا أنه كان يخشى ان يفشل المسلمون المشاريع التي كان يخطط لتنفيذها ضدهم[٦] ، وكان هنري الثالث ملكاً من اقدر ملوك قشتالة ، اذّ ساد الامن والاستقرارقشتالة خلال مدة حكمه[٧] . وقضى على الشغب الذي كان يسببه

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥١ .

[٢] ينظر ، الرسالة ، ص١٥٩ .

[٣] ابن القاضي ، ذيل وفيات الاعيان ، ح٣ ، ص١٢٦ ؛ ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١١-١٢.

[٤] جيان ، بالفتح ثم السكون والتشديد واخره نون ، مدينة واسعة بالأندلس متصلة بكورة البيرة في شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً . مجهول ، الاندلس وما فيها من البلاد ، نسخة مصورة من اصل مخطوطة ، مكتبة المتحف العراقي ، رقم ٨٧٩٩، ص ٢.

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥ .

[٦] عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١٠٦ . نقلا عن ،
Conde J. A. Histrory of the Dominion of the Arabs in Span , tram by J, Foster . Vol. III (London , 1913 , P.300.)

[٧] عاشور،سعيد عبد الفتاح ، اوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي ، (القاهرة – ١٨٣٠هـ /١٩٦١) ، ص٥٧٦ .

الاشراف في مملكته اذ استعاد المقاطعات التي سيطروا عليها في مدة سابقة [١]، الا انه لم يعمر طويلاً فقد وافاه الاجل بسبب سوء احواله الصحية سنة (٨٠٩هـ/١٤٠٦م)،مخلفا ولده جون الثاني الذي كان له من العمر سنتان[٢] وكان تحت وصاية امه الملكة الانكليزية (تونستانس) Tonistansوعمه فرناندو الذي يسمى بصاحب انتيقرة Antaquera [٣].

نقض الصلح و مواصلة الحرب

ان تولي جون الثاني العرش وهو صغير السن ادى الى ان عمه الوصي لم يحترم الصلح المتفق عليه في عهد الملك هنري الثالث ، وبدأ الوصي تنفيذ المشاريع المرسومة سابقاً ، ومواصلتها في سبيل تحقيقها ، فهاجم المدن و الحصون الاسلامية ، ومنها حصن الصخرة [٤] الذي سيطر عليه القشتاليون سنة (٨١٠هـ /١٤٠٧م) [٥] ، وكان هجومهم من جهة الغرب على اراضي المسلمين [٦] وهاجم القشتاليون حصن باغة [٧] Prego [٨].

على الرغم من رغبة الاندلسين بالصلح ، الا انهم لم يجدوا بدا من ان يكون لهم موقف ازاء هذه الاعتداءات التي قام بها القشتاليون ، فما كان منهم الا ان هاجموا منطقة بدار Beder، بعشرين الف رجل ، فحاصر الاندلسيون الكادت Alkadet التي دافع عنها القشتاليون بكل قوة[٩] وقد غزا محمد السابع بياسه في اول ربيع الاول سنة(٨١٠هـ/١٤٠٧م) ، ثم تقدم الى ناحية الشرق

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص ١٧٥ .

[٢] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، اوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي ، ص٥٧٦-٥٧٧ .

[٣] انتقيرة ، بفتح التاء فوقها نقطتان ،والقاف ، وياء ساكنة وراء ، حصن بين مالقة و غرناطة ، ياقوت الحموي ،(ت ٦٢٦هـ) من كتاب معجم البلدان ، السفر الثاني البلدان الاندلسية ، تقديم وتعليق ، عبد الالة نبهان ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (دمشق – ١٩٨٣)، ص٨٠-٨١ ؛ سمي بصاحب انتقيرة لأستيلاءه على هذه القاعدة من المسلمين سنة (٨٠٥هـ /١٤٠٢م) . عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٥ .

[٤] الصخرة ، بلفظ واحدة الصخرة من الحجارة ، من اقاليم اكتونية بالأندلس . ياقوت الحموي، من كتاب معجم البلدان، اختار النصوص و قدم لها و علق عليها ، عبد الاله نبهان ، ص٢٦٣ .

[5]S.M. OP.Cit,P.181-182

[٦] عبد الله ، خالد ، معاهدات الصلح ، ص ١٠٧ .

[٧] باغة Priego ، مدينة بالأندلس من كورة البيرة بين المغرب والقبلة منها ، ومن قبلي قرطبة منحرفة عنها يسيراً ، و بينها وبين قرطبة خمسون ميلا . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ١ ، ص٣٢٦ .

[٨]عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥١ .

[9]S.M.Op. Cit. , P.181-182.

وعاث بولاية جيان ، ان ردود الفعل من قبل المسلمين ادت بفرناندو الى ان يتجه نحو جهة الشرق لإنجاد القشتاليين الذين اصبحوا في وضع سيئ امام الضربات التي وجهها لهم السلطان محمد السابع ، لتستمر المعركة في هذه المنطقة بين الفريقين [١].

كانت نتائج هذه المعركة متساوية للطرفين كليهما [٢]، اللذين سعيا الى عقد صلح مؤقت لمدة ثمانية اشهر في اواخر سنة (٨١٠هـ /١٤٠٧م) [٣] التي توفي فيها السلطان محمد السابع [٤].

مما تقدم يتضح ان سلطنة غرناطة كانت دائماً تسعى الى عقد الصلح ، لضمان السلم مع مملكة قشتالة ، الا ان الاخيرة كانت تتحين الفرص لنقض أي اتفاق صلح لضرب سلطنة غرناطة ، والسيطرة على ماتستطيع من الحصون، والقلاع ، والحصول على تنازلات منها ، وكان السلطان الغرناطي محمد السابع يحاول قدر الامكان ان يوفق بين العلاقات السلمية والحربية مع الاسبان على ان لا يؤثر ذلك في سلطنته فتراه ينتهج سياسة ناجحة للمحافظة قدر الامكان على حدود غرناطه ، وردود افعاله كانت دائما في الوقت المناسب فهجومه ضد معاقل الاسبان كانت تحقق له بعض الانجازات .

كان ملوك قشتالة ينهجون نهجاً عدائياً يسيرون فيه وفق خطط كانوا يسعون لتحقيقها ، الا وهي بقاء سلطنة غرناطة تحت ضرباتهم لأضعافها وعدم السماح لها بالنهوض او اعطائها فرصة لألتقاط الانفاس ، فكانت دائما مملكة قشتالة هي التي تختار اوقات الحرب ، وتختار اوقات السلم ايضا ، فلم يكن ملوك قشتالة يوافقون على عقد صلح اذ كانت لديهم قوة تمكنهم من مواصلة القتال ، دون ان يحصلوا على بعض التنازلات من سلطنة غرناطة .

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥١ .

[2] S.M. Op. Cit. , P.181-182.

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥١ .

[٤] ابن القاضي ،احمد بن حمد ابن ابي العافية ، لقط الفرائد من لفاضة حقق الفوائد ، نشره محمد صبحي ضمن كتاب (الف سنة من الوفيات) ، (الرباط ، ١٩٧٦) ، ص٢٣٦ .

عقد الصلح بين سلطنة غرناطة ومملكة قشتالة

بعد ان تولى السلطان ابو الحجاج يوسف الثالث (٨١٠-٨٢٠هـ /١٤٠٧-١٤١٧م) [١]، قام بعقد صلح لمدة سنتين مع قشتالة منذ توليه العرش [٢] ولم أتمكن من التعرف على بنود هذا الصلح اذ لم تذكر تلك البنود فيما بين يدي من المصادر .

يبدو ان استجابة قشتالة لعقد الصلح هي من متطلبات ظروف المرحلة المتدهورة التي تمر فيها ، اذّ ان موافقة الملك الصغير القشتالي والوصيين على عقده كان لصالحهم ولا سيما ان الملك القشتالي لم يبلغ الحلم بعد [٣].

انتهاء اجل الصلح و تجدد الحرب بين الطرفين

بعد انتهاء مدة الصلح طلب السلطان الغرناطي تجديده ، الا ان القشتاليين اشترطوا [٤] اما ان يخضع سلطان غرناطة لملك قشتالة ، او تعلن الحرب عليه لكن السلطان رفض الخضوع[٥] .

فما إن انتهى اجل الصلح حتى هاجم فرناندو الوصي منطقة انتقيرة فأشتبك الاسبان مع حاميتها ، وتقدم السلطان يوسف الثالث لنجدة الحامية ، ودارت معارك تمكن القشتاليون بعد جهد كبير من السيطرة عليها وأستسلمت لهم المنطقة [٦] في سنة (٨٠٩هـ /١٤٠٦م) [٧].

عقد الصلح بين سلطنة غرناطة و مملكة قشتالة

وبعد ان وجد السلطان الغرناطي نفسه عاجزاً امامهم رأى ان يعرض عليهم عقد الصلح ضمن شروط هي : يتعهدون بعدم اعتدائهم على اراضي المسلمين ، وان يقوم السلطان بأطلاق سراح بضع مئات من الاسرى الاسبان دون ان تدفع لهم الفدية من قبل ذويهم ، فوافقوا على ذلك

---

[١] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٢ .

[2] S.M. Op. Cit., P.181-182.

[٣] عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١٠٨ .

[٤] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٢ .

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٣ .

[٦] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ،ج١، ص١٢ .

[٧] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٢-٥٣ .

وعقد الصلح بينهما ،لتستمر مدة السلم حتى وفاة السلطان الغرناطي يوسف الثالث [١] (٨٢٠ هـ /١٤١٧م) .

وبالفعل فأن سلطنة غرناطة قد خضعت لمملكة قشتالة واصبحت تابعاً لها [٢] حتى ان بلاط غرناطة و بلاط اشبيلية اصبحا تربطهما علائق قوية من المودة والاحترام ، ذلك ان سلطنة غرناطة كانت تعج بالأشراف ، والنبلاء القشتاليين وكانت تجري مباريات لمبارزة الفرسان المسلمين مع الاشراف القشتاليين في معظم ساحات المدينة ، واكبرها ، ويشهد الرجال والنساء هذه المبارزات [٣]، وفي الوقت نفسه كانت سلطنة غرناطة تسير نحو الضعف و الانحلال[٤].

ان سبب هذا السلام هو ان فرناندو الوصي قد غادرها في عام (٨١٥هـ /١٤١٢م) ، اذّ تبوأ عرش اراغون بقرار من مجلس الكورتس الاراغوني فترك قشتالة للملك الصبي، الذي ما برح ان بلغ اشده حتى دخل في صراع مرير مع الاشراف القشتاليين من اجل السلطة وفرض الضرائب ، واصبح الحكم الفعلي في مملكة قشتالة بأيدي الوزراء القشتاليين الذين استبدوا بالسلطة [٥].

ومن الاسباب الاخرى التي ادت الى حدوث هذا السلم ،هو ان الوصي الاخر على عرش الابن، وهي امه كانت تكن التقدير والاحترام لسلطان سلطان غرناطة يوسف الثالث ،وتجله كل الاجلال ،حيث كانت العلاقات ودية بينهما وكانا يتبادلان الهدايا الثمينة ، ويتراسلان بالكتب المسلية بكلمات الاحترام ،حتى عم الدولتين سلام لم تشهد السلطنة مثله من قبل [٦].

مما تقدم يتضح ان السلطان يوسف الثالث حاول ان يكسب السلام مع مملكة قشتالة ، التي كانت تسودها الاضطرابات الداخلية ، كما ان سلطنة غرناطة انحدرت نحو والتحلل الذي وظهرت نتائجه في المدة اللاحقة .

بعد انقضاء اجل السلطان يوسف الثالث بالشلل سنة (٨٢٠هـ /١٤١٧م) [٧] دخلت سلطنة سلطنة غرناطة في اضطرابات طال امدها حتى انها لم تتمكن من الوقوف بوجه الاسبان ، فتولى

---

[١]ابن عاصم الغرناطي ،جنة الرضا ، ج٢ ، ص٢٨٤

[2]Revista Al-Andalus , 1948 , P.48

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٤ .

[٤] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٣ .

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص ١٧٥ .

[٦] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٤٧-٤٤٨ .

[7]Joseph ,McCabe , op. Cit , p.262 .

السلطان محمد (الثامن) يوسف الثالث بعد موت ابيه [١]. وحكم هذا السلطان غرناطة بأسم ملك قشتالة جون الثاني [٢].

تجدد الحرب بين الطرفين

استغلت مملكة قشتالة الفوضى الداخلية في سلطنة غرناطة وقامت بمهاجمتها في عام (٨٣١هـ /١٤٢٧م) حتى وصل الاسبان الى وادي اش ، لم يفلح السلطان محمد الايسر في صد هجوم قشتالة على هذه المنطقة لهذا خلع و نودى بأبي عبد الله محمد بن يوسف الثالث الُمكنا – بالزغير –سلطاناً على غرناطة للمرة الثانية [٣]و هرب السلطان محمد الايسر ، وفر وزيره يوسف بن سراج الذي لجأ الى عرش قشتالة [٤] .

تدخل مملكة قشتالة لأعادة السلطان محمد الايسر الى العرش

تمكن السلطان الايسر استعادة عرشه بمساعدة القشتالين وغيرهم [٥] سنة (٨٣٤هـ (٨٣٤هـ /١٤٣٠م) ، في هذه المدة حاول السلطان محمد الايسر ان يعيد العلاقات السياسية مع مملكة قشتالة فأرسل اليها طالباً عقد الصلح مع خوان الثاني، الذي كان بدوره ينتظر الفرصة المناسبة للأنتقام من سلطنة غرناطة ، بل وضع شروطاً من الصعب تطبيقها ،لأن فيها من الاهانة ، والاستصغار، والاذلال ما لا يمكن احتماله من أي عربي مسلم ومن هذه الشروط :

١- ان يقوم سلطان غرناطة بدفع كافة الاموال التي انفقتها مملكة قشتالة في سبيل اعادته مرة اخرى الى عرش غرناطة [٦].
٢- ان يحكم سلطان غرناطة بأسم مملكة قشتالة، وذلك بدفع جزية كل عام يؤديها الى الملك القشتالي كأعتراف منه بالطاعة والخضوع لقشتالة [٧].

---

[١] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٣ .
[٢] عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص ١٠٩ .
[٣] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٥ .
[٤] لوثينا ، سيكودي ، وثائق عربية غرناطية ، الوثيقة رقم ١٩ ، ص٤٠ .
[٥] ينظرالرسالة ، ص١٦٠-١٦١ .
[٦] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٨ .
[٧] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٤ .

٣- ان يطلق سلطان غرناطة سراح الاسرى الاسبان الموجودين في سلطنة غرناطة فوراً ومن دون تأخير [١].

هذه الشروط جوبهت بالرفض من السلطان الغرناطي محمد الايسر الذي سلم السفير القشتالي جونثالث دي لونا Gun Thalth de lona خطاب الرفض القاطع لهذه الشروط ، وهدد ملك قشتالة بالحرب [٢] التي اندلعت من جديد كما هو الحال عليه من قبل ، فهاجم الملك القشتالي جون الثاني اراضي المسلمين في سلطنة غرناطة ، هذا الفعل اثار ردة عنيفة لدى السلطان محمد الايسر الذي قاد المسلمين لمواجهة الهجوم القشتالي ، والتقى الطرفان في منطقة قرب حصن اوريولة [٣]Higreuelea ، قاتل فيها المسلمون قتالا شديدا ، الا ان قوة القشتاليين وتفوقهم العسكري ادى الى انتصارهم وسيطرتهم على الحصن المذكور في سنة (٨٣٤هـ /١٤٣٠م)[٤].

من خلال البنود التي طلبها ملك قشتالة التي تقضي بأن يحكم سلطان غرناطة بأسمهم ، وان يكون تابعاً لهم تماماً ، على الرغم من تقديم المساعدة من قبل مملكة قشتالة لسلطان غرناطة في ارجاعه الى الحكم ،الا انه لم يوافق على طلباتهم ضمن هذه البنود حتى لا تتحقق اطماعهم و نياتهم و لكن سلطان غرناطة ،وعلى الرغم من التهديد الذي يواجهه من الداخل والخارج [٥]، كان له موقف العربي الاصيل الرافض للخضوع الى الاجنبي ، وان كانت الظروف التي تمر بها السلطنة ظروفا صعبة في هذه المدة .

وثيقة ولاء مطلق لملك قشتالة

ان رفض سلطان غرناطة هذه الشروط فسح المجال امام احد الطامعين الذي كان صنيعة لملك قشتالة ، اذّ عرض على الملك القشتالي أن ينفذ ما يريد ، مقابل مساعدته في الحصول علي كرسي الحكم ، فلم يكن من ملك قشتالة الا المسارعة في تقديم المساعدة له ودعمه في التوصل

---

[١] عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١١٠ .

[٢] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٩٧ .

[٣] اوريولة Higreuelea،- حصن بالأندلس و بين اوريوله و الش خمسة عشر. الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٧ .

[٤] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص١٦٠ .

[٥] لم تكن سلطنة غرناطة قد استقرت اوضاعها الداخلية بعدما كانت الثورات تعصف بها والطامعين بالكرسي يهددون امن السلطنة دائما ، اضف الى ذلك بأن الاسبان ايضا كانوا يوجهون ضغوطا على السلطنة مستغلين الجبهة الداخلية . ينظر الرسالة ، ص٢٣ .

الى عرش السلطنة سنة (٨٣٥هـ /١٤٣١م) ، وتم خلع السلطان محمد الايسر الذي توجه الى مالقة [١].

لم يكن هذا السلطان الذي وقع على الوثيقة[٢]المقدمة من ملك قشتالة التي فيها شروط من الاذلال ، الا يوسف بن المول ومن الغريب ان تجد هناك تماثلا وتشابها كبيرا بين هذه الوثيقة ووثيقة عقدها مؤسس سلطنة غرناطة مع ملك قشتالة (فرناندو الثالث) بداية تأسيس سلطنة غرناطة [٣].

وفي حصن (برغالش) في يوم السابع من المحرم ٨٣٥هـ /١٦ سبتمبر ١٤٤١م ، تم توقيع الوثيقة وارسل القائد القشتالي (ديجومن دييبرا (Diego Gomez doeibera)) [٤] .

ومن الجدير بالذكر ان شروط هذه المعاهدة مطابقة لشروط المعاهدة التي عقدت في سنة (٦٤٣هـ /١٢٤٥م) بين مؤسس الدولة محمد بن يوسف الغالب بالله (٦٢٩-٦٧١هـ /١٢٣١-١٢٧٢م) وبين ملك قشتالة فرناندو الثالث [٥] (٦١١-٦٥٠ هـ /١٢١٤-١٢٥٢ م) التي كانت مدتها ٢٠ عاما .[٦]

والسؤال الذي يطرح نفسه الان ما سبب هذا التشابه في بنود المعاهدتين ؟

يتضح ان هذا التشابه في بنود المعاهدتين يؤكد ان مملكة قشتالة كانت تتحرك ضمن سياسة [٧] معينة ، وسياسة واحدة ، اتجاه سلطنة غرناطة منذ تأسيسها ، اذ ان مملكة قشتالة

---

[١] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٩٨ ، و ما بعدها ، ينظر ، طافور ، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، ترجمة و تقديم ، حسن حسني ، دار المعارف، (مصر - ١٩٦٨) ، المقدمة ، ص١-٣٠ .

[٢] ينظر الملحق رقم (١) ، ص٢٠٢-٢٠٥ .

[٣] عنان ، وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، المجلد الثاني ، العدد / ١-٢ ، (مدريد- ١٣٧٣ هـ /١٩٥٤ م) ، ص٣٩-٤٠ .

[٤] م.ن ، ص ٤٠ .

[٥] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٤٨ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٠-١٦١ .

[٦] للتفاصيل حول هذه المعاهدة ينظر ، ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ص٣٦٧ ، ابن ابي زرع ، الزايدة السنية ، ص٧٣ .

[٧] حول الاستراتيجية الثابته للأسبان على سبيل المثال لا الحصر ، نجد انه في ايام الامارة الاموية في الاندلس (١٣٨-٣١٦هـ /٧٥٦-٩٢٨م) كانت الممالك الشمالية الاسبانية وعلى وجه الخصوص مملكة قشتالة تنتظر الوقت المناسب للقضاء على المسلمين في الاندلس ،والنيل من الاراضي الايلة تحت سلطتهم السياسية، مستغلين حالات الضعف التي يمر بها المسلمون في الاندلس ، وتكررت محاولاتهم العسكرية في هذه المدة الزمنية فكان رد فعل الامير عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ /٧٥٦-٧٨٨م) هو ان قام بمهاجمتها

تحاول دائما جعل سلطنةغرناطة تابعة لها ، بل تحاول الانقضاض عليها واخضاعها نهائيا ، على عكس سياسة المسلمين اذّ اصبحت سياستهم تسير بشكل عكسي بالنسبة لسياسة الاسبان الثابته ، كما سيمر بنا .

واذا اردنا تحليل الوثيقة يمكننا القول ان التوصل الى طريقة عادلة لتفهم طبيعة هذه الوثيقة يتطلب قراءتها بطريقة مختلفة عن الطريقة التقليدية التي تعودها الدرس التاريخي الاكاديمي ، و نقصد بذلك محاولة تفكيك الوثيقة الى موادها الاولية عبر تبويبها ، او تصنيف متنها الى مجموعة ابواب .

فلغة الوثيقة على سبيل المثال لغة ركيكه حتى ان الباحث المدقق يمكن ان يتساءل عن مدى اهتمام الامراء العرب في غرناطة بالطريقة التي يصيغون بها مراسلاتهم ، انك لا تجد تأثيراً من البلاغة العربية في هذه الوثيقة ، ناهيك عن غياب الافادة من المقومات التاريخية التي تشير الى ارث عربي كبير في باب المراسلات ، الامر الذي يدعو الى دراسات جديدة لتتبع هذا الامر الذي يمكن تلخيصه بعدم امتلاك هذا السلطان الغرناطي لغة سياسية واضحة الملامح تساعده على التعبير .

يتضح ذلك من طريقة ورود المفردات في هذه الوثيقة ، اذ انهاكانت مكتوبة بما يمكن ان تطلق عليه اظهار التبعية لا بمعيار اظهار المصلحة السياسية وهي غالبا ما تكون غاية اية وثيقة او عهد بين دولتين ، لذلك نرى السلطان الغرناطي مضطراً الى الحديث بلغة المفردات الواضحةالتي تتطلبها عملية الخضوع مثل (١٥٠٠ فارس – ٢٠ الف دينار) في حين ان ممثل الدون خوان كان اقل اهتماماً بهذه التفاصيل .

وفي خضم هذه العملية يمكن ان ندقق في بعض التفصيلات تساعد الباحث على لملمة دروس تاريخية او عبرة تاريخية من متن الوثيقة ، فنرى ان السلطان يوسف بن المول كان حريصاً على ان يخاطب دون خوان بكلمة (مولانا) وهذا امر شديد الخطورة ، وينقل الموالاة من البيت العربي الاسلامي ، الى غير المسلمين ، وهذا امر غير مرغوب فيه حقا ، ويمثل عقبة يمكن ان

وتكبيدها هزيمة كبيرة اضطرتها الى طلب الصلح مع المسلمين ، الذي وافق عليه عبد الرحمن ، فأتفق ان يكون الصلح لمدة خمس سنوات ابتداءًمن تاريخ (١٤١هـ /٧٥٩م) ، على ان يدفع (الاسبان) خلالها للمسلمين جزية ثقيلة من الذهب ،والفضة و الخيل والسلاح والدروع . ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق١، ص٨ ؛ الدوري ، ابراهيم ياس خضير ، عبد الرحمن الاول وسياسته الخارجية والداخلية ،دار الرشيد (بغداد –١٩٨٢) ، ص١٦٧ .

تكون واحدة من العلامات الفارقة في تاريخ العالم الاسلامي مهد لدخول العرب المسلمين مرحلة خطيرة من تاريخهم الوسيط .

في حين ان ذيل الوثيقة الذي كان معداً من قبل ممثل دون خوان الثاني لم يكن يبخل بأظهار أي صفة احتفائية **(بروتوكوليه)** بالأمير العربي يوسف بن المول ، وهو ما يشير الى ان الوثيقة لم تكن موقعة بين ندين بل انها وثيقة تنازل كتبت على مرحلتين ، الجزء الاكبر منها حرره السطان الغرناطي و دليلنا على ذلك هو ان الوثيقة تبدأ بصيغة (الصلاة والسلام على سيدنا محمد **(صلى الله عليه واله و سلم)** وهو الامر الذي لا يمكن ان يقره ويقبل به دون خوان او ممثله ، والدليل الاخر الذي يؤكد ما ذهبنا اليه الاختلاف البين في اللغة السياسية وطبيعة الاداء واللهجة الاستعلائية التي تكلم بها دون خوان وهذا ما ساعد الباحث على القول بحقيقة عدم اهتمام الجانب القشتالي بالأطناب في تحرير الوثيقة وحرصه على الاختصار، وهي السمة التي يحرص الباحثون الان على تدعيمها بمختلف الدراسات والتي تشير غالباً الى اهتمام العرب المسلمين بالأضافة التي نراها هنا في هذه الوثيقة واضافة كلمات الغاية منها اظهار الولاء والخضوع .

ويمكننا التشكيك في صيغة الوثيقة و نعدّها جزءاً من عمليات الكيد السياسي و تصفية الحسابات بين السلاطين الغرناطيين ، اذ انها قد تكون وثيقة تقدم للتدليل على مدى ضعف وتخاذل و تبعية يوسف الرابع ومدى معرفة اسرافه في طلب الامارة والدليل على ذلك انها لم تكن جديدة كل الجدة فهي مشابهة للوثيقة التي حررها محمد بن يوسف النصري مؤسس السلطنة، مع فرناندو الثالث ملك قشتالة . والذي يدعم هذا التشكيك هو ان صانع هذه الوثيقة قد عاد بالفعل الى عرش غرناطة .

ولعل واحدا من اهم الدروس التي يمكن ان نستخلصها من خلال قراءة الوثائق الغرناطية انها لم تكن تحظ عند توثيقها وانفاذها بتلك الطبيعة الالزامية التي تتصف بها الوثائق الدولية ،ولعل الامر الذي جعل ذلك هو الطابع السياسي العام للمنطقة ، اذ ان العملية لم تكن تحمل ثوابت سياسية تضعها انظمة الحكم بل هي كما يتضح لنا ، وكما نقترح الرسالة تأخذ صفة و طابع الرسائل السياسية ، اكثر من صفة وطابع الاتفاقيات ، وهي تستند قبل هذا الى حقيقة مفادها ان الاسبان كانوا يضمنون هدف رئيسي هو الاستفادة من التناحر السياسي بين سلاطين غرناطة الذي تحقق فيما بعد . لذلك نراهم يحضون في تلك المراسلات لتحقيق اكبر قدر مكن من التشرذم في الجانب الغرناطي ولسلبه اكبر قدر ممكن من المصالح .

وهذا ما نراه فعلا في هذه الوثيقة والتي هي من المفروض ان تكون مبرمة بين يوسف بن المول و دون خوان الثاني والتي يمكن ان تكون مثاراً للشك اذّ ان الوضع السياسي يمكن ان يسوغّ

القول بأن هذه الوثيقة يمكن ان تكون شكلا من اشكال الدرس السياسي ، ومن يدعم هذا الرأي و يشجعنا على الشك فيها والعوامل التي تناقض نصاً روح هذه الوثيقة هوان دون خوان عقد معاهدات مع اعداء يوسف الرابع ، بعد وفاة السلطان يوسف بن المول بعد اشهر قليلة من توقيع هذه الوثيقة دون ان يحقق منها أي شرط .

اهم الشروط التي تعهد بها يوسف الرابع بن المول لملك قشتالة خوان الثاني

ان المدقق في الوثيقة يجد ان السلطان يوسف بن المول قد قبل على نفسه شروط اذلال مهينة تتلخص بالأتي :

١- تعهد السلطان يوسف الرابع بن المول بان يحكم سلطنته بأسم ملك قشتالة وتحت طاعته .

٢-اقر السلطان الغرناطي بأنه تابعاً وخادماً لملك قشتالة .

٣- تعهد السلطان بأطلاق سراح جميع الاسرى النصارى الموجودين في سلطنة غرناطة على الاطلاق .

٤- عهد على نفسه بأن يدفع جزية سنوية تقدر بعشرين الف دينار من الذهب الموزون وزناً جيدا لملك قشتالة أعترافاً له بالسيادة عليه .

٥- تعهد بأن يساعد ملك قشتالة بألف وخمسمائة جندي في حالة اندلاع أي حرب من أي جهة سواءًكانت هذه الجهة نصرانية ام مسلمة .

٦- تعهد بأن يدفع رواتب او معاشي الف وخمسمائة جندي مدة ثلاثة اشهر ، واذا زادت هذه المدة فأن ملك قشتالة سيقوم بتوزيع الرواتب على الجنود .

٧- تعهد ان يحضر مجلس النواب القشتالي (الكورتس) بنفسه اذا كان منعقدا جنوب طليطلة ، او يرسل احد ابنائه او المقربين اليه ممثلاً عنه اذا انعقد المجلس داخل قشتالة .

و هذه الفقرة خاصة تمثل الخضوع و الانتماء ، لأنه يحكم بوصفه تابعاً لملك قشتالة أي انه وكيل عنه و ليس اصيلا .

٨- تعهد يوسف الرابع بن المول بأرجاع كل نصراني يدخل الى حضيرة المسلمين برغبته ويرجعه الى بلاد قشتالة ، و يضعه بين يدي الملك القشتالي .

وهناك شروط اخرى تخص الجانب الاقتصادي والتجاري بين الطرفين، [1] ، الذي يحقق في هذه البنود والمدقق فيها يجد انها تدل على الخضوع الاقتصادي ، و قد عوملت من خلالها

---

[1] ينظر الملحق رقم(١)،ص١٩٣-١٩٦ .

سلطنة غرناطة ، كأنها ولاية قشتالية وليس هناك حدود تمثل مملكة معادية بل ان التكامل الاقتصادي واضح من خلال بنود المعاهدة [١] .

الشروط التي تعهد بها خوان الثاني ملك قشتالة ليوسف الرابع بن المول

١- تعهد ملك قشتالة على نفسه ان يدوم هذا الصلح ما دام يوسف بن المول موجودا في الملك، و اذا توفي فأن الصلح يبقى مقاماً ما دام يحكم احد ابناء يوسف بن المول ، ومادام دون خوان باقيا في المملكة .

٢- يقدم ملك قشتالة المعونة العسكرية اللازمة للوقوف بوجه الاخطار التي تهدد غرناطة .

٣- ان يقف بوجه المعارضين لسلطان غرناطة اللاجئين ، الى بلاط قشتالة وان لا يقدم لهم الحماية [٢].

واذا ما رجعنا الى الاراء الفقهية في الشريعة الاسلامية ، والعلاقات الدولية الاسلامية فاننا نجد ان هناك شروطا وضعها الفقهاء لعقد الهدنة مع دار الحرب ، اذ اجمع الفقهاء على ان عقد الهدنة بين المسلمين ودار الحرب جائزة شرعاً ، ولكل مذهب من المذاهب الاسلامية راي في عقد المعاهدات [٣].

((وان الامة الاسلامية مكلفة من الله تعالى لغرض نشر الدعوة الاسلامية في كل زمان ومكان [٤]))

((قد دعا الاسلام الى التسامح غير الذليل فهو يبني العلاقات الانسانية سواء أكانت بين الاحاد ام بين الجماعات على التسامح من غير استسلام او تمكين للأشرار[٥])) ، و اكد الاسلام غرس بذور التعايش السلمي ، ولم يعارض في ايجاد علاقات انسانية بين الاديان السماوية

---

[١] لتفاصيل اكثر حول هذه المعاهدة ينظر ، ابن عاصم الغرناطي ، جتة الرضا ، ج١ ، ص٢٩٧-٢٩٨.

[٢] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٩٧-٢٩٨ .

[٣] الجميلي،خالد رشيد ، احكام الاحلاف والمعاهدات في الشريعة الاسلامية والقانون ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، (بغداد ١٩٨٦-١٩٨٧) ، ص٢٩-٤٠.

[٤] م ، ن ، ص٤٥.

[٥] ابو زهرة ، الامام محمد ، العلاقات الدولية في الاسلام ، دار الفكر العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ص٢٥ .

المختلفة و قائمة على اساس المحبة والسلام [1] قال تعالى **((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم))**[2].

بعد ان وقعت هذه الوثيقة وجد خلالها القشتاليون الفرصة المواتية لتحقيق اطماعهم في السلطنة الاسلامية [3]التي ظلوا يتحينون كل فرصة مناسبة لهم ، وهاهي الفرصة الان سانحة ، فبعد ان تم توقيع الوثيقة ، وحتى لا يضيع ملك قشتالة الفرصة و الوقت عليه ، فقد سارع الى تنفيذ مخططاته، بان قدم قوة عسكرية ساندت يوسف الرابع بن المول ، وتدخلت في السيطرة على بسائط غرناطة ، وتم تعيين يوسف الرابع ابن المول سلطاناً على غرناطة، وعلى الفور قام بتنفيذ بنود الوثيقة بصفته الحاكم الشرعي للسلطنة [4].

بهذه الوثيقة اصبحت سلطنة غرناطة تابعة لمملكة قشتالة ، و لحسن حظ المسلمين في غرناطة فأنه لم يدم حكم هذا السلطان طويلاً اذ وافاه الاجل [5]بعد مرور ستة اشهر من الحكم وبموته ماتت معه بنود المعاهدة التي عقدت مع القشتاليين ، ولم يحكم بعده احد ابنائه [6].

اعلان مملكة قشتالة الحرب على سلطنة غرناطة مرة اخرى

ومن الطبيعي ان يتجدد الصراع بين القشتاليين ، والمسلمين اذّ عاد محمد الايسر الى الحكم للمرة الثالثة ، و لم يكن قادراً على المقارعة مع القشتاليين في هذا الوقت بسبب خوضه حربا ضروسا كلفته كثيراً حتى تمكن من استرجاع العرش ، لذلك بادر الى طلب الصلح مع مملكة قشتالة ، فوافق القشتاليون على عقد الصلح ولكن لمدة سنة واحدة فقط ، وكان هذا في عام (٨٣٥هـ /١٤٣١م) [7].

---

[1] عفيفي ، د. محمد صادق ، الاسلام والعلاقات الدولية ، دار الرائد العربي ، ط٢، (بيروت -١٤٠٦هـ /١٩٨٦م) ، ص١٤٤ .

[2] سورة الحجرات ، الاية ، ١٣ .

[3] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٠-١٦١ .

[4] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٩٨.

[5] م.ن ، ج١ ، ص٣٠٢-٣٠٣.

[6] ينظر بنود الوثيقة السابقة ، ص ٧٦.

[7] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦١ .

الا ان القشتاليين نقضوا الصلح مع المسلمين وهاجموا غرناطة[١] (٨٣٦هـ /١٤٣٣م) [٢]من جهة الشرق [٣]التي وقفت للدفاع عن نفسها [٤]وتكبد الاسبان في تلك الناحية خسائر كبيرة على اسوار ارشذونة[٥] Archidna سنة (٨٣٨هـ /١٤٣٤م) [٦]، ولكن الاسبان خربوا خربوا [٧]في العام الثاني[٨] جزءا كبيرا من وادي اش وسهول غرناطة [٩] واغاروا على بسطة Baza وتمكنوا من احتلال بعض القرى والحصون المجاورة [١٠]، اما من جهة الجنوب فقد تمكنت القوات القشتالية من الهجوم على مضيق جبل طارق [١١] بقيادة حاكم لبلة (Libla) * [١٢]. وتمت السيطرة على المضيق وذلك في سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) [١٣].

قام الملك القشتالي بتقديم قوة من المسلحين وجاء كونت لبله الذي عسكر على مسافة نصف فرسخ عن جبل طارق ، ومعه قوة تتألف من ألف ومئتي فارس ، وخمسة الاف من المشاة و كان برفقته ابنه (دون خوان) Don Jaun ، وكتم سر هذه الحملة ، خوفاً من تسرب اخبارها الى المسلمين و كانت الاخبار قد وصلت اليه ، ان في المضيق حامية صغيرة من فرسان المسلمين يقدرون بعشرة رجال مقاتلين ، الا انه من غير المعقول ان يحمي ثغر المضيق عشرة رجال ، في

---

[١] لم تصل الينا تفاصيل هذا الصلح المذكور . عبد الله خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١١٢ .

[٢] علي، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٤٨ .

[٣] عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١١٢ ، نقلا عن ،
-Alcantara L. , Historia de Granada , Vol. III (Caranada - 1904) , PP.142-148 .

[٤] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٤٨ .

[٥] ارشذونه Archidna، بالضم ثم السكون و ضم الشين المعجمة و الذال المعجمة وواو ساكنة ونون وهاء ، وهي وهي مدينة معدودة من اعمال ريه قبل قرطاجة بعشرين فرسخاً . مجهول ، الاندلس و ما فيها من البلاد ، ص٤ . للتفاصيل ينظر ، الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٥ .

[٦] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦١ .

[٧] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٤٨ .

[٨] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦١ .

[٩] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٤٨

[١٠] عنان، نهاية الاندلس ، ص١٦١ .

[١١] بن شريفة ، محمد ، البسطي ، اخر شعراء الاندلس ، ص١٦٧-١٧٠ .

* لبلة Libla، منطقة غرب الاندلس بينها وبين طليطلة عشرين ميلا ، ارضها سهلية وجبلية . الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٠٧-٥٠٨ .

[١٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦١ .

[١٣] بن شريفة محمد ، البسطي ، اخر شعراء الاندلس ، ص١٦٧-١٧٠ .

حين انه لا يكفي لحمايته الف فارس ، فكانت خطته ان يضع فرسانه على المدخل المتاخم للجهة اليابسة ، ويفاجئ هو مع من بقي من الفرسان لديه المسلمين ، وبهجوم خاطف من جهة البحر المواجهة للمرفأ ، وفي الوقت نفسه يهاجم ابنه (دون خوان) برج تورتو Torto المطل على الجبل ، وفي هذه الاثناء تتقدم قوة لمهاجمة اعلى قمة الجبل ، ولكنّ ما حدث ان دورية الاستطلاع ، التي اخذت الامور ببساطة ، ولم تصطحب معها المدفعية الساندة لها فوجئت بهجوم المسلمين عند النزول من السفن الى الشاطئ ، الامر الذي ادى الى هرب هذه القوة وتأخر الكونت صاحب لبله في ركوب مركبه ، فأدركه المسلمين على الشاطئ ، فقتل هو ومن معه في المركب ، وهكذا اجهض المسلمون هذا الهجوم واستعادوا المضيق مرة اخرى [1].

استمرت اعتداءات القشتاليين على الاراضي الاسلامية ، هذه الاعتداءات المتكرره التي كان المسلمون في غرناطة يواجهونها بكل حزم ، وقدم خلالها المسلمون اشجع فرسانهم واخص منهم الوزير ابن سراج [2]، ادت هذه الاحداث التي استمرت حتى عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م الى ان يطلب السلطان الغرناطي الصلح مع القشتاليين ، حتى لا يقدم تضحيات اكثر من المدن والحصون التي تتابع سقوطها[3] اضافة الى ان هناك مشكلات داخلية اخرى على السلطان ان يتغلب عليها [4].

عقد الصلح بين الطرفين في سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) .

هذه الاحداث المتراكمة ، والصدامات التي تكاد تكون متواصلة أدت بالسلطان الغرناطي الى ان يتقدم بطلب الى ملك قشتالة خوان الثاني لعقد الصلح ، وبما ان ملك قشتالة قد تكبد خسائر كبيرة وهو بحاجة الى السكينة والراحة ، فقد وافق على عقد الصلح الذي عقد لمدة خمس سنين من تاريخ (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) [5].

---

[1] طافور ، رحلة طافورية في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، ترجمة و تحقيق ، حسن حسني ، دار المعارف ، مصر –١٩٦٨ ، ص١–٣٠ .

[2] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦١ .

[3] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٠ .

[4] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة التحديات ، ص١٣٧ .

[5] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٢٠ .

لكن القشتاليين اخّلوا ببنود هذا الصلح ، فقاموا بمهاجمة اراضي المسلمين الذين لم يستفيدوا من الصلح شيئا فلم يتح لهم الصلح الاستقرار [١].

بعد ان انتهى اجل المعاهدة السابقة ، فكر السلطان الايسر سنة (٨٤٥هـ /١٤٤١م) في محاولة تجديد الصلح فأرسل احد قواده وهو ابراهيم الامين في هذه السنة الا انه احتجز لمدة سنة كاملة في بلاط قشتالة ، وهذا ما يوضحه نص رسالة [٢] ارسلها السلطان محمد الايسر بعد مرور عام كامل من سفر هذا القائد الى بلاط قشتالة ، والذي يستعرض هذه الرسالة يرى انها رد على رسالة وصلت الى سلطان غرناطة محمد الايسر من ملك قشتالة [٣] ، و هي جواب لرسالة يسأل فيها القشتاليون عن **((شيء اخذ لرجل قشتالي – كما يبدو – اصاب امواله أو املاكه اذى او اعتداء في الاراضي الاندلسية))**[٤] والغرض من هذه الرسالة هو طمأنه الدولة النصرانية (قشتالة) ، وتأكيد بقاء سلطنة غرناطة ملتزمة بعهودها السابقة معها [٥]، وتم تحرير هذه الرسالة في الخامس من ذي القعدة سنة (٨٤٦هـ /١٤٤٢م) [٦].

تمرد ابن اسماعيل على العرش الغرناطي

ظلت مملكة قشتالة تتحين كل فرصة تساعدها على الخلاص من السلطنة الاسلامية ، فقد رحبت و احتضنت المنشقين من الامراء ، والقادة الغرناطيين ، ومساعدتهم في تحقيق مآربهم ، وعلى رأسهم الامير الغرناطي الملقب بـ (ابن اسماعيل) ، الذي كان يخطط للسيطرة على العرش الغرناطي ، المتربع عليه السلطان محمد الاحنف ، فما كان من ملك قشتالة الا ان يقوم بتقديم سرية من الفرسان الأسبان لمساعدة ابن اسماعيل في السيطرة على العرش وقد تم له ذلك، الا انه لم يبق في السلطنة الا بضعة اشهر.

وتمكن السلطان محمد الايسر من استرجاع عرشه والتصدي للقشتاليين في اراضي مرسية ، قرب جنجالة Chenchilla [٧]، وهزمهم هزيمة شديدة سنة (٨٥٤هـ /١٤٥٠م) ثم عاد لضرب

---

[١] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة التحديات ، ص١٣٧ .

[٢]ينظرالرسالة الملحق رقم (٢)،ص١٩٨–١٩٩ .

[٣] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٧٠–١٧٤ .

[٤] م،ن ، ص١٦٩.

[٥] م، ن .ص١٦٩.

[٦] م،ن ، ص١٧٤ ؛ ينظرالرسالة الملحق ، رقم (٢) ، ص١٩٨–١٩٩.

[٧] جنجالة ، حصن بالأندلس في شمال مرسية . الحميري ، الروض المعطار ، ص١٧٤ .

النصارى ضربات قوية في اراضيهم وعاد بعدها لعقد الصلح مع قشتالة في اواخر سنة (٨٥٤هـ/١٤٥٠م) ، و الذي تقرر ان يكون اجله لمدة عامين [١].

وفي هذه المدة اصبحت القلاع الغرناطية تتساقط الواحدة تلو الاخرى بيد القشتاليين ، حاول السلطان سعد ان يوطد السلام مع القشتالين الا ان هنري انريكي الرابع Henry Enregi IV (٨٥٨-٨٧٩/١٤٥٤-١٤٧٤م) رفض السلم واختار مهاجمة سلطنة غرناطة وبما ان المسلمين الغرناطيين في هذه المدة تسودهم نوع من الفوضى وعدم القدرة على الدفاع عن اراضيهم ، فقد ترك العدو يعيث فسادا في بلاد المسلمين [٢] واصبحت المدن المهمة تسقط بيد الأسبان ففي سنة (٨٦٢هـ/١٤٥٧م) سقطت قلعة ارشدونة وجبل طارق* [٣] ، بيد القائد الاسباني رودريكو بونس دي ليون (Rodrigoponce de leon) دوق مدينة سدونيا (Sidonia) [٤] هذه الاحداث المتوالية المتوالية جعلت السلطان الغرناطي يطلب الصلح مع القشتاليين مرة اخرى ، وهذه المرة قام بتقديم تنازلات كثيرة ، فقد اجبر على ان يدفع مبلغ مقداره ١٢ الف دينار جزية تدفع للقشتاليين مقابل الموافقة على عقد الصلح والسلام الذي استقر حتى وفاته [٥] .

بعد ان تولى السلطان ابو الحسن علي الملقب بالغالب بالله عرش غرناطة ، كان في نحو الثلاثين من عمره ، وتمكن من استخلاص العرش لنفسه بعد نضال و جهاد ، وتمكن من استرجاع حصون عديدة من النصارى الاسبان و صالحوه برا و بحرا [٦]، ولكنّ القشتاليون قاموا بمساعدة اخية ابي عبد الله محمد الزغل وتقديم العون له في تمرده على السلطان ابي الحسن علي ، اذّ لجأ محمد الزغل الى ملك قشتالة هنري الرابع الذي وعده بالمساعدة ، وكان ذلك في عام (٨٧٤هـ /١٤٦٩م) [٧]، كان رد الفعل الذي قام به ابو الحسن علي هو مهاجمة اراضي قشتالة عام (٨٧٥هـ /١٤٧٠م) و كرر الهجوم على الاراضي القشتالية الى العام التالي و انتزع بعض

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٦٤ .

[2]S.M.Imamuddin , OP. Cit , P.183 .

* ان سقوط جبل طارق هذه المرة يعني انه ستُمنع الامدادات التي كانت تصل غرناطة من المغرب العربي وان الاحتلال الاسباني لمضيق جبل طارق هو الطلائع الاولى لقيام الوحدة الاسبانية التي تحققت بعد زواج الملكين الكاثولكين. السالم ، سيد عبد العزيز ، العبادي ، احمد مختار ، تاريخ البحرية ، ص٣٦٣ .

[٣] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٤٩ .

[4]S.M. OP. Cit , P.183 .

[٥]ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٨١ .

[٦]مجهول، اخر ايام غرناطة ، ص٣٧ .

[٧] ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٨١ .

الحصون التي كان قد سيطر عليها القشتاليون [١]وكان ابو الحسن علي قد قام بتحصينات في مدينته و اقام حاميات عسكرية قوية [٢].

بعد وفاة ملك قشتالة هنري الرابع سنة (٨٧٩هـ /١٤٧٤م) [٣] تولت العرش اخته ايزابيلا بعد صراع طويل داخلي متمثل بمعارضة جوان ، وارجي تمثل بملك البرتغال [٤].

يتضح مما تقدم ان ابا الحسن علي كان في بداية حكمه ذا نشاط واسع في بناء علاقاته مع مملكة قشتالة ، والتي اتسمت حتى هذا التاريخ بتأرجحها بين السلم والحرب ، فقد تم عقد الصلح مع القشتاليين ، ووافق الملك هنري الرابع على عقده لحاجته الماسة اليه ، الا ان هنري الرابع لم يتأخر في تقديم مساعدته لمحمد الزغل عندما طلبت منه ، رغبة من ملك قشتالة في أجهاد السلطنة الاسلامية بحرب داخلية .

وهكذا هي سياسة الاسبان التي ازدادت مراوغة في عهد الملكين الكاثوليكيين اللذين انتهت في عهدهما سلطنة غرناطة [٥].

---

[1] Juseph , J. The lost story of Granada , London –1998 , P.10.

[٢] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٥١.

[٣] المقري ، نفح الطيب ، ط٤ ، ص٥١١ .

[٤] حول هذا الصراع ، ينظر ،

Rafael Al Tamira , Op. Cit. , P-261 .

[٥] ينظر الرسالة ، ص١٣٠-١٣١ .

المبحث الثاني

العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة ومملكة اراغون[١] ومملكة البرتغال وبعض الدول المجاورة خلال المدة (٧٩٧-٨٨٤هـ/١٣٩٤-١٤٧٩م)

لم تكن العلاقة بين الدولتين كما كانت عليه العلاقة بين سلطنة غرناطة ، ومملكة قشتالة، اذ ان السائد هو العلاقات السلمية بين الطرفين (غرناطة واراغون) ، عن طريق عقد المعاهدات التي تكون احيانا مشتركة مع المغرب او صقلية [٢].

---

[١] اراغون ، عربها العرب في صياغتين الاول (ارجون) والثاني (اراغون) وليس هناك مجال للخلط بين اراغون الدولة وبين ارجون في التشابه اللفظي . لأن ارجون بلد من ناحية جيان بالأندلس أي في النصف الجنوبي من شبه جزيرة ايبيريا ، اما اراغون فتقع في اقصى النصف الشمالي منها ، اذ تتصل حدودها الشمالية بجبال البرت من غير فاصل ، واراغون في الاصل اسم نهر ينحدر من تلك الجبال ويصب في نهر ايبرو في واديه الاعلى بأسمه الذي سرى فيما بعد على الاراضي الفسيحة والولايات الكبيرة التي انظمت الى قمة الوادي و تألفت منها مملكة اراغون، وامتدت جبال البرت شمالا الى جبال كوتكه جنوبا ثم الى بلنسيه شرقا ، غير انها تجزأت الى ولايات ومقاطعات كثيرة . دائرة المعارف الاسلامية ، مج ٣ ، ص٧٣ ، (مادة اندلس) .

بعد توسع الممالك النصرانية على حساب الاراضي الاسلامية في الاندلس ، فقد اوصى الملك شانجة الثالث ملك نبرة (٣٩٠-٤٢٦هـ /١٠٠٠-١٠٣٥ م) – الذي تولى الحكم طفلا صغيرا ،وبعد ان بلغ الرشد تولى حكم مملكته بشكل رسمي ، بتقسيم شانجة المملكة الى اربعة اقسام كانت ، اراغون من حصة ولده غير الشرعي (ردمير) Rodmeir وظهرت هذه المملكة للوجود للمرة الاولى . كان ملك ليون Lion فرديناند الاول Ferdenand 1 يتحين الفرص للسيطرة على اراغون لأتمام مشروع الوحدة بين الممالك النصرانية ، اذّ ان اراغون انفصلت عن مملكة ليون وقام بهدا راميرو . للأطلاع على التفاصيل ينظر ، العمايرة ، د. محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الاندلسية ، ص٧٧-١١٠ ، طه، عبد الواحد ذنون ، تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس واثره على سقوط غرناطة ، مجلة دراسات اندلسية ، المجموعة الاولى ، ط١ ، (بغداد –١٩٨٦) ، ص١٨١-١٨٨ ؛ طه ، د. عبد الواحد ذنون ، تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس ، (مجلة البحث العلمي) ، ص٥٩-٦٥ .

[٢] صقلية ، اصبحت تابعة لملك اراغون نتيجة زواج ملك اراغون بيدرو الثالث Pedro III (٥٩٣-٦١٠هـ /١١٩٦-١٢١٣م) تزوج ابنة صاحب نابولي ، وعن طريقه عادت صقلية التابعة لنابلي الى اراغون بعد نزاع طويل مع الفرنسيين تم خلاله انتزاع صقلية منهم و ضمها لعرش اراغون . عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٦ .

الاوضاع السياسية في مملكة اراغون

لقد كان ملك اراغون فرناندو الثالث يسمى بصاحب انتقيره ، وعندما توفي مرتين – الاول ملك اراغون في عام (٨١٣هـ /١٤١٠م) – ولم يكن له عقب دارت صراعات حول من سيتولى عرش اراغون ، حكم البلاد خلال فترة عامين مجلس الكورتس (البرلمان)[١] ، ثم انتخب البرلمان فرناندو الثالث ملكاً على العرش الاراغوني وكان وصيا على ابن اخيه ملك قشتالة الطفل [٢]ومن اسباب اختياره انه ابن الملكة (اليثور Elithor) ابنة بيدرو الرابع ملك اراغون ، واخت الملك مرتين ، ترك فرناندو الثالث وصاية ابن اخيه على عرش قشتالة وتوجه في سنة (٨١٥هـ /١٤١٢م) الى اراغون ليتولى حكمها [٣].

كان الشعب الاراغوني متعلقاً بالحرية اكثر من الشعب القشتالي ، لذلك واجه فرناندو الثالث صعوبة في الحكم المطلق ، الذي يدعو الى ان يتولى الملك المهام كلها ، لذلك حدثت مشاكل داخل المملكة الاراغونية نتيجة تضارب الحكم المطلق مع الحريات الدستورية [٤]، هذه المشاكل ادت الى تجديد الهدنة مع غرناطة عام (٨١٦هـ /١٤١٣م) ، ثم جددت في عام (٨١٧هـ /١٤١٤م) ، و بالشروط نفسها ، وبعد انقضائها جددت في العام (٨١٨هـ /١٤١٥م) وبالشروط نفسها ومع نفس الاطراف[٥] .

لم يستمر حكم فرناندو الثالث طويلا فقد توفي قبل انتهاء اجل الهدنة مع سلطنة غرناطة، والاطراف الاخرى أي في عام (٨١٩هـ /١٤١٦م) ، ليتحول الحكم من مملكة اراغون الى مملكة نابل[٦] Napoli اذّ انتقل ولده الفونسوالخامس Alfonso V ، المعروف بألفونسو الشهم (El Magnani no) (٨١٩– ٨٦١ هـ /١٤١٦–١٤٥٦م) ليترك اخاه خوان على عرش اراغون يحكم نيابة عنه ، تم ذلك في سنة (٨٤٦هـ /١٤٤٢م) بعد حوادث وخطوب جمة ، لم تكن هناك اشارة

---

(١) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٨ .

(٢) ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٥٨ .

(٣) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٨ .

(٤) م،ن ، ص ١٧٩ .

(٥) بالار ، ماريانوس ، بنومرين في الاتفاقات المبرمة بين اراغون وغرناطة ، مجلة تطوران ، مجلة الابحاث المغربية ، العدد/ ٨، سنة ١٩٦٣ ،ص١٩٧–١٩٨ .

(٦) اصبحت نابل وايطاليا كلها في عهد الفونسو الخامس من الدول العظيمة في العالم في الثقافة العالية ذات الجودة العالية في الكم والنوع ، حيث اصبح هناك ما يعرف بالنهضة الايطالية .

-Rafael, Al-Tamira , A history of Spain from the beginings to the Resnt day , (New York , 1949). p.300

لوجود معاهدة او حرب في هذه الفترة – التي اصبحت فيها مملكة اراغون ثانوية بالنسبة لنابل التي اصبحت المركز الرئيس للمملكة بعد ان كان خوان ممثلا لأخيه الفونسو الخامس في نابل[١] – اذا ما استثنينا تقديم مملكة اراغون المساعده لمحمد الايسر بناءاً على طلبه سنة (٨٣٥هـ/١٤٣١م) عندما طلب المساعدة من ملك اراغون الفونسو الخامس الذي كان على عداوة مع ملك قشتالة [٢] ، وذلك عندما سيطر يوسف الرابع بن المول على عرش غرناطة . فقبل ملك اراغون تقديم المساعدة العسكرية ، وتمكنت القوات الاراغونية ان تقدم مساعدة كبيرة لسلطان غرناطة محمد الايسر الذي هزم القشتاليين الذين ساندوا صنيعتهم يوسف الرابع بن المول ، وهكذا تمكن محمد الايسر ان يسترد عرش غرناطة مرة ثانية بمساعدة ملك اراغون [٣].

ولكن مملكة اراغون التي قدمت لسلطنة غرناطة المساعدة ستقوم ببذر البذرة الاولى للوحدة الاسبانية ، التي اودت بحكم المسلمين في اسبانيا ، فعندما توفي الفونسو الخامس سنة (٨٦٣هـ /١٤٥٨م) دون عقب شرعي ، تولى ولده غير الشرعي فرناندو Fernando عرش مملكة نابل ، في حين جلس اخوه خوان على عرش اراغون بأسم خوان الثاني Juan II (٨٤٦-٨٨٤هـ/١٤٤٢-١٤٧٩م) الذي شغل بحروب داخلية وخارجية ، كان منها تمرد ولده الامير كارلوس Caelos عليه ، اذّ ايد فريق من الشعب الارغواني الابن وحدثت وقائع[٤] بين الاب و ابنه كان نتيجتها ان توفي الابن في سنة (٨٦٦هـ /١٤٦١م) . كانت هذه الحرب بتحريض من زوجة خوان الثاني البرتغالية الاصل حنه هنريكز Hena Henrickz حرمان الولد من ولاية العرش الاراغواني ، و نشبت الحرب بين فرنسا و اراغون [٥]وهكذا توالت الفتن والحروب عليه وكثرت هزائمه ، ولكن الامر الذي شغل باله في ايام حكمه الاخيرة [٦]هو السعي الى تزويج ولده فرناندو[١] بالأميرة ايزابيلا Isabel

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٩ .

[٢] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج١ ، ص٣٠-٣١.

[٣] م . ن ، ص١٧ .

[٤] حاول خوان الثاني الحصول على عرش نافارا Navara فشغل بهذا المشروع عن امور مملكته الداخلية، بأعتباره زوجاً ووارثاً لملكتها بلافيش Blavesh ، و كانت هناك منافسة بينه وبين ولده كارلوس المعروف بأمير فيان و كان الولد يرى لـه احق من ابيه بوراثة امه ، الا ان الولد قيل انه قتل مسموماً على يد زوجة ابيه البرتغالية حنه هنريكز Hena Henrickz (عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٩) ، وبهذا عادت نافارا مرة اخرى تحت التاج الاراغوني في ايام حكم خوان الثاني (١٤٥٨-١٤٧٩) . مثلما كانت تدار من قبل اراغون خلال الفترة (١٠٧٦-١١٣١) ؛

- The new Encyclopedia , Aragon , king dom of , V.I. , 1974 , P.472.

[٥] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٩ .

[٦] عنان ،نهاية الاندلس ، ص١٨٠ .

[2] للحصول على العرش دون مشقة [3]، حاول هنري الرابع (٨٥٩-٨٧٩هـ/ ١٤٥٤-١٤٧٤م) اخوها ملك قشتالة ان يسند ولاية العهد من بعده الى ابنته جوانا Gwana وذلك حسب رغبة امها البرتغالية ، الا انه اصطدم مع النبلاء ورجال الدين الذين عقدوا مؤتمرا سنة (٨٧٠ هـ /١٤٦٥م) قرروا خلاله اسناد ولاية العهد الى اخيه الفونسو Alfonso الا ان وفاة الاخير ادت الى ارباك الوضع ، مما ادى الى اختيار ايزابيلا زوجة فرناندو وريث عرش اراغون سنة (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، وبايع اتباع جوانا بعد وفاة هنري الرابع زوجها ملك البرتغال الذي دخل بحرب لمدة خمس سنوات انتهت بأنتصار فرناندو وايزابيلا في سنة (٨٨٤هـ /١٤٧٩م)[4] .

طال حكم خوان الثاني حتى سنة (٨٨٤هـ /١٤٧٩م) حيث بلغ من العمر ثمانين سنة ، وضعف بصره فتنازل عن العرش لولده فرناندو الخامس Fernando V الذي قام مع ايزابيلا زوجته بأنشاء مشروع اسبانيا الكبرى سنة (٨٨٤هـ /١٤٧٩ م) واعلانهم الوحدة الاسبانية [5] .

ان هذه الاحداث اثرت سواء بشكل مباشر او غير مباشر في علاقة غرناطة مع مملكة اراغون ولو كانت الاوضاع مستقرة داخل مملكة اراغون ، لتدخلت بصورة مباشرة بوصفها منافسة لمملكة قشتالة للحصول على بعض المدن والقلاع والسيطرة عليها كما كانت تفعل مملكة قشتالة ، ولكن هذا الارباك الداخلي في الصراع على العرش حال دون ذلك .

عقد معاهدة بين سلطنة غرناطة و مملكة اراغون

---

[1] فرناندو الخامس Fernando V (٨٥٦-٩١٩هـ/١٤٥٢ -١٥١٣م) حاول ان يستبد بالامور بعد وفاة الملك هنري الرابع الا ان ايزابيلا لم تعط له المجال ، لذلك اتفق على الحكم المشترك على قشتالة ؛ كيب ، جوزيف ماك ، مدنية العرب في الاندلس ، الترجمة ، د. تقي الدين الهلالي ، مطبعة العالي ، (١٣٦٩هـ /١٩٥٠م) ، الهامش (١) ، ص٦٨.

[2] ايزابيلا Isabel، ولدت في ٢ نيسان (٨٥٥-٩٠٨هـ/١٤٥٢ -١٥٠٢م) و توفي ابوها ملك قشتالة و هي طفلة ، وتربع العرش اخوها (غير الشقيق) هنري الرابع الذي يعرف بالعاجز ، ترعرعت في البلاط الملكي ولما بلغت السابعة عشرة من عمرها تقدم لطلب يدها ثلاثة ، امراء وملك ، ملك البرتغال العجوز الغني ، ودوق غويسين Gweassen، شقيق ملك فرنسا ، والامير فرناندو الاراغوني وهو الشاب الوسيم الذي كانت تحلم به منذ طفولتها . شيخاني ، سمير ، مع الخالدين ، دار المعارف لبنان ، (د.ت.) ، في ، ص١-٢ .

[3] كيب ، جوزيف ماك ، مدنية العرب في الاندلس ،ص٨٨ ، هامش (١) . الترجمة ، د. تقي الدين الهلالي ، مطبعة العالي ، (١٣٦٩هـ /١٩٥٠م) ، الهامش (١) ، ص٦٨ .

[4] اليوسف ،عبد القادر احمد ، العصور الوسطى الاوربية ٤٧٦-١٥٠٠ ، المكتبة العصرية ، ط١ ، (بيروت – ١٩٦٧) ، ص٣٤٠ .

[5] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٨٠ .

بقيت حالة السلم بين غرناطة و اراغون حتى تمت الوحدة بين قشتالة ،واراغون سنة (٨٨٤هـ /١٤٧٩م) ، ويمكن سوق مجموعة من الاسباب التي ادت الى هذه العلاقة السلمية وهي:

١- ان مملكة اراغون ابعد عن سلطنة غرناطة من قشتالة ، حيث لم تكن هناك حدود مشتركة بين الدولتين[1] .
٢- حالة الصراع بين مملكتي قشتالة واراغون المستمرة ،وهذا ما دعا مملكة اراغون الى ان تفتش عن حليف يقوم بأزعاج مملكة قشتالة الخصم .
٣- كانت مملكة اراغون تريد التوسع على حساب البحر المتوسط ، وجنوب ايطاليا ، دون الاهتمام بالتوسع على حساب سلطنة غرناطة.

وبحلول القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) ، كان مرتين الاول Martini1 1(٧٩٨-٨١٣هـــ /١٣٩٥-١٤١٠م) وهـــو اخ الملـــك الاراغـــوني خـــوان الاول Juan1 (٧٩٠-٧٩٨هـ /١٣٨٨-١٣٩٥م) وبعد ان توفي الاخير اثر سقوطة من على صهوة جواده ، تولى الحكم اخوه الصغير مرتين الاول، الذي ساد حكمه هدوءاً واستقرارا في مملكة اراغون ، وكان قد اعطى حكم صقلية Martini1 [2] لولده مرتين حدث تقارب كبير بين سلطنة غرناطة و مملكة اراغون اذ طلب ملك اراغون من السلطان الغرناطي محمد السابع (٧٩٧-٨١٠هـ /١٣٩٤-١٤٠٧م) ، عقد معاهدة بين الدولتين [3] ، وبالفعل تم عقدها في عام (٨٠٨هـ /١٤٠٥م) لمدة خمس سنوات وشملت هذه المعاهدة جزيرة صقلية ايضا، أنها تابعة لمملكة اراغون في هذه المدة [4] .

ويتضح ان السلطان الغرناطي رحب بهذه المبادرة ، لأن عقد المعاهدة مع مملكة اراغون يعني الكثير لسلطنة غرناطة من الناحية السياسية ، ثم ان سلطنة غرناطة و مملكة اراغون تشتركان في صفة العداء لمملكة قشتالة العدو التقليدي لكلا الدولتين ، فحاول السلطان الغرناطي فتح جبهة جديدة ومحاولة ضرب مملكة قشتالة من الناحية العسكرية ، والاقتصادية، وتقوية اقتصاد سلطنة غرناطة حسب البنود التجارية ، كما سيتضح من بنود المعاهدة الاتية .

---

[1] ينظر الخارطة ص٢٧١ .

[2] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٧٨ .

[3] عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١٣٨ .

[4] بالار ، ماريانو ارياس ، بنومرين في الاتفاقات المبرمة بين اراغون وغرناطة ، مجلة تطوران ، مجلة الابحاث المغربية ، العدد/ ٨، سنة ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ .

نصوص معاهدة عام (٨٠٨هـ/١٤٠٥)

١- السياسية و العسكرية

أ- يقوم سلطان غرناطة بتقديم النجدة العسكرية وقت الحاجة الى كل من ملك اراغون او ملك صقلية و يمدهم بأربعمائة او خمسمائة فارس غرناطي على ان يتكفلا بنفقات هذه القوة، شريطة ان لا يكون خصمهم صديقا او حليفا لسلطنة غرناطة .

ب-ان تطبق النقطة (أ) على سلطان غرناطة فيقومان (ملك اراغون وملك صقلية) بتقديم اربع سفن او خمس مشحونة بالرجال و السلاح ، على ان يتكفل سلطان غرناطة بنفقاتها شريطة ان لا يكون العدو صديقا لمملكتي (صقلية واراغون) .

ج- ان لايقدم أي طرف من اطراف الصلح المساعدة للمتمردين الذين يخرجون على السلطة في كلا الجانبين مهما كان نوع المساعدة .

٢- النصوص التي تتعلق بتسريح الرعايا .

أ- اذا انتزع احد الاطراف من عدو مدينة او موضعا ما ، وكان فيه احد من رعايا الطرف الاخر ، فأنه يسرح في الحال مؤمنا على نفسه، وماله ، ويكون الحكم كذلك فيما يتعلق بالسفن التي يستولي عليها احد الطرفين من عدوه .

ب-اذا كان لأحد الطرفين اسرى من رعايا الطرف الاخر فأنه يفك اسرهم لقاء دفع مئة دينار ذهبا عن الشخص الواحد .

ج- اذا كان الاسير وملكا لأحد رعايا أي منهم ، فأنه يسمح بفك اسره نظير دفع الثمن الذي اشتراه .

د- ان يلتزم كل طرف منهم بألا يخفي او يغّيب احداً من الاسرى .

هـ-اذا دخل مجاورون لأحد منهم في ارض الاخر ، واحتملوا منها اسرى او بضائع فأنها تطلب ممن تستقر لديه ، ويأمر قائد الموضع الذي فيه الاسرى والبضائع يرجعها لمن اخذت منهم والبحث عن الفاعلين ومعاقبتهم .

٣- بنود تتعلق بالتجارة والمسائل البحرية بين الاطراف المتصالحة .

أ- يحق لرعاياهم التردد للتجارة على اراضي كل منهم ، امنين على انفسهم واموالهم .

ب-السماح لسفن كل منهم بالرسو في موانئ كل اطراف المعاهدة .

ج- ان تزاول السفن البيع و الشراء أمنه في جميع الموانئ التابعة لأطراف المعاهدة .

د- ان تتلقى السفن سائر الاوجه المشروعة في جميع موانئهم .

هـ- ان لا تعترض سفنهم سفينة اخرى تابعة لهم .

و- ان يسمح لسفنهم التي تصاب بعطب من جراء العواصف او غيرها بأن تصلح في أحد موانئهم.

ز- اذا استولى عدو على سفينة تابعة لأحد منهم ، وقصدت مياه الطرف الاخر فلا يسمح لها ببيع شيء من حمولتها فيه ، ويسري هذا الحكم على ما يتعلق بالأشخاص او السلع المأخوذة من احد منهم والبحث عن الفاعلين و معاقبتهم .

٤-اتفقت الاطراف على ان يكون امد المعاهدة خمسة اعوام من تاريخ عقدها الموافق في ربيع الاول سنة (٨٠٨هـ/ايلول ١٤٠٥م) [1].

من خلال بنود هذه المعاهدة يتضح ان الاطراف الثلاثة جميعاً قد افادت منها ، ومما يلحظ ايضا ان موضوع التجارة والاسرى قد طغى على بنودها ، وانهم قد اعاروا لهما الاهمية لما فيهما من ابعاد انسانية واقتصادية [2] الا ان ما يؤاخذ على هذه المعاهدة ولا سيما ما يتعلق اهميته بالجانب الاندلسي ان البند الذي يشترط مشاركة الاندلس في الدفاع عن اراغون اذا ما تعرضت لعدوان خارجي ، ليس مقبولا ، وأنه مرفوض ايضا، لأنه يزهق ارواح المسلمين في حروب ليست في صلب الهدف الاسمى لوجودهم في غرناطة ، ومجحفاً بأبعاده الدينية على الغرناطيين، وكان الاجدر بالسلطان الغرناطي ان يرفض هذا البند – اذ يمكن تحويرة بصيغة تجعل الدفاع المشترك في حالة حدوث عدوان يهدد الدولتين معاً .

وسبب موافقة السلطان الغرناطي على هذا البند هو ضعف دولته ، وتدهور احوالها في تلك المدة ، وان كفة ميزان القوى تميل لصالح الاسبان ، ومنهم مملكة اراغون ، ولهذا قبل السلطان

---

[1] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٥٢-١٥٣ ، نقلا عن ،

Alarcon Y. Saton Y.R. A. de Linres ، Los Documents Arabes diplomaticos del archivo de la corona de aragen . No. , P. 173 ;

ينظر ، عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١٣٨-١٣٩ .

[2] عبد الله ، خالد محمود ، معاهدة الصلح ، ص١٣٩ .

الغرناطي هذا البند للحصول على المساعدات العسكرية لأستخدامها ضد خصومه داخل الاراضي الاندلسية وخارجها [(١)].

تبين مما سبق ان سلطان غرناطة كان يحاول الابتعاد عن التاريخ السابق لسلطنته وعلاقتها مع الاسبان ، اذّ ان المدقق في معاهدات الصلح مع اراغون قبل هذه المدة ، والعلاقات السياسية بين الدولتين يجد ان السلاطين الغرناطيين كانوا يلتزمون بوعودهم مع الاسبان ولكن الاسبان كانوا دائما ينقضون الصلح والمعاهدات [(٢)] المعقودة مع المسلمين والتحالف فيما بينهم لضرب الممالك الاسلامية في الاندلس.

وكانت المعاهدات تعقد بين سلطنة غرناطة واراغون ، لخدمة مملكة اراغون التي عودت نفسها على عدم الالتزام بالعهود والمواثيق ، فحالما تأتي فرصة سانحة لها فأنها لن تفوتها ، و تقوم بالتوسع على حساب اراضي المسلمين دون الاهتمام ببنود الصلح ، وعندما تحقق مكسباً او هدفاً معيناً فأنها تعود الى عقد الصلح مرة اخرى وهكذا كانت سياسة مملكة اراغون[(٣)] ، وعقدت في عام

---

(١) عبد الله ، خالد محمود ، معاهدة الصلح، ص١٤٠ .

(٢) تمكن الفونسو الحادي عشر Al-Fonso XI ملك قشتالة (٧١٢-٧٥١هـ/١٣١٢-١٣٥٠) في ٢٦/مارس سنة (٧٤٥هـ /١٣٤٤م) من فتح الجزيرة الخضراء ، بعد ان انقضى صلح ابرم بين قشتالة ، وبين اراغون ، وغرناطة ، والمغرب ، ثم عقدت هدنة لمدة عشر سنوات بين الاطراف نفسها ، الا ان ملك اراغون خرق الهدنة مع غرناطة ، وارسل اسطولاً لمحاصرة جبل طارق ، ورفع الحصار بعد ان هلك الفونسو بمرض الطاعون سنة (٧٥١هـ /١٣٥٠م) بل ان هناك من يشير الى ان الملك الاراغوني بطره الرابع (Pedro IV)(٧٣٦-٧٨٩هـ /١٣٣٦-١٣٨٧م) قد اولى جل اهتمامه لأحتلال غرناطة ابتداءً من تاريخ (٧٥١هـ /١٣٥٠م) وان ظل يعقد معاهدات الصلح مع غرناطة والمغرب ، وجميع الرسائل المغربية ، والغرناطية الى اراغون بين عامي (٧٥٠-٧٥٩هـ /١٣٤٩-١٣٥٧م) تشهد أن المغرب و الاندلس قد وفوا بعهدهم ، الا ان اراغون كانت بالمقابل تخلف بالعهود من قبل خواصها ، وتجارها ، وقراصنتها ،وعلى الرغم من ان غرناطة كانت قوية في تلك المدة وتساندها الدولة المرينية ، ولكنها مع هذا كانت الممالك الاسبانية تطمع فيها، فكيف و قد ضعف الناصر الاول (الدولة المرينية). ينظر ، ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج٢ ، ص ٥٧٢ ؛ النباهي ، نزهة البصائر والابصار ، ص١٣٤ ؛ بالار ، ماريانوس ، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة ، ص١٩٧ ؛ الماحي ، علي حامد ، المغرب في عصر السلطان ابي عنان المريني (الدار البيضاء -١٩٨٦) ، ص١١٥ ، وما بعدها .

(٣) عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١٤٠ .

(٨١٦هـ –١٤١٣م) هدنة شملت كل سلطنة غرناطة ، ومملكة قشتالة [١] ومملكة اراغون ، والدولة المرينية [٢] .

الاوضاع السياسية في مملكة البرتغال [٣] Portugal والبابوية وانعكاساتها على سلطنة غرناطة

كانت البابوية وأوربا تمر بمشاكل داخلية ، تمثلت بحرب المئة عام بين إنكلترا ، وفرنسا، والتي أنهكت كلا الطرفين وخلفت مضاعفات سلبية على الصعيد الداخلي والخارجي لكلا الدولتين، بل أثرت في كل أوربا من النواحي السياسية والاقتصادية .

ولم تتمكن دول البلقان من اتخاذ قرار موحد للوقوف أمام المد العثماني في اوربا الشرقية ،فضلاً عن ظهور حركات متعددة كادت تعصف بأوضاع أوربا السياسية ، مما سبب فوضى في كل ارجاء الامبراطورية الرومانية .

ولم تتمكن حتى البابوية من حل مشاكلها ، فقد مرت بفتنة سميت الفتنة البابوية الكبرى ، اذّ ظهر ثلاثة بابوات في مسرح الاحداث في آن واحد ، الامر الذي كاد يعصف بوحدة الصف الكنسي ، وشغلت هذه الفتنة تفكير الاوربيين دينياً ،وسياسياً ،وشعبياً ، في النصف الاول من القرن (التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي). [٤]

كما لم يكن باستطاعة اوربا ان تلبي دعوة البابوات في تشكيل حملة صليبية ضد العثمانيين ، لانشغال كل دولة من دول اوربا بمشاكلها الخارجية والداخلية .[٥]

من هذا يتضح ان الاوضاع غير المستقرة في اوربا ، اسهمت بشكل غير مباشر في ابقاء سلطنة غرناطة اطول مدة ممكنة من الزمن ولو كانت مشكلات اوربا اقل لجردت حملات صليبية

---

[١] ابو الحجاج يوسف الثالث ، الديوان ، ص٧٠-٧٢ ؛ ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ، ج٢ ، ص٢٨٤.

[٢] بالار ، ماريانوس اريباس ، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة ، ص١٠٧ .

[٣] البرتغال Portugal ، تقع الى الغرب من شبه الجزيرة الايبريه وهي احدى الاقاليم التي كانت تابعة لمملكة القوط . ابن خلدون ، العبر، ج٧،ص ٣٩٥ . وللتفاصيل عن تكوين المملكة ينظر العمايرة ، محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الاندلسية بيد الاسبان ، ص ٢٣٩ – ٢٤٧ .

[4] Marrio He , J. , The Eastern Question , (Oxford –1958) . p. 69.

[5] S. Lane-Pool , Stanly Lean , Op. Cit. , P.51-57 .

للقضاء على سلطنة غرناطة، وتقديم مساعدات عسكرية تقودها دول كبرى في اوربا بتوجيه من البابا ، ويتم القضاء على سلطنة غرناطة قبل الوقت الذي سقطت فيه .

لابد من القول إنَّ هناك توافقاً بين الحروب الاخيرة التي حدثت في الاندلس خلال القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي)، وبين الحروب الصليبية [١]

هذا التوافق هو ضمن سياسة [٢]او منهجية معينة من قبل الاسبان واوربا وليس مصادفة [٣] فقد كان الاسبان في شبه جزيرة ايبريا يستنجدون بالمسيحيين الاوربيين، الذين ما ان يصلهم صريخ النجدات حتى تأتي لمساعدتهم كل من الفرنج ، والالمان ، والانكليز وربما خفت لنجدتهم دول اخرى في اوربا ، ولولا هذه النجدات التي تصل اليهم لتحولت اسبانيا كلها الى الاسلام [٤].

ومن خلال سير الاحداث نجد ان مملكة البرتغال ، قد اسهمت اسهاماً كبيراً في الحروب الاخيرة ضد سلطنة غرناطة ، بصورة مباشرة من خلال الصدام العسكري المسلح ، اوبصورة غير مباشرة من خلال احتلالها بعض المناطق التي تؤثر تاثيراً سلبياً كبيراً على القوة الدفاعية لدى الغرناطيين، فقد قام هنري الملاح Henri Lenavigateur (٧٩٨ -٨٦٥ هـ /١٣٩٤- ١٤٦٠م) الذي لم يركب البحر الامرة واحدة حين اشترك بحملة عسكرية قادهاوالده جون الاول Jeon I ملك البرتغال الى الشاطئ الافريقي لانتزاع مدينة سبته ceuta ، التي كانت منطقة يتحصن بها المقاتلون المغاربة [٥] . ضد أي هجمة قد تأتي من جهة شبه جزيرة ايبريا وكان قائد حاميتها هو صالح بن صالح .[٦] وقد تم هذا سنة (٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) .[١] الا ان

---

[١] حمادي ، عبد الله ، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ، ١٤٩٢ ص ٥٩ .

[٢]هذه الاستراتيجية هي عبارة عن تعاضد نصارى اوربا واسبانيا ضد المسلمين في المشرق والمغرب منذ ايام الحروب الصليبية في الشرق ، وحرب الاسترداد في اسبانيا فقد كان سقوط طليطلة سنة (٤٧٨ هـ /١٨٨٥م) انتصاراً لقشتالة ، وانتصاراً لروما والمسيحية تماماً فقد كان سقوط القدس بايدي الصليبين سنة (٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م) عاملاً لتشجيع زيادة الدعم الاوربي لملوك الشمال الاسباني بغية تحقيق انتصار اخر على الغرناطيين عزز بانتصارات لاحقة الى ان سقطت غرناطة سنة (١٤٩٢/٨٩٧) .حمادي ،عبد الله ، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ، ص ٥٩ .

[٣] م. ن ، ص ٥٩ .

[٤] ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص ١٧٨ .

* سبته ceuta ،مدينة كبيرة على بحر الزقاق ، تقابل الجزيرة الخضراء ، ويحيط بسبته البحر من كل جهاتها ماعدا جهة الغرب . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٠٣ .

[٥] الشناوي ، عبد العزيز ، اوربا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١١٥ .

[٦] الجراري ، عباس ، البرتغال بصمات تاريخ مشترك ، بحث منشور في مجلة المناهل، العدد / ١١ ، السنة الخامسة ، المغرب ،(الرباط ،ربيع الاول ، ١٣٩٨ / مارس ١٩٧٨) ، ص ٦٣.

المصادر الاساسية تذكر ان احتلال البرتغاليين لهذه المدينة قد تم في ١٤ جمادي الاخرة سنة (٨٠٨هـ / ١٤٠٥ م)[٢]، ويذكر ابو الفلاح بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)[٣] ان احتلال سبتة كان (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) أي انه قدم احتلالها سنة واحدة ، حيث ان احتلالها كان كما ذكره احمد ابن القاضي لانه اقرب الى الاحداث زماناً ومكاناً ويذكر ابن العماد ان السبتيين ارسلوا قصيدة يستصرخون فيها اخوانهم المشارقة في مصر وغيرها عندما كانوا محاصرين من قبل البرتغاليين كان مطلع هذه القصيدة .

حماة الهدى سبقاً وان بعد المدى   فقد سالتكم نصرها ملة الهدى

لكنهم لم يُنْصَروا ولم يتلقوا الا قصيدة مهلهلة من نظم ابن حجة الحموي [٤]

كان لدى هنري رغبة قوية في القضاء على المسلمين في بلاد المغرب العربي كما تم طردهم من معظم شبه جزيرة ايبيريا ، فقد كانت تكمن فيه رغبة قوية وروح صليبية متاججه للقضاء على المسلمين نهائياً ، وكلما اخرج المسلمين من معقل من معاقلهم في الاندلس ازدادت هذه الرغبة [٥].

لم تتوقف اطماع البرتغاليين في بلاد المغرب العربي بل وجه البرتغاليون حملة الى طنجة * [٦] وجهها ملك البرتغال الدون دورات Don Durate سنة (٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) وقادها الاميران الاخوان دون هنريكي Don Ehnriji ودون فرناندو Don Fernando، وكان الهجوم عن طريق البر ،والبحر ، الا ان القوات المغربية تمكنت من ان تلحق الهزيمة بهذه الحملة وتطوق الجيش البرتغالي وتم اجباره على التفاوض والتخلي عن مدينة سبته ، اخذت رهائن كان من جملتهم دون فرناندو ، ووافق البرتغاليون على التخلي عن سبته الا انهم لم يفوا بعهدهم هذا ، وظل دون فرناندو في الاعتقال حتى توفي سنة (٨٤٧ هـ / ١٤٤٣م) [٧] .

---

(١) الشناوي ، عبد العزيز ، اوربا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١١٥ ؛
Jamil M.Abvn- Nasr , Ahistory of the Maghrib , Gabridg 1975 , P 133 .

(٢) ابن القاضي ، لقط الفرائد ، ص٢٤٠ .

(٣) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار المسيرة ،(بيروت–١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ، ج٧ ص ١٢٤ .

(٤) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٧ ، ص١٢٤ .

(٥) الشناوي ، عبد العزيز ، اوربا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١١٥ .

* طنجة ،مدينة في المغرب على ساحل البحر ، تبعد عن مدينة سبته ميلاً في البر وتبعد عن القيروان الفا ميل، وهي اخر منطقة من حدود المغرب ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٩٥–٣٩٦ .

(٦) الشناوي ، اوربا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١١٥ .

(٧) الجراري ، عباس ، البرتغال بصمات تاريخ مشترك ، ص ٦٣ ؛

بمباركة البابا بيوس الثاني (٨٦٣-٨٦٩هـ/١٤٨٥-١٤٦٤) جهز ملك البرتغال اسطولاً بحرياً ذا اسلحة فتاكة ، والات حصار اتجهت استجابة لأمره الى شمال افريقيا لاحتلال مناطق مهمة مثل مضيق جبل طارق .(١)

وعلى الرغم من العداء القائم بين اسبانيا والبرتغال في كثير من الاحيان الا انهم تجاوزوا خلافاتهم مرات عديدة ، وعقدت اتفاقيات تم خلالها تحقيق اهداف استراتيجية مهمة ومن هذه المعاهدات ، معاهدة الكاثوفاس Al Cacovas سنة (٨٨٤هـ / ١٤٧٩ م) ومعاهدة طليطلة عام (٨٨٥هـ / ١٤٨٠ م) التي انهت الحرب بين هاتين الدولتين ، واصبحت البرتغال تتحكم بسواحل شمال افريقيا وتقطع الاتصالات بين غرناطة والمغرب العربي (٢) . واستغل الاسبان هذا الجانب لتحقيق اهدافهم في شبه جزيرة ايبيريا(٣) .

في الوقت الذي تقوم فيه البرتغال بضرب سواحل افريقيا ، كانت اسبانيا تعقد اتفاقيات صلح مع الشمال الافريقي لضمان عدم تدخل دولها في الحرب الاخيرة مع غرناطة، كما ان البرتغال كانت تسعى قدر الامكان الى السيطرة على مناطق ارتكاز مهمة في بلاد المغرب العربي الشمالية لضمان عدم تعرض حدود مملكتهم الجنوبية لهجمات المسلمين المغاربة، وكانت في الوقت نفسه تدخل في حروب صليبية الهدف منها القضاء على المسلمين في غرناطة وشمال افريقيا مهما كلفها ذلك ، وان احتلال البرتغال لمدينه سبته اثر في امدادت المغرب العسكرية لمسلمي غرناطة الذين دخلوا مرحلة صراعهم الاخير مع الاسبان وكان ذلك بتشجيع من البابوية في روما.

ان الجهود التي بذلها هنري الملاّح في شمال افريقيا قد حصلت على تأييد وتشجيع البابا نيقولا الخامس (٤) الذي بعث بمرسوم بابوي سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م)الى هنري الملاح وقد استهل ذلك المرسوم بهذه العبارة ((**ان سرورنا لعظيم ان نعلم ان ولدنا العزيز ، هنري ، امير البرتغال سار في خطى ابيه ، الملك جون ، بوصفه جندياً قديراً للمسيح ليقضي على اعداء الله واعداء**

Jamil M. Abvn- Nasr , Op. Cit , P.133

(١) العروسي ، احمد المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ،(تونس -١٩٨٢) ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(2) De Castries Les Souvces indites, Historia du mooroc-portugal I , Espagne I . (Paris-1921) , P. 13-14.

(٣) سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص ٣٦٠-٣٦٢ .

(٤) حتاملة ، محمد عبدة ، الاعتداءات الافريقية (الصليبية) على بلاد العرب في الاندلس والمشرق وحرب متواصلة على الاسلام ،عمان (الاردن -١٤٢٢ هـ /٢٠٠١ م) ، ص ٤٨ .

المسيح من المسلمين الكفرة ...)) .[١] وفي المرسوم نفسه قرر البابا نيقولا الخامس منح هنري الملاح الحق في ان يقوم باحتلال واخضاع جميع الاقاليم التي يسودها حكم اعداء المسيحية ، وان يجوز البحار للقضاء على انتشار (طاعون الاسلام)[٢]

واصدر البابا الذي جاء بعده هو كاليكتوس سنة (٨٦١هـ / ١٤٥٦ م)مرسوماً مشابهاً للمرسوم السابق .[٣]

قام هنري الملاح –الذي كانت تراوده احلام خطيرة الا وهي الرغبة في الاطباق على العالم الاسلامي [٤] من خلال ايجاد حلفاء له [٥] – بمفاوضات مع ملك الحبشة [٦] ، لقيام حلف مشترك يمكن من خلاله السيطرة على بلاد المغرب العربي بهجوم الاحباش من الجنوب وهجومه من الشمال. [٧]

ومما تقدم يتضح ان نية البرتغاليين هي القضاء على المسلمين في شمال افريقيا وبهذا العمل يتمكن الاسبان من اخضاع اخر معقل للمسلمين وهو غرناطة التي ستكون منعزلة تماماً عن العالم الاسلامي .

ففي الوقت الذي كان الاسبان يحاصرون القوات الاسلامية في غرناطة ويكبدونهم خسائر فادحة دون وصول أي امداد اوعون لهم من العالم الاسلامي كانت البرتغال تضرب المسلمين في شمال افريقيا حتى استطاعت ان تضع يدها على(**سبته ، وطنجة ، ومليلة***) وبهذا فقد

---

[١] الشناوي ، اوربا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١١٥-١١٦.

[٢] امين ، عبد الامير ، نظرة جديدة للانجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية في اسيا دراسة في عوامل تدهور الامبراطورية البرتغالية وانحلالها ، الجامعة الاردنية ، مجلة دراسات ، المجلد الخامس عشر، العدد السابع ، ذو القعدة ١٤٠٨ هـ/ تموز ١٩٨٨ م ، ص ٢٧٤ .

[٣] الشناوي ، اوربا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١١٦ .

[٤] اليوسف ، عبد القادر احمد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٥٧ .

[٥] اليوسف ، عبد القادر احمد ، العصور الوسطى الاوربية ٤٧٦ – ١٥٠٠ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، (بيروت – ١٩٦٧)، ص ٣٦٨-٣٦٩ .

[٦] لقد انتشرت قصة في الاوساط الاوربية ان هناك مملكة في قلب افريقيا اوفي قلب اسيا وان هذه المملكة يحكمها يحكمها ملك ذو قوة وثراء ، وتزعم القصة ان ملكها كتب الى البابا في روما يطلب منه ارسال بعثات دينية حتى يبقى رعايا هذا الملك على اتصال وثيق بالبابوية . الشناوي ، اوربا في مطلع العصور الحديثة، ص ١١٦ هامش (١) .

[٧] اليوسف ، عبدالقادر احمد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٥٧ .

* مليلة ، بالفتح ثم الكسر وياء تحتها نقطتان ، ولام اخرى ، مدينة بالمغرب قريبة من سبته على ساحل البحر. ياقوت الحموي ، معجم البدان ، ج٥، ص١٥٧ .

تمكنت من نقل الصراع الى مضيق جبل طارق في شمال افريقيا .[١] وواصلت المشاريع الاستكشافية واصبحت من الدول العظمى التي تنافس اساطيلها الاساطيل الايطالية والاسبانية ، وبهذا اصبحت دولة بحرية عظمى[٢] .

(١) الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد ، مأساة الفردوس المفقود ، ص ٣٦٨-٣٦٩ ؛بردي، ادوار ، تأريخ الحضارات العام ،القرون الوسطى ، نقله الى العربية ، يوسف اسعد داغرة وفريدم داغرة، بيروت،(د.ت) ص ٥٦٣ .

(٢) اليوسف ، عبد القادر احمد ، العصور الوسطى الاوربية ، ص ٣٤٢ .

المبحث الاول

العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة و مملكة قشتالة الموحدة

خلال الفترة(٨٨٤-٨٩٦هـ/١٤٧٦-١٤٩٠م)

اختلفت العلاقات السياسية بين غرناطة وقشتالة ، اذ اصبحت المملكة الاسبانية الموحدة (قشتالة ، واراغون) ، تحاول القضاء على سلطنة غرناطة وكان احد شروط الزواج التي اشترطتها ايزابيلا على فرناندو هو ان يتابع فرناندو الحرب ضد المسلمين [١] . وهذا دليل على حقد الملكة ايزابيلا على المسلمين لدرجة انها تربط زواجها بالقضاء على المسلمين ، وهذا يعني ان ايزابيلا تحاول توحيد جهود الاسبان ضد المسلمين في غرناطة .

بعد الحروب المتعاقبة التي خاضها المسلمون مع الاسبان ، فرضت اتاوة على السلطان الغرناطي محمد العاشر، تقدر بنحو اثني عشر الف دوكاً [٢] ، حسب المعاهدة التي عقدت بين الطرفين في سنة (٨٦٨هـ /١٤٦٣م)[٣] ، كان هذا المبلغ بمثابة رشوة تقدم للأسبان اتقاءاً للحرب [٤] .

وعندما رفض السلطان ابو الحسن علي دفع الجزية في عام (٨٧١هـ /١٤٦٦م) ، لم يجبره ملك قشتالة هنري الرابع ، الذي كان ضعيفاً في ايام حكمه الاخيرة ، وذلك لأنشغاله بالملذات واللهو ، لذلك استغل ابو الحسن علي ضعف الاسبان ، وتمكن من اتخاذ خطوة جريئة حاسمة هي الامتناع عن دفع الاتاوه السنوية لمملكة قشتالة مقابل السلام[٥] ، والاكثر من هذا هاجم ابو الحسن علي الاراضي القشتالية ، مستغلاً ما كانت تمر به مملكة قشتالة من حرب اهلية ، كان ضغط

---

(١) طه ، عبد الواحد ذنون ، تحالف الممالك الاسبانية ، مجلة البحث العلمي ، ص٧٠ .

(٢) الدوك ، نقد ذهبي كانت تتعامل به اوربا في تلك المدة، قيمة تسع شلنات واربع بنسات . فهي تقرب من قيمة الدينار . الجارم ، علي ، قصة العرب في اسبانيا ، ص١٧٩ ، الهامش رقم (١) .

(٣) الجارم ، علي ، قصة العرب في اسبانيا ، ص١٧٩ .

(٤) ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة ، عبد الحميد يونس ، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، مج ٦ ، ج٢ ، ص٦٨ .

(٥) ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، مج ٦ ، ج٢ ، ص٦٨ .

المسلمين في غرناطة على الاسبان كثيراً مما اضطرهم الى طلب عقد هدنه ، وافق المسلمون على ذلك ، وعقدت الهدنة التي استمرت بين الطرفين حتى نهاية حكم هنري انريكي [١].

تجديد هدنة عام (٨٦٨هـ/١٤٦٣م) بين سلطنة غرناطة و قشتالة الموحدة

خلف هنري انريكي الملكين الكاثولكيين فرناندو وايزابيلا ، وارسل ابو الحسن علي اليهما يطلب تجديد الهدنة ، فوافق الملكان الكاثوليكيان على تجديدها في سنة (٨٨٣هـ /١٤٧٨م) ، ولكن بشروط هي ،

١- اعتراف سلطنة غرناطة بطاعة الملكين الكاثوليكيين .

٢- ان تؤدي سلطنة غرناطة الى مملكة قشتالة الجزية نفسها ، وعدد الاسرى كما كان يفعل سلفة من السلاطين السالفين [٢] .

الا ان السلطان ابا الحسن عندما سمع خطبة الوفد الذي ارسله الملكان الكاثوليكيان وعلى رأسه دون خوان دي فيرا (Don Juan de vera)[٣] ، كان رده ((**قل لمولاك بأن سلاطين غرناطة الذين اعتادوا اداء الاتاوات قد ماتوا ، وان دار الضرب بغرناطة لا تطبع الان غير السيوف**)) [٤].

تجدد الحرب و امتلاك الغرناطيين منطقة الصخرة .

ان هذا الموقف الصلب الذي ابداه ابو الحسن للملكين الكاثوليكيين و اتبعه بأعداد الجيش و استعراضه كان له اثر في جعل الملكين الكاثوليكيين يتنازلان عن شرطهما ويوافقان على عقد هدنة استمرت ثلاث سنوات ، وسبب موافقتهم على عقدها يعود الى انهما كانا في شغل شاغل في حربهم مع البرتغال التي استمرت مدة خمس سنوات ، هذا من جانب ، و من جانب اخر هو الخوف من تزايد قوة السلطان ابي الحسن علي [٥] ، وتم عقد هذه الهدنة منذ عام (٨٨٣/١٤٧٨م)

---

[١] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص١٧ .

[٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٥

[٣] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص١٧ .

[٤] العبادي ، عبد الحميد ، المجمل في تاريخ الاندلس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص١٩١ .

[٥] حتاملة ، محمد عبده ، محنة مسلمي الاندلس ، ص١٨ .

[1] ، ولكن لم يكمل امدها حتى غار القشتاليون على اراضي المسلمين في رنده[2] و احوازها وعاثوا بها فسادا[3] .

فما كان من السلطان ابو الحسن علي الا ان رد بسرعة وبقوة ، فهاجم المدن القشتالية والقلاع، فتمكن من احتلال حصن الصخرةAl Zahra [4] في سنة (٨٨٦هـ /١٤٨١م) [5] ، فأسر فأسر وسبى الكثير حتى باع اهل الصخرة على انهم عبيد [6] في اسواق قرطبة بعد ان احتل ابو الحسن على الصخرة ، عد بعض العقلاء عمله هذا ان لا مسوغ له وتوجس الغرناطيون شرا من عواقب ذلك ، حتى ان احد الشيوخ قال ، **((ويل لنا فسوف تسقط انقاض الصخرة فوق رؤسنا))**[7].

ولكن بعد هذه الحادثة حصل انقلاب جذري في شخصية ابي الحسن علي ، فقد ركن الى السكون ،و اطلق العنان لشهواته ، ولذاته واهوائه ، وكل الامور التي لا يستقر معها السلطان [8] اضف الى ذلك أنّ اقترانه بثريا النصرانية قد اثر في طريقة تعاملة مع الظروف السياسية التي مرت بها السلطنة في الداخل والخارج ، بل ان التأثير شمل طريقة تعامله الاجتماعي ايضاً [9] لاسيما مع مع زوجته الحرة وولديها .

استرجاع القشتاليون منطقة الصخرة من المسلمين و دخول الحامة (Al Hama)

بعد حادثة الصخرة التي تسببت في اهانة واذلال حكام الاسبان اصبحوا يفكرون بأخذ الثأر لأنفسهم فتمكنوا من استعادة الصخرة ، وصاروا يبحثون عن نقاط الضعف في تحصينات المسلمين

---

(١) عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٤ .

(٢) رنده Randa ، مدينة كبيرة تقع الى الجنوب من مالقة على نهر ينسب اليها ، و هي مدينة قديمة فيها اثار كثيرة . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص٧٤ .

(٣) م. ن، ص١٩٥ .

(4) Prescott , William H. Hiatory of the regin of Ferdinand and Isabella the Catholic – London Geoge Allen and Unwin Ltd , (London –1962), P.114 .

(٥) حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢١ .

(٦) م. ن، ص ١٩٤

(٧) فرحات ،غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٥٨ .

(٨) المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٥٩ .

(٩) مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص ٤٩-٥٠ .

[١] ، فقام بونس دي ليون (Ponce de leon) ، وماركيز قادس (Marquis of Cadiz) ، بقيادة بقيادة حملة بلغ عدد افرادها حوالي ثمانية الاف جندي [٢] وتمكنوا من السيطرة على قلعة الحامة في عام (٨٨٧هـ /١٤٨٢م) ، وبعد حرب الشوارع التجأ النساء والاطفال المسلمون الى المساجد ، الا ان الاسبان قاموا بأحراقهم حتى الموت [٣] . ومن هنا يتضح مدى الحقد على المسلمين حتى ان الاسبان لم يحترموا المقدسات الاسلامية فقتلوا حتى من احتمى في بيوت الله .

ان سقوط هذه المدينة المهمة[٤] بأيدي الاسبان يشكل خطرا كبيرا على سلطنة غرناطة لوقوعها بين مالقة من جهة ، وغرناطة من جهة اخرى [٥] ، حاول اهل الحامة الدفاع عنها ودار قتال شديد بين الطرفين ، حتى مالت الكفة لصالح الاسبان ((**وبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم**))[٦]

لما وصلت اخبار ما صنع الاسبان بأهالي الحامة ، سعى الغرناطيون الى السلطان ، وطلبوا منه تقديم المساعدة و النجدة لأهالي الحامة [٧] ، الا ان السلطان لم يكن متفرغاً لذلك فقد كان منغمسا في ملذاته ، وكان وزيره المتخاذل يجاريه في ذلك ، الا ان الضغط الشديد من قبل السكان ادى بالتالي الى خروج السلطان ووزيره على رأس جيش حتى وصلوا الحامة ، و بعد قتال شديد اوشك المسلمون خلاله على استرجاع المدينة لولا صدور الاوامر من السلطان والوزير بالتراجع ، فلما رفض الجيش الرجوع ، قال السلطان والوزير لهم، ((**اذا كان غدا ندخل عليها اول النهار ، لأن الليل قد اقبل ، ودخل علينا**))[٨] .

---

[1] Prescott , William H. Op. Cit , P.115

[2] J.M. Op. Cit ., P. 270.

[3] S.M. Op.Cit., P 183.

[٤] لقد عانى المسلمون كثيرا من سقوط المدينة حتى أُلفِّتْ المقطوعات الشعرية الرومانسية التي تغني بها الاسبان طوال القرن السادس عشر ، و من هذه المقطوعات التي تحرك القلوب ((ويلي على الحامة)) . بيدال، ارامون مندث، اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية و الاسلام ، تعريب ، لطفي عبد البديع يحيى ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، العدد الاول ، السنة الاولى ، (مدريد – ١٩٥٣) ، ص٢٠.

[٥] ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص١٨٧.

[٦] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٢ .

[٧] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٥٢ .

[٨] م. ن. ، ص٥٣ .

بات المسلمون بأنتظار الصباح ليدخلوا الى المدينة ، وبات الاسبان طوال الليل يصلحون الثقوب التي احدثها المسلمون في النهار ،وهكذا خاب امل المسلمين في الصباح عندما وجدوا ان كل ما هدموه في السور قد اصلح [١] ، عند ذلك قرر المسلمون البقاء ومحاصرة الحامة ، ((**فأقبلت وفود المسلمين من كل ارض من بلاد الاندلس ... و فتحوا الاسواق للبيع و الشراء ... وجلبوا لأسواقهم كل ما يحتاجون اليه من الاطعمة والعلف والزاد ، وحاصروا العدو حصارا شديدا و منعوا عليه الماء والحطب والداخل والخارج))** [٢] .

حاول اربعون من الفرسان المسلمين تسلق الاسوار ولكن تم اكتشافهم من قبل الاسبان واجهضت محاولتهم ، الامر الذي ادى الى ترك الحامة بأيدي الاسبان [٣] والانسحاب المفاجئ.
وقد يسأل سائل اذا كان السلطان ابو الحسن علي قد عمل على حصار المدينة ، فما الذي دفعه للأنسحاب ؟
ان سبب الانسحاب ان المسلمين عندما تقدموا بأتجاه الحامة لم يكونوا قد اصطحبوا معهم المدفعية التي كانوا يستخدمونها في دك الاسوار و الحصون ، بسبب استعجالهم في التحرك، هذا من جانب ، ومن جانب اخر ، فقد علم السلطان الغرناطي ، ان هناك نجدة قادمة لمساعدة الاسبان الذين هم في الحامة ، واذا ما وصلت هذه النجدة فأن جيشه سيصبح في وسط قوتين معاديتين ويصبح هو وجيشه في خطر لذلك ، آثر المغادرة تجنبا للمخاطر التي من الممكن ان تحصل اذا وصلت قوة الانجاد الاسبانية [٤].

بهذا الانسحاب اصبح الان مفتاح غرناطة بأيدي الاسبان ،وذلك لقرب هذا الحصن من غرناطة ، فأصبحت الحامة في وقت لاحق قاعدة لشن الهجمات على المسلمين وفتح باقي المناطق المهمة [٥] .

بعد ان عرف السلطان ابو الحسن علي فيما بعد بأنسحاب قوات الاسبان وترك حامية قليلة في الحامة تتكون من مجموعة من الفرسان والرجال المسلحين ، يقودهم الدون ديجو مارلو (Don DiegoMarlo) ، عاد مرة اخرى الى الحامة الا انه اصطحب هذه المرة المدفعية التي كان

---

[1] Prescott , William , H. , Op. Cit , P.115.

[٢] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٥٤.

[3] Prescott , William , H. , Op. Cit , P.115.

[4] Prescott , William , H. , Op. Cit , P.117.

[5] Poole -Stanley Lane , Op.Cit., P.235.

بحاجتها في المرة السابقة ، وبعد ان وصلت هذه الانباء الى الاسبان تخوفوا كثيرا ، واختلفت اراؤهم ، لكنكثيراً منهم نُصِح بترك القلعة و الانسحاب ، ولكن الملكة ايزابيلا لم تكن تضحي بمثل هذه القلعة المهمة جدا بالنسبة لها ، اذ كانت تخطط لأنهاء المسلمين تماماً فكان ردها **((المجد لايمكن ان يكون بدون خطر))** (١) فقام فرناندو بتجهيز جيش كبير وتقدم الى الحامة ، و بعد ان سمع ابوالحسن بهذا النبأ ترك الحامة مرة اخرى (٢) .**((فلما رأى العدو .... ان المسلمين قدعجزوا عن اخذ الحمة و نصرة من فيها من الاسارى وقع له الطمع في بلاد الاندلس فأخذ في الاستعداد))**(٣) .

فشل محاولة الاسبان في السيطرة على مدينة لوشة

كان نتيجة هذا الاستعداد ان هاجم الأسبان مدينة لوشه Loga نفس العام الذي سقطت فيه الحامة (٨٨٧هـ /١٤٨٢م) ، فاعدوا قوات عسكرية كبيرة ، واحضروا معهم مدافع كبار ، لأخذ المدينة و ضمها الى جانب الحامة لتكون تحت سيطرتهم (٤) ،الا ان الحامية التي كانت في مدينة لوشة وقائدها الشيخ علي العطار (٥) هاجمت الاسبان **((وقتلوا كثيراً من النصارى ، واخذوا لهم من من تلك العدة التي ضربوا بها من الانفاط ، وغير ذلك من عدة الحرب))**(٦) حاول النصارى اعادة اعادة الكرة في اليوم الثاني الا ان المسلمين قويت عزيمتهم بوصول امدادات من مسلمي غرناطة ، فقاموا بمهاجمة الاسبان وتمكنوا من الانتصار عليهم ، حتى هرب الاسبان من المدينة (٧) .

في هذه الاثناء تمكن السلطان ابو عبد الله الصغير من الهرب من معتقله بتدبير من امه عائشة الحرة التي كانت معتقلة في حصن (قمارش) مع ولديها ، وهذا الحجز كان بتحريض من ثريا النصرانية التي كانت تحاول جعل ولاية العهد لولدها (٨) .

---

(1)Prescott , William , H. , Op. Cit , P.118.

(2)Ibid , P.118

(٣) مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٧٧ .

(٤) المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٤ .

(٥) حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٣ .

(٦) مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٥٧-٥٨ .

(٧) المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٤ .

(٨) مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص ٤٦-٥٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ عنان ، نهاية الاندلس، الاندلس، ص١٩٥-٢٠١ .

وصلت انباء هرب عائشة وولديها الى ابي الحسن عندما كان يقاتل دفاعا عن لوشه لذلك عجل بالرجوع الى غرناطة [١] ، الا ان الاوضاع لم تكن تسير على وفق ما يريد ، اذّ تمرد عليه ولده ابو عبد الله الصغير في غرناطة مما حدى به الى ان يهرب الى مالقة [٢]التي كانت تحت ولاية اخيه محمد الزغل ، كان المتمردين الذين يقودهم ابو عبد الله ، قد دخلوا الى غرناطة [٣] .

انتصارات ابي الحسن علي و محمد الزغل على الاسبان في مالقة

لم يكن ملوك قشتالة بعيدين عن هذه التطورات ، بل كانوا يترقبون الفرصة المناسبة التي تسمح لهم بالتحرك لضرب المسلمين ، فقد استغلوا سوء الاوضاع السياسية داخل السلطنة وانقسامها الى قسمين متخاصمين ، فهاجموا مالقة التي دافع عنها محمد الزغل ، مع وزيره ابي القاسم بنيغش ، اللذين تمكنا بمساعدة ابي الحسن علي من الانتصار على الاسبان في الشرقية [٤] Ajaryuia [٤] سنة (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) [٥] .

اسر ابي عبد الله الصغير وتدمير قواته من قبل الاسبان

هذا الانتصار الذي حققه محمد الزغل ، وابو الحسن علي في مالقة ، ادى الى ان يقوم ابو عبد الله الصغير بمحاولة مماثلة فهاجم [٦] مدينة قرطبة ، وتغلب على بعض الحصون والقلاع والقلاع [٧] ، وتمكن من ان يهزم الاسبان في معارك عديدة وعاد وهو محمل بالغنائم ، الا ان

---

[١] الكيالي ، سامي ، في الربوع الاندلسية ، مكتبة الشرق ، (حلب –١٩٦٣) ، ص٢٢ .

[٢] الكيالي ، سامي ، في الربوع الاندلسية ، ص٢٢ .

[٣] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٣–٢٤ .

[٤] الشرقية Ajaryuia ، شرق مالقة ، منطقة تحتضنها جبال كوتار Cutar . حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٤ .

[5] Prescott , William , H. , Op.Cit , P.118.

[٦] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٥٣ .

[٧] الحسيني ، محمد باقر ، اضواء على نهاية العرب في الاندلس ، ص١٠٨–١٠٩.

جيشا من الاسبان تمكن من اللحاق به قرب مدينة اللسانة Lucona *[1] ، لكن حاكم مدينة لوشه علي العطار عندما عرف بأنباء تعرض الاسبان لأبي عبد الله الصغير، حاول تقديم المساعدة ، ولاسيما انه كان في حالة هجوم تمكن من خلاله الدخول الى بعض المناطق التابعة للأسبان ، لم تكن هذه المساعدة مجدية لأن علي العطار تعرض الى هجوم مفاجئ اثناء مسيره في الطريق الى اللسانة ، قام به عدو علي العطار الاسباني الونسو دي اكيلار Alonso de Aguilar ، كانت نتيجة التحام علي العطار مع هذا الخصم هو ان قُتِلَ علي العطار [2] وبمقتله لم تصل المساعدة الى ابي عبد الله الصغير ، وبهذا دفع المسلمون خسائر كبيرة [3] ، فعندما التحم التحم الجيشان اخذت قوة المسلمين تتضاءل شيئا فشيئا ، ونتيجة ضغط الاسبان تمكن المسلمون من الانسحاب المنظم حتى وصلوا الى نهر شنيل Xenil فقد احتشد المشاة يحاولون عبور النهر، الذي ارتفع منسوب المياه فيه ، نتيجة هطول الامطار الغزيرة واصبح الكل يفكر في انقاذ حياته حتى السلطان ابو عبد الله اسر في هذه المعركة [4] . وبأسره عظم الامر على المسلمين ، فروعت غرناطة بهذا النبأ ، وأصبحت غرناطة بدون سلطان فأجتمع كبارها وزعماؤها واجمعوا على استدعاء ابي الحسن علي الذي فقد بصره[5] .

حاول ابو الحسن ان يتدخل لأنقاذ ولده ابو عبد الله من الاسر ، ليس بدافع الشفقة عليه بل ليكون ولده تحت متناول يده للتخلص من شره ، لذلك ارسل الى فرناندو بأنه يلتزم ببعض الشروط مقابل تسليمه ابنه ومن هذه الشروط ،

١- ان يدفع فدية كبيرة لمملكة قشتالة الموحدة مقابل اطلاق سراح ولده .

٢- ان يتم اطلاق سراح عدد من امراء الاسبان الاسرى الموجودين لدى سلطنة غرناطة[6].

هذا العرض الذي عرضه ابو الحسن علي على ملك قشتالة جوبه بالرفض لأن ملوك قشتالة اثروا الاحتفاظ بالأسير الذي نقل الى قرطبة [1] للحفاظ عليه اكثر ((**فكان ابو عبد الله**

---

* اللسانه Lucena ، هي بلدة صغيرة تقع في نطاق ولاية قرطبة ، جنوب شرقي مدينة قرطبة . عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٣ .

[1] طه ، عبد الواحد ذنون ، تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس ، دراسات اندلسية ، ص١٩٣-١٩٤ .

[2] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٠٧.

[3] م . ن ، ص ٢٧

[4] Prescott , William , H. , Op. Cit , P.126.

[5] الحسيني ، اضواء على نهاية العرب في الاندلس ، ص١٠٩ .

[6] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٤.

الصغير اميرا ضعيف العزم والارادة ، قليل الحزم و الخبرة ، لم يكن يتمتع بشئ من الخلال الباهرة التي تميز بها اسلافه و اجداده العظام من بني الاحمر ،... وقد الفى ملك قشتالة القوي في ذلك الامير الضعيف الطموح اداة صالحة يوجهها كيفما يشاء ، فأتخذه وسيلة لبث دعوته بين انصاره ومؤيدية في غرناطة وغيرها ، و ليقنع المسلمين بان الصلح مع ملك قشتالة خير وابقى)) [٢].

وبهذه السياسة تمكن الملكان الكاثوليكيان من تحقيق نواياهم العدوانية من خلال السلطان الاسير **((وادرك ملكا قشتالة في الحال ما للأمير الاسير من اهمية ، واخذا يدبران افضل الوسائل للأستعانة به في تحقيق ماربهما في سلطنة غرناطة))** [٣] .

عقد معاهدة سرية بين ابي عبد الله الصغير و قشتالة الموحدة سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م

حاولت السلطانه عائشة الحرة والدة ابي عبد الله التدخل في الامر لأنقاذ ولدها من الاسر، وارسلت بدورها سفاره ترأسها الوزير ابن كماشة ، الذي كان زعيم الفئة المناصره لأبي عبد الله ووالدته ، توجهت السفارة الى ملكي قشتالة ترجو أطلاق سراح ابي عبد الله الصغير مقابل الشروط التي يجدها ملك قشتالة مناسبة له ، واثمرت السفارة عن معاهدة سرية [٤]، وقع عليها ابو عبدالله الصغير مباشرة وهو في اسره في مدينة قرطبة [٥]. فضمت هذه المعاهدة السرية عدة شروط منها ،

١- ان يقدم ابو عبد الله الصغير الولاء والطاعة ، ويعترف بسلطان الملكين الكاثوليكيين عليه [٦].
٢- ان يدفع السلطان ابو عبد الله الصغير لملكي قشتالة الموحدة ، جزية سنوية تقدر بحوالي ١٢ الف دوبل [٧] ذهبي .
٣- الافراج عن اربعمائة اسير مسيحي يتواجدون في غرناطة يختارهم ملكهم ، ثم اطلاق سراح سبعين اسيرا كل عام لمدة خمس سنوات [١] .

---

(١) طه ، عبد الواحد ذنون ، تحالف الممالك الاسبانية ، ص١٩٤ .

(٢) الذنون ، عبد الكريم ، افاق غرناطة ، ص٤٨ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٦ .

(٣) عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٤

(٤) عنان ، نهاية الاندلس ،ص٢٠٤-٢٠٥.

(٥) عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١٤٥ .

(6) J.M. , Op. Cit, P.274 .

(٧) الدوبل Dobla ، عملة ذهبية اسبانية قديمة كانت تساوي عشر بزينت او بسيطان . حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٠ .

٤- ان يقدم ابو عبد الله الصغير ابنه الاكبر رهينة مع عدد من ابناء الامراء و الاكابر ضماناً لحسن ولائه [٢] .

٥- ان يسمح للجيش الاسباني بالمرور ضمن اراضيه لمهاجمة ابي الحسن علي و اخيه الزغل [٣].

و تعهد الملكان الكاثوليكيان من جانبهما لأبي عبد الله الصغير بما يأتي ،

١- الافراج عنه في الحال .

٢- عدم تكليفه بأوامر تخالف الشريعة الاسلامية

٣- تقديم المساعدة له لكي يتمكن من السيطرة على المدن الثائرة عليه في الاندلس ، و متى تم ذلك فأنها تغدو في طاعته .

٤- ان يتم العمل بموجب هذه المعاهدة مدة سنتين من الافراج عنه [٤] .

مهاجمة قشتالة حصون سلطنة غرناطة سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م .

حاول الاسبان استغلال الوقت واستغلال عدم استتباب الامن في داخل سلطنة غرناطة ، وعندما كان ابو عبد الله الصغير ما يزال في الاسر ، وجه الاسبان حملة كبيرة على حصون رنده وقد بدأت هذه الحملة عملها سنة (٨٩٠هـ /١٤٨٥م) على حصني قرطمة Gortama [٥]، وذكوين Coin [٦] ، فبعد ان سقط الحصن الاول وجد اهالي الحصن الثاني ان لا فائدة من المقاومة ، فطلبوا الامان [٧] .

---

[1] Prescott , William , H. , Op. Cit , P.127 .

[٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٥ .

[3] Prescott , William , H. , Op. Cit , P.127 ; J.M. , Op. Cit, P.274 .

[4] B. Trend (J) the civilization of Spain (London –1963) . P.4 ,

نقلا عن ، حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٢٨-٣٠ ؛ ينظر ايضا ، عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٥ .

[٥] قرطمة Cortama ، بلدة حصينة تقع الى الجنوب من مالقة و هي غير قرطبة في اعمال ريَّة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مح ٢ ، ص٣٢٥ ؛ ابن الخطيب ، معيار الاختيار ، ص٦٧ .

[٦] ذكوين Coin ، حصن غرب مالقة ، بناه عبد الرحمن الناصر سنة (٣٠٨هـ /٩٢٠م) و بسبب موقعه يتعرض للأعتداءات الكثيرة ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٥ .

[٧] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٥ .

سيطرة الاسبان على مدينة رندة

بعد سقوط هذين الحصنين اصبح الطريق الان آمنا للدخول الى رنده نفسها التي كان اهلها قد خرجوا لتقديم المساعدة والنصرة لأهالي حصن ذكوين ، ولم يعودوا بعد ، فتم محاصرة المدينة (٨٩٠هـ /١٤٨٥م) ،وضربت بالأنفاط وهدمت الاسوار ، الامر الذي ادى بأهلها الى ان يطلبوا الامان من الاسبان فسمح لهم بالخروج من المدينة [١] ، وذلك بسبب عدم وصول المساعدة من غرناطة لبعد المسافة بين المدينتين ، وبسقوط رنده سقطت تلقائيا كل الحصون القريبة منها ، وبذلك فقد جردت غرناطة من حصون دفاعية مهمة في الجهة الغربية ، حتى ان الاسبان صاروا يرددون بعد سقوط رنده والجهة الغربية لغرناطة ((**لقد كسر ملوك الكثلكة جناح النسر العربي الايمن**)) [٢] ، فاصبح تهديد غرناطة الان من جهة الغرب [٣] .

الصراع بين ابي عبد الله الصغير ومحمد الزغل واثره في العلاقات السياسية مع قشتالة الموحدة

وقف اهالي حي البيازين Albaicin الى جانب ابي عبد الله الصغير الذي كانت تدور حول شخصيته الشكوك و الاتهام بتواطئه مع الاسبان ، الا ان اهالي حي البيازين كان يهمهم الصلح بين سلطنة غرناطة و قشتالة طوال الوقت[٤] .

ان الصراع بين ابي عبد الله الصغير ، ومحمد الزغل حسب رأي الباحث كان له انعكاسات سياسية على الصعيد الخارجي لسياسة السلطنة الاسلامية من اهمها ،

١- ضعفت قوة السلطنة ولم تتمكن من الوقوف بوجه الاسبان.

٢- انقسام السلطنة الى قسمين الامر الذي سهل على الأسبان تحقيق اهدافهم .

٣- تزايد اطماع الاسبان في السلطنة ، نتيجة الفوضى التي كانت تسودها اثناء الحرب الاهلية بين هذين السلطانين .

---

[١] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٠-٧١ .

[٢] الجارم ، علي ، قصة العرب في اسبانيا ، ص١٦٩ .

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٦ .

[٤] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٣-٣٤.

محاولة الاسبان السيطرة على مدينة لوشة .

قام الاسبان بمهاجمة مدينة لوشة سنة (٨٩٠هـ /١٤٨٥م) مستغلين فرصة انشغال المسلمين في غرناطة بحربهم الاهلية [١]،وكانت لوشة بعد تقسيم السلطنة ضمن املاك ابي عبد الله الصغير،لذلك هب اهالي البيازين للوقوف الى جانب اهالي لوشة في دفاعهم ضد الاسبان[٢].

لم يكن لمحمد الزغل واهالي غرناطة أي موقف لنصرة لوشة ، لأنهم خافوا ان يكون الامر خطة مبيته بين ابي عبد الله الصغير والاسبان [٣].

قام فرناندو بالهجوم على لوشة **((ونصب عليها انفاطه وعدته ، واقترب اليها بجيشه وآلة حربه))**[٤] ، و كانت بحوزتهم مدافع قاذفة للأنفاط [٥] ، تمكن من خلالها الاسبان ان يهدموا الاسوار المحيطة بالمدينة الا انهم لم يتمكنوا من الاستمرار بالمقاومة ، ودخولها ، على الرغم من الدفاعات القوية التي ابداها اهالي المدينة **((ولما رأى اهل لوشة ما لا طاقة لهم به من شدة الحصار وكثرة جموع النصارى ، وتأخر اهل غرناطة عن نصرتهم طلبوا الامان))**[٦]، وشاعت الشائعات في غرناطة ان ابا عبد الله الصغير ما دخل الى لوشة الا لكي يسلمها لملك قشتالة ، و يجعلها فداء له [٧].

شروط المعاهدة التي عقدت مع مدينة لوشة سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م.

وعندما تم الاتفاق على الصلح الذي تسلم خلاله الاسبان لوشة التي عقدت فيها معاهدتان واحدة علنية و اخرى سرية ، واهم شروط المعاهدة العلنية هي ،

١- ان يؤمن اهل لوشة الذين يرغبون في مغادرتها في انفسهم ، وفيما يستطيعون حمله من اموالهم الى المدن الاندلسية الاخرى .

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٠٩ .

[٢] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٦ .

[٣] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٦ .

[٤] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٩ ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص١٩٥ .

[٥] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٧ ؛ ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص٢٠٨ .

[٦] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٧ .

[٧] سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس ، ص٣٩٧ .

٢- ان يسمح لمن شاء منهم ، ان يعيش في قشتالة ، واراغون وبلنسية .

٣- ان تسلم المدينة الى ملك قشتالة الموحده .

٤- اعادة جميع الاسرى الاسبان لوطنهم [١].

و بهذه الشروط تم تسليم المدينة ، ودخولها من قبل الاسبان في ٢٦ جمادي الاولى سنة (٨٩١هـ /مايو سنة ١٤٨٦م)[٢] واتجه معظم اهالي المدينة الى العاصمة غرناطة [٣] ، حاملين معهم ما يمكن حمله من الاموال ،والماشية ،والسلاح [٤] .

اسر ابي عبد الله الصغير مرة اخرى واطلاق سراحه مقابل شروط لصالح قشتالة

اما بالنسبة لأبي عبد الله الصغير فأنه اسر مرة اخرى ((**لم يسرح صاحب قشتالة الامير محمد بن علي ، بل حبسه عنده ليستأصل به بقية الاندلس**))[٥].

وتمكن محمد الزغل من الوقوف بوجه الاسبان ، ومتابعة الحرب ضدهم ، وتحمس اهالي غرناطة للدفاع عن اراضيهم ، وعندما هاجم فرناندو غرناطة تمكن محمد الزغل ان يصد هجومه ويفشله ، وتمكن من احراز نصر حاسم على كونت قبرة El Condede Cabra ، حول حصن مكلين حتى ان شعبية محمد الزغل قد ازدادت نتيجة لهذا النصر، واصبح له مؤيدون كثيرون فخافه الملوك الاسبان ، لذلك وجدوا ان فك اسر ابي عبد الله الصغير مقابل شروط [٦] يتعهد بها هو خير وسيلة لأشغال محمد الزغل عنهم ، ومن هذه الشروط التي عقدت مع ابي عبد الله سراً وهي كما تسمى (المعاهدة السرية) حيث ،

تعهد ابي عبد الله للملكين الكاثوليكيين بما يأتي ،

١- ان يحارب ابو عبد الله الصغير عمه محمد الزغل .

٢- ان يستعد ابو عبد الله الصغير لتسليم غرناطة ، عاصمة ملكه الى الاسبان ، اذا تمكنوا من اخضاع عمه محمد الزغل .

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٠ .

[٢] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٨٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٧.

[٣] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ٦٢ .

[٤] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٠ ؛ عبد الله ، خالد محمود ، معاهدات الصلح ، ص١٤٨ .

[٥] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٨٠ ؛ حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٦ .

[٦] حتاملة، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٦ .

٣- قبولـه بأسـتبدال لقبـه الحـالي – سـلطان الانـدلس –بلقـب دوق وادي اش ، اعترافـاً بتبعيته لملكي قشتالة الموحدة .

٤- ان تبقى بنود هذه المعاهدة (السرية) في طي الكتمان الى ان يتم اخضاع محمد الزغل [١].

و مما يرتاب فيه من امر ابي عبد الله الصغير بعد حوادث لوشة هو ،

١- كان يبذل جل جهده في الدعوة الى قضيتة والى مقاومة عمه (محمد الزغل) ونزعه عن العرش .

٢- كان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة .

٣- كان يشيد بمزايا الصلح المعقود مع الاسبان .

٤- كان يعلن تأييده للأسبان .

٥- كان يعمل بتوجيه من ملك قشتالة ، فهو اشبه بالة بيد ملكي قشتالة [٢]

اهم النشاطات العسكرية التي قام بها الأسبان ضد مسلمي غرناطة خلال مدة ٨٩٠-٨٩١هـ/١٤٨٥-١٤٨٦م .

اما اهم النشاطات التي قام بها النصارى خلال هذه المدة (٨٩٠-٨٩١هـ /١٤٨٦-١٤٨٧م) . أي بعد عقد المعاهدة المعقودة مع ابي عبد لله الصغير بعد اسره الاول ، ثم الافراج عنه في سنة (٨٩٠هـ /١٤٨٥م) ، ولاسيما ان الشرط الاخير فيها الذي يتعلق بأبي عبد الله الصغير يقول ، ان يستمر العمل بهذه المعاهدة عامين من تاريخ الافراج عنه (ابي عبد الله)[٣] ، فتلحظ عدم التزام النصارى بالمعاهدة وقد تم خرقها فوراً اذّ ان نشاطهم العسكري تمثل بما يأتي،

اولاً ، الهجوم المسلح على المنطقة الغربية لولاية مالقة ، والاستيلاء على حصن قرطمة وذكوين ، و حصون اخرى في شمال غربي مالقة [٤]

---

[١] اسعد ، حومد ، محنة العرب في الاندلس ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط٢ ، (بيروت –١٩٨٨) ، ص ١٣٤–١٣٥ ؛ حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٣٦ .

[٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٠ .

[٣] انظر بنود المعاهدة ، ص

[٤] مجهول ، اخر ايام غرناطة .

ثانياً ، مهاجمة مدينة رنده التي هي من امنع المواقع الجنوبية للأندلس ، وثم دخولها سنة (٨٩٠هـ /١٤٨٥م) ، و بسقوطها سقطت جميع الحصون والمواقع القريبة منها ، وهذا ما ادى الى انهيار الدفاعات الواقعة في المنطقة الغربية ، واصبح ثغر مالقة مهدداً من جهة الغرب [١].

ثالثاً ، مهاجمة حصن مكلين * Maclin ، الذي تمكن محمد الزغل – على الرغم من الظروف الصعبة والحرب الاهلية التي كانت تحيق به– من صد هجوم الاسبان من جهة الشمال الشرقي [٢].

رابعاً ، احتلال حصن قنبيل Cambil [٣] صلحاً ونتيجة لذلك فقد تم استسلام (حصن مشاقر [٤] Mujacar) .

خامساً ، هاجمت قوة اسبانية بقيادة فرناندو مدينة لوشه في اوائل سنة (٨٩١هـ /١٤٨٦م) فتصدى لهم ابو عبد الله الصغير وخسر المسلمون المدينة وعقدت معاهدتان سرية وعلنية [5].

سادساً ، شنت القوات الاسبانية حملات مكثفة على حصون [٦] عديدة خاضعة لسلطنة غرناطة وتم اسقاطها وفتحها بالقوات الاسبانية تمهيداً لأحتلال السلطنة واسقاط عاصمة غرناطة [٧] ، وقد تم احتلال هذه القلاع بأستخدام انفاط قذفت على الحصون [٨] .

ويتضح ان اهتمام ملكي قشتالة بالسيطرة على هذه الحصون ، لأنها تعد نوافذ مهمة لدخول غرناطة و السيطرة عليها اذ يتم السيطرة على الجهتين الشرقية والغربية وبذلك يمكن تطويق السلطنة الاسلامية من كل الجهات ومحاصرتها عسكرياً واقتصادياً .

هذه العمليات تتم بعد اشعال الحرب الاهلية الداخلية بين السلاطين الغرناطيين بعد ان تم احتلال القلاع و الحصون والمدن الانفة الذكر ، رجع الملك فرناندو الى قشتالة وترك حاميات على

---

[١] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٥ .

* مكلين Maclin، حصن يقع على بعد ٣٢كم شمال غرب غرناطة ؛ عنان ، الاثار الاندلسية الباقية ، ص٢١٨.

[٢] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧١-٧٤ .

[٣] قنبيل Cambil ،بلد من اعمال غرناطة ، ابن الخطيب، اللمحة البدرية ، ص٧٢ ؛ الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج٤ ، ص٥٥٤ . مجهول ، اخر ايام غرناطة،ص٧٥ . للتفاصيل ينظر ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٦، ص٥٧٤ .

[٤] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٥ ؛ هامش ٣ ، ص٧٦ ، هامش ١.

[٥] ينظر الرسالة ، بنود المعاهدتين ، ص٢١٢.

[٦] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٧٧-٨٤ .

[٧] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٨ .

[٨] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١١-٢١٢ .

كل منطقة تم اسقاطها ، ليعود فينفذ الجزء المهم من خطته لأحتلال غرناطة ، الا وهو اطلاق سراح ابي عبد الله الصغير في سنة (٨٩٢هـ /١٤٨٦م)[١] بعد ان تم الاتفاق معه على كل الامور الواجب تنفيذها مقابل اعادته الى العرش وبأعلان الحرب الاهلية التي تهز البلاد سوف تضعف سلطنة غرناطة وتسقط بيد الاسبان دون جهد [٢].

اطلاق سراح ابي عبد الله الصغير واثره في العلاقات السياسية .

صدرت التعليمات الى ابي عبد الله الصغير اثناء اطلاق سراحه بالتوجه الى الشرق من غرناطة **((كيدا منه [فرناندو] ومكرا ليجعل الحيلة على تلك الجهة))**[٣] ، فقد تعاهد معه ان **((من دخل في حكمه فهو في الامان القادم))** [٤] ودخل حصن بلش [٥] Velez ودعا الناس للدخول في طاعته لأن ملك قشتالة تعهد له ان من يدخل في طاعته فهو في امان تام من أي عدوان اسباني [٦] وعندما عرف اهل البيازين ارسلو اليه يبايعونه وأعرض اهالي المناطق الشرقية عن مبايعته عندما ارسل لهم يدعوهم الى الدخول في طاعته **((فلم يقبل منه احد ، و لم يقم بدعوته فردا))**[٧] .

---

[١] بول ، استانلي لين ، طبقات سلاطين الاسلام ، ترجمة مكي الطاهر الكعبي ، تحقيق ، علي البصري ، نشر ، دار منشورات البصري ، (بغداد ، ١٩٦٨)، ص٣٦ .

[2] Joseph . Jackson . Op. Cit. , 61 .

[٣] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٨٤ .

[٤] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٨ .

[٥] بلش Velez، بالفتح وتشديد اللام ، والشين معجمة ، بلد في الاندلس وتقع شرقي مالقة على بعد ٣٠كم شرقاً ، تبعد عن البحر ٥ كم ، من امنع القواعد الاسلامية . الحميري ، من كتاب الروض المعطار، ص١٢٢ مع هامش رقم ٣ من الصفحة نفسها.

[6] Joseph . Jackson . Op. Cit. , 16 .

[٧] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٨٤ .

مهاجمة الاسبان مدينة مالقة و السيطرة عليها (١٤٨٦/٨٩٢).

دخل ابو عبد الله الصغير مع انصاره حصن البيازين [١] الذي وافق معظم اهله على الصلح مع النصارى [٢] وقد امده حليفه فرناندو بعد دخوله البيازين بالرجال والمؤن والعدد والذخائر ومنها الانفاط[٣] هاجم محمد الزغل الذي ايدته كل من بسطه والمنكب ووادي اش، والمرية ومالقة [٤] .

وتحالفوا على ان يكونوا يداً واحدة على [٥] ابي عبد الله الصغير في حي البيازين و دارت رحى الحرب التي كادت ان تكون لصالح محمد الزغل [٦] لولا المساعدات العسكرية التي ارسلها فادريك Fadriquel دوق البا Elba و كان قائدها صديق ابي عبد الله الصغير منذ ايام اسره الاول [٧] وجمعت قوة لمحاصرة مالقة برا وبحرا في جمادي الاخرة عام (٨٩٢هـ /١٤٨٦م)[٨] .

تحصن المالقيون داخل المدينة بقيادة حامد الثغري [٩] فحاصر الاسبان مناطق اخرى تابعة لحكم الزغل [١٠] الذي كان يقاتل من منطقة وادي اش ضد ابي عبد الله الصغير ، وعندما وردته اخبار محاصرة الاسبان لمالقة ، اسرع اليها بعد ان ترك [١١] بعض جيشه يقاتل ضد اهل البيازين [١٢] .

لقد كان الدفاع عن مالقة بطولي ، كانت ضربات المدفعية الموجهة ضدها تدك ابراجها وجدرانها بقوة وكانت قوة الاسبان سبعين الف مقاتل مقاتل وفي تزايد مستمر ، وكان الاسطول في

---

[1] Conde , History of dominion of the Arabs in Spain (London –1954) , P.86.

[٢] لودينغ هاغيميان ، المسيحية والاسلام تاريخ المواجهات ، ترجمة محمود مكي ، (بيروت –٢٠٠٠) ، ص٢٦.

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٣ .

[٤] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢١٣ .

[٥] شاهين ، طلعت ، احتضار الاندلس ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد / ٤٨ ، السنة الثانية ، (ابو ظبي – ١٩٩٨) ، ص٨ .

[٦] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة التحديات ، ص١٧٣ .

[٧] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٤٠ .

[٨] فرحات ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، ص٦٢ .

[٩] المقري ، ازهار الرياض ، ج١ ، ص٦٦ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٩ .

[١٠] الذنون ، عبد الكريم ، افاق غرناطة ، ص٥٠ .

[١١] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٣ .

[12] J.M. Op. Cit . P.277 .

الساحل يقذف بكرات نار حديدية تسقط فوق المدينة [١] ،وعلى الرغم من المقاومة الشديدة التي ابداها اهالي مالقة الا ان شدة الحصار ،والجوع ،وعدم وصول الامدادات بسرعة ادى الى سقوط المدينة و استسلامها سنة (٨٩٢هـ /١٤٨٦م)[٢] وهكذا تفرق اهلها الذين انتشروا في الاندلس والمغرب [٣] .

دخول محمد الزغل في طاعة مملكة قشتالة

ان سقوط هذه المدينة يعد انتصاراً كبيراً لملك قشتالة اذ اصبحت جميع المدن الغربية خاضعة للأسبان ((**و لم يبق في تلك النواحي للمسلمين موضع واحد**))[٤] ، وبعد ان سلمت المدينة على وفق شروط ، أهمها ان يأمنوا على انفسهم واموالهم ، الا ان فرناندو وكالعادة انقض الشروط و استرق اهل مالقة المسلمين ، واستباح المدينة على ابشع صورة [٥] ، وقام ابو عبد الله الصغير بتقديم التهاني للملكين الكاثوليكيين بمناسبة سقوط المدينة [٦] .

لم يجد محمد الزغل بدا من الدخول تحت طاعة الملكين الكاثوليكيين والانضواء تحت لوائهما لم يبق امامه الا ان يناور في غيظ و ضيق ، فأتفق مع الملكين الكاثوليكيين [٧] على ،

١- الانضواء تحت لوائهما ، نكاية بأبن اخيه ابي عبد الله الصغير .
٢- قام بتقديم مدينة وادي اش وجميع الاراضي الواقعة بين وادي اش وغرناطة واراضي كثيرة واقعة تحت حكمه ، بحجة انه ليس لديه جيش يمكّنه من الدفاع عن هذه الاراضي .

مقابل هذه التنازلات فقد قدم له الملكان الكاثوليكيان وعوداً هي ،

١- منحه الملكان الكاثوليكيان – مكافأة له – الاذن بالبقاء في المدينتين الباقيتين له وهما بسطه والمرية.

---

(1)S.M.Imamuddin, Op. Cit. P.184 ; J.M. Op. Cit., P-227 .

للتفاصيل اكثر ينظر Poole Stenly Lane , Op. Cit. P.252-254

(٢) عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢١٦ .

(٣) ينظر بطولة العرب في الدفاع عن مالقة ؛ مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٩٢-٩٥ .

(٤) مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٩٤.

(٥) م. ن ، ص٩٤-٩٥ . هامش ٤

(٦) العبادي ،احمد مختار ، المجمل في تاريخ الاندلس ، ص١٩٣ .

(٧) حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٤٢ .

٢- ان يخصص له الملكان الكاثوليكيان ايرادات وموارد لكي يقضي بقية عمره في مدينة المرية [١] .

مهاجمة مملكة قشتالة لمدينتي بسطة و المرية (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) .

بعد فشل محاولة امير قادس في افتتاح بسطة والمرية ، قام الملكان الكاثوليكيان بنقض وعودهما لمحمد الزغل ومهاجمة بسطة في السنة التالية في ذي الحجة (٨٩٤هـ / ١٤٨٨) وضرب الحصار عليها [٢] ، الا ان المسلمين الذين دعاهم محمد الزغل للدفاع عن بسطة ، تجمعوا في وادي اش ،والمرية ، والمنكب [٣] حتى بلغوا عشرة الاف مقاتل من المرية وحدها بقيادة يحيى النجار الذي عين قائدا للدفاع عن بسطة [٤] استعان المسلمون في الدفاع عن بسطة التي صمدت لمدة ثلاثة اشهر [٥] . وعندما لحظ ملك قشتالة المسلمين قد استماتوا في الدفاع عنها وعن وعن المرية ، لاسيما يحيى النجار قرر فرناندو التوجه الى ثغر المنكب الذي سقط بعد ثلاثة اشهر من المقاومة الباسلة لأهله ضد الاسبان و كان ذلك سنة (٨٩٥هـ /١٤٨٩م) ، وكانت هناك في الوقت نفسه مجموعة من قوات النصارى تحاصر المرية والتي سقطت ايضا في العام نفسه حيث اجتهد فرناندو في اسقاط المرية لأهميتها في خطوة لاحقة هي سقوط غرناطة [٦] .

عقد اتفاقية بين يحيى النجار امير بسطة و ملكي قشتالة

بعد ان اصبحت احوال المسلمين تتفاقم سوءا يوما بعد يوم ، ومع المقاومة التي ابداها قائد المرية وبسطة من قبل محمد الزغل ، الا انه في سنة (٨٩٥ هـ /١٤٨٩م) قام بتوقيع اتفاقية استسلام بسطة بصفته وسيطاً بين محمد الزغل والملكين الكاثوليكيين ، وذلك بحكم علاقته الطويلة

---

[١] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٤٢

[٢] المقري ، نفح الطيب ج٤ ، ص٥٢١ ؛ ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص٢٢٧ .

[٣] ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص٢٢٧ .

[٤] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٥ .

[٥] سالم ، عبد العزيز ، في تاريخ حضارة الاسلام في الاندلس ، ص٤٠٠ .

[٦] سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ مدينة المرينة الاسلامية (قاعدة اسطول الاندلس) ، ط١ ، دار النهضة، (بيروت -١٩٦٩) ، ص١٥٥ .

مع الاسبان [١] . فأراد ان يكسب بعض الامتيازات له ولذويه من بعده وهكذا بعد الاخلاص في الدفاع عن مدينته فأنه وقع في اغراء العدو ليصبح خائناً مارقاً .[٢]

فكان ان قدم فرناندو عرضا مغريا ليحيى النجار نلخصه بالأتي ،

١- سيقوم فرناندو بأستقباله تحت حمايته هو وولده وابناء عمه ، وينزلهم في داره .

٢- ان فرناندو سيقوم بمعاملتهم كما يعامل اشراف مملكته ويدافع عنهم وعن املاكهم واتباعهم .

٣- اذا اراد يحيى النجار اعتناق النصرانية فأن فرناندو سيكتم ذلك طوال مدةالفتح ليمنع ما يقال عنه من سوء الاقوال .

٤- ان يهبه فرناندو كل الاملاك التي يرثها من والده امير المرية .

٥- لا يدفع هو وابناؤه وابناء عمه واعقابه وحشمه ، أي مغرم او جزية الى الابد .

٦-و احتراماً لشخصه يسمح له بأصطحاب عشرين فارساً بسلاحهم ، ويتجول بهم اينما يريد في انحاء المملكة ، ويتمتع ولده بمثل ذلك بعد وفاته .

٧- اذا تم اقناع محمد (الزغل) من قبل يحيى النجار بالتنازل عن وادي اش ، فأن ملك قشتالة يهب ليحيى دخلا قدره خمسمائة وخمسون الف مرافيدي ، واذا تم تسليم وادي اش في الموعد المتفق عليه فيعطيه فرناندو هبة عشرة الاف ريال[٣] .

يتضح من خلال نصوص الوثيقة مع يحيى النجار الدور التامري والمصلحة الفردية على حساب اهالي بسطة و المرية وعلى حساب السلطان محمد الزغل ايضا ، فخان هذا القائد المبادئ واشترى دنياه على حساب دينه و مصلحة غيره ، وكان فرناندو يفتش عن امثال هؤلاء من ضعاف النفوس لتحقيق غايته ، للعلم انه كان يجب عليهم ان يعرفوا من خلال التاريخ السابق للسلطنة ان فرناندو لا يفي بوعده ، بل انه حالما يتحقق ما يريد فأنه يخلف وعده للمسلمين .

تم توقيع اتفاقية تسليم بسطة سنة (٨٩٥هـ /١٤٨٩م) وحصل اهلها على عهدين فقط من الاسبان هما ،

١- ان يأمنوا في النفس والمال . [٤]

٢- الاحتفاظ بدينهم وشريعتهم وعوائدهم [١].

---

[١] حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٤٣ .

[٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٥ .

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٦ .

[٤] مجهول ، اخبار العصر (طبعة مولر) ، ص٣٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥٢٢ .

تم تسليم المدن والقلاع القريبة من بسطة للملكين الكاثوليكيين [٢] هذا ما يخص بسطة واحوازها ، اما مدينة المرية التي استسلمت في يوم ٢٧،محرم ،٨٩٥هـ /٢١ديسمبر ١٤٨٩م)[٣] فأنها حصلت على وعود من فرناندو وهي ،

١- ان لايولى عليهم يهودي .

٢- ان لا يدخل نصراني في الجماعة .

٣- ان يختار الاولاد الذين يولدون من نساء من النصارى الدين الذي يريدونه لأنفسهم عند البلوغ .[٤]

وبأستسلام بسطة والمرية لم يبق في المنطقة الشرقية لغرناطة وقواعدها الامدينة وادي اش مقر محمد الزغل التي يحاول يحيى النجار بحسب ما خطط مع فرناندو -ان يقنع محمد الزغل بتسليمها في موعد هو سنة (٨٩٥هـ /١٤٨٩م) .

كان محمد الزغل يترقب الاحداث عن كثب ويرى تساقط الحصون والمدن الغرناطية تباعاً دون منجد من قريب أوبعيد لذا اتجه الاسبان الى وادي اش معقله الوحيد [٥] ، ويبدو ان نصح النجار لمحمد الزغل وحيلته في تسليم وادي اش قد اتت أُكُلُها ، اذ وافق محمد الزغل على العرض الذي عرضه عليه صهره بالأنضواء تحت لواء ملك قشتالة [٦] .

تسليم محمد الزغل مدينة وادي اش للقشتاليين

ويمكن القول ان محمد الزغل الشجاع الذي طالما دافع عن اراضي السلطنة والمحبوب من قبل شعب غرناطة ، لم يكن ليوافق على الأنضواء تحت حكم ملك قشتالة ويسلم مدينة وادي اش لولا فقدانه الامل نهائيا في امكانية نجاح الدفاع عن المدينة ، لأنه معروف بالبسالة والدفاع عن الاسلام و معاداته للأسبان .

هناك عوامل عديدة ادت بمحمد الزغل الى ان يقوم بتسليم المدينة الى الاسبان ومن هذه العوامل ،

---

(١) عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٦

(٢) مجهول ، اخبار العصر طبعة (مولر) ، ص٣٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥٢٢ .

(٣) حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٤٣ .

(٤) عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٧.

(٥) م. ن،ص٢٢٧ .

(٦) مكي ، محمود ، تاريخ الاندلس السياسي ٩٢-٧٩٨هـ /٧١١-١٤٩٢م، (موسوعة الحضارة العربية الاسلامية)،)، تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي ،مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت -١٩٩٨) ، ص١٣٥.

١- سقوط المدن والقلاع المحيطة بمنطقة وادي اش .[١]
٢- حدوث الخيانة بين صفوف جيشة وكثرة العملاء والجواسيس[٢] .
٣- الموقف الخياني لأبي عبد الله الصغير ضد الزغل ، حيث كان ابو عبد الله الصغير يتربص به [٣] .
٤- انفضاض الاعوان عنه وقلة من بقي معه من الجند ، اذا ما قورنت اعدادهم بأعداد جيش الاسبان [٤] .
٥- اراد ان ينقذ مدينة وادي اش من الدمار الذي يحل بالمدن بعد دخولها من نحو السبي والقتل والاضطهاد [٥] .

شروط تسليم مدينة وادي اش في سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م

تم دخول الأسبان الى وادي اش في اوائل صفر (٨٩٥هـ /١٤٨٩م) ، وعقد محمد الزغل معاهدة سرية على غرار المعاهدة التي عقدت مع يحيى النجار ، وقدمت له منحاً وتنازلات كثيرة و ندرج بعض ما تضمنته المعاهدة ،

١- ان يستقر محمد الزغل سيداً في مدينة وادي اش وما اليها .
٢- ان يكون له الف تابع من ابناء وطنه .
٣-ان يمنح معاشاً سنوياً كبيرا .
٤- ان يمنح دخل نصف واردات بلدة الملاحة .
٥- ان يرسل في احضار ابنائه الامراء من غرناطة نظرا لخصومتهم مع سلطانها .
٦- ان تكون جميع املاكه واملاك ذويه في غرناطة حرة من كل حق ومغرم .
٧- ان تكون هذه العهود ملزمة لملكي قشتالة ولعقبهما من بعدهما .
٨- ان يوافق البابا على هذه العهود .[٦] وهذا دليل على اثر البابا الكبير في الاحداث السياسية في اسبانيا .

---

[١] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٩٢-١٠٠ .

[2] J.W.Op.Cit , P.276.

[٣] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة تحديات ، ص١٨٤ .

[٤] لودينغ ، هاغيميان ، المسيحية والاسلام ، تاريخ المواجهات ، ص١٧ .

[٥] م . ن ، ص١٧ .

[٦] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٧ .

ان المتفحص في نصوص المعاهدة يجد ان المعاهدة السرية في تسليم وادي اش ضمنت حقوقاً لمحمد الزغل ، دون أي ذكر لمعاهدة اخرى تضمن تعهدات لشعب وادي اش ولم تكن هناك فقرة من فقرات المعاهدة تنص على شيئ لشعب وادي آش ، لا ادري ان كان محمد الزغل قد وافق على ذلك دون ان يطلب شيئ لشعبه الذي ناصره كل ايام المحن والكروب ضد الاسبان وضد خصومه من سلاطين غرناطة . ام انه قد ضمن له بعض العهود والمواثيق دون ان تصل الينا .

وهنا يناقش الاستاذ محمد عبد الله عنان[1] رواية لصاحب كتاب اخبار العصر مفادها ان تسليم مولاي محمد الزغل لملك قشتالة كان نوعاً من الخيانة المقصودة ، وانه تنازل هو وقواده عن البلاد التي كانت تحت ايديهم طوعاً ، لكي ينتقم محمد الزغل من ابن اخيه الامير ابي عبد الله الصغير صاحب غرناطة ، وبذلك تصبح غرناطة وحدها تواجه مصيرها المحتوم دون ناصر و ينتهي امرها ، يقول الاستاذ انه لا يتفق مع هذه الرواية لأن الزغل له ضروب من العزم والبسالة والشهامة والغيرة الاسلامية وانه استسلم وخضع حتى ينقذ ما يمكن انقاذه، نزولا عند حكم الظروف القاهرة التي لا يستطيع مغالبتها .

ولا يجد الباحث اعتراضاً على بسالة محمد الزغل وشجاعته وقتاله ضد الاسبان ولكن ننسى خضع لملك قشتالة قبلُ، وذهب الى بلاطه في تمرده على اخيه ابي الحسن علي كما مرّ ذكره ، وانه تنازل عن املاكه وحقوقه التي اتفق عليها مع فرناندو لفرناندو نفسه، وكان بإمكانه ان يبيع حقوقه الى ابن اخيه لكي تصمد سلطنه غرناطة بوجه اعدائها الاسبان اطول مدة ممكنة، وعليه ان يتناسى الخلافات مع ابن اخيه للمصلحة العامة ويغادر المغرب بعد ان يتفق مع ابن اخيه كما تمت اتفاقات سابقة بين سلاطين غرناطة اشترك هو في ومنها اتفاق بينه وبين اخيه ابي الحسن علي ، واتفاق بينه ايضا و بين ابن اخيه ابي عبد الله الصغير في تقسيم السلطنة فكان بأمكانه الاتفاق مع ابي عبد الله الصغير دفع مبلغ معين مقابل املاكه وان لا يبيعها الى اعدائه ، ويقوي شوكتهم. ولاسيما ان هناك من يقول ((**ان نفسه لم ترض بالهوان وابت عليه كرامته ان يعيش ذليلا تحت حكم النصارى فتنازل بعد مدة من الوقت لفرناندو عن حقوقه وامتيازاته وغادر**)) [2] .

---

[1] م. ن ، ص٢٢٨ .

[2] حبيب ، بهاء موسى ، دور غرناطة في مواجهة تحديات ، ص١٨٥ . و حول مصير الزغل . ينظر ، الغنيمي ، عبد الفتاح ، مقلد ، مأساة الفردوس المفقود ، ص٣٧٠ .

وهكذا اصبحت العاصمة غرناطة وحيدة اذ ان حصون السلطنة ومدنها وقلاعها كلها أسقطت بأيدي الاسبان و شحنت بالرجال الاسبان و العدد للحصار و القتال [1] ولاسيما تلك القريبة من العاصمة لتكون قاعدة انطلاق لحصار غرناطة مستقبلا .

وبحسب ما تقدم يمكن القول ان اسبانيا خلال هذه المدة حاولت خلق الخلافات بين امراء وسلاطين غرناطة ، من خلال ايوائها المنشقين و تقديم المساعدات لهم سواء أكانت عسكرية ام مادية في سبيل زيادة هوَّة الخلاف بينهم لأمتصاص قوة السلطنة واحباط قدراتها العسكرية والدفاعية ، وخلال مدة صراع السلاطين تقوم قشتالة بمهاجمة المناطق التابعة لغرناطة وتحاول مهاجمة المناطق الاكثر تأثيرا فيها من الناحية السياسة والبعيدة عن مركز السلطة لكي تتأخر الامدادات عن الوصول لأنقاذ أي حصن او مدينة او قلعة وبذلك تساقطت المدن والقلاع والحصون الواحدة تلو الاخرى بأيدي الاسبان حتى اصبحت الكثير منها تسلم بدون مقاومة ، حيث لجأ الاسبان الى تقديم الوعود الكاذبة مقابل التسليم وعقد المعاهدات يعطي خلالها الاسبان وعودا سرعان ما يخلفونها ، و يقومون بضرب المسلمين مرة اخرى ، حتى تحققت من خلال ذلك معظم الاهداف المرسومة لهم ، فسقطت المنطقة الغربية وقلاعها ،في الوقت الذي كانت فيه المدن الشرقية للسلطنة تعاني من صراعات شديدة بين افراد الاسر الغرناطية التي تدعم فئة منهم مملكة قشتالة ، وهكذا بقيت مملكة قشتالة على الدوام تسعى للحصول على عميل داخل غرناطة لتخريب الجبهة الداخلية ،وزيادة الانقسام ، الاّ ان بعض الامراء قدموا تنازلات كبيرة على حساب مصالحهم الخاصه دون التفكير بمصلحة الشعب ، وبهذا ظلت مدينة غرناطة وحدها دون ناصراً ومعين من الداخل او الخارج .

---

[1] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص٩٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٥ ، ص٥٢٢ .

المبحث الثاني

العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة ومملكة قشتالة الموحدة خلال الفترة

(٨٩٦-٨٩٧هـ/١٤٩٠-١٤٩١م).

لم يبق امام الاسبان الا غرناطة لأتمام عملية الاسترداد ، علماً ان غرناطة [١] لم يبق منها الا رمز يتمثل بكيان سياسي هزيل ، وبعد سقوط المدن والقلاع في المنطقة الجنوبية والشرقية وجد فرناندو وايزابيلا الفرصة مناسبة للأنقضاض على السلطنة بضربة قاضية [٢] .

كان ابو عبد الله فرحاً بسقوط عمه محمد الزغل ، فقد هتف فرحا بوجه الرسول الذي زف اليه خبر خسارة محمد الزغل قائلا : **((من الان فصاعدا ... حظي ... قد انعدل))**[٣] .

مطالبة فرناندو ابا عبد الله الصغير بتسليم غرناطة

ان القوة التي انهت نشاط عمه محمد الزغل السياسي نهائيا ، توجهت اليه الان ، ونسي انه عندما تحالف مع الاسبان لأزاحة عمه محمد الزغل الذي سلم وادي اش والمرية يتوجب عليه هو ان يسلم غرناطة الان [٤] وبالفعل فقد طلب منه الاسبان تسليم غرناطة عام (٨٩٦هـ /١٤٩٠م)[٥] ، و لما رفض ابو عبد الله الصغير ذلك اتخذ الاسبان من هذا الرفض حجة لمهاجمة السلطنة [٦] وصمم ابو عبد الله الصغير عند ذلك على أن يتخذ جانب الحرب الدفاعية للحفاظ على ملكه [٧] ، وعندما ارسل فرناندو لأبي عبد الله يذكره بأن شروط تسليم غرناطة قد ان اوانها اذ سقط محمد الزغل وعليه تسليم غرناطة بحسب الاتفاق بينهما ، فرجاه عند ذلك ابوعبد الله الصغير

---

[١] مخلوف ،احمد بن محمد ، شجرة النور الزكية ، التتمة ، ص١٥٠ .

[٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٢٩ .

[3] Poole Stanley Lane . Op. Cit., P259 .

[4] Ibid . P. 260 .

[5] S.M. Imamuddin , Op. Cit. , P.184.

[٦] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٤٥٥ .

[٧] الغنيمي ، عبد الفتاح ، ماساة الفردوس المفقود ، ص٣٧١ .

ان يتريث الا ان رفض فرناندو جعل ابا عبد الله الصغير يختار الحرب [١] ، لقد كان فرناندو الذي يحاول السيطرة على السلطنة جاداً هذه المرة في اسقاطها ، لان الفرصة مناسبة تماما لعمله ، ولم يكن هدفه اخضاع المسلمين ، بل كان هدفه اقتلاعهم نهائيا من اسبانيا، تحقيقاً لأهداف الكنيسة الكاثوليكية وبناء مجدها[٢].

مهاجمة الاسبان لمدينة غرناطة

اكتسح حوالي ٣٠ الف رجل الحقول [٣]في سهل غرناطة الغنية بالحبوب والثمار [٤] ، **((فأحرق زرعها و دوخ ارضها وهدم قراها ..وقتل اناساً و اسر اخرين))**[٥]. وقامت عدة عمليات حربيه استبسل فيها المسلمون في الدفاع عن المدينة و مهاجمة جيوش مجهزة بأحدث الاسلحة [٦] ، كانت بداية هجوم الملكين الكاثوليكيين– على فحص غرناطة من جهة الجنوب للمدينة غرناطة – في ١٢ جمادي الاخرة (٨٩٦هـ /ابريل ١٤٩٠م) ، وقد كان هذا الجيش معسكراً على نهر شنيل و هو نهر يقع على بعد فرسخين من مدينة غرناطة ، ويصف الشاعر ابو العباس الدقون [٧] هذا الجيش الغازي بقوله :

سطا بجيش كموج البحر في العدد　　　نعم و في عدد من رهط ابطال

مؤيدا باجتماع المصر يتبعه　　　شر الخلائق مسروراً بأقبال [٨]

في البيت الثاني يشير الى (شر الخلائق) قد يريد بهم المسلمين الذين تنصروا و جاءوا مع عسكر الأسبان كأدلاء ومحاربين وهم فرحون [٩] . **((فأنه قد هرب لمحلته من بلدنا اناس كثيرون**

---

[١] العبادي ، د. عبد الحميد ، المجمل في تاريخ الاندلس ، ص١٩٤ .

[٢] لودينغ هايغمان ، المسيحية و الاسلام ، تاريخ المواجهات ، ص١٨–١٩ .

[٣] ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، مج٦ ،ج٢ ، ص٦٩ .

[٤] العبادي ، د. عبد الحميد ، المجمل في تاريخ الاندلس ، ص١٩٥ .

[٥] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١١٧.

[٦] الذنون ، عبد الحكيم ، افاق غرناطة ، ص٥٠.

[٧] ابو العباس احمد بن محمد الصنهاجي المشهور بالذنون ، مقرئ وخطيب وفقيه ، توفي مستهل شعبان سنة ٩٢١هـ / سبتمبر ١٥١٥م . شيخة ، د. جمعة ، حوادث سقوط غرناطة في الشعر الاندلسي ، مجلة دراسات اندلسية ، العدد ٧ ، طبع بمطبعة المغاربة للطباعة والنشر والاشهار ، عدد خاص ، ١٩٩٢/١٤١٢ ، ص١٥.

[٨] شيخة ،د. جمعة ، حوادث سقوط غرناطة في الشعر الاندلسي ، مجلة دراسات اندلسية ، العدد ٧ ، طبع بمطبعة المغاربة للطباعة والنشر والاشهار ، عدد خاص ، ١٩٩٢/١٤١٢ ، ص١٥–١٦ .

[٩] شيخة ، د. جمعة ، حوادث سقوط غرناطة في الشعر الاندلسي ، ص١٥–١٦ .

يدلونه على عوراتنا و يستعين بهم علينا)) [١]. نستدل من هذا ان هناك من المسلمين الضعفاء والقليلي الايمان قد تعاونوا مع الاسبان وبالتأكيد هم من المسلمين الذين انظووا تحت لواء الممالك الاسبانية ، و اصبحوا صنيعة لهم ، الا ان هذا لا يعني كل المسلمين الموجودين داخل الممالك الاسبانية .

محاصرة مدينة غرناطة من قبل الاسبان

لقد استخدم فرناندو الكاثوليكي الحرب الاقتصادية مع سلطنة غرناطة الحرب الاقتصادية لأجبارهم على الخضوع والموافقة بالتسليم له و القضاء عليهم جوعا ، فقام بمحاصرة المدينة[٢]، **((اصاب المسلمين فيه[الحصار] شدة الجوع))**[٣] ، **((واشتد الغلاء وعظم البلاء))**[٤] ، **((ومنع المسلمين في الحرث والزراعة))**[٥] وكان الاسبان عند خروجهم الى حرب غرناطة، قد عزموا على عدم العودة ، الا بعد ان تسقط المدينة في ايديهم [٦] كانت القوة التي اتجهت الى غرناطة تتكون من ٤٠ الف جندي من المشاة وعشرة الاف فارس [٧] ومعهم المدافع الضخمة والعدد الوفيرة [٨] وكانت هذه القوة بقيادة المشاهير نحو بونس دي ليون Pance de leon ماركيز قادس (Cadiz)[٩] ، وماركيز سانتياكو santiogo ، ورجال برتبة كونت Count من تانديلا Tendilla ، و كابرا cabra ، وماركيز فيلينا Villena ،والفارس دون الونزو اكولتار Don AlOnzo Aguilar [١٠]–٢٥ الف جندي ارسلوا لأستكمال تدمير الحقول، والقرى، والسهول الضخمة التي

---

(١) مجهول، اخر ايام غرناطة ، ص١٢٢.

(٢) سالم ، السيد عبد العزيز و احمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص٣٦٧.

(٣) ابن مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ص١٥٠ .

(٤) المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٧٥ .

(٥) مجهول ، اخر اخبار العصر ، ص٤٠٠ .

(٦) الجارم ، علي ، قصة العرب في اسبانيا ، ص٢٠٤ ؛ ينظر ،

- Poole , Stanley Lane . Op. Cit., P-263 .
- Mc Gabe , Joseph Op. Cit , P.280 .

(٧) الجارم ، علي ، قصة العرب في اسبانيا ، ص٢٠٤ ؛ ينظر ،

S.M. Imamuddin ,Op. Cit , P.184

(٨) طه ، عبد الواحد ذنون ، تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس واثره على سقوط غرناطة ، البحث العلمي ، ص٧٦ ؛ الحسيني ، محمد باقر ، اضواء على نهاية العرب في الاندلس ، ص١١٠ .

(٩) قادس Cadiz ، جزيرة بالأندلس من مدن اشبيلية طولها اثنتا عشر ميلا و عرضها في اوسع المناطق لا يتجاوز ميل . الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٤٨ .

(10) Poole , Stanley Lane –Op. Cit , P.263 .

تحيط بمدينة غرناطة ، وكان ابناء غرناطة ينظرون من وراء الجدران الى اللهب المتعالي من القرى و البساتين و الحقول التي احرقت [١] .

تصميم الاندلسيين على الدفاع عن غرناطة

عقد ابو عبد الله مجلسا ضم الاعيان وكبار اهالي غرناطة من العامة والخاصة وقادة الجيش، للنظر في امر مسألة التسليم للملكين الكاثوليكيين ((**فأجمعوا على قتاله و مدافعتهم عنه بما أمكنهم حتى يفتح الله عليهم او يهلكوا عن اخرهم**))[٢] ،واستقر الرأي على ان يدافعوا مع سلطانهم حتى اخر انفساهم [٣] ، ((**وتعاهدوا مع اميرهم ان يكونوا يدا واحدة على قتال اعدائهم**)) [٤] ، وهكذا صمم الطرفان على القتال ،واصبحت الحرب بالنسبة للمسلمين حرب حياة او موت [٥] ، وبعد ان اشتدت الحرب ودارت الخطوب بين المسلمين والاسبان ، واستمر الحصار مدة ثمانية اشهر [٦] تمكن خلالها المسلمون في غرناطة من اثبات بطولاتهم وجرأتهم في القتال، فقد كانوا يّعدون غرناطة هي المأوى الوحيد والاخير لهم ولا سيما بعد ان اصبحت مركز استقطاب لكل المسلمين النازحين من المدن والقلاع التي سقطت قبل هذا التاريخ مثل البشرات ، و رُنْدَه ْ وقادس ،.. ، وحاولوا الحفاظ على دينهم بأن اتجهوا نحو غرناطة ، لذلك قاتلوا قتال الابطال لحماية مأواهم الاخير غرناطة [٧] .

لقد تمكن المسلمون من تكبيد الاسبان خسائر كبيرة وكانت الحرب مستمرة ((**ولم تزل الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى كل يوم**))[٨] ، قام الملك فرناندو ببناء مدينة مقابل غرناطة ، اطلق عليها اسم شنتفي [١] (Santafe) .

---

[1] Mc Cab, Joseph , Op. Cit , P.181.

[٢] مجهول ، اخبار العصر ، ص٣٩٢ .

[٣] المعاضيدي ، د. خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس، ٩٢-٨٩٧هـ /٧١١-١٤٩٢م ، مطبعة التعليم العالي، (بغداد –١٩٨٨) ، ص ١٩١ .

[٤] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥٢٣-٥٢٤ .

[٥] علي ، سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ؛

- S.M. Imamuddin . Op. Cit , P.185

[6] Richard , Fletyher , Op. Cit , P165.

[7] Rafael , Altamira , Op. Cit , P.272.

[٨] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١١٩ .

وبهذا العمل نلحظ ان سياسة فرناندو في بناء هذه المدينة هو اشعار المسلمين بعدم عزمه على الرحيل اطلاقا ، وهذا ما اثر كثيرا في معنويات المسلمين [٢] ، وبهذا فأن فرناندو اتبع سياسة عربية[٣] وهو دليل على مدى نجاح سياسة المسلمين سابقاً ، و بنيت هذه المدينة من مواد بناء المناطق التي هدمها الاسبان [٤] ((**وعلى الرغم من ذلك كله كان الطريق بين غرناطة و البشرات متصلة بالمرافق و الطعام يأتي من ناحية جبل شلير[Sicrra Nevada] الى ان تمكن فصل الشتاء ، وجلب البرد ، ونزل الثلج ، فأنسد باب المرافق ، وانقطع الحالب و قل الطعام ، و اشتد الغلاء ، وعظم البلاء ، ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات))** [٥] ، وقد استمر الحصار مدة سبعة اشهر .

تشديد الحصار على مدينة غرناطة من قبل الاسبان

ازداد مفعول الحصار في موسم الشتاء وادرك الجوع الاهالي حتى الاغنياء منهم [٦]، فطلب الاهالي من السلطان ان يوافق على تسليم المدينة ويجنبهم العذاب الذي هم فيه [٧] وقالوا: **((انظروا لأنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فأحضر ابو عبدالله بن ابي الحسن اهل دولته وارباب**

---

[١] شنتقي Santafe ، معناها الايمان المقدس ، بنيت بشارعين على شكل صليب ، وقسمت المدينة على اربعة احياء في وسطها ميدان فسيح لأجتماع الجيش ، واقيمت هذه المدينة التي تم بناءها بثمانين قاعدة لأنطلاق الحملات العسكرية على غرناطة .عنان ، نهاية الاندلس ، ص ٢٣٦ ؛ حتاملة ، محنة مسلمي الاندلس ، ص٥٠ ؛ حتاملة ، محمد عبده ، الاعتداءات الافرنجية الصليبية على ديار العرب في الاندلس والشرق (حرب متواصلة على الاسلام) ، عمان ، (الاردن ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) ، ص ٢٣ ، الجارم ، علي ، قصة العرب في اسبانيا ، ص٢٠٤ ؛ ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، مج٦ ، ج٢ ، ص٦٩ .

[٢] مجهول ، انباء العصر ، ص٤٠٠-٤٠١ .

[٣] استخدم العرب المسلمون في اثناء الفتوحات الاسلامية سياسةبناء المعسكرات الثابته بالقرب من المدن المحاصرة التي يصعب فتحها ، ففي الاندلس بني عبد الرحمن الثالث مدينة الفتح قرب مدينة طليلطلة ، و بنى الحاجب المنصور مدينة محصنة قرب تلسمان في المغرب العربي ، و يؤكد ذلك الجارم في كتابه ، قصة العرب في اسبانيا . ينظر ، الجارم ،

- S.M. I. Mamuddin , Op. Cit. , P.184 .

[٤] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٩٨-١٩٩ .

[٥] الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٤ ، ص١٠٣ .

[٦] مجهول ، اخبار العصر ، ص٤٠٠-٤٠١ ؛ الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٤ ، ص١٠٣ -١٠٤.

[٧] الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٤ ، ص١٠٣-١٠٤ ،

- Poole Stanley Lean , Optic , Epcit , P.260 .

مشورته وتكلموا في هذا الامر وان العدو يزداد مدده في كل يوم ونحن لا مدد لنا وكنا نظن انه يقلع عنا في فصل الشتاء ، وخاب الظن وبنى واسس و قرب منا فأنظروا لأنفسكم واولادكم))[١]
.

محاولة موسى بن ابي الغسان الفاشلة في الهاب نار الحرب ضد الاسبان

وتم الاتفاق على شروط التسليم [٢] باستثناء صوت واحد ارتفع بين الحضور محاولا تغيير اراء الجميع عارضاً لهم الدفاع عن غرناطة الا وهو القائد موسى بن ابي الغسان [٣] الذي قال : **((لم تنضب مواردنا مازال لنا مورد هائل للقوة كثيرا ما ادى المعجزات : وذلك هو بأسنا فلنعمل على اثارة الشعب ، ونضع السلاح في يده ولنقاتل حتى اخر سنة))**[٤] .

وهناك من يذكر ان موسى بن ابي الغسان خطب بالناس قائلا **((دعوا البكاء والنحيب، ايها السادة ، للضعفاء من النساء والاطفال فنحن رجال و لدينا قلوب ، ولكن علينا ان نريق الدماء و ليس الدموع ، انني ارى اليأس و القنوط قد استولى على الشعب ... ومع ذلك يوجد بديل عن الاستسلام للنبلاء : موت مجيد ... لنمت و نحن ندافع عن الحرية وننتقم لآلام غرناطة واذا لم نفعل ، فسوف يقول التاريخ (ان نبلاء غرناطة قد خافوا الموت في الدفاع عنها))**[٥] .

لم تؤثر هذه الكلمات في الحضور الذين سأموا القتال ظنا منهم انهم سوف يخلدون الى الراحة بحماية الملوك الاسبان ، لذا خرج ابن ابي الغسان محتجاً على موقفهم هذا تاركاً المدينة حتى قيل انه قتل [٦] ، وجرت بين المسلمين والاسبان مفاوضات مدة بضعة اسابيع انتهت بوضع

---

[١] الناصري السلاوي ، ج٤ ، ص ١٠٣-١٠٤ .

[٢] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٤١ .

[3] S.M. Imamuddin , Optic , P.185 .

[٤] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٢٤١ .

[٥] ايرفينج ، واشنطون ، سقوط مدينة غرناطة ، ص١٢٦ .

[٦] سلح موسى ابن ابي الغسان نفسه و خرج من المدينة و قيل انه قابل في طريقة مجموعة من الفرسان المسيح وبعد قتال‌مرير قتل قسماً منهم الا انه فقد جواده ولم يلب دعواتهم له بالأستسلام ، بل قاتل زحفاً على ركبتيه ، حتى احس بعدم قدرته على المواصلة في القتال لشدة الضعف الذي اصابه ، فزحف حتى وصل ضفة نهر شنيل Yenkl مدافعاً عن نفسه بخنجر حتى القى بنفسه في النهر ليموت غرقاً هناك . ايرفينج ، واشنطون ، سقوط مدينة غرناطة ، ص١٢٧ .

- Poole -Stanley Lean P. 266.

معاهدة لتسليم ، من جملة شروطها ((ان يأمنهم [ملك قشتالة] **على انفسهم ، وبلادهم ، ونسائهم ،وصبيانهم ،ومواشيهم ،ورياعهم ،وضياعهم وجميع ما بأيديهم ،ولا يغرموا الزكاه والعُشْر لمن اراد الاقامة ببلدة غرناطة ، ومن ارد الخروج منها يبيع اصله بما يرضاه من الثمن لمن يريده من المسلمين والنصارى من غير منن ، ومن اراد الجواز لبلاد عدوه بالغرب يبيع اصله و يحمل امتعته ، و يحمله مراكبه الى أي ارض من بلاد المسلمين من غير كراء ، ولا شيء يلزمه لمدة ثلاث سنين ، ومن اراد الاقامة بغرناطة من المسلمين ، فله الامان على نحو ما ذكر ؛ وقد كتب لهم ملك الروم بذلك كتابا و اخذوا عليه عهوداً و مواثيق ، في دينه مغلضه على انه يوفي لهم جميع ما شرطوا عليه))** [١] .

ومما تقدم يمكن القول ان اهالي غرناطة سئموا القتال الطويل، والحصار المرير الذي اخذ منهم مأخذا كبيرا ، ولا سيما بعد ان قطع الطريق الوحيد المؤدي الى غرناطة من البشرات، الذي يمر بسفح شلير ، لذلك قرروا التسليم لصاحب قشتالة ظنا منهم انهم سوف يصبحون في حالة افضل و يتمكنون من المحافظة على دينهم ، و اموالهم ، و اطفالهم ، و نسوا المدن التي سقطت قبل سقوط غرناطة ، وما ال اليه المسلمون من تشريد و قتل ونقض العهود التي وعدهم بها الاسبان ، حتى اصبحوا لا يطيقون سماع كلمات الحماس التي قالها موسى بن ابي الغسان ، فسرعان ما وافقوا على العهود التي وُعِدوا بها و صدقوا الأسبان ، وهم لا يعلمون ان هؤلاء انفسهم هم الذين كانوا يخلفون الوعود على طول فترة الصراع مع سلطنة غرناطة ،ولا يهمهم الالتزام بها فهم يخلفونها اذا ما وجدوها تتعارض مع مصالحهم .

وقرئت هذه العهود على الشعب الغرناطي [٢]وكانت سبعة و ستين شرطاً [٣] ولضمان العمل بها وتنفيذها ، يقدم سلطان غرناطة حوالي (٥٠٠ شخص) من اعيان سلطنة غرناطة، حتى لا يغدر سلطان غرناطة بالأسبان ، وهذه هي شروط الاستسلام التي تفاوض عليها الوزير ابو القاسم عبد الملك وهو افضل ما تمكن ان يحصل عليه لأهالي غرناطة [٤] .

---

[١] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٢٣-١٢٤ ؛ لبعض التفاصيل ، ينظر ، المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٧٧ .

[٢]مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٢٤ .

[٣] المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٧٧ .

[٤] ايرفينج ، واشنطون ، سقوط مملكة غرناطة ، ص١٢٦ .

دور البابوية في سقوط غرناطة .

اخذ الاسبان يشاركون البرتغاليين في مد نفوذهم الى شمال افريقيا ولا سيما في نهاية القرن (التاسع الهجري /الخامس عشرالميلادي) لذلك ظهرت الحاجة الى تقسيم البلاد الى منطقتي نفوذ، فعقدت معاهدة سنة (٨٨٤ هـ /١٤٧٩ م) اتفق الاسبان بمقتضاها على تبنى قيادة حرب الاسترداد من المنطقة الواقعة شرق خط باديس، ((وهي نقطة عند التقاء الساحل المراكشي بالساحل الجزائري تقريباً))[١] ،في حين تتولى البرتغال مهمة القضاء على نفوذ المسلمين في السواحل التي تمتد غرباً وجنوباً ،وفي سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٤م)عقدت معاهدة بين اسبانيا والبرتغال كان سببها هو التنافس على المستعمرات في شمال افريقيا،وهذه المعاهدة كانت بأشراف البابوية واحد بنودها هو ان يكون للاسبان مايكتشفونه عبر خط وهمي يمر عبر القطبين على مسافة (٣٧٠ درجة) من جزر كيب فرد ،وان يكون للبرتغال المناطق الوقعة شرق ذلك الخط[٤].

يتضح مما تقدم ان الضغط الذي تعرض له المسلمون في الاندلس ، وشمال افريقيا كان كبيراً جداً الى درجة ان اطماع اسبانيا والبرتغال اوصلتهما الى الدخول في صراعات داميةعلى الرغم من ان معظم جهودهم ضد المسلمين كانت مشتركة اذ ان فكرة كلتا الدولتين هي القضاء على المسلمين نهائيا في كل مكان لذلك كانت لهم اطماع في الهند والخليج والبحر الاحمر في فترات لاحقة خلال القرنين(العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين).

لقد استمرت مشاريع هنري الملاح حتى بعد وفاته الا ان استطلاع الساحل الغربي للقارة الافريقية واكتشاف الساحل الافريقي فتح لهم باب تجارة الرقيق التي الهتهم بعض الشيء عن الاهتمام بشمال افريقيا [٢] وتأكد مجدداً ان الحروب التي تدور في شبه الجزيرة الايبيرية ، بين المسلمين والمسيحين احدى ملفات الصراع الصليبي ، وكانت البابوية قد ساعدت على تشجيع ذلك الصراع ،وباركت جهود الاسبان في تلك الحرب ، والذي يؤكد ذلك هو ان الاسبان لم يخوضوا الحرب وحدهم بل شارك معهم متطوعون من مختلف الجنسيات الغربية وقد دخلوا الى اسبانيا

---

[١] العقاد ، صلاح ، المغرب من بداية العصور الحديثة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٢ /١٩٦٣ ص ٣١-٣٢.

[٣]م.ن،ص٣٢.

[4]W.Atkinson,Ahistory of Aspain and Portugal,(Middlesex-1960),p.115-117.

[5]New hall ,R; The Crusades(N . Y – 1963) p.97.

[2]New , hall , R. The crusades , (New York – 1963) , P-97 .

ليعبروا عن حقدهم الصليبي ضد المسلمين .[1] لقد كانت الدائرة في هذه الفترة هي حرب غير متوازنة ، فلقد اتبعت المملكة الموحدة (قشتالة – وارغون) سياسة جديدة تتمثل بتقوية الجيش الاسباني من جهة [2] اذ تم تصنيع مدفعية وكان يعتمد عليها فرناندوا في هجماته على المسلمين وكانت تعرف باسم (اخوات خيمينيت السبعة) وكان بأمكانها هدم الاسوار والقلاع والحصون [3] حاول فرناندوا وايزابلا اقامة الاتحاد مع مملكة البرتغال لتشمل هذه الوحده ارض شبه الجزيرة الايبيرية كلها ، وتمكنوا من اعادة البرانيس Pyranences لاسبانيا بعد ان خاضوا حرباً ضروساً مع فرنسا ، الا ان دخول البرتغال في حروب خارجية لتحقيق اطماعها الشخصية ادت الى عدم نجاح الفكرة في الاتحاد الثلاثي ، اما من جهة اخرى فكانت مملكة قشتالة تثير الفتن والاضطرابات الداخلية في سلطنه غرناطة[4] هذه السياسة لم تكن من اجتهاد الملوك الاسبان وحدهم ، ففي العام الذي تولت فيه الملكة ايزابيلا (٨٧٩هـ /١٤٧٤ م) بعثت برسالة الى البابا سيكستيوس الرابع ، (٨٧٦-٨٨٩هـ / ١٤٧١-١٤٨٤ م) تشرح له فيها خطة للقضاء على سلطنة غرناطة نهائياً . فكان رد فعلالبابا ان ابدى حماساً كبيراً فاصدر مرسوماً بابوياً سرياً يقضي بتجهيز حملة صليبية (كروثادا *) ضد الاندلسيين ، وبالفعل تم تجهيزها حتى انطلقت هذه الحملة في سنة (٨٨٤ هـ /١٤٧٩ م) [5] وهو التاريخ نفسه الذي تم فيه اعتلاء الملكة ايلزابيلا عرش قشتالة الموحدة[6] وقد رافقت هذا التاريخ ايضاً احداث اخرى مهمة في قشتالة [7] وقد سمح

---

[1] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة ، ص ١٢٥٧ .

[2] حمادي ، عبد الله ، المورسكيون ، ص ٦٩ .

[3] Pool ,Stanley Lane, Op . Cit , P. 253 .

[4] McCabe, Joseph , Op . Cit , P. 26 .

* كروثودا، ضريبة الجهاد لدى المسيحين وظلت تشكل دخلاً كبيراً لبيت مال الدولة الاسبانية حتى نهاية القرن(العاشر الهجري/السادس عشرميلادي) ، حمادي ، عبد الله ، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس، ص ٦٩ .

[5] حمادي ، عبد الله ، الموريسكيون ، ص ٦٨ .

[6] R. AL Tamira , Op. Cit , P.261.

[7] اهم الاحداث في هذا التاريخ هو مطالبة جوانا ابنة هنري الرابع بعرش قشتالة ، وحدث صراع بين ايزابيلا من جهة ، وجوانا وانصارها من جهة اخرى ، استمر هذا الصراع لمدة خمس سنين ، تطور الصراع الى ان دخلت البرتغال في حرب مع قشتالة ، ادعت البرتغال انها تريد الاستيلاء على جزر الكناري ، حصلت ايزابيلا على انصار واعوان من النبلاء وانتصرت في معركة تورو التي نجم عنها عقد اتفاقية سلام في تويومبيلو سنة (

المرسوم للملكين الكاثوليكيين بجمع ضريبة معينة تكون العامل المساعد على تجهيز الحملات ضد المسلمين في غرناطة ، علماً ان الملكة ايزابيلا قد حصلت على قروض من الدائنين اليهود والايطاليين تمكنت من خلالها تمويل نفقات الحرب ضد المسلمين في الاندلس ، استمر هذا المرسوم ساريا وتم تجديده في العالم نفسه وظل هذا المرسوم مستمراً في الصدور اذ انه((**وبعد وفاة البابا سيكستيوس جاء نوسان الثامن ((nocencio VIII)) ، (٨٨٩-٨٩٧ هـ / ١٤٨٤- ١٤٩٢ م) فاستكمل مابدأ به سلفه فجدد الارادة [١] البابوية الخاصة بالحملة على غرناطة سنة (٨٩٠هـ /١٤٨٥م) وجددت الارادة سنتي (٨٩٢-٨٩٤هـ /١٤٨٦-١٤٨٨م) املاً في تمكن ايزابيلا من القضاء على سلطنة غرناطة ولكن الحرب طالت اكثر من المتوقع))** [٢]

لقد اشترك في الحرب الاخيرة مع الاندلسيين عدد كبير من الجنود الانكليز ، والفرنسيين والالمان ، الذين كانوا يتدخلون في الصراع دون دافع ديني ، فقد كان معظم هذه الجموع يشترك في الحرب من اجل الحصول على الغنائم من الكنوز العربية والاسلامية في الاندلس [٣] ، فعندما سقطت مدينة لوشة سنة (٨٩١هـ / ١٤٨٦م)[٤] كانت من ضمن القوى التي هاجمتها فرقة من النبالة الانكليز وكان يقود حاميتها اللورد الانكليزي اسكلز A skelz[٥] واشترك في هذه الحرب جنود المانيين قد جلبوا معهم آلات حربية ومدافع تفوق الاحصاء والعدد [٦].

استطاع الملكان الكاثوليكيان الاستفادة من الاساطيل الاوربية لضرب الحصار على السواحل والحيلولة دون وصول أي امدادات من شمال افريقيا لمساعدة الغرناطيين ، فقد تم استخدام الاساطيل البرتغالية والاراغونية والايطالية، وحاولت الملكة ايزابيلا الاستفادة من الخبرات الاوربية فقد جلبت خبراء المدفعية من المانيا، وايطاليا، وكانت هذه المدفعية تقذف حممها على غرناطة،

٨٨٤هـ / ١٤٧٩ م) واقترح على الاميرة جوانا ان تتزوج ابن فرناندو ملك ارغون ، وابن ايزابيلا ملكة قشتالة الا انها اختارت دير الراهبات لتبقى مدى حياتها تعتقد باحقيتها بالعرش . ينظر ،
R. AL Tamira , Ahistory of Spain , Op cit, P 262 .

[١] الارادة ، أي المرسوم .

[٢] حمادي ، عبد الله ، الموركسيون ، ص ٦٨ .

[3] Mc Cabe ,Joseph, Op Cit , P 269 .

[٤] زكي ، عبد الرحمن ، غرناطة وآثارها الفاتنة ، ١٩٧١ ، ص ١١٢

[٥] الجارم ، علي، قصة العرب في اسبانيا، ص١٩٦.

[٦] م .ن ، ص ١٩٦ هامش رقم (١) .

وتم استخدامها بطريقة لم تكن تستخدم في اوربا خلال الفترات السابقة [١]، وعرفت هذه المدافع المدمرة التي استخدمت ضد غرناطة، باسم لومباردو (Lombards)[٢].

وهكذا يمكن القول ان للقوات الاوربية المشتركة فيهذه الحروب اثراً كبيراً في رفع معنويات الاسبان ولا سيما ان هذه القوة مجهزة باسلحة جيدة وفعالة ، تمكنت ايزابيلا من تحقيق الكثير من المكاسب على المستوى العسكري تجاه سلطنة غرناطة، على الرغم من قلة الموارد التي كانت تحصل عليها.[٣]

قام البابا انوصان الثالث الذي اصدر في سنة (٨٩٦هـ /١٤٩٠م) تجديداً للارادة السابقة ولكن هذه المرة مدة سنة اخيرة، ولم تمضِ ثلاثة اشهر من هذه الارادة حتى دخل جيش الملكين الكاثوليكيين غرناطة، بعد ان اعلنت استسلامها وكتب فرناندو الى البابا يبشره بسقوط اخر معقل للمسلمين في الاندلس فيقول **((ولدك المطيع المخلص ملك قشتالة وليون وصقلية وغرناطة ... يقبل قدميك ويديك الطاهرتين خالصتي الطهارة ... ويبشرك بان ربنا انعم علينا بنصر مبين على اندلسيي غرناطة اعداء ديننا الكاثوليكي الطاهر وتم في هذا اليوم الثاني من كانون سنة اثنين وتسعين واربعمائة والف استسلام مدينة غرناطة مع الحمراء وكل القوات مع كل القلاع والحصون ....))**[٤] .

صدى سقوط غرناطة في الفاتيكان

توجد في مكتبة الفاتيكان وثائق كثيرة متبادلة بين الملكين الكاثوليكيين ، والبابوات الذين عاصروهم في روما ، اذ توجد وثيقة شكر من البابا انثونسيوس الثامن، قدمت الى الملكين الكاثوليكيين عندما سقطت سلطنة غرناطة بايديهم ، وتوجد ايضاً براءة من البابا اسكندر السادس Al Exsadro VI (٨٩٧-٩٠٨هـ/ ١٤٩٢-١٥٠٢م). تآمر باعادة اسقفية غرناطة وتاسيس

---

[١] حمادي ، عبد الله ، المورسكيون ، ص ٩٨ .

[٢] حمادي ، عبد الله ، المورسكيون ، ص ٩٨ هامش رقم (١) .

[3] Martin A. S. Hume , Spain its Greeathness and decay , 147, 1788 , Revised by Edward Armstrony, (Cambridge -1940) ,P 12.

[٤] حمادي ، عبد الله ، الموريسكيون ، ص ٦٨-٦٩ نقلاً عن

Gaztamid Jose Coni the Italy See and Recon yuest of the kingdom of Granada do (1479-1492) .

ابرشيتين هما ابرشية وادي آش، وابرشية المرية، هاتان الابرشيتان تتبعان اسقفية غرناطة .ان سقوط سلطنة غرناطة سنة (٨٩٧ هـ /١٤٩٢ م) جرى بمناسبته احتفال فخم في ساحة نافونة Plazznavona * بسقوطها عّم الفرح في العالم المسيحي ، اذ عد سقوطها تعويضا لخسارة كبرى حلت بالعالم المسيحي في ذلك الوقت وهذه الخسارة كانت امام المسلمين الا وهي سقوط القسطنطينية بايدي الاتراك العثمانيين سنة (٨٥٨ هـ / ١٤٥٤م) أي قبل سقوط غرناطة بحوالي اربعين سنة. ولكن الفرحة في روما اكثر من أي مكان من العالم المسيحي لان بابوات روما قد شاركوا في هذه الحرب ، التي استمرت حوالي عشر سنوات ، وكانوا على كثب وتتبع لها ، ثم ان هناك وثيقة تؤكد ان اباعبد الله الصغير استقبل عدداً كبيراً من فرسان النصارى واساقفه ، صعدوا الى اعلى البرج ورفعوا راية الصليب وقد خطب احدهم بقولة : **((ايها القديس يعقوب بمساعدتك خضعت هذه الحصون الغرناطية .. ملكنا وملكتنا ردا الايمان الكاثوليكي الى هذه المدينة ... بمساعدة الله وشفاعة الطوباوية العذراء مريم ويعقوب ... وكذلك بموافقة الحبر الاعظم بابا روما انوشونس الثامن واساقفته والشعب المسيحي اجمع...))**[(١)] . في اليوم التالي نظمت احتفالات قام بها اربعون كاهناً ، انطلقت هذه الاحتفالات من الحمراء الى سانتيافي ، شارك بها الاسرى الذين اطلق سراحهم ، كانت تتقدم المحتفلين راية الصليب وصورة العذراء. وعندما وصل خبر استسلام غرناطة الى روما بعد شهر من سقوطها ، في العام نفسه عم الفرح كل ارجاء روما واشترك البابا انوسونس الثامن بتطواف ضخم انطلق من قصر الفاتيكان الى كنيسة سانتياقوب الاسبانية ، واقيمت صلاة الشكر واعطيت البركة الرسولية ، والقى البابا خطاباً اثنى فيه على الملكين الكاثوليكيين ،ومنح غفراناً للنصارى الذين يزورون كنيسة سانتياقوب ، ويصلون لاجل تنصير جميع المسلمين الغرناطيين، واصدر بذلك البراءة في السجل البابوي رقم ٧٦٦ . وتم انتخاب البابا اسكندر بورجيا السادس الذي هو من اصل اسباني ، وهذا الانتخاب حدث في روما رداً للجميل الذي قدمته اسبانيا للمسيحيين بالقضاء على المسلمين فيها [(٢)] .

وهكذاتمكنت قشتالة الموحدة من ان تنتصر انتصاراً كبيراً وقفت مزهوة بعد تحقيقه امام الممالك المسيحية ، الا انها كانت خاضعة لسيطرة الكنيسة الشديدة التي تعدّ المحرك الاساسي

---

* نافونة Navona، فيها كنيسة تسمى كنيسة القلب الاقدس ، وكانت تسمى في (القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) كنيسة يعقوب الاسبانية، تعد اول كنيسة في روما بعد عودة البابا افينون Avitnon . الحايك ، سيمون ، ثريا الرومية ، استسلام غرناطة، ١٩٨٨، ص ٣١٤.

(١) الحايك، سيمون ، ثريا الرومية ، او استسلام غرناطة ، ص ٣١٤-٣١٥ .

(٢) الحايك ، سيمون ، ثريا الرومية ، او استسلام غرناطة ، ص ٣١٦-٣١٧.

لحربها ضد المسلمين في الاندلس ، خرجت ممكلة قشتالة من هذه الحرب مفتخرة بما حققته من انجازات عظيمة خدمة للكنيسة الكاثوليكية و للعالم المسيحي اجمع .[١]

وبسقوط غرناطة غلق احد الابواب الرئيسية التي كانت ترفد اوربا بعلوم العرب المسلمين وحضارتهم بعد ان كان الجهل والفوضى منتشراً في اسبانيا وغرب اوربا قبل الفتح الاسلامي فلما استيقض الاوربيون من سباتهم الطويل وجدوا انفسهم امام العلوم والفنون العربية الاسلامية[٢] التي انتشرت بسبب التسامح الديني الذي ابداه العرب مع النصارى ، الذين لم يسيروا على سنة العرب في هذا التسامح بعد سقوط غرناطة ،اذ انعكس تسامح العرب الذي استمر نحو ثمانية قرون عليهم فكان جزاؤهم الاضطهاد ،والقتل ،والطرد على الرغم من الجهود التي بذلت لهم .[٣]

وقد استمر الدعم الذي قدمته الكنيسة لانهاء الوجود الاسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية في مراحل لاحقة بعد نقل الحرب الى شمال افريقيا وظلت ضريبه الجهاد (الكروثادا) تجمع الى وقت متاخر من القرن السادس عشر .[٤]

((ووجد في اسبانيا نظام راهبات محاربات سمي بنظام سيدات الفأس *))[٥] ،وكان سبب وجود مثل هذه الرهبانيات هو قتال المسلمين في الاندلس وغزوهم ،الا انه بعد سقوط غرناطة قام الملكان الكاثوليكيان بحل هذه الرهبانيات والغائها ،وحصل الملكان الكاثوليكيان على امر من البابا

---

[١] فشر ، هـ أ ل ، تاريخ اوربا ((العصور الوسطى)) ، القسم الثاني ، ترجمة ، محمد مصطفى زيادة ، واخرون ، ط ٢ ، دار المعارف ،(مصر – د.ت) ، ص ٣٩٦ .

[٢] عاشور ،سعيد عبد الفتاح ،حضارة ونظم اوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت /١٩٧٢) ص ٢٦٥–٢٦٨ .

[٣] لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ،نقله الى العربية ، عادل زعيتر ،ط٢، دار احياء الكتب العربية،(١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) ،ص٦٩.

[٤] حمادي عبد الله ، المورسكيون ،ص ٦٩ .

* اصل تاسيس هذه الرهبانيات هو ان المسلمين بعد ان خسروا طرخوشة كروا لاسترجاعها وحاميتها قليلة فكادت ان تسقط لولا ما قيل من ان النساء هجمن نحو الاسوار وبذلن انفسهن حتى رددن العدو ،فتاسس من ذلك الوقت نظام جندية النساء ،ينظر ،ارسلان ،خلاصة تاريخ الاندلس ،ص١٨٠ .

[٥] ارسلان ، شكيب ، خلاصة تاريخ الاندلس ،ص١٨٠ .

(انيوستيشوس الثامن) inocencio v111 (٨٨٥-٨٩٧هـ/ ١٤٨٠هـ-١٤٩٢م) بان تدار هذه الرهبانيات من قبلهم .[1]

الموريسكيون Moriscos[2] خلال الفترة (٨٩٧-٩٠٦هـ/١٤٩٢-١٥٠٠م)

بعد ان تم اخراج السلطان ابي عبد الله الى البشرات ، ومن ثم الى بلاد المغرب العربي، لم يلتزم الملكان الكاثوليكان بشروط التسليم ، فأخذا ينقضانها شيئاً فشيئاً ، وبهذا تبين غدر الاسبان .[3]

رافق تسليم غرناطة حدثان مهمان في اسبانيا ، الحدث الاول : هو اصدار الملكين الكاثوليكيين مرسوماً [4] في اب (٨٩٧هـ /١٤٩٢م) طرد بموجبة [5] اليهود نهائيا من غرناطة، واصبحوا ملاحقين من قبل لجان التحقيق التي شكلت لمطاردتهم [1] .

---

[1] م.ن ، ص١٨٠ .

[2] الموريسكيون (Moriscos) ، هو الاصطلاح الذي استخدم لأول مرة لتسمية مسلمي غرناطة – بعد سقوطها في عام (٨٩٧هـ /١٤٩٢م) – الذين اعتنقوا المسيحية طوعا او كرها ، و هنالك فرق بين اصطلاح الموريسكيين و المدجنين Mudejares ، فالأصطلاح الثاني كان مستخدما قبل سقوط غرناطة ، و يطلق على المسلمين الذين اصبحوا رعايا للملوك المسيحيين الاسبان ، طبقا لشروط تسليم مدنهم التي كانوا تابعين لها ، و المعاهدات التي تبرم معهم ،و احتفظوا بحقهم فب ان يظلوا مسلمين ،و ان يمارسوا طقوسهم الدينية احراراً . طه ، عبدالواحد ذنون ، الموريسكيون ، بحث منشور في مجلة دراسات اندلسية ، المجموعة الاولى ، ط١ ، المكتبة الوطنية ، (بغداد –١٩٨٦) ، ص١٥١ ؛ شاك ، فون ، الفن العربي في اسبانيا وصقلية ، ترجمة د. ماهر مكي ، دار المعارف ، (١٤٠٠هـ /١٩٨٠م) ، ص١٣٤ ، هامش رقم (١) .

[3] كيب ، جوزيف ماك ، مدنية المسلمين في اسبانيا ، ص١٠٧ .

[4] للتعرف على نص مرسوم طرد اليهود ، ينظر ،

-Quoted in ، Simon Dubnov , History of the Jews , Vol.III , (New York –1969) , P.335.

نقلا عن الزوبعي ، بشرى ، محاكم التفتيش الاسبانية ، ص١٢٠ .

[5] نظر الاسبان الى اليهود على انهم غرباء ، واصبح الحرفيون يرون فيهم المنافس الكبير ،وكان النبلاء يتضايقون من الثراء الذي يتمتع فيه اليهود ، في الوقت الذي كان ملوك الاسبان يرون ان اليهود ممولون ماديون كبيرون وذلك بفرض الضرائب الكبيرة عليهم ، ومع هذا فقد اصدر مرسوم في عام (٨١٧هـ /١٤١٢م) خير اليهود من خلاله بين امرين اما التنصر او الموت فأعتنق اليهود المسيحية الا انهم ظلوا يمارسون طقوسهم الدينية سراً ، ولكن في نهاية القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي اصبحوا يسمون بأسم المارانوس Maranos بعد ان كانوا يسمون بالمهتدين و قد اطلق عليهم الاسبان لقب الخنازير ، وحدث امر هام في عام (٨٨٣هـ /١٤٧٨م) اذ اصدر البابا سيكنوس الرابع sixtus IV – ((يدعى فرانسكو ديلا Francesco Delh))

اما الحدث الثاني المهم الذي رافق سقوط غرناطة فهو : اكتشاف امريكا (٢) الذي تم بمساعدة الملكة ايزابيلا التي قدمت له الكثير من التسهيلات (٣) .

ويرى الباحث ان اسبانيا بعملها هذا يمكن ان تكّون الامبراطورية الاسبانية ،والسيطرة على المستعمرات فيما وراء البحار .

تربع عرش البابوية عام (٨١٢هـ /١٤٠٧م) وتوفي (٨٩٨هـ /١٤٩٢م) – مرسوما بابويا انشأ بمقتضاه محكمة التفتيش الاسبانية ، وسبب ذلك هو ان اليهود في احتفالات (الاسبوع المقدس) ابدوا فيه كثيرا من الفرح و الابتهاج ، وقد فسر هذا التصرف بانه كفر بالمسيح ، ولا سيما ان المناسبة هي محزنة بحد ذاتها ، لذلك انشأ ديوان التحقيق لمطاردة اليهود الكفرة ، وبعد سقوط غرناطة صدر مرسوم بابوي ، ومرسوم ملكي يدعو الى اخراج اليهود من اسبانيا نهائيا ، ولا يسمح لأحد منهم بالرجوع مهما كانت الاسباب . ينظر ، المسيري ، عبد الوهاب محمد ، الايدولوجية الصهيونية ، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة ، القسم الاول ، عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٨٢) ، ص٢٤-٢٦ ؛

- Roth , Ernest , Op. Cit , P.18-28 ; Grayzel , Solomon , Op.Cit , P.355-358 .
- Green , V.H.A. , Op. Cit , P.64.
- Human , Martin , A.S. , Spainlts Greatness and decay (1٤79-1788) , (Cambridge –1940) P.12-13 .

الطويل ، توفيق ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام ،دار الفكر العربي (الاسكندرية –١٣٦٦هـ /١٩٤٧) ، ص٧١ ؛ عنان ، محمد عبد الله ، ديوان التحقيق و المحاكمات الكبرى ، ط١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة –١٣٤٨هـ /١٩٣٠) ، ص٣٣ .

(١) شايندلين ، ريموند، اليهود في اسبانيا المسلمة ، ترجمة مريم عبد الباقي ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، تحرير سلمى خضراء الجيوسي ، ط١، (بيروت – ١٩٩٨) ، ص٣١٥ .

(٢) تمكن كولومبس Columbus و بمساعدة الملكين الكاثوليكيين – القيام بأربع رحلات ، تمكن خلالها من اكتشاف عدة مناطق و جزر . كانت الرحلة الاولى سنة (٨٩٧هـ /١٤٩٢م) ، والرحلات الثلاث التالية في الاعوام (٨٩٩هـ /١٤٩٤م) ، (٩٠٣هـ /١٤٩٨م) ، (٩٠٧هـ /١٥٠٢م) ، تمكن في الرحلة الاخيرة من الوصول الى سواحل البر الرئيسي لأمريكا الوسطى والجنوبية ، هذه الاكتشافات السريعة لكولومبس ، على الرغم من ايجابياتها الكثيرة الا انها ولدت مشاكل بين أسبانيا والبرتغال ، ففي عام (٨٩٨هـ /١٤٩٣م) تدخل الكسندر السادس الذي كان على عرش البابوية ، اذعن له الاسبان والبرتغال ، فقد رسم خطاً وهمياً ، اصبح فاصلا بين مستعمرات اسبانيا والبرتغال فوافق الطرفان على ذلك . للتفاصيل ينظر ،

- Altamira , Rafael , Op. Cit, P.282-285 .
- Abvn-Nasr , Jamil M. Op. Cit , P284-285 .
- Vilar , Pierre , spain a breif history , Pregamon Press , New York , P.31-32.

(3) Sir Arthur Helps , The Spanish Conguest in America , Vol. 1 , (London –1900) , P.14.

على ايه حال ترك الملكان الكاثوليكيان غرناطة في العام نفسه الذي سقطت فيه ، و تم تسليم ادارتها الى رجال ينوبون عنهم ، فعين الكونت تانديا دي مندوزا Count de Tendilla Mendoza، حاكماً عاماً على غرناطة نيابة عن الملكين الكاثوليكيين ، ثم انيطت به الادارة المدنية ايضا ، وعين هرناندو دي تالافيرا [(١)] Hernando de Talavera اسقفاً للمدينة [(٢)].

وبما ان هاتين الشخصيتين كانتا على علم بشروط تسليم غرناطة فقد ارتأيا ان تسير الامور في بادئ الامر ،بما تقتضيه شروط التسليم ، حتى يعم الاستقرار في غرناطة ، لم يكن الملكان الكاثوليكيان بعيدين عن ادارة غرناطة ، بل كانت تدار ضمن توجيهاتهما الى هؤلاء النواب عنهم في الادارة ، فكانت توجيهاتهما تطبق حرفياً ، ولابد من الاشارة الى ان البابا الاكسندر السادس ، كان على اتصال سري بالملكين الكاثوليكيين اللذين من ناحيتهما يديران غرناطة من ناجيتهما ضمن توجيهاته [(٣)].

و يجب الانتباه الى ان الملكين الكاثوليكيين ، عمَّما المعاهدة على الامراء، والوزراء ، والقادة والرهبان ،والشعب الاسباني جميعاً ، وامرا بمعاقبة كل من يتجرأ على خرق بنود المعاهدة كائناً من يكون ، و اديا الايمان الغليظة بدينهم و شرفهم واعراضهم ان يلتزما ببنود المعاهدة ، و عدم خرقها الى الابد ، أو تحريف بنودها والالتزام بها ، كما تم تحريرها دون تغيير [(٤)] الا ان

---

(١) هيرناندي تالافيرا Hernando de Talavera . ولد في مدينة تالافيرا ، التابعة لا برشية طليلطة ، و هو راهب من رهبان منظمة سان فيرنيمو ، تولى ادارة دير قرب بلد الوليد مدة اكثر من عشرين عاماً ، وبالتدريب قد اصبح قسلاً بنراج رجل متصدق و محسن و متعاطف كبير ،لعب دوراً قيادياً في الكنيسة المقامة في سيفيل Sevell عام (٨٨٣هـ /١٤٧٨م) وصاحب اعتراف الملكة لذلك كان له دور فاعل ومؤثر في الطبقات الراقية .اصبح في عام (٨٨٥هـ/١٤٨٣م) قسا في افيلا ، ثم رافق الملكين الكاثوليكيين عند سقوط غرناطة ، فعين اول اسقف في غرناطة سنة (٨٩٧هـ /١٤٩٢م) ، وظل في هذا المنصب حتى وفاته، وكان يحافظ على حقوق المسلمين، ويحاول كسب مودتهم بالعدل والرفق ، ادى صلاته باللسان العربي ، كان لهذا التسامح منه اثر في قلوب العرب ، الف بعض الكتب في تعليم العقيدة المسيحية ، الاسلوب اللين الذي استخدمه هذا الرجل كسب من خلاله الكثير من العرب المسلمين الى المسيحية ،

- Richard , Fletgher , Moorish Spain , P.165 ;

(٢) حتاملة ، محمد عبده ، التنصير القسري لمسلمي لاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ١٤٧٤–١٥١٦ ، الجامعة الاردنية ، ص٥٩ ؛ طه ، عبد الواحد ذنون ، حركة المقاومة العربية الاسلامية في الاندلس بعد سقوط غرناطة ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد –١٩٨٨) ، ص١٤ .

(٣) حتاملة ، التنصير القسري ، ص٥٩ .

(4)W.H. , Prescott , History of the regin of ferdinond and Isabella Abrids and edited by ، C. Harvey Gridner (London – 1962) , P. 147 .

التعصب الذي غلب على الملكين الكاثوليكين جعل تصرفاتهم تتنافى مع ما جاء في معاهدة التسليم التي لم توقع الا لتكون ستاراً للغدر و الخيانة [١] ،لم تكن نواياهما سليمة تجاه معاهدة التسليم التي سرعان ما نُقِضَتْ شروطها ، بعد ان امر الملكان الكاثوليكيان بأحراق الآف من الكتب ، والمخطوطات والوثائق ، التي تتعلق بالدين الاسلامي [٢] .

كان المسلمون يدركون مغبة بقائهم في الاندلس ولا سيما ان نوايا الاسبان السيئة كانت واضحة من خلال شروط التسليم ، اذ انهم لم يريدوا للمسلمين بقاءاً في الاندلس ، والدليل هو انهم من خلال (المادة السابعة)[٣] من المعاهدة ، ملزمون بتوفير السفن التي تنقل الاندلسيون الى المغرب العربي مدة ثلاث سنوات مجاناً [٤] ، هاجر خلالها الالاف من الاندلسيين الى مدن المغرب بشكل جماعي وانفرادي بجماعات هائلة [٥] .

وهكذا فلم تمض سوى اعوام قليلة جدا على تسليم غرناطة ، حتى تبينت نيات الاسبان اتجاه المسلمين ، فكانت الكنيسة تحاول تحقيق اهدافها ، الا وهي تنصير المسلمين بالوعظ مرة ، وبالرشوة والاقناع مرة اخرى [٦] ، انتهج هذه السياسة المتسامحة واللينة مع المسلمين الكونت تنديا ، ، وهرناندو دي تالافيرا [٧] .

لم تكن هذه السياسة لتأتي أُكُلُها مع المسلمين المؤمنين بمبادئ الدين الاسلامي الحنيف، لذلك عارضوا سياسة التنصيرهذه بكل قوة ، الا ان تعصب الملكة ايزابيلا للكنيسة الكاثوليكية ، كان من اهم الامور التي استغلها رجال الدين الذين يمثلون الكنيسة ويعاضدهم البابا ، فتمكنوا من اقناع الملكة بوجوب استخدام القوة مع المسلمين وتنصيرهم قسراً [٨] .

---

[١] التواني ، عبد الكريم ، مأساة نهاية الوجود العربي في الاندلس ، مكتبة الرشاد ، ط١ ، (الدار البيضاء – ١٩٦٧م) ، ص٤٦٧-٤٧٢.

[٢] حتاملة ، التنصير القسري في عهد الملكين الكاثوليكيين ، ص٦٠ .

[٣] ينظر الملحق رقم (٧) من الرسالة ، ص ٢٢٥ .

[٤] السامرائي ، خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، جامعة الموصل ، ص٣٠١ .

[٥] حول هذه الهجرة ينظر ، مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٣٣-١٣٤ .

[٦] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٣١٤ .

[٧] طه ، عبد الواحد ذنون ، حركة المقاومة العربية ، ص١٤ .

[٨] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٦٠-٦١ .

ان سياسة التنصير القسري تحتاج الى شخصية حازمة ، لذلك اختار الملكان الكاثوليكيان الرجل المتعصب فرنسسكو خمنيث [١] Francisco Jimenez ، الذي استخدم طريقة القوة والاكراه – وكان اكثر من ارتكب جرائم بحق المسلمين في الاندلس – في الحالات التي تفشل فيها طريقة هرناندو دي تالافيرا وهي الاقناع و اللين [٢] وطالما امتاز هرناندو بالتسامح والرفق فهو يختلف اذن عن رجال الادارة الدينية للأسبان الذين تميزوا بالقسوة والبطش والعنف ضد المسلمين [٣] .

استخدم الاسبان سياسة شديده الخبث ، الا وهي شراء الاراضي من المسلمين ولاسيما في الاحياء التي يسكنها المسلمون ،حتى يسهل عليهم تفريق المسلمين ، والاحلال محلهم بالقوة، فتم مزج المسلمين بالأسبان حتى يفقدوا مقومات وجودهم من دين ولغة عربية [٤] واصدر الاسبان مرسوما يحرم على المسلمين (الموريسكيين) ونسائهم واطفالهم ان يدخلوا الحمامات المخصصة لهم ، و قاموا بهدم كل الحمامات العامة المنتشرة في غرناطة [٥] ومنعوا الموريسكيين من حمل السلاح السلاح ، ثم فرضوا عليهم ضرائب كبيرة ، ولا سيما في الفترة (٩٠٠-٩٠٥هـ / ١٤٩٤-١٤٩٩م)[٦] .

اما النبلاء الاسبان ، فسيطروا على الاراضي الجيدة التابعة للموريسكيين الذين اصبحوا تابعين للأسبان ، وعوملوا معاملة سيئة ، وفرضت عليهم ضرائب اكثر من ذي قبل [٧] ، اضف الى ذلك فقد منع الموريسكيون من شراء الاراضي في غرناطة ، بهدف السيطرة عليهم بسهولة، وامكان تفريقهم اذا اقتضت الضرورة [٨] ، وازدادت معاناة الموريسكيين في عام (٩٠٣هـ /١٤٩٧م) /١٤٩٧م) ،عندما قام الاسبان بعزل الموريسكيين في اماكن خاصة معينة ، حتى يكونوا تحت

---

[١] فرنسكو خمنيث ، Francisco Jimenez (٨٣٠-٩٢٣هـ /١٤٢٦-١٥١٧م) ولد في تودي لاغوتا ،كان رئيسا للكهنة في اوثيدا ، ومسؤول احدى الكاتدرائيات ، بعد ذلك التحق في رهبنة القديس فرنسيسكو ، اجرى اصلاحات واسعة في النظام الفرنسسكي ، بأرشاد البابا الكسندر السادس ، عين مرشدا روحيا للملكة ايزابيلا في عام (٨٩٧هـ /١٤٩٢م) وصار اضافة لهذا المنصب حاكم اسبانيا نشر الانجيل بعدة لغات ، كان قاسيا متعصبا اجبر المسلمين على التنصر واعتناق المسيحية بالحرق والتعذيب .

- Richard, Flether, Moorsh Sapin , Op. Cit, P. 165-166.

[2]C.f. Juna regia , Op. Cit, P. 284 .

[3]Lafuente,Op. Cit, P-331.

[4]Perez , Bustamante C ، Op. Cit, P.359.

[٥] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٦٣ .

[6]Dominguez,Oritz (Antonio) Y vincent (Bernard) ،Op. Cit, P18.

[٧] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٦٥ .

[8]Perez Bustamante , Op. Cit, P-35 .

مراقبتهم تماماً ، وادى هذا الامر الى محاولة الموريسكيين القيام بثورة ، ولكن تم القضاء عليها في مهدها [١] .

يستدل مما تقدم ان الاسبان حاولوا كسب الموريسكيين لدينهم بكل الوسائل او القضاء عليهم ،و اعد الاسبان العدة لكل الاحتمالات الهجومية والدفاعية التي من الممكن ان يلجأ الموريسكيون اليها ، قاموا بهذه الاجراءات لسهولة السيطرة على اية ثورة من الممكن ان يعلنها الموريسكيون ضد الاسبان .

ان المعاملة القاسية التي اتبعها الاسبان ضد الموريسكيون ثم استخدام ((**اساليب الارهاب والبطش والتعذيب**))[٢] ، هي معاملة غير انسانية وكانت سياستهم تخالف السياسة التي استخدمها المسلمون اثناء دخولهم الى الاندلس ابان الفتح الاسلامي لها متمثلة بالتسامح الديني و حرية العقيدة وحرية التملك والعيش بأمان وعدم استخدام أي وسيلة من وسائل القمع ضد الاسبان [٣] .

قامت الملكة ايزابيلا باطلاق يد الكردينال خمنيث ، بحرية التصرف لتنصير الموريسكسين ، و امام اصراره حسب رأيه على ((**تطهير ارواح هؤلاء الكفار[المسلمين] رغبوا ام لم يرغبوا**))[٤]))[٤] .

وفي عام (٩٠٤هـ /١٤٩٨م) ، زار خمنيث غرناطة ، فجمع فقهاء غرناطة ، ودعاهم الى اعتناق المسيحية بعد ان شرح لهم اصولها ، ودعا تالافيرا الى استخدام وسائل اخرى غير المتبعة سابقاً ، واغدق الهدايا و التحف على المتنصرين الجدد [٥] من المسلمين الذين تنصروا خوفا من الاضطهاد الذي هددهم به خمنيث ، واستنكر الغرناطيون هذه الوسائل التعسفية التي من جملتها ، ان امر بجمع الكتب والمخطوطات العربية التي تخص كل العلوم والفنون والاداب، وشملت

---

[١] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٦٥

[٢] حتاملة ،التنصير القسري ، ص ٦٥.

[٣] مجهول ، اخبار مجموعة عن فتح الاندلس ، نشرها و ترجمها الى الاسبانية ، الافونتيي القنطرة (مدريد – ١٨٦٧) ، ص١٨ ؛ ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٥ . انظر ،

- La Cornica,del Moro rasis , Op. Cit, P.78.
- الضبي ، احمد بن يحيى بن محمد بن عميره (ت . ٥٩٩ هـ) بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، نشره فرانسسكو كوديرا (مدريد –١٨٨٤) ، ص ٢٥٩ .

[4] Pool , Stanley ,Lane Op. Cit, P.270.

[٥] عنان ، ديوان التحقيق ، ص٣٥ ؛ حتاملة ، التنصير القسري ، ص٦٥ .

مصاحف القران الكريم و كتب الشريعة الاسلامية قدرت بعشرات الالاف [1] ، فجمعت في ساحة الرملة Plazade Bibarrambla في غرناطة واضرمت النار فيها [2] ، وفي الوقت نفسه فتح فرع ((لمجمع قضاة الايمان الكاثوليكي)) او ما يسمى بمحاكم التفتيش [3] The Inquisitions في غرناطة في عام (٩٠٥هـ /١٤٩٩م) [4] .

ثورة البيازين (٩٠٤هـ /١٤٩٨م)

---

[1] تقدر الكتب التي احرقت بحوالي ٨٠.٠٠٠ الف كتاب وهنالك من يجعل عددها مليون كتاب . ينظر ، عنان ، ديوان التحقيق ، ص٣٥ ، هامش (٢) ، الزوبعي ، بشرى ، محاكم التفتيش الاسبانية ، ص٣١ ، هامش (٣).

[2] طه ، عبد الواحد ذنون ، الموريسكيون ، ص٢٥٢ ؛ حتاملة ، التنصير القسري ، ص٦٥ ؛ شاك ، فون ، الفن العربي في اسبانيا و صقلية ، ص١٣٠-١٣١ .

[3] محاكم التفتيش The Inquisitions ، نشأت محاكم التفتيش في اسبانيا لأول مرة في عهد الملكين الكاثوليكيين فرناندو و ايزابيلا في الربع الاخير من القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي ، و لكن الفترة السابقة لم تكن تخلو من الظلم ، فقد استخدمت وسائل تعسفية ضد المدجنين في قشتالة واراغون ، فأصدر مرسوم من قبل ملك قشتالة خوان الثاني (٨٠٩-٨٥٨هـ /١٤٠٦-١٤٥٤م) من خلاله يحق للمسيحي الاسباني الذي يقبض على مسلم مدجن هارب الى غرناطة استرقاقة ومصادرة امواله التي تصبح ملكاً للمسيحي ، ثم صدر مرسوم اخر من قبل نفس الملك اجبر خلاله المدجنين في طليطلة على ترك منازلهم واموالهم والانتقال الى قشتالة القديمة ثم انه في سنة (٨٢٦هـ /١٤٢٢م) صدر مرسوم بأعدام كل مسلم يمنع اخر من اعتناق النصرانية ولو كان ابنه ، و يقضي المرسوم بأن يسترق المسلم القادم من غرناطة القادم المسيحي الذي يمسك به ، ثم صدر مرسوم سنة (٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) يحرم فيه على النصارى توقيع كتب التزام واقرار بدين المسلم وفي سنة (٨٨١هـ /١٤٣٨م) صدر مرسوم البندقية يمين النصراني باطل امام القاضي اذا اعترف في يمينه انه مدين لمسلم ، ثم اصدرت الملكة ايزابيلا سنة (٨٨١هـ /١٤٧٦م) مرسوما الغى المحاكم الشرعية الاسلامية في قشتالة ، ومنع المدجنين من لبس الحرير والذهب والفضة ، ثم في سنة (٨٨٥هـ /١٤٨٠م) صدر مرسوم من قبل ايزابيلا اكدت فيه عزل المسلمين عن النصارى في السكن ، ثم صدر مرسوم من الملكين الكاثوليكيين يأمر بقتل كل مسلم يرفض التنصر او طرده خارج البلاد، ان تشكيل ديوان التحقيق الاسباني كان هدفه سياسي ومادي ، مغطى بغطاءالدين ، فهو سياسي لتشكيل نواة مملكة موحدة واسعة بدأت بغزو غرناطة واحتلالها سنة (٨٩٧هـ /١٤٩٢م) ، وهدف مادي بأعتبار ان مصادرة الاراضي و الاموال من المتهم تعود بمردود مادي لهم ، فقد شكلت محاكم التفتيش لأول مرة في اشبيلية سنة (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) . للتفاصيل ينظر ، الكتاني ، علي ، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية لشبه الجزيرة الايبرية قبل سقوط غرناطة ، بحث منشور في مجلة التاريخ العربي ، العدد /٦/، (الرباط – ١٤٢٩هـ /١٩٩٨م) ، ص١٥٢ ؛ الزوبعي ، بشرى ، محاكم التفتيش الاسبانية ، ص٤٢-٤٥ .

[4] طه ، عبد الواحد ذنون ، حركة المقاومة ، ص٢٣ .

نتيجة لتصرفات خيمنيث هذه ، فقد كانت ردود الفعل كبيرة جدا في البشرات و البيازين فسرت فكرة الدفاع عن العقيدة لدى الموريسكيين [١]، وكانت كل افعال الاسبان عبارة عن خرق شروط التسليم التي وقع عليها الملكان الكاثوليكيان اللذان كانت عمليات التنصير والظلم ، والتعسف تجرى بعلم و توجيه منهما ، وكانا يتغاضيان عن كل الاعمال البشعة التي تصدر بحق المسلمين ، دون سماع الشكاوي التي يرفعها الموريسكيون اليهما [٢] .

هذه الاعمال الارهابية الشنيعة ادت الى ان ينتظر الموريسكيون اول فتيل لآشعال نار الثورة ، فعندما قام مفوض شرطة اسمه بلاسكوي باريونويفو Blasco de Marrionuevo ، ورجل اخر كان خادماً للكردينال خمنيث اسمه سالثيدو Salcedo بالأعتداء على ابنة احد الموريسكيين في حي البيازين ، اشتعلت نار الثورة استجابة لصراخ الفتاة المسلمة ، فهرب الخادم ، ووقع المفوض بايدي الموريسكيون فرمى احدهم المفوض بحجر فقتله ، ونجا الخادم بأعجوبة من الموت وسارت حشود الموريسكيون الثوار نحو بيت الكردينال خمنيث ، قرب قصر الحمراء ، للقضاء عليه يقينا منهم ان الحادثة لم تحصل الا بتخطيطه [٣] .

هذه التحركات التي قام بها الموريسكيون ادت بالكردينال الى ان يلجأ الى بيت حاكم المدينة تنديا دي ماندوسا Tendia de Mandossa، الذي قام بأرسال قوة عسكرية للقضاء على الموريسكيين بعد ان اقنعه خيمنيث بذلك ، تصدى الموريسكيون للحملة التي اندلعت عندما وجدت كل الطرق مغلقة تماماً ، واجه الموريسكيون الحملة بالحجارة ، وتهدد جيمنيث بالموت ، قاد تنديا حملة اخرى سبقها بالوصول الاب تالافيرا الذي احبه الموريسكيون ، وزاد حبهم له عندما جاء بأثنين فقط من الشرطة فعرفوا حسن نيته وهو المعتاد منه ، استطاع تالافيرا ان يتفق مع الموريسكيين الذين أمّروا من قبل الاربعين رجل الذين اختيروا لقيادتهم ، وتم الاتفاق بين تانديا و تالافيرا من جهة ، وبين الحكومة التي شكلها الموريسكيون المؤلفة من اربعين رجلا من جهة اخرى ، وتوصل الطرفان الى ما يأتي :

١- ان تحترم الاتفاقات المبرمة بين الطرفين .

---

[١] عنان ، ديوان التحقيق ، ص٣٧.

[٢] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٧٤ .

[3] Luis Del Marmol Carvagal , Historis de lo rebeliony Castigode los Morisscos del reino de Granada – segunda impresion , tomo1 , (Madrid- 1979) . Cap . XXVI , P.116-120.

نقلا عن حتاملة ، التنصير القسري ، ص٧٦-٧٧ .

٢- ان يعامل الموريسكيين بكل احترام [١]
٣- عدم معاقبة أيٍ من الذين قاموا بالأنتفاضة .
٤- ان يعترف الموريسكيون بأنهم رعايا للملكين الكاثوليكيين .
٥- تسديد ما عليهم من الضرائب والاتاوات المفروضة على محاصيلهم الزراعية .
٦- من يقبل بالديانة المسيحية من الموريسكيين طوعا يمكنه الاحتفاظ بعاداته وتقاليده ولغته ، ومن يرفض المسيحية فعليه الخروج من غرناطة [٢] .

لم يطمئن الاعضاء الاربعون الذين أُنتخبوا لوعود الاسبان ، لذلك هربوا الى البشرات خوفا من الانتقام منهم [٣] .

ففي عام (٩٠٥هـ /١٤٩٩م) اصدر فرناندو وايزابيلا مرسوما للقضاء نهائيا على المسلمين [٤] ، عن طريق التعذيب ،والاضطهاد ولكل من لم يلتزم بتعاليمهما ، واشتهرا بالتنكيل بالمسلمين ، واجتثاث كل عقيدة مخالفة لعقيدتهم المسيحية في اسبانيا [٥] ، فلم يبق امام المسلمين الا ان يلجأوا الى الجبال بحثاً عن مأوى لهم ، ومعاقل للدفاع عن دينهم ضد الاسبان [٦] على الرغم من ان الكونت تنديا حاكم غرناطة اراد ان يبرهن لهم على حسن نيته و عزمه على ما وعدهم به فأودع في ايديهم زوجته وابنان له [٧] كضمان بعدم الاعتداء عليهم ، فأستقبلهم اهالي البيازين بكل احترام احترام [٨].

---

[1]Marcelino, Menendez Pelayo , Op. Cit, P.145 .

[٢] حتاملة ،التنصير القسري ، ص٧٧ .

[٣] م.ن. ص٧٧ .

[٤] رو ، جان بول ، الاسلام في الغرب ، تعريب ، نجدة هاجر ، وسعيد الغز ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ، ط١ (بيروت –١٩٦٠) ، ص٩٥ .

[٥] رمضان ، د. عبد العظيم ، محاكم التفتيش اسوأ استخدام لأسم الله ، بحث منشور في مجلة العربي ، العدد / ٢٥٨ ، مايو ، (الكويت –١٩٨٠) ، ص٤٨ .

[٦] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٧٩ .

[٧] شاك ، فوت ، الفن العربي في اسبانيا و صقلية ، ص١٣٢ .

[٨] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٧٧ .

جمعت الكنيسة كل قواها لمحاربة المسلمين و مطاردتهم [١] حتى تم جلاء الالاف من المسلمين خارج [٢] اسبانيا الى مناطق عديدة ، وبعيدة مثل شمال افريقيا [٣] ، والدولة والدولة العثمانية [٤] ، وبلاد الشام في القدس [٥] ، ودمشق [٦] ، ومصر [٧] وامريكا [٨] ،وصقلية [٩]، ،وصقلية [٩]، وفرنسا [١٠] ، ووجهت تهم كثيرة الى المسلمين منها الكفر . محاكم التفتيش كانت تنكر كل ما يبرئ المسلمين ((**فلم يكن المتهم برئ حتى يثبت اتهامه**))[١١] ، بل عدّ كل منهم مجرماً الى ان يتم اثبات براءته اذا كان ذلك ممكنا ، بل كان القاضي الذي يقاضيه هو نفسه المدعي عليه ، وكل من يشهد ضدهما تقبل شهادته ، و لو كان من اهل السوابق في الجرائم ،

---

[١] الطويل ، توفيق ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية و الاسلام ، ص٧١ .

[٢] ينظر ، حول ضروب و انواع التعذيب والتهم الموجهة للمسلمين وغير المسلمين(الذين يعتبرونهم هراطقة) خطاب ، محمود شيت ، ديوان التحقيق الاسباني ، ص١٩٠-١٩٨ ؛ الزوبعي ، بشرى ، محاكم التفتيش الاسبانية ، ص٧٤-١١٢ .

[٣] مجهول ، اخر ايام غرناطة ، ص١٣٧-١٤٣ .

[٤] السامي ، خليل ، مضاربه في تركيا من اوائل القرن الخامس عشر ، المجلة التاريخية الغربية ، عدد/١ ، تونس تونس ١٩٧٤ ، ص٤٦-٥٠ .

[٥] بدر ، د. احمد ، الاندلسيون والمغاربة في القدس ، مجلة اوراق ، المعهد الاسباني للثقافة ، عدد/٤/ سنة ، ١٩٨١ ، ص١٣٥ .

[٦] ابن طولون ، شمس الدين محمد ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تاريخ مصر والشام ، القسم الثاني ، تحقيق محمد مصطفى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة -١٩٦٢م)، ق٢ ، ص١٤٣ .

[٧] احمد ، علي ، رجال الادارة و السياسة والجيش الاندلسيين والمغاربة في مصر من القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع للهجرة ، مجلة دراسات تاريخية ، ٢٧-٢٨ ، ١٩٨٧ ، ص١٩٤-٢٠٥ .

[٨] كارדياك ، لوي ، قضية الموريسكيين بأمريكا ، نقله الى العربية ، تعريب عبد الجليل التميمي ، المجلة التأريخية التأريخية المغربية ، عدد ٦ ،(تونس -١٩٧٦) ، ص٩٠-١٠٧ .

[٩] التميمي ، د. عبد الجليل ، رسالة من السلطان العثماني احمد الاول الى دوق البندقية حول الموريسكيين ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد خاص من ٧-٨ ، (تونس -١٩٧٧) ، ص٣-١٣ .

[١٠] كارדياك ، لوي ، الموريسكيون و البرتستانت ، ترجمة ، عبد الجليل التميمي ،المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٢٧-٢٨ ، (تونس -١٩٨٢) ، ص٢٩٠-٣٠٠ ؛ كارדياك ، لوي ، الموريسكيون ، الاندلسيون والمسيحيون ، المجابهة (١٤٩٢-١٩٤٠) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيون بأمريكا تعريب وتقديم ، عبد الجليل التميمي ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، (تونس -١٩٨٣) ، ص١١٠-١٢٠ .

[١١] الطويل ، توفيق ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام ، ص٧٣ .

فكانت قواعد الشهادة ضده مقبوله وطليقة على عكس الشهادة التي بجانبه فأنها مرفوضة ، ومن حق اقارب المتهم ان يشهدوا ضده ، وهم ممنوعون من الشهادة لصالحه ، وكان المبدأ الذي تسير عليه محكمة التفتيش يقول ((**لأن يدان مائة بري زورا و بهتانا ويعانون العذاب الوانا خير من ان يهرب من العقاب مذنب واحد ... ومن ساهم في تقديم الوقود الذي يحرق به الملحد فقد استحق المغفرة**))[١] .

وهكذا بعد ثورة حي البيازين (٩٠٥هـ /١٤٩٩م) قررفرناندو وايزابيلا اصدار مرسوم يقضي بمنع أي موريسكي من الدخول الى غرناطة ، لمنعهم من الاختلاط بموريسكيي غرناطة، خوفا من تشجيعهم وبث الروح الجهادية في نفوسهم [٢] .

واصدر مرسوما يمنع الموريسكيين من ممارسة كل ما يمت الى لغتهم و عقيدتهم من صلة [٣] ومنذ عام (٩٠٥هـ/١٤٩٩م)أي بعد ثورة البيازين ، اخذ الاسبان يُعمّدون المسلمين وابناءهم بالقوة ومن لم يقبل يساق الى ديوان التحقيق والمحرقة [٤] ، وهذا يعني ان ديوان التحقيق بدأ عمله في غرناطة منذ هذه السنة وكان عمله بأسم الدين لتحقيق الاغراض السياسية التي كان هدفها اخضاع المسلمين قاطبة في الاندلس للمسيحية واكثر من ذلك القضاء نهائيا على الامة الاسلامية في الاندلس ،ودمجهما في المجتمع النصراني ، وسحق دينها وعقيدتها ((**و كل خواصها الحسنة والانسانية**)) [٥] .

ومن العجب ((**دستور ديوان التحقيق ، يجيز محاكمة الموتى والغائبين و تصدر الاحكام في حقهم وتوقع العقوبات عليهم كالأحياء ، فتصادر اموالهم ، وتعمل لهم تماثيل تنفذ فيها عقوبة الحرق ، او نبش قبورهم وتستخرج رفاتهم ، وتحرق**)) [٦] كل الاحداث السابقة التي تطرق اليها البحث كتبها كاتب موريسكي كان يصف مأساة قومه في مخطوط مهم ، كان مكتوب

---

[١] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٧٦ .

[2]Carmen , Munozroca – Tallada , Op. Cit, P.13-16 .

[٣] حتاملة ، التنصير القسري ، ص٧٩ .

[٤] علي ، محمد كرو ، الاسلام والحضارة العربية ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،(القاهرة – ١٩٦٨) ، ص٢٦٧ .

[٥] خطاب ، محروشيت ، ديوان التحقيق الاسباني ومهمته في ابادة الامة الاندلسية ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي ، الجزء الاول ، المجلد الثالث و الاربعون ، (بغداد –١٤١٦هـ /١٩٩٦م) ، ص٢٠٢ .

[٦] م.ن ، ص ١٩٨ .

باللغة المستعجمة الالينجمادو [١] Al-jamiado والمحفوظة في المكتبة الوطنية في مدريد [٢] . كان كاتب المخطوط وهو مسلم يذكر انه زار اخاه في الدين يوسف بن العاص في بيته الريفي القريب من غرناطة ، وبعد تبادل الحديث ذكر له احداث غرناطة التي شاهدها وعاشها ، لأنه احد اهالي غرناطة الذين عاشوا كل المعاناة فيقول **((لقد رايت بعينّي هاتين ان كل السيدات الكريمات ، متزوجات وارامل او عذراى ، تعرضن للأغتصاب ... و انا نفسي فقدت ثلاثة من ابنائي ، مات الجميع دفاعا عن دينهم ، واختطفوا مني زوجتي وبنتين وبقيت معي فحسب هذه البنت الوحيدة تسليني ، و كان لها من العمر حينئذ سبع سنوات))**[٣] ثم يقول: **((انا لا ابكي على ما حدث ، ان البكاء لا يحول دون ما كان ان يقع ، وانما ابكي ، لما سوف تعانونه اذا ظللتم على قيد الحياة ، وبقيتم ... في هذه الجزيرة الاسبانية فليسامحني الله ببركة قراننا الكريم ، وادعو ان لا تتحقق نبوءتي ، و الا تصبح واقعا اراها بعيني ، و لا زلنا ننتظر المزيد من الاضطهاد لديننا ، و اخواننا يسألون : ما حقيقه صوت المؤذن الذي كان يدعو في الصلاة ما هي عقيدة اسلافنا؟ ، و كل ذلك يورث الحسرة و الحزن لمن فيه بقية من شعور ، ويزداد الالم و يكثر اذ يرد في الخاطر ان المسلمين سوف يصبحون كالمسيحيين ، يحتقرون ازياءهم ، و يشمئزون من طعامهم او على الاقل لا يحسون بجلال الله الذي يرتضون اعماله ، ويحفظون في قلوبهم شريعته))**[٤] .

مما تقدم يتضح شدة معاناة المسلمين في اسبانيا ، ومدى تحملهم الالام في سبيل دينهم المضطهد ومعاناتهم من الاجراءات التعسفية التي يلاقونها من النصارى ، مما يزيدهم ذلك رغبة في الموت للحيلولة دون ان يروا ما سوف يحل بدينهم وشخصيتهم من الفناء بمرور الزمن .

---

[١] الاليجمادو Al-jamiado ، و هي اللغة الرومانية القشتالية و تكتب بأحرف عربية ، استخدمت بعد ان منع الموريسكيون من التحدث باللغة العربية ، ارادوا من العمل بها الحفاظ على بعض الكلمات العربية لغة القران الكريم فكتب القران الكريم بها سرا و كثيرا سيرة الرسول (ص) و استخدموها في ادبهم . للتفاصيل ينظر ، عنان ، نهاية الاندلس ، ص٤٩٤-٥٠٢.

[٢] المخطوطة رقم ٢ ، و عنوانها ،

((Sumario de relacion y ejercicio espertiual , Sacado y declarado Por el mancebo . de Arevalo))

[٣] المخطوط السابق ، ص١٣٠ .

[٤] م.ن، ص١٣٠.

المبحث الاول

العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدول الاسلامية في بلاد المغرب العربي (٧٩٧-٩٠٦هـ/ ١٣٩٤-١٥٠٠م)

١-العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة المرينية.

دأب بنو مرين على تقديم المساعدة الى سلطنة غرناطة منذ نشوء دولتهم حتى سقوطها (٦٦٨-٨٦٩هـ/ ١٢٦٩-١٤٦٤ م) اذ أدوا دوراً كبيراً في إرسال المساعدات العسكرية لسلطنة غرناطة من خلال عبورهم[1] الى الجانب الاندلسي ايام ازدهار قوتهم العسكرية [2]، الا ان الدولة المرينية في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وبداية القرن التاسع الهحري/ الخامس عشر الميلادي، كانت قد دخلت طور الضعف والانحلال، وسبب ذلك هو دخولها في الصراعات التي حدثت في شمال افريقيا بين الكيانات السياسية الموجودة في المنطقة ولا سيمامع الدولة الحفصية وكان من نتيجة هذا الصراع ان توسع الحفصيون على حساب املاك بني مرين في المغرب الاقصى* [3].

(١) ان اول عبور لبني مرين هو في زمن الامير يعقوب بن عبد الحق (٦٦٨هـ/١٤٦٣م)، اذخرج من فاس قاصداً الاندلس لتقديم المساعدة الى بني الاحمر، واشعار الاسبان بقوته. ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص٩٨.

(٢) عبد محمد، سوادي، دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الميلادي، ١٩٨٩، ص٢٩٠.

* اقسام بلاد المغرب اداريا وهي المغرب الادنى (ويسمى ايضا افريقيه) و يشمل المنطقة الممتدة من غرب مصر الى الاجزاء الشرقية من الجزائر ، والمغرب الاوسط ، ويشمل المنطقة الممتدة من مدينة بجاية حتى وادي ملوية (ما يعادل بلاد الجزائر الحالية) ، والمغرب الاقصى ويمثل المنطقة التي تلي المغرب الاوسط حتى المحيط الاطلسي . رضا ، محمد سعيد ، محمد بشير العامري ، تاريخ المغرب و الاندلس ، ص٣٧ –٤١ ؛مؤنس، حسين ، فتح العرب للمغرب، د. ط، (القاهرة– ١٩٤٧)، ص٤.

(٣) الزركشي، ابي عبد الله بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق، محمد ماخور، المكتبة العتيقة، ص١٢٣-١٢٤.

ان ضعف دولة بني مرين كان بسبب تولي عدد من السلاطين الضعفاء، مما ادى الى تقلص سلطانهم في المغرب الادنى اولاً، اذكان تابعاً لهم، ومن ثم في المغرب الاوسط، حتى انحسر سلطانهم في المغرب الاقصى، ضمن الحدود الاولى للدولة.[١]

كان سلاطين غرناطة يستنجدون بالدولة المرينية اذا هددوا من قبل الاسبان، الذين كانوا يطمعون في السيطرة على غرناطة، فكانت الدولة المرينية تمد سلطنة غرناطة بالقوات العسكرية والمساعدات المالية وغيرها من المساعدات الاخرى، حتى ان هذا التعاون بين هاتين الدولتين، ترتب عليه ان تبقى قوة عسكرية مرينية في بلاط الاندلس يكون عليها قائداً من اقرباء السلطان المريني اطلق عليها اسم (مشيخة الغزاة) [٢] وهو منصب عسكري[٣].

تعد الدولة المرينية القوة الرئيسية التي استنجد بها الغرناطيون فيكثير من المناسبات ايام المحن والتهديدات الخارجية اذ ان كلا الدولتين ترتبطان بروابط الدين الواحد والعقيدة الواحدة[٤]، الا انهما قد توالى على عرشيهما عدد من السلاطين الذين لم تكن لديهم القوة التي تمتع بها اسلافهم من قبل، فأسرفوا في الترف واللهو وتناسوا الخطر المحدق بهم، فأخذ الضعف يدب في اوصال الدولتين، بينما كانت القوة تتركز في كل من اسبانيا والبرتغال[٥]، اعداء الغرناطيين والمرينيين[٦] اللذين دخلا في صراعات داخلية فيما بينهما، فاسحي المجال لعدوهما المشترك ان يسيطر على بعض المناطق المهمة من اراضيهما[٧].

---

[١] السالم، سيد عبد العزيز، المغرب الكبير العصر الاسلامي، دراسة تأريخية وعمرانية واثرية، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦، ص٨٧٢؛ عبد محمد، سوادي، دراسات في تاريخ المغرب العربي، ص٢٩٣، ص٢٩٣ هامش رقم (٢٩).

[٢] للتفاصيل عن مشيخة الغزاة. ينظر، محمد، مزاحم علاوي، الدولة المرينية في عصر ابي الحسن علي بن عثمان (٧٣١-٧٥٢هـ/ ١٣٣١-١٣٥٢م)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل، (الموصل- ١٩٨٥م)، ص٦٢-٦٤؛ الجواري، رياض حميد مجيد، تنظيمات الجيش في سلطنة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م)، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الكوفة، (الكوفة- ١٩٩٧)، ص١٠٠-١٠٨.

[٣] محمد، مزاحم علاوي، الدولة المرينية في عصر ابي الحسن علي بن عثمان، ص٦٢.

[٤] زكي، عبد الرحمن، غرناطة وآثارها الفاتنة، ص٢١-٢٢.

[٥] العبادي ، احمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص٤٥٥؛ احمد، مصطفى ابو ضيف، اثر القبائل العربية في الحياة المغربية ، ص١٧٨.

[٦] احمد ، مصطفى ابو ضيف، اثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ص١٧٨.

[٧] السالم، سيد عبد العزيز ، المغرب الكبير، ص٨٧٢؛ العبادي ، احمد مختار، دراسات في تأريخ المغرب والاندلس، ص٤٥٨.

دخل السلطان يوسف الثالث (٨١١-٨٢٠ هـ/ ١٤٠٨-١٤١٧م)، في حرب مع السلطان المريني المعاصر له وهو ابو سعيد عثمان (٨٠٠-٨٢٣ هـ/ ١٣٩٧-١٤٢٠م)، لقد كان صاحب غرناطة- وعلى الرغم من كل المساعدات التي قدمتها دولة بني مرين لسلطنته- يخشى اطماع السلطان المريني على حكمه، وبذلك يعلل الناصري هذا الخوف بأنه **((يخاف منه على مملكته شأن اسلافه من قبله في خوفهم من اسلاف ابي سعيد*))**.

وعلى الرغم من توتر العلاقات بين سلطنة غرناطة، والدولة المرينية الا ان هناك معاهدات اشتركت فيها الدولتان مع اطراف اخرى، فعلى سبيل المثال لا الحصر، في سنة (٨١٦ هـ/ ١٤١٣م)، ابرمت معاهدة مدة سنة واحدة بين غرناطة وقشتالة، شملت كل من اراغون والمغرب (الدولة المرينية)، وجددت هذه المعاهدة بعد انقضاء اجلها المقرر طبقاً للشروط نفسها في العام التالي أي في سنة (٨١٧ هـ/ ١٤١٤م)، ثم تم تجديدها في السنة اللاحقة (٨١٨ هـ/ ١٤١٥م)[١].

ثورة اهالي منطقة مضيق جبل طارق.

كان اهالي مضيق جبل طارق متذمرين بسياسة حاكم المنطقة احمد بن السلطان يوسف الثالث وظلمه لهم[٢]، مما ادى الى ان يثور ضد السلطان الغرناطي، فدعوا السلطان ابا سعيد المريني، الذي ما ان وصلته الدعوة حتى ارسل اخاه عبد الله[٣]، الذي يسمى (سيدي عبو)[٤]، ويسمى احياناً ابو زياد[٥]، الا ان السلطان الغرناطي ما كاد يعرف بالثورة التي حدثت ضده في

---

* على الرغم من المراسلات التي تحدث بين سلاطين بني مرين، وسلاطين غرناطة التي تدل على الالفة والمحبة، كما حدث ان راسل السلطان ابو العباس المريني، صاحب غرناطة يوسف ابن الغني بالله، فالمراسلات في ظاهرها حسنة تدل على الاتفاق، الا انها كانت مبطنة بتدبير مؤامرة للاستيلاء على غرناطة من قبل المرينيين دبر السلطان المريني مؤامرة، كانت نتيجتها مقتل السلطان الغرناطي، الا ان السلطان المريني لم يدرك ضالته التي سعى لتحقيقها. الناصري السلاوي، الاستقصا، ج٤، ص٨١-٨٢.

(١) بالار، ماريانو ارييباس ، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين اراغون وغرناطة، بحث منشور في مجلة تطوان، طبع في معهد مولاي الحسن للابحاث الاندلسية المغربية، العدد الثامن، ١٩٦٣، ص١٩٧-١٩٨.

(2)-Mumuddin S.M.I, OP. cit, p. 181.

(٣) عنان ، نهاية الاندلس، ص١٥٣.

(٤) يوسف الثالث، ديوان ملك غرناطة، مقدمة المحقق، الصفحات، غ، ف.

(5) Mumuddin S.M.I, OP. cit, p. 181.

منطقة مضيق جبل طارق، حتى ارسل قوة عسكرية لمساعدة حاكم المنطقة (ابنه) الذي تمكن بعد وصول المدد له من التغلب على القوة المرينية وانصارها في منطقة المضيق، وهزم المرينيين واسر قائد الحملة المرينية ابو عبد الله، وجيء به الى سلطان غرناطة الذي عامله بكرم وسخاء[١]، هو ومن معه من الاسرى[٢]، وطلب السلطان المريني من سلطان غرناطة ان يعمل ما يراه مع اخيه مناسباً، ويتصرف معه كيفما يشاء في محاولة للتخلص منه[٣].

يتضح ان السلطان المريني بإرساله اخيه ابي عبد الله الى مضيق جبل طارق اراد بذلك ان يتخلص منه بوصفه منافساً له على العرش المريني، فاذا تمكن اخوه من السيطرة على منطقة المضيق فهو امتياز له ولدولته، ويبقى اخوه بعيداً عنه بصفته والياً من قبله على تلك المنطقة، وان قتل اخوه او اسر فانه بذلك يتخلص من منافسته له.

حاول السلطان يوسف الثالث استغلال اسيره لضرب السلطان المريني في الصميم، فما كان منه الا ان اطلق سراح اسيره وزود بالجيش والسلاح والذخيرة، وطلب منه ان يثور على اخيه السلطان المريني للحصول على العرش[٤]، وبالفعل تمكن من الانتصار على اخيه وانتزاع العرش منه[٥]، بمساعدة السلطان الغرناطي الذي حرض على الثورة ضد السلطان ابي سعيد المريني، رغبة من سلطان غرناطة في ان يتجدد السلام بين الدولتين، فاذا ما انتهى حكم ابي سعيد المريني فانه بحسب اعتقاده سيأتي سلطان آخر فتتحسن بذلك العلاقات بين الدولتين، وكان لسلطان غرناطة اتباع واولياء في الدولة المرينية حثهم على تشجيع الثورة، والتحريض عليها، فكان له داعية اسمه ((ابن السعيد)) كما يتضح من خلال الابيات التي يدعو بها على اتباع ابي السعيد والثورة ضد السلطان المريني، الذي انقطعت العلاقات المرينية- الغرناطية ابان حكمه وهذه الابيات التي دعا فيها سلطان غرناطة الى احداث التغيير فتصبح العلاقات افضل ما بين الدولتين.

"عثمانكم" اضمى قدار قبيلة   فكان به لصعيده يتوسدُ
يقضي "السعيد" بما قضت عزماتنا   والملك منصور اللواء مؤيدُ
"فاس الجديد" بجلها متغلباً   ليّه نعم المعين والمنجدُ
انا له الردء الذي يكفي العدى   ويحوط جانب ملكه ويؤيدُ
أبني مرين والحماية شأنكم   ولكفكم سيف الجهاد يجردُ

---

[١] عنان ، نهاية الاندلس، ص١٥١.

[٢] يوسف الثالث، ديوان ملك غرناطة، مقدمة المحقق، الصفحات، غ، ف.

(3)-Mumuddin S.M.I, OP. cit, p. 181

(4) Ibid, p. 181.

[٥] يوسف الثالث ، ديوان ملك غرناطة، مقدمة المحقق، الصفحات، غ، ف.

اوطانكم اخوانكم وبلادكم	عودوا وعهدكم القديم فجددوا
قوموا الى نصر السعيد حماية	فالدين ان لم تجمعوه يبـدُد[1]

محاولة سلطنة غرناطة والدولة المرينية توحيد الجهود واسترجاع مدينة سبته.

ظلت دولة بني مرين تسير نحو الانحدار[2]، وكان احتلال سبته من قبل البرتغاليين سنة (٨١٨ هـ/ ١٤١٥م)[3]،نذير شؤم لدولة بني مرين بل هو نذير بانهيار هذه الدولة، فبعد ان كانت الدولة المرينية تجوز الى الاندلس لتقاتل الاسبان جنباً الى جنب مع الغرناطيين– في فترات سابقة لمدة البحث – اصبحت الان هي بحاجة الى من يأتي ويقاتل معها البرتغاليين.[4]

ونظراً لأهمية منطقة سبته بالنسبة الى المغرب والاندلس، لذلك حدثت محاولة لاسترجاعها في عام (٨٢٢ هـ/١٤١٩م)، هذه المحاولة كانت من قبل السلطان ابي سعيد المريني، بالاشتراك مع السلطان الغرناطي محمد الايسر، وكان الهجوم ضمن خطة منسقة تبدأ من جهتي البر والبحر، على ان يهاجمها المرينيون براً والغرناطيون بحراً الا ان هذه المحاولة باءت بالفشل بسبب استماتة البرتغاليين في الدفاع عن المدينة المهمة جداً بالنسبة لهم[5].

واستمرت الدولة المرينية تزداد ضعفاً، وذلك لتدخل ملوك بني زيان في الشؤون الداخلية لها[6]، حتى انتهى النفوذ الفعلي لبني مرين سنة (٨٣٢ هـ/١٤٢٨م)، عندما اغتيل ابو سعيد عثمان، وان كان حكمهم الفعلي انتهى بصورة نهائية سنة (٨٦٩ هـ/ ١٤٦٤م)[7].

ان اغتيال السلطان المريني المذكور آنفاً كان نتيجة لتحالف سلاطين غرناطة مع سلاطين بني زيان، ودبر هذا الاغتيال للحد من تدخل السلطان المريني في منطقة مضيق جبل طارق من

---

[1] يوسف الثالث ، ديوان ملك غرناطة، ص٦٥.

[2] الناصري السلاوي، الاستقصا، ج٤، ص٩٢؛ السالم ، سيد عبد العزيز، المغرب الكبير، ص٨٧٢؛ السالم، سيد عبد العزيز، العبادي، احمد مختار، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، ص٣٥٧.

[3] ابن القاضي ، لقط الفرائد من لفاضة حقق الفوائد، ص٢٤٠؛ ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٧، ص١٢٤؛ كحالة ، عمر رضا، العالم الاسلامي، المطبعة الهاشمية، ط٣، (دمشق– ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)، ج١، ص٨٩.

[4] الناصري السلاوي ، الاستقصا ، ج٤، ص٩٢؛ السالم ، سيد عبد العزيز، المغرب الكبير، ص٨٧٢؛ السالم، سيد عبد العزيز، العبادي، احمد مختار، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، ص٣٥٧.

[5] السالم، سيد عبد العزيز، العبادي، احمد مختار، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، ص٣٥٨.

[6] التنسي، محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه، محمود ابو عبيد، المكتبة الوطنية للكتاب، (الجزائر– ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٢٣٦، الهامش رقم (٦٣٤).

[7] بالار، ماريانو اريياس، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة، ص١٩٧–١٩٨.

جهة، ولإيقاف تدخله في الاوضاع السياسية الداخلية لسلطنة غرناطة من جهة اخرى[1]، وهذا الامر يشير الى الاهتمام المبكر لسلطنة غرناطة بدولة بني زيان وهو الذي سيحدد فيما بعد طبيعة العلاقات السياسية بين الدولتين.

ان السلاطين الضعفاء -الذين حكموا الدولة المرينية في المدة الاخيرة أي بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي- لم يتمكنوا من الوقوف امام تهديد الاسبان والبرتغاليين للسواحل الشمالية لأفريقيا، مما ادى الى التأثير في مقدرتهم بالاتصال بسلطنة غرناطة[2].

ومن الملحوظ ان منصب مشيخة الغزاة المريني [3] الذي الغي في الولاية الثانية للسلطان محمد الخامس ظهر مرة اخرى في غرناطة، فهناك اشارة الى ان شيخ الغزاة وهو يحيى بن عمر بن عثمان المريني قاد معركة ضد الاسبان القشتاليين عام (٨٣٤ هـ/ ١٤٣٠م)[4]، وهو الامر الذي يوضح طبيعة النفوذ المريني في غرناطة ولا سيما اذا ما عرفنا المكانة التي تحتلها مشيخة الغزاة في العهود السابقة.

اتفاق قشتالي مريني ضد سلطنة غرناطة.

في عهد حكم السلطان الغرناطي محمد الايسرالثامن (٨٣٥هـ/١٤٣١م)، بعث خوان الثاني ملك قشتالة سفراءه ومعهم هدايا نفيسة الى السلطان المريني في فاس، عبد الحق بن عثمان (٨٢٣- ٨٦٩ هـ/١٤٢٠-١٤٦٤م)، يطلب منه عدم التدخل في شؤون سلطنة غرناطة فوعده السلطان المريني بذلك[5]، والسبب في ذلك الطلب هو ان مملكة قشتالة قدمت المساعدة الى

---

[1] التنسي ، محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص٢٣٦، الهامش رقم (٦٣٤).

[2] حسن، ابراهيم شحاته ، اطوار العلاقات المغربية – العثمانية، منشأة المعارف، (الاسكندرية- ١٩٨١)، ص٣٧-٣٩؛ الخالدي، وسن سمين محمد امين، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة فاس على عهد بني مرين ٦٦٨-٨٦٩، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٧٣.

[3] ان منصب مشيخة الغزاة الغى في عهد السلطان محمد الخامس (المخلوع) ايام ولايته الثانية التي بدأت سنة (٧٦٣هـ/١٣٦٣م)، اذ تولى بنفسه قيادة الجنود المغاربة، واستمر على هذه الحال حتى سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م). ابن خلدون ، العبر، ج٧، ص٥٠٢؛الناصري السلاوي ، الاستقصا، ج٤، ص٨١-٨٢.

[4] ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي ، انباء الغمر بانباء العمر في التأريخ، مراقبة، عبد الوهاب النجاري، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت- ١٩٨٦)، ج٨، ص٢٣١؛ ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب المقدمة والفهارس، محمد السقا، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٧٢، ج٢، ص١٣٨.

[5] عنان ، نهاية الاندلس، ص١٥٨.

السلطان محمد الايسر لإرجاعه الى العرش مرة اخرى مقابل شروط معينة، الا ان السلطان محمد الايسر لم يفي بهذه الشروط[١]، التي منها ان يدفع السلطان محمد الايسر ما انفقه ملك قشتالة من الاموال في سبيل ارجاعه[٢]، وبامتناع الايسر عن ذلك اراد ملك قشتالة مهاجمة غرناطة[٣].

سقوط الدولة المرينية واثره في سلطنة غرناطة.

ضعفت سلطنة بني مرين في مدة حكم السلطان عبد الحق بن ابي سعيد المريني، وفي عهده بدأ الضعف يتغلغل في اوصال الدولة المرينية وذلك لاسباب خارجية وداخلية في آن واحد، اما الاسباب الخارجية فانها تعود بالدرجة الاولى الى فقدان الدولة المرينية التمتع بالأمتيازات الاقتصادية والجغرافية والسياسية، التي كانت تتيحها سيطرة الغرناطيين على مضيق جبل طارق، الذي كان يعني شكل من اشكال السيادة المرينة. اما الاسباب الداخلية فتعود في الاغلب الى ضعف السياسة الداخلية ولا سيما بعد ان سيطر الوطاسيون ، على السلطنة المرينية وكذلك الامر الذي تذكره جل المصادر وهو التدخل اليهودي في امور الدولة عبر وجود وزيرين يهوديين[٤] يسيطران على ادارة الدولة وسياستها الداخلية والخارجية، هذه الامور مجتمعة ادت الى ان يستغل بنو وطاس الظوف السياسي المضطرب وانهاء دولة بني مرين واعلان ابو زكريا نفسه سلطاناً للاسرة الوطاسية.

ان هذه التحولات السياسية قد قامت بتأثير كبير في تحديد شكل العلاقات التي يمكن ان تظهر بين هذه الدولة وسلطنة غرناطة[٥]في الفترة اللاحقة، فانشغال المرينيين وباقي الكيانات السياسية الموجودة في المنطقة بمحاولة تعديل اوضاعهم الداخلية قد حدد كثيراً من اظهارهم لأي شكل من اشكال الاستجابة العسكرية المباشرة لسلطنة غرناطة.

٢-العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة الحفصية في القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي).

---

[١] ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس، ص١٢٠.

[٢] م. ن ، ص١٢٠؛ عنان ، نهاية الاندلس، ص١٥٨.

[٣] ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا، ج١، ص١٦٠.

[٤] احمد ، مصطفى ابو الضيف ، اثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ص١٩٢-١٩٣.

[٥] احمد، مصطفى ابو الضيف ، اثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ص١٩٣.

كان للدولة الحفصية نصيب في تقديم المساعدات الا انها لم تكن بالمستوى الذي قدمته الدولة المرينية، وكان لهذه المساعدات اثر في تنمية الشعور بالاشتراك برابطتي الدم والدين لدى المسلمين الغرناطيين وحثهم للدفاع عن دينهم الاسلامي.

ففي نهاية القرن (الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، استنجد السلطان الغرناطي – محمد بن يوسف الثاني (٧٩٧-٨١١هـ/١٣٩٤-١٤٠٨م)- بسلاطين شمال افريقيا، عندما هاجمه ملك قشتالة هنري الثالث، فأمده سلطان تونس ببعض القطعات البحرية العسكرية، واشترك سلطان تلمسان ايضاً بهذه الحملة، فاصطدم الاسطول العسكري البحري القادم من شمال افريقيا لنجدة سلطنة غرناطة بالاسطول الاسباني، وحدثت معركة بحرية في مضيق جبل طارق سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، كان النصر في هذه المعركة البحرية لسفن الاسبان اذ تم اغراق معظم قطع الاسطول الاسلامي في مياه البحر المتوسط عند منطقة مضيق جبل طارق[١].

وفي عهد السلطان ابي فارس عبد العزيز الحفصي (٧٩٦-٨٣٧هـ/١٣٩٣-١٤٣٣م)[٢]، اصبحت للدولة الحفصية مكانة بين دول المنطقة، وارتبطت بعلاقات دبلوماسية مع الكثير من الدول المجاورة لها ومنها سلطنة غرناطة[٣]، وعندما اتجه السلطان الحفصي ابو فارس باتجاه فاس –عاصمة بني مرين– في سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٣م)، للسيطرة عليها، دان له سلطان فاس بالخضوع والولاء وكذلك قدم له سلطان غرناطة محمد الايسر البيعة، ذلك لما رأى منه من القوة والسطوه، فخضعت له الكثير من البلاد في شمال افريقيا في المغرب الاوسط، والاقصى، واصبحت تحت حكمه[٤].

ولعل من الادلة المهمة على اهتمام الدولة الحفصية الجديدة باستمرارها في ادامة علاقاتها مع سلطنة غرناطة هو تقديم ابي فارس المساعدات الى اهالي غرناطة ايام حروبهم مع الاسبان،

---

(١) ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا، ج١، ص١١-١٢؛ ابن القاضي ، ابو العباس احمد ابن محمد (ت. ١٠٢٥هـ) ، ذيل وفيات الاعيان، المسمى درة الحجال في اسماء الرجال، تحقيق، محمد الاحمدي ابو النور، دار التراث والمكتبة العتيقة، (القاهرة –١٩٧٠)، ج٣، ص١٢٦؛

Conde.J.A. History of the Dominion of the Arabs in Span, Tran. By J. Fester. Vol.III, (London- 1913), p.300.

(٢) ابن عامر، احمد، الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، (تونس –١٩٧٤)، ص١٩.

(٣) السالم ، سيد عبد العزيز ، المغرب الكبير، ص٨٧٨-٨٧٩؛ عبد محمد ، سوادي ، دراسات في تاريخ المغرب العربي، ص٢٩٧.

(٤) الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص١٢٦.

اذ كان يرسل لهم الف قفيز من الحنطة كل سنة يبعثها لهم في اسطوله وتتبعها معونات اخرى[1]، وعندما انتهى حكم السلطان ابي فارس الحفصي في سنة (٨٣٨هـ/١٤٣٤م)[2]، تولى بعده ابنه الامير ابو عبد الله المنتصر (٨٣٨-٨٣٩هـ/١٤٣٤-١٤٣٥م)، الذي قام بتقديم المساعدات الى اهالي غرناطة، وقدم اموالاً الى المجاهدين في بلاد الاندلس[3]، وبهذا العمل شجع الجهاد ضد الاسبان ، والتصدي لهجماتهم على الاراضي الاسلامية.

لم تتوقف جهود الدولة الحفصية على تقديم المساعدات المختلفة واستقبال السفراء الغرناطيين في البلاط الحفصي بل تعدى ذلك الى امور اخرى منها استقبال السلطان الحفصي السلاطين الغرناطيين اللاجئين اليه، نحو السلطان محمد الايسر الذي شعر بأن زمام الامور قد انفلت من يديه، لجأ الى السلطان الحفصي ابي فارس الذي قام باستقباله واعلان استعداده لتقديم كل ما يمكن ان يساعده على تثبيت شكل سياسي جديد يخدم توجهات الطرفين وطموحاتهم[4]، الامر الذي تؤكده الاحداث التي جرت بعد ذلك.

التعاون الحفصي القشتالي لأرجاع السلطان الغرناطي محمد الايسر الى العرش .

عندما لجأ الوزير الغرناطي يوسف بن سراج -وزير السطان محمد الايسر- الى بلاط قشتالة [5] حدث ما يمكن ان يشير الى شكل من اشكال التواطؤ السياسي بين كل من ملك قشتالة والسلطان الحفصي، لاعادة السلطان الغرناطي الى العرش مرة اخرى، وكان للوزير يوسف بن سراج تأثير كبير في هذا الامر ، وقد تم بالفعل هذا التعاون بين الحفصيين ومملكة قشتالة لارجاع السلطان محمد الايسر الى العرش فارسل الملك القشتالي الى السلطان الحفصي يطلب منه إرسال محمد الايسر، ومعاقبة السلطان الغرناطي الذي اغتصب عرش غرناطة. استقبل السلطان الحفصي حامل رسالة ملك قشتالة وكان الوزير يوسف بن سراج برفقته، واستجاب السلطان الحفصي لطلب ملك قشتالة وقام بتزويد محمد الايسر بفرقة من الفرسان تقدر بحوالي خمسمائة فارس، وهدايا

---

[1] ابو الضياف ، احمد ، اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (تونس -١٩٦٣)، ج١، ص١٨٢.

[2] عبد محمد ، سوادي ، دراسات في تاريخ المغرب العربي، ص٢٩٧.

[3] ابن ابي دينار، ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم (ت. ١١١١هـ) ، المؤنس في اخبار افريقيا وتونس، تحقيق وتعليق، محمد شمام، المكتبة العتيقة، ط٣، (تونس -١٣٨٧هـ)، ص١٥٥-١٥٦.

[4] ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ج١، ص١٥.

[5] ينظر، الرسالة ، ص٧١ .

لملك قشتالة[١]، وبهذه المساعدة من السلطان الحفصي تمكن محمد الايسر من استرداد عرشه ، الا ان الايسر لم يفِ بعهوده لملك قشتالة الذي شن عليه الحرب، فطلب السلطان محمد الايسر المساعدة من السلطان الحفصي ابي فارس الذي ارسل صاحب قشتالة اليه يطلب منه عدم التدخل في هذه الحرب، وكان رد السلطان الحفصي الموافقة على ما طلبه ملك قشتالة، وبهذا حرم السلطان الغرناطي من العون الذي كان من الممكن ان يرسل له من قبل السلطان الحفصي، وبهذا خلع سلطان غرناطة محمد الايسر عن العرش مرة اخرى[٢].

وفي سنة (٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، ارسل السلطان الحفصي ابو عمر عثمان رسوله احمد البنزرتي الى غرناطة، حاملاً رسالة [٣] الى السلطان الغرناطي، الذي زوده عند رجوعه بهدايا ثمينة في مقدمتها نسخة من القرآن الكريم الذي وضع في الجامع الاعظم بتونس ليقرأ فيه السلطان الحفصي في كل يوم [٤].

مما تقدم يتضح ان الرسالة التي حملها احمد البنزرتي، وصلت في عهد السلطان الغرناطي يوسف الخامس بن احمد بن اسماعيل (٨٦٧-٨٦٨هـ/١٤٦٢-١٤٦٣م)، او وصلت في عهد السلطان سعد بن محمد مدة ولايته الثانية (٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، او في عهد ولده الذي عزله وهو ابو الحسن علي الذي اقصى والده عن العرش سنة (٨٦٨-٨٨٦هـ/١٤٦٣-١٤٨١م)، على اية حال في زمن أي سلطان من هؤلاء وصلت فهي تدل على وجود روابط الصداقة واستمرار العلاقات الطيبة بين السلطنتين (غرناطة، والسلطنة الحفصية).

لم تكن العلاقات بين سلطنة غرناطة والسلطنة الحفصية مقتصرة على الجوانب السياسية الرسمية فحسب، بل كان هناك بعض الاشخاص الذين ولعوا بالشعر يلجؤون الى البلاط الحفصي، بسبب تفرقهم في تلك الفترة، وانعكس هذا الواقع على شعراء وادباء وكتاب ذلك العصر، الذين ابتعدوا عن الاغراض الشعرية المتعارف عليها، واخذوا ينظمون شعر المحنة[٥]، وازداد ولع الشعراء

---

[١] ايرفنج ، واشنطون ، بنو سراج ومصيرهم في قصر الحمراء، ص٦٦.

[٢] ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ج١، ص٣٠٠-٣٠٠١؛ عنان، نهاية الاندلس، ص١٥٨.

[٣] لم يعثر الباحث على مضمون الرسالة في المصادر التي تناولها في البحث.

[٤] الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص١٥٤-١٥٥.

[٥] الخالدي ، وسام علي محمد حسين ، الشعر الاندلسي في ظل البلاط الحفصي، ٦٣٤-٩٨١هـ، رسالة ماجستير في اللغة العربية، مقدمة الى كلية الاداب جامعة الكوفة، ١٤١٨ه/١٩٩٨م، ص١١٨-١١٩.

الشعراء الأندلسيين بشعر الاستنجاد[١]، فقد اطلقوا العنان لقرائحهم في التعبير عن الخطر المحدق بهم، وصاروا يلتمسون الفوت والنجدة لتفادي المصائب التي تحف بهم وبإخوانهم في غرناطة[٢].

ولم يقتصر الشعراء الأندلسيون على شعر الاستنجاد بل نظموا قصيد (الفجيع) على مدنهم التي سقطت بأيدي الاسبان[٣].

كانت هذه القصائد تهز ضمائر الامراء والسلاطين في البلاط الحفصي، وتحثهم على انقاذ الاندلس[٤]، وبهذا العمل الادبي يكون الحفصيون على تماس مع مصائب الاندلسيين، الذين عانوا الكثير من ضغط الاسبان.

مما تقدم يتضح ان الدولة الحفصية كانت تحاول ان توازن بين مصالحها مع الممالك الشمالية الاسبانية، وبين ما يترتب عليها من الوقوف الى جانب سلطنة غرناطة، التي ترتبط معها بروابط الدين الاسلامي ، لذلك كان يجب تقديم المساعدة لغرناطة، كونها الكيان السياسي البديل عن الدولة المرينية، التي اصبحت لا حول لها ولا قوة في تلك الفترة ، وفي الوقت نفسه كان يهم الدولة الحفصية ارضاء الاسبان لتحقيق امتيازات سياسية وتجارية معهم ومع الكثير من دول اوربا خلال هذه المدة ، ومن الجدير بالذكر ان الدولة الحفصية احتضنت فيما بعد كل من السلطان محمد الزغل والسلطان ابا عبد الله الصغير بعد تسليم مفاتيح غرناطة الى الجيش القشتالي وصعوبة بقائه في غرناطة تحت مظلة ورحمة ملكي قشتالة واراغون وذلك بموجب وثيقة التسليم [٥].

٣-العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة و امارة تلمسان

حكم بنو عبد الواد [٦] تلمسان التي تقع على ملتقى طريقين تجاريين مهمين تكمن فيهما اهمية هذه المدينة التي انهكتها الحروب والصراعات الداخلية والخارجية فتوالى على حكمها

---

(١) الاستنجاد لغة، "الاستغاثة وطلب النصرة على خصم ممن هو شجاع ماضٍ فيما يعجز به بنفسه لما عند المنجد من شجاعة وشدة بأس وقوة". بن يوسف، مصطفى ، ادب الاستنجاد في الاندلس من (القرن الخامس الى القرن التاسع الهجري)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥، ص٥٤-٥٦.

(٢) الخالدي، وسام علي محمد، الشعر الاندلسي في ظل البلاط الحفصي، ص١١٩.

(٣) م.ن، ص١٦٧.

(٤) م.ن، ص١٢٩.

(٥) ينظر الملحق رقم (٧) ، ص ٢١٨-٢٢٩ .

(٦) بنو عبد الواد، كانوا في الاصل من امراء القبائل الرحل، التي كانت تجوب الصحراء في المغرب الاوسط. عبد محمد ، سوادي ، دراسات في تأريخ المغرب، ص٢٩٤.

سلاطين ضعفاء[١]، في بداية القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، فكان حكم ابي محمد خلال المدة (٨٠١-٨٠٤هـ/ ١٣٩٨-١٤٠١م)[٢]، وكان الضعف ينتاب الدولة في هذه المرحلة ، و لكن بعد مدة وجيزة من هذا التاريخ قدمت سلطنة غرناطة الى بني زيان المساعدة للتدخل في شؤون الدولة المرينية وحدث هذا في سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)[٣]، وهذا يدل على ان سلطنة غرناطة كانت تقدم المساعدة لدول المغرب العربي عند احتياجها لذلك، وسبب مساعدة غرناطة لبني زيان في هذه المرحلة ، هو ان الدولة المرينية كانت تتدخل في شؤون سلطنة غرناطة الداخلية لذلك ارادت غرناطة التخلص من تدخلها بايجاد ما يشغلها في شمال افريقيا وهي الدولة الزيانية.

وتعد هذه المساعدة التي قدمتها سلطنة غرناطة، اول اشارة الى علاقة غرناطة بالدولة الزيانية في تلمسان خلال القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي).

ويعود سبب التقارب بين سلطنة غرناطة والدول الاسلامية في المغرب الى الواقع القبلي المتشابه لدى الجانبين خلال نهاية العصور الوسطى[٤].

كانت الاوضاع السياسية في سلطنة غرناطة ايام محمد الزغل، تسودها الفتن الداخلية التي يغذيها ابن اخيه ابو عبد الله الصغير الذي تسنده مملكة قشتالة التي كانت دائماً تهاجم الثغور الاسلامية في غرناطة[٥]، هذه الضغوط من قبل ابي عبد الله الصغير ومملكة قشتالة ادت بالتالي بمحمد الزغل الى ان يرسل بسفارة [٦] اشترك بها عدد من المبعوثين الى رؤساء الدول الاسلامية[٧]، ومنها تلمسان، التي كانت تتأجج فيها نار التمردات الداخلية والثورات، والصراعات

---

(١) اليوسف ، عبد القادر احمد ، علاقات بين الشرق والغرب، ص٢٥٣؛ عبد محمد ، سوادي ، دراسات في تاريخ المغرب، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٢) التنسي ، محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص٢٢٨، هامش رقم (٥٨٨).

(٣) م. ن ، ص٢٣٦، هامش رقم (٦٣٤).

(٤) الجابري ، محمد عابد ، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد – د. ت)، ص١٩.

(٥) سلمان ، صفاء داود ، الفكر التربوي والمنهج التعليمي عند ابن الازرق، (محمد بن علي بن قاسم بن مسعود ابو عبد الله (ت. ٨٩٦هـ))، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد – جمادي الثانية ١٤٢٠هـ/ ايلول ١٩٩٩م)، ص٤١.

(٦) حول هذه السفارة. ينظر، الرسالة ، ص١٧٥ .

(٧) ابن الازرق ، محمد بن علي بن قاسم بن مسعود ابي عبد الله (ت. ٨٩٦هـ) ، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق د. علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، (بغداد – ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج١، ص٩، مقدمة المحقق. ؛ التازي، عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة نضالة المحمدية، (المغرب –١٩٨٨م)،

والحروب الخارجية مع الدولة الحفصية في تونس، حتى وصلت الى مرحلة الانقسام بين افراد البيت الحاكم ودخلت فترة الانحطاط[١]، لهذا السبب لم تحقق هذه السفارة النتيجة التي كانت تسعى لها.

كانت هذه السفارة في ايام حصار الاسبان لمدينة مالقة التي تحرك الزغل لانجادها الا انه لم يفلح في ذلك فسقطت بأيدي الاسبان، لذلك قرر محمد الزغل الجواز الى بلاد المغرب العربي، واستقر هناك ليقضي ما بقى من حياته في حسرة وندم[٢].

اثر بلاد المغرب العربي في احتضان المهاجرين الغرناطيين.

لم تكن العلاقة بين سلطنة غرناطة ودول شمال افريقيا لتنتهي الى هذا الحد فقط، بل كانت في الفترة السابقة لسقوط غرناطة هجرات، سواء أكانت فردية ام جماعية، علماً ان هذه الهجرات ليس من سلطنة غرناطة فقط، بل من بلاد الاندلس جميعها، واستمرت هذه الهجرات التي اصبحت بعد سقوط غرناطة هجرات جماعية مكثفة، قصدت شمال افريقيا وشملت مدن ومناطق متعددة منها[٣].

اذ كان الاندلسيون يهجرون المدن الساقطة بيد الاسبان الى غرناطة، ومنهم مجموعات اخرى تجوز الى بر العدوة في المغرب [٤].

حتى قدر عدد المهاجرين من سكان غرناطة بعد سقوطها سته او ثمانية ملايين نسمة، اذا اضيف اليهم المدجنون في المدن التي سقطت قبل سقوط غرناطة[٥] ، ومما تسبب في هجرة هذا العدد الكبير هو محاولة كل من فرناندو وايزابيلا اخراج الغرناطيين من مدينتهم، بوضعهم

مج٧، ص٣٢٠؛ التازي ، عبد الهادي ، مع ابن الازرق في مخطوطته، بحث في مجلة دعوة الحق، العدد/٦، السنة السادسة، (المغرب – ١٣٩٤هـ/١٩٧٧م)، ص١٤٥.

[١] العروي ، عبد الله ، تاريخ المغرب محاولة التركيب، ترجمة، دوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط١، (بيروت –١٩٧٧)، ص٢٣٧.

[٢] الغنيمي ، مأساة الفردوس المفقود، ص٣٧٠؛ حتاملة، محنة مسلمي الاندلس، ص٤٤–٤٥.

[٣] الكبيسي ، د. خليل ابراهيم ، هجرة الاندلسيين وتهجيرهم الى المغرب العربي، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي، الجزء الثالث، مج٤٤، (بغداد –١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص١٣٧–١٥٨.

[٤] م. ن ، ص١٤٥.

[٥] الحجي ، عبد الرحمن علي ، محاكم التفتيش الاسبانية وسراديب الموت فيها، بحث منشور في مجلة المناهل، عدد/ ٣١، سنة ١٩٨٤، (المغرب – ١٤٠٢هـ)، نقلاً عن، الكبيسي ، د. خليل ابراهيم ، هجرة الاندلسيين، ص١٤٥، هامش رقم (٣٢).

التسهيلات اللازمة لذلك كما اشارت اليها احدى بنود معاهدة التسليم التي جاء فيها : ((**يحق لسائر غرناطة والبيازين وغيرهما الذين يريدون العبور الى المغرب ان يبيعوا اموالهم المنقولة لمن شاءوا، ... وانه يحق للسكان المذكورين ان يعبروا الى المغرب... ويلتزم الملكان بأن يجهزا في... ستين يوماً من تأريخه عشر سفن في موانيهما يعبر منها الذين يريدون الذهاب الى المغرب، وان يقدما خلال الاعوام الثلاثة السفن لمن شاء العبور**)) [1].

فقد ((**بادر المسلمون بالجواز الى العدوى من المراسي الموجودة في الاندلس**)) [2]، كما شجع على هذه الهجرة علماء وفقهاء المغرب العربي ايضا .

فتوى الونشريسي بحق الغرناطيين المهاجرين

افتى الفقيه الونشريسي بهذا الصدد في فتواه المسماة: ((**اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**)) .

صدرت هذه الفتوى من الفقيه احمد بن يحيى الونشريسي[3]، جواباً عن سؤال وجهه اليه الفقيه ابو عبد الله بن قطيَّه، يسأله عن فتواه في حال الاندلسيين الذين هاجروا وتركوا املاكهم واموالهم في الاندلس وجازوا الى دار الاسلام، الا انهم نادمون على ذلك لان الحال في المغرب في ضيق ولا يجدون سبباً في نيل الرزق، واصبحوا يرددون كلاماً ضعيفاً دالاً على ضعف الدين، وان هجرتهم هذه لم تكن لله ولرسوله بل لدنيا يصيبونها عاجلاً عند وصولهم الى ارض المغرب، وصاروا يشتمون ممن تسبب في مجيئهم الى بلاد المغرب، حتى صاروا يبحثون عن الحيلة للرجوع الى دار الكفر. فكان جوابه (الونشريسي) ان الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام هو فريضة الى يوم القيامة، واورد آيات من القرآن الكريم، واحاديث نبوية شريفة في حرمة البقاء في الاندلس تحت ظل الكفر ووجوب الهجرة الى دار الاسلام [4].

---

[1] حتاملة ، محمد عبده ، الاعتداءات الافرنجية، ص٨٨، الملحق رقم (١). للتفاصيل ينظر طه ، عبد الواحد ذنون ، حركة المقاومة العربية الاسلامية في الاندلس بعد سقوط غرناطة، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد – ١٩٨٨)، ص١٣.

[2] حول نزوح الغرناطيين الاندلسيين الى المغرب. ينظر، مجهول ، آخر ايام غرناطة، ص١٣٧-١٤٣.

[3] ينظر، نص الفتوى في كتاب، الونشريسي، المعيار المعرب، مج٢، ص١١٩-١٣٥؛ ينظر، الملحق رقم (٩) من الرسالة، ص٢٤٧-٢٥٤.

[4] الونشريسي ، المعيار المعرب، ص١٢٠-١٢١.

فتوى المغراوي بحق الغرناطيين المهاجرين .

كان بعض العلماء يرى خلاف ما يراه الونشريسي اذ كان رد المغراوي على الفتوى السابقة مناقضاً تماماً، فهو يؤكد وجوب الاقامة في غرناطة وضرورة الالتزام بالاسلام في دار الكفر اذ يقول: **((... ومؤكداً عليكم في ملازمة دين الاسلام، آمرين به من بلغ من اولادكم... فطوبى للغرباء الذين يصحّون اذا فسد الناس... فالصلاة ولو بالايماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم او رياء، ..والغسل من الجنابة ولو عوماً في البحور، وان منعتم فالصلاة قضاءٌ بالليل لحق النهار... وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالايدي للحيطان... وان اكرهوكم في وقت صلاة الى السجود الى الاصنام او حضور صلاتهم، فاحرموا بالنية، واتوا صلاتكم المشروعة... وان قال اشتموا محمداً فانهم يقولون لهم ممد، فاشتموا ممداً...))** [1].

مما تقدم يتضح ان المغراوي يفتي بالبقاء في غرناطة والمحافظة على الدين، ولو سراً وممارسة الطقوس الدينية حسب النية التي ينويها المسلم، اما اذا اردنا تحليل هاتين الفتويين فنحن ازاء قراءتين مختلفتين تمام الاختلاف مع الاخذ بالحسبان انهما ينبعان من منبع واحد، فكلاهما يستمدان الحجج التي ترد من مورد واحد هو القرآن الكريم، ناهيك عن انهما يقصدان ضمان النجاة لأهالي غرناطة، فالاول يرى ان النجاة بالرحيل من غرناطة والاخر يراها في المكوث فيها، الامر الذي يجبر الدارس والمدقق على ان يعيد الكرة عند نظره في ابرز ملامح الفكر السياسي العربي الاسلامي في تلك المرحلة، اذ يمكن ان يلحظ ان هذا الفكر قد تطور الى حد انه امتلك الرؤية الفعلية في الامور السياسية.

فنرى الاثنين (الونشريسي- المغراوي) قادرين على سوق الحجج المنطقية وتطويعها لغاياتهما المختلفة، وهما يسوغان للآخرين ما يرونه مناسباً لنفس كل واحد منهما، مع اختلاف نوازعهما ومقاصدهما.

لكن الاحداث التي تمخضت عن الهجرة افرزت لنا حقائق ربما تؤكد واقعية فتوى المغراوي ، اذ ان المغراوي طرح حلولاً عملية لكل المعضلات التي تعرّض مسلمي غرناطة للتنكيل، وكل هذا مع مجاورتهم لديارهم، وتمكنهم من امر معيشتهم مع الاحتفاظ بامل يقدره الله سبحانه وتعالى فانه ربمايمكنهم في يوم من الايام من النصرة، ونُدعِّم رأينا هذا بما حدث في ثورتي البشرات، والبيازين، والثورات اللاحقة لهما التي اعلنها الموريسكيون، ونسأل في مصير هذه الثورات لو كان الحشد

---

[1] المغراوي ، حمد بن بو جمعة الوهراني ، المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، تقديم وتحقيق، عبد الهادي التازي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص١٢٠-١٢١.

الاسلامي على ما هو عليه باقياً في غرناطة قبل رحيلهم الى العدوات، لأختلفت نتائج هذه الثورات، ولأصبح المهاجرون قوة ضاربة للاسبان بامكانها تحقيق بعض الانتصارات واقامة حكم ذاتي اسلامي مستقل عن الاسبان في الاندلس.

المبحث الثالث

العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية*

وصلت الدولة العثمانية الى اوج عظمتها في القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)، وتمكنت من الامتداد الى اوربا من جهة الشرق، الامر الذي اقلق البابوية وخاصة والدول الاوربية عامة ونتيجة لهذا التهديد فقد كانت البابوية، واوربا تشجع وتنظم الى كل جهة من شأنها التقليل من قوة العثمانيين، لذلك حاولت اوربا ان تقيم علاقات قوية مع تيمورلنك(1)، وكان من جهة دول اوربا ان قامت قشتالة في عهد ملكها هنري الثالث، بإرسال عدة وفود الى تيمورلنك، ناشده الوفد الاول للتحالف معه ضد العثمانيين ثم أُرسِل وفدان آخران قشتاليان وصلا اثناء استعداد تيمورلنك لخوض معركة انقرة (2) (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، ضد العثمانيين، شاهد الوفدان المعركة ، ثم انصرفا محملين بالهدايا(3)، وبهذه الوفود قويت الروابط بين قشتالة، وتيمورلنك وهذا ما يتوضح من خلال الوفد الثالث.

---

* الدولة العثمانية، اسست هذه الدولة على يد عثمان بن ارطغرل بن سليمان بن شاه بن قبا بن الب رئيس قبيلة قابي احدى قبائل الغز التركية، هاجر سليمان الشاه امام هجمات المغول مع قبيلة حي الف فارس من الكردستان واستقر في اتلاط (بلدة شرقي تركيا اليوم قريباً من بحيرة وان في هضبة ارسيتيا)، ثم انضم ابناء هذه القبيلة بعد وفاة سليمان شاه الى جيش السلاجقة الذين قطعوهم ارض استقروا فيها، وبعد وفاة ارطغرل تولى امرهم ابنه عثمان ، الذي اتخذ من مدينة بكي شهر (في وسط الاناضول غربي فرتيه)، عاصمة له واتخذ نفس الراية التي تشكل الان العلم التركي، واستطاع عثمان بن ارطغرل ان يسيطر على الاراضي التابعة للسلاجقة للانحلال والاضطراب الذي حل بدولتهم وذلك في سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م). السراج،محمد بن محمد الاندلسي الوزير، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيله، دار الكتب الشرقية، ق١، ج٢، ص٦٠-٥٦؛ حسون، علي ، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الاسلامي، ص١٤-١٥.

(1) تيمورلنك، ولد في بلاد ما وراء النهر، (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، ورث عن ابيه زعامة قبيلة تركية اسمها بارلاس Barlas انضوى في البداية تحت لواء امير افغانستان جلال الدين محمود، اصيب تيمور في احدى المعارك بسهم في رجله جعله اعرجاً طوال حياته، تمكن تيمورلنك من تولى السلطنة سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، بعد ان دبر انقلاباً على احد الامراء كان حليفاً له اسمه حسين وهو خصم لامير افغانستان، وهكذا جعل تيمورلنك سمرقند عاصمته التي اصبحت قاعدة لغزواته في جهة الشرق الاوسط وروسيا. اليوسف، عبد القادر احمد ، علاقات بين الشرق والغرب، ص٢٤٢.

(2) حول التفاصيل عن معركة انقرة. ينظر، حسون، علي، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ص٢٢-٢٧.

(3) اليوسف، عبد القادر احمد، علاقات بين الشرق والغرب، ص٢٤٦.

ارسلت اسبانيا وفداً ثالثاً برئاسة روي كانزلز Ruy Ganzalez الذي وصل سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، وعبر تيمورلنك عن فرحه بوصول الوفد بان سأل عن (ولده) ملك الاسبان، اذاشار مخاطباً حاشيته: ((**انظروا الى هؤلاء السفراء انهم مرسلون من قبل ولدي*** ... **الذي يعيش في الطرف الآخر من العالم**)) بهذه المخاطبة يتضح ان تيمورلنك يتبجح بان اتباعه موجودون حتى في الطرف الآخر من العالم[١].

ان سبب استنجاد سلاطين غرناطة بسلاطين آل عثمان هو حرص العثمانيين على حمل الخلافة الاسلامية اذ ان الرغبة العثمانية القديمة المعلنة في كون آل عثمان هم حكام الاسلام، والدولة العثمانية هي السلطة الشرعية في خلافة الرسول محمد (ص) وان سلاطينهم يحملون راية الاسلام الى اصقاع العالم كله وهم في حالة جهاد مستمر ((**اذ يوجد بين المسلمين وبقية العالم حسب رأي الفقهاء حالة من الحرب تفرضها اسس دينية وقانونية ولا تنتهي حالة الحرب هذه الا عندما ترجع الحقوق الدينية في جميع العالم للاسلام ويدخل فيه، لذا فان معاهدة سلام بين الدولة الاسلامية ودولة غير اسلامية كانت مستحيلة من الناحية الشرعية، فالحرب لا يمكن انهاؤها، وانما يمكن ايقافها فقط لاسباب الضرورة ولاسباب ذرائعية عن طريق الهدنة**)) [٢].

حاول السلطان بايزيد الاول، الحصول على العهد من الخلافة شأنه في ذلك شأن كل كيان سياسي اسلامي، لكي يضفي على حكمه صبغة الشرعية فعليه ان يحصل على التأييد والعهد من الخليفة للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه و سلم). لذلك بعث الى الخليفة العباسي في مصر بعد سقوط بغداد، علماً انه لا يوجد ما يثبت اطار ديني ان الخليفة العباسي اجاب عن طلب السلطان بايزيد الاول [٣].

على اية حال فأن هذه العلاقات بين قشتالة وتيمورلنك انتهت بعد وفاة الاخير وتلاشت في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تعد العدة لفتح القسطنطينية، كان مسلمو غرناطة في الطرف الغربي من اوربا يعانون من ويلات الحرب التي قادتها قشتالة ضدهم، ويجمع المؤرخون على ان استيلاء العثمانيين على القسطنطينية عام (٨٥٨هـ/١٤٥٤م)، هو من الحوادث الكبرى التي غيرت

---

* كلمة ولدي عند المغول تحمل معنى التبعية. اليوسف، عبد القادر احمد، علاقات بين الشرق والغرب، ص٢٤٦.

[١] اليوسف ، عبد القادر احمد ، علاقات بين الشرق والغرب، ص٢٤٦.

[٢] بوزرت شافت، تراث الاسلام، مجلة عالم المعرفة، (الكويت –١٩٨٨)، ج٢، ص٥٥.

[٣] عبد السيد ، حكيم امين، قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة –١٩٦٦)، ص١٤٧.

احوال البلاد المحيطة بالبحر المتوسط بشكل خاص، واحوال العالم كله بشكل عام، خلال القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)[1].

وكان من نتائج فتح القسطنطينية على اوربا هو ان هذا الفتح صعق ملوك وامراء اوربا، حتى انتابهم الذعر والالم، واصبحوا يستنهض بعضهم بعضاً للتصدي للعثمانيين وترك الخلافات التي اضعفتهم لذلك اصبحوا يخططون لحملة صليبية ضد العثمانيين[2]، ولكن رجحان كفة العثمانيين في الشرق ادى الى نتائج عكسية في اسبانيا، اذصمم الاسبان في القضاء على المسلمين نهائياً في اسبانيا[3].

بعد ان تمكنت الدوله العثمانية من كسر شوكة اوربا بفتحها القسطنطينية اصبح امل الاندلسيين كبيراً بهذه القوى الاسلامية الكبيرة[4]، فتوجهوا باستغاثة الى السلطان محمد الفاتح[5] (٨٤٨–٨٦٨هـ/١٤٤٤–١٤٦٣م)، الا انه نتيجة انشغاله في حروب داخل اوربا[6]، لم يتمكن من تقديم المساعدة اذ لم يكن هناك ما يشير الى تقديم أي عون عسكري، او مادي من خلال سير الاحداث في غرناطة، وتعد هذه العلاقة السياسية الاولى لطلب مسلمي غرناطة النجدة من الدولة العثمانية في عهد محمد الفاتح.

ففي الجانب الآخر كان مسيحيو اوربا لا يقلون طموحاً في نشر الديانة المسيحية وجعل العالم كله يتفيأ ظلال الصليب المقدس، وكان من جملة نشاطاتهم استثمار الاموال الطائلة لتحقيق غايتهم تلك، ومارسوا نشاطاً فكرياً واسعاً من اجل ترسيخ مبادئهم، ولقد كانت الحروب الصليبية نشاط لنشر الدعوة المسيحية او لتطهير الاراضي التي يسيطر عليها المسلمون وهذا دليل على انتقال الدعوة المسيحية من المجال النظري الى التطبيق الفعلي في اسبانيا[7].

ظلت غرناطة تستنجد بسلاطين العدوه المغربية فهو تقليد اندلسي قديم لم تكن اولى ايامه في هذه المرحلة، ولكن الضعف الذي خيم على دول المغرب العربي قد غير انظارهم الى قوة اسلامية اخرى وهي الدولة العثمانية، والمدقق لسير الاحداث يجد ان استنجاد الاندلسيين

---

(1) فهمي، نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص١٣.

(2) حسون، علي، العثمانيون والبلقان، المكتب الاسلامي، ص١١١.

(3) عاشور، سعيد عبد الفتاح ، اضواء جديدة على الحروب الصليبية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤، ص٧٥.

(4) الشناوي، عبد العزيزي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، (القاهرة –١٩٨٠)، ج٢، ص٩٠٢.

(5) السراج، الوزير، الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، ق١، ج١، ص٧١.

(6) فريد بك ، محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة محمد افندي مصطفى، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص٥٨–٦٧؛ اليوسف، عبد القادر احمد، علاقات بين الشرق والغرب، ص١٤٨–١٥٠.

(7) حمادي، عبد الله، المورسكيون ومحاكم التفتيش الاسبانية، ص٢٣١.

بالعثمانيين كان متأخراً، اذا ما قورن ببلاد المغرب العربي او دولة المماليك التي لم تستطع تقديم العون العسكري في سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م)[١]، لذلك وجد الغرناطيون ان القوة الاسلامية الرئيسة آنذاك هم العثمانيون لذلك حولوا انظارهم اليها.

تولى السلطان العثماني بايزيد الثاني (٨٨٦- ٩١٨هـ/١٤٧١-١٥١٢م)[٢]، بعد وفاة محمد الفاتح، الا ان اخاه الاخير جم تمرد عليه، وعندما خرج اليه بايزيد الثاني لقتاله انهزم الى مصر في عهد السلطان قايتباي الذي اكرمه اكراماً عظيماً[٣]. الامر الذي ادى الى ان تسوء العلاقة بين الدولة المملوكية والدولة العثمانية، حاول السلطان قايتباي ان يثنيه عن عزمه في الذهاب عن حرب اخيه في الاناضول الا انه فشل[٤]، وتأزمت العلاقات بين الدولتين، مما ادى الى حدوث صدام مسلح، والحملات العسكرية بين الطرفين اطلق عليها اسم "التجاريد"، جندت خلالها الدولة المملوكية العشائر والعناصر المحلية وسميت باسم "عشران" وبعد تجاريد كثيرة ارسلت في السنوات (٨٨٩هـــــ/١٤٨٤م)، (٨٩٠هـــــ/١٤٨٥م)، (٨٩١هـــــ/١٤٨٦م)، (٨٩٢هـــــ/١٤٨٧)، (٨٩٣هـ/١٤٨٨م)[٥]، ثم تم الصلح بين الطرفين بعد مساعي الفقهاء والقضاة ،والوجهاء ،وجمع حوله الانصار ، ونازع اخاه بايزيد الحكم، فقاتله بايزيد فخسر جم المعركة وفرّ الى بلاد النصارى[٦]، اذ عدّ فراره الى اوربا عاملاً ذا اهمية للمناورة مع السلطان العثماني بايزيد الثاني[٧].

لقد تواترت الاخبار عن الضيم الذي لحق اهالي غرناطة ليس في ساحات الحروب حسب بل على السنة الشعراء والخطباء والكتاب الذين ارادوا عبر استنجاداتهم حث الامة الاسلامية على تقديم العون للسلطنة المغلوبة على امرها، فكان موقف السلطان العثماني بايزيد الثاني من مسأله اعانة اهالي غرناطة المنكوبين متحددة بمجموعة من العوامل الداخلية ضمنها على الاعم الجهد الذي بذله بايزيد الثاني لتنظيم البيت العثماني من الداخل ولا سيما ما يتعلق منها بمصير اخيه جم

---

(١) عنان، نهاية الاندلس، ص٢١٨.

(٢) الوزير السراج، الحلل السندسية، ص٧٤.

(٣) م. ن، ص٧٤.

(٤) البخيت، محمد عدنان ، رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني الى عبد المؤمن بن ابراهيم بن عمرو عثمان الحفصي، سنة٨٩٦هـ/١٤٩٥م، المجلة التاريخية المغربية، العدد/٩، (تونس –١٩٧٧)، ص٦٩، هامش رقم (١).

(٥) ابن طولون ، سهل الدين محمد ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق، محمد مصطفى ، (القاهرة –١٩٦٢)، م١، ص٤٣-٤٧/ ٥٣-٥٤، ص٤٣، ص٤٧، ص٥٣، ص٥٤؛ البخيت ، محمد عدنان، رسالة من السلطان بايزيد الثاني، ص٧٦ هامش رقم (١٤).

(٦) الوزير السراج ، الحلل السندسية، ص٧٤.

(٧) فريد بك ، محمد ، الدولة العلية العثمانية، ص٦٩-٧٠.

الذي كان محوراً لتآمر الدول المسيحية ضد الدولة العثمانية[١]. لذلك حاول السلطان العثماني بايزيد الثاني ان يقيم علاقات طيبة مع دول اوربا، ولا سيما البابوية منها التي تتلقى دفعة سنوية من الاموال يقدمها بايزيد الثاني لقاء ابقاء اخيه جم منافسه على العرش تحت مراقبتها[٢].

كانت اخبار محنة الغرناطيين تصل الى كل ارجاء الدولة الاسلامية ففي عام (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، طلب حكام غرناطة من السلطان العثماني بايزيد الثاني[٣] –الذي ادعى انه اشرف السلاطين–[٤]، النجدة ضد قشتالة الموحدة.

على الرغم من ان بايزيد الثاني غير قانع بقوته البحرية، الا انه امر القراصنة المسلمين ان يقدموا العون الفعلي لمسلمي غرناطة[٥]، وقد حالت مشاكله الشرقية دون تقديم المساعدة[٦] الكبيرة لمسلمي غرناطة، علاوة على الخلافات الاسرية المتمثلة بأخيه جم الذي اصبح محوراً لتآمر الدول المسيحية ضد العثمانيين[٧].

تكرر طلب المساعدة من العثمانيين في عهد بايزيد الثاني الذي اتفق مع قايتباي ملك مصر على مساعدة الاندلسيين بأن يرسل بايزيد اسطولاً الى اسبانيا، وان يرسل قايتباي قوة برية من جهة افريقيا[٨].

وقد اورد ايرفنج Irvingتفصيلاً جيداً عن بوادر التحالف التركي المصري من اجل مد يد العون للمناطق الاندلسية المنكوبة اذ ذكر: ((... **امراء الاندلس وزعماؤها مذ لاح لهم شبح الخطر الداهم، يتجهون بابصارهم الى دول المغرب والمشرق معاً، وكانت كتبهم ونداءاتهم في تلك الاونة العصيبة تترى على فاس والقاهرة والقسطنطينية... ان المشرق كله اهتز بحوادث الاندلس، وسقوط قواعدها السريعة في يد النصارى، وان بايزيد الثاني سلطان الترك والاشرف قايتباي سلطان مصر، تهادنا مؤقتاً بالرغم مما كان بينهما من خصومات مضطرمة وحروب**

---

(١) مصطفى، احمد عبد الرحمن ، اصول التأريخ العثماني، دار الشروق، ط١، (القاهرة –١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٧٤–٧٥.

(٢) زيادة ، خالد، اكتشاف التقدم الاوربي، دراسة في المؤثرات الاوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت – د.ت)، ص١٥.

(٣) مصطفى، احمد عبد الرحمن ، اصول التاريخ العثماني، ص٧٤.

(٤) م. ن، ص٧٣.

(٥) م. ن ، ص٧٤.

(٦) قيام السلطان العثماني بايزيد الثاني بإرسال اسطول ضرب شواطيء اسبانيا بعد ان استنجد به مسلمو غرناطة. مصطفى احمد عبد الرحمن، اصول التاريخ العثماني، ص٧٤ هامش رقم (١).

(٧) م. ن، ص٧٤.

(٨) حموده ، علي محمد ، تأريخ الاندلس السياسي والاجتماعي والعمراني، ط١، (مصر –١٩٥٧)، ص٢–٣.

دموية وعقدا محالفة لانجاد الاندلسيين وانقاذ دولة الاسلام، ووضعا لذلك خطة مشتركة خلاصتها ان يرسل بايزيد الثاني اسطولاً قوياً لغزو جزيرة صقلية التي كانت يومئذ من املاك اسبانيا، ليشغل بذلك اهتمام فرناندو وايزابيلا، وان تبعث سريات كبيرة من الجند من مصر وافريقيا، تجوز البحر الى الاندلس، لتنجد جيوشها وقواعدها))[1].

ولعلنا نستطيع بقليل من التحقق والتدقيق ان نقرر ان موقف الدولة العثمانية من مأساة غرناطة كان سبباً رئيساً في صعود قوتها البحرية وامتلاكها الجرأة في الوصول الى سواحل المتوسط التي تطل عليها الدول الاوربية، تلك الجهود التي دعت اهالي غرناطة الى تدعيم الجهد البحري العثماني بسبب الحقد الدفين للقشتاليين لضلمهم للغرناطيين ضد اتحاد قشتالة واراغون اضافة الى الاسباب الاقتصادية الاخرى.

وهنا نجد ان حتمية الموقف العثماني من سقوط غرناطة ثم مأساة الفارين منها وطريقة التعامل مع نداءات الاستغاثة كان موقفاً ايجابياً لأن الدولة العثمانية تمثل الاسلام وهو يواجه تحدياً يتمثل في طموحات النصارى، فقد كان لحادث سقوط غرناطة ((**وقعه العميق في سائر الامم النصرانية، فقد ابتهجت له ايما ابتهاج واعتبرته من بعض الوجوه عوضاً عن سقوط القسطنطينية في قبضة الاسلام قبل ذلك بأربعين عاماً، وخلدت ذكرى الحادث في روما باقامة قداس اعظم واستمر ابتهاج الشعب اياماً))**[2].

ذلك يعني ان النصارى ومن وراءهم البابا كانوا قد يضعون الدولة العثمانية وانجازاتها ولا سيما فتح القسطنطينة معياراً يحاول اشخاصه معادلته بمجموعة من الاجراءات الاضطهادية "فمنذ ان استولى فرناندو على غرناطة، كان الاحبار يطلبون اليه بالحاج، ان يعمل على سحق طائفة محمد (صلى الله عليه واله) في اسبانيا، وان يطلب من المسلمين الذين يريدون البقاء، اما التنصر او بيع املاكهم والعبور الى المغرب وانه ليس في ذلك خرق للعهود المقطوعة له[3] ((**وخاصة ان القسم الذي يؤخذ لغير المسيحيين لم يكن ملزماً))** [4]، بل في خرق العهود انقاذاً لارواحهم وحفظ لسلامة مملكتهم[5]، ولكن من المستحيل ان يعيش المسلمون في صفاء وسلام مع الاسبان او يحافظون على ولاءهم للملكين الكاثوليكيين ماداموا معتنقين للديانة الاسلامية[6]، ولقد سار

---

(1) عنان ، نهاية الاندلس، ص٢١٨-٢١٩.

(2) م. ن ، ص٢٧١.

(3) م.ن، ص٣١٣.

(4) اليوسف ، عبد القادر احمد ، علاقات بين الشرق والغرب، ص٢٤٨.

(5) عنان ، نهاية الاندلس، ص٣١٢.

(6) م. ن ، ص٣١٣.

الصليبيون على هذا المنهج في فترة الحروب الصليبية في المشرق وهو ما كلفهم كثيراً، الا انهم في الواقع لا يريدون التخلي عنه[١].

يعد العثمانيون في هذه الفترة من الوجوه الحقيقية للاسلام[٢]، وبما ان سلطانهم يعد حامي الحرمين الشريفين، فان ذلك منح الغرناطيين القوة الدفاعية والمقاومة الشديدة، اضافة لذلك فان سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين والانتصارات التي حققوها في اوربا الشرقية، اصبحوا ((**يتمتعون بوزن ديني وعسكري وسياسي ذي اهمية كبيرة في هذا التوازن في البحر المتوسط، وهذا بفضل قوتهم البحرية والبرية، وخاصة اثناء حكم بايزيد الثاني**))[٣].

وقبل خمس سنين من سقوط سلطنة غرناطة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)، وصلت سفارة من غرناطة الى السلطان بايزيد الثاني، هي عبارة عن رثاء لهم يشتكى منه الاندلسيون مما يعانونه، وكيف اصبح الاسلام في غرناطة على ابواب السقوط، وطلب الغرناطيون خلال الرسالة مساعدات المسلمين لهم ملوكاً وشعوباً[٤].

كانت استجابة السلطان العثماني على هذا الاستنجاد بارسال اسطوله البحري الذي قاده ((كمال رايس)) الذي اصبح يلقي الرعب في قطعات الاساطيل المسيحية في البحر المتوسط خلال اواخر القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، فوصل الى الشواطئ الاسبانية[٥].

وقد دحر هذا الاسطول قرب الشواطئ الاسبانية[٦]. وبما ان هذا الحادث لم يذكره المؤرخون المسلمون فان هناك شكاً في هذا الحادث ولا سيما اذا ما عرفنا ان الدولة العثمانية في هذه المدة كانت مشغولة بحروبها في شرق اوربا، وحربها مع المماليك في البحر المتوسط او بلاد الشام، اضافة الى ذلك كانت القوات البحرية الاسبانية في هذه الفترة تتفوق بحرياً في البحر المتوسط، وليس من المعقول ان يجازف السلطان العثماني هكذا مجازفة، ولا سيما وان نابلي التابعة لاسبانيا في هذه الفترة التي كانت قوتها البحرية كبيرة ايضاً من الممكن ان تقطع الامداد عن هذا الاسطول، لذلك فان الشكوك تدور حول هكذا فعل من قبل العثمانيين الذين كان يهمهم ارضاء البابا الذي يغضب لغضب ملوك الاسبان ويرضى لرضاهم.

---

(١) اليوسف، عبد القادر احمد ، علاقات بين الشرق والغرب، ص٢٤٨..

(2) Albert Mas Les Tures dans la litteratur esptjnole du siecleb, or, (Paris – 1967), p. 202..

(3) V. S. Parry “Bayazid II” in, Ency clopedie de I’ Islam (e-t) p. 1153-1155.

(4) Hammer, Histoire de I’ Empire Ottonan, (Paris- 1836), IV, p.21.

(٥) التميمي، عبد الجليل ، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، بحث منشور في المجلة التأريخية المغربية، العدد/٢١ –٢٢، (تونس –١٩٨١)، ص١٩١.

(٦) م.ن،ص١٩١.

وكان السلطان بايزيد الثاني معروفاً بالتقوى والتدين[1]،و اذا قدم مساعدة لامير مسلم فانه يشعر باداء واجبه الديني بحسب ما تفرضه مفاهيم الاخوة في الاسلام، وكانت اخبار الاندلسيين تصل اليه بطريق اللقاءات السنوية للحجاج في بيت الله الحرام، لذلك كانت اخبار الدولة العثمانية وقوة شوكتها تصل الى الاندلسيين، بهذا الطريق نفسه كانت تصل اخبار مظالم الغرناطيين الى الدولة العثمانية[2]. لذلك كانت الدولة العثمانية تمثل بالنسبة للغرناطيين الموريسكيين، الامل الكبير الذي ينقذهم من الاسبان[3].

وقام السلطان بايزيد الثاني رداً على احدى الاستغاثات الاندلسية بأرسال "كتاب الى الملكين الكاثوليكيين، اللذين لم يعملا بشيء منه، وكان ذلك بعد انتفاضة البيازين في سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م)[4].

ومن الممكن عد هذا الكتاب الذي ارسله بايزيد الثاني رداً على الاستغاثة التي ارسلها الموريسكيون على شكل قصيدة* تكشف جوانب كثيرة عن احوال الموريسكيين، وكيفية تعامل الاسبان معهم، وما حل بمدنهم بعد سقوطها.

وحول اهمية اعتماد القصيدة، والشعر بصورة عامة مصدراً من مصادر التدوين التأريخي وأسلوب عمل في البحث التأريخي، يمكن توضيح مجموعة من الحقائق البارزة التي تشكل القاعدة النظرية المناسبة التي تسوغ هذا الاستخدام، فالشعر بالنسبة للعربي يمثل بنية معرفية مهمة من بنى التوثيق التأريخي، والدليل على ذلك الاف المدونات والمصنفات التاريخية التي اعتمدت الشعر مادة لها، فراحت تتفحص ذلك الشعر وتدقق فيه، لتستخرج منه حقائق اثبتتها الدراسات التأريخية الخالصة اللاحقة فيما بعد.

في غرناطة مأساة فالمدينة كانت تعيش وضعاً تأريخياً يمكن عده استثنائياً الامر الذي جعل من هذه القصيدة الوثائقية شكلاً من اشكال الاتصال الابراقي يعطي الغرناطيين الحافز على كتابة رسائل طويلة استناداً على حقيقة ان الذائعة العربية تستسهل حفظ الشعر والثبات على هذا الحفظ بل ترديده.

اما الامر الآخر الذي يسوغ اعتمادنا هذه القصيدة كوثيقة تأريخية ومشروعية استخدام أي قصيدة كذلك غزارتها بالمعلومات التأريخية، التي تصل الى حد السرد التأريخي، وسيجد المتتبع ان

---

[1] البخيت، عدنان ، رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني ، ص٦٩.

[2] التميمي، عبد الجليل، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، ص١٩١.

[3] كارდياك، لوى ، قضية الموريسكيين بامريكا، المجلة التاريخية المغربية، ص٩١.

[4] حتامله ، محمد عبده ، التنصير القسري، ص٩٢.

* الرسالة ملحق رقم (١٠) ، ص٢٦١-٢٦٦ .

المادة المستخلصة من القصيدة مطابقة الى نتائج توصل اليها بعض المهتمين في دراسة المرحلة التي تدخل ضمن البحث ، والذين اعتمدوا في عملهم على مصادر تأريخية لم تكن القصيدة من بينها[١].

ان هذه القصيدة وعبر اخضاعها لشكل من اشكال الاستقراء التأريخي تنقسم الى ثلاث مجموعات ادائية:

الاولى: التي بدأت بها القصيدة وهي تظهر الخضوع الشامل والتبعية السياسية، والدينية للسلطة العثمانية، وتبين ان اهالي غرناطة رغم البعد الجغرافي ما زالوا اوفياء للتقاليد العربية الاسلامية.

الثانية: تبين مدى الضيم الذي لحق بهم جراء التعسف النصراني في حين تهتم

الثالثة: اثر القصيدة في شحذ همة السلطان العثماني لتقديم المساعدة الى الغرناطيين.

وعلى الرغم من الطبيعة العاطفية الا ان الجزء الاخير من المقطوعة يمكن ان يفهم على انه نوع من انواع الاستنجاد والاستصراخ بالسلطان العثماني عبر اثارة مشاعره الدينية، والتلويح له بالنسب الشريف الذي يؤهله تمام التأهيل لان يكون المنقذ لما تبقى من الاسلاب العربية الاسلامية في الاندلس، فباتوا يرجون منه النظر فيما اصابهم لعل الله سبحانه وتعالى يغير ما الم بهم، فكانوا يرون ان السلطان العثماني –استناداً الى موازين القوى التي تحكم العالم آنذاك– ذو قول مسموع، وما يأمر به ينفذ عاجلا .

وتوضح القصيدة هنا (عامل) يمكن عده واحداً من اخطر العوامل المهيمنة على الساحة السياسية في تلك الفترة، فالغرناطيون خصوصاً، والمسلمون عموماً يدركون الحقيقة تماماً وهي ان سيطرة العثمانيين على القسطنطينية تشكل ورقة رابحة يمكن ان يكون تأثيرها كبير في موازين الصراع، وفي قرارة الوضع السياسي عموماً، فالقصيدة توضح في عجز البيت الثالث والسبعين[٢] ان السلطان العثماني يهيمن على قلب النصرانية (القسطنطينية) التي يبدأ منها أي اشعاع مسيحي مهما كان نوعه.

ان شعور الغرناطيين بهذه الحقيقة وتحسسهم بها يتيح للعثمانيين المسلمين والاسبان النصارى لها مدى تأثيرها كحقيقة تأريخية في صياغة لغة الصراع في تلك الفترة ثم التأثير في مجريات العلاقات السياسية بين الدول وهو الذي يفتح الباب امام مجموعة من التأويلات ليس اقلها

---

[١] عنان، نهاية الاندلس، ص٣٣٤–٣٧٦؛ عنان، ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى، ص٢٤–٣٧؛ خطاب، محمود شيت، ديوان التحقيق الاسباني، ص١٨٦–٢٤٠؛ حمادي ، عبد الله ، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس، ص١٠٧–١٢٠؛ حتامله، محمد عبده ، التنصير القسري لمسلمي الاندلس، ص٥٩–٨٦؛ طه، عبد الواحد ذنون ، الموريسكيون، ص٢٥٢–٢٥٣.

[٢] ينظر الملحق رقم (١٠)، ص٢٦٤ .

شأناً ان يعتبر التدخل العثماني في انجاد اهالي غرناطة لم يكن في حقيقته الا شكل من اشكال المناورة السياسية.

ومن خلال القصيدة يمكن تثبيت ابرز ملامح الاضطهاد الواضحة فيها:

١- اجبار الغرناطيين على تغيير ديانتهم.

٢- تبديل الاسماء الغرناطية ذات المدلول العربي الاسلامي الى اسماء اعجمية بدلالات نصرانية.

٣- احراق المصاحف بشكل علني واهانتها بكل طريقة.

٤- احراق الكتب الفقهية وكل ما يتعلق بامور الدين الاسلامي الحنيف.

٥- تضييق حرية الغرناطيين في ممارسة الشعائر الدينية كالصوم والصلاة .

٦- الاعتداء على حرية الغرناطيين ومنعهم من تلاوة القرآن الكريم.

٧- اجبار الغرناطيين على الذهاب الى الكنائس وتعريض الممتنعين الى العقوبات.

٨- اجبار الغرناطيين على الافطار العلني في شهر رمضان.

٩- منع التبرك بالرموز الاسلامية.

مما تقدم يمكن ادراج اهم الاسباب التي ادت الى ان تكون المساعدات العثمانية للغرناطيين اقل من المطلوب، وغير متلائمة مع قوة العثمانيين.

١- بُعد المسافة بين الدولة العثمانية وبين سلطنة غرناطة، ولا سيما اذا ما عرفنا ان الدولة العثمانية لم تكن تسيطر بشكل كامل على حوض البحر المتوسط مثلما اصبحت عليه في القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي).

٢- قوة الاسطول الاسباني في حوض البحر المتوسط، الذي كان في منتهى الحيطة و الحذر من تحركات العثمانيين.

٣- وجود اساطيل مسيحية تتمثل باساطيل جنوة، والبندقية، وفرنسا، وايطاليا ، وغيرها، كانت هذه القوى تكن العداء للدولة العثمانية آنذاك لذلك لم تقدم الدولة العثمانية أي نجده الى الغرناطيين الذين كانوا يستنجدون بها.

٤- انشغال الدولة العثمانية بالصراعات والفتن الداخلية التي كانت تتجدد بين ابناء البيت العثماني.

٥- كان العثمانيون في صراع مع دولة المماليك على بعض المناطق في بلاد الشام وبعض جزر البحر المتوسط، اضافة الى التنافس الاقتصادي التجاري بين الدولتين الذي كان على اشده.

٦- كان السلطان جم بحوزة اوربا، السلطان العثماني بايزيد الثاني يدفع للاوربيين الاموال مقابل الاحتفاظ باخيه جم لذلك فقد كان أي تصرف من العثمانيين لنجدة مسلمي غرناطة يمكن ان يسبب للسلطان العثماني بايزيد مشكلات متعددة تتمثل بان يطلق سراح اخيه جم، وتقديم

المساعدة له من اوربا عامة، والبابوية وخاصة التي كانت تدعم جهود الملكين الكاثوليكيين في القضاء على المسلمين في غرناطة، ولا سيما اذا ما عرفنا ان السلطان بايزيد الثاني كان يتودد للبابا ويهتم بإرضائه.

٧- كانت الدولة العثمانية تحاول استثمار طاقاتها العسكرية والتوسع على حساب اوربا الشرقية، ودولة المماليك في مصر، لذلك كانت ترى ان هناك اعمالاً يجب انجازها اولاً .

٨- القوة التي كانت تتمتع بها اسبانيا بوصفها قوة بحرية وبرية، لذلك كانت الدولة العثمانية تخشى من ان تقدم أي مساعدة ولا سيما ان المساعدة التي يجب ان تقدمها الدولة العثمانية يجب ان تكون مساعدة بحرية وهذه المساعدة اذا ما قدمت فهي بحاجة الى تأمين اتصالها مع قواعدها الرئيسة وهذا امر مستحيل حدوثه في تلك المرحلة ، اذ انه من الممكن ان يَقْطَعَ الامدادَ ، عن القوة التي تتقدم في أي نقطة من نقاط البحر المتوسط وافشال الهجوم بل انهاؤه بالكامل.

٩- لم يكن الدافع العقائدي والديني بالمستوى المطلوب لدى العثمانيين .

الخاتمة

يمكننا في ضوء ما تقدم، من فصول هذا البحث المتواضع الذي اجزم بأنه سيكتمل بجهود اخرى قادمة، نستطيع ان نستخلص الحقيقة الاتية : وهي ان طبيعة وشكل الاوضاع الداخلية والخارجية هي التي ساعدت على نضج الظروف السياسية والتي ادت فيما بعد الى تدهور وسقوط سلطنة غرناطة، وثم نهاية النفوذ العربي في شبه الجزيرة الايبيرية، ان تلك الاوضاع قد اثرت كثيرا في صياغة وتحديد شكل العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة ومحيطها الخارجي.

والحقيقة الاكثر وضوحاً التي يمكن ان يشير اليها الباحث في مرحلة الوصف الاولي للطبيعة العامة للنظام السياسي في سلطنة غرناطة في المرحلة التي شملتها الدراسة كان نظاماً ينتمي الى الانظمة الاستبدادية ذات الطبيعة الوراثية.

فعلى مدى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وهي الفترة التي اهتم البحث بمراقبتها تناوب تسعة من السلاطين على حكم السلطنة ولم تتميز هذه الفترة باحترام كامل لأي شكل من اشكال الشرعية اذ حكم اكثر من سلطان لأكثر من مرة، فالسلطان محمد الايسر ارتقى العرش خمس مرات بمعاونة القشتاليين، في حين حكم كل من ابو عبد الله الزغير، وسعد المستعين، ومحمد الزغل،وابي الحسن علي، وابي عبد الله الصغير مرتين.

ان هذا الاضطراب البين الذي وسم عمليات تداول السلطة كانت له نتائج واضحة المعالم في طبيعة الاداء السياسي فيها، وبالتالي طبيعة العلاقات السياسية التي يمكن ان تتبناها سلطنة غرناطة.

ان تلك العلاقات التي أسهم في ايجادها ايضاً كثرة الفتن والاضطرابات، وتعدد الولاءات السياسية، وانتقالها من سلطان لآخر، كما نودُّ أن نشير هنا الى ظهور اشكال جديدة من الممارسات المتمثلة بتدخل النساء في بلورة العلاقات السياسية، وتعاظم اثر الاسر الغرناطية الكبيرة في توجيه سياسة سلطنة غرناطة بطريقة ما، ناهيك عن التدخل غير الشرعي في صياغة تلك السياسات.

ان هذه الاوضاع وما تعنيه ادت الى مجموعة من نتائج واضحة المعالم مثل انقسام السلطنة الى قسمين متناحرين يترأس كل قسم سلطان من السلاطين.

ان هذه الامور وغيرها ادت الى بدء ظهور التصورات الاولى للسياسة الغرناطية على الصعيد الخارجي ولعل طبيعة الموقع الجغرافي للسلطنة قد اسهم كذلك مع تلك العوامل في فرض معطيات سياسية تحدد طبيعة علاقاتها السياسية.

اذ تشكل سلطنة غرناطة جيباً داخل الممالك الاسبانية في شبه الجزيرة الايبرية، فهي تشكل المنطقة الجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة، كما ان وجود المانع الطبيعي بينها وبين ممالك الشمال الافريقي او البحر المتوسط قد اسهم بشكل مباشر في تشكيل نمط العلاقات السياسية مع عمقها الستراتيجي المعزز بالعمق التاريخي الذي تمثله افريقيا المجاورة.

وبعد ان استعرضنا الاثر البالغ الذي تركته طبيعة الاوضاع السياسية الداخلية للسلطنة وكذلك اثر موقعها الجغرافي في تشكيل علاقاتها السياسية، يمكن ان نشير الى الزاوية الثالثة من المثلث البحثي الذي يمكن ان يكون كشافاً لطبيعة الاداء الوظيفي للعلاقات السياسية الغرناطية.

وتلك الزاوية من زوايا المثلث البحثي هي البعد الديني اذ ان الطبيعة الدينية لهذه المرحلة كانت ذات اثر كبير في رسم صورة العالم، وبالتالي كانت ذا اثر مباشر في المناطق القريبة من التأثير الكنسي البابوي وهي المناطق التي كانت مهّيأة لحدوث صدام حضارات ذي منشأ عقائدي بين الديانات المختلفة تلك المنطقة التي يمكن رسم شكلها ابتداءًمن الحدود الشرقية للدولة العثمانية وصولاً الى مضيف جبل طارق، ان المراقب يستطيع ان يحدد بسهولة ان الكنيسة لم تعد تكتفي بتأثيرها الديني وحسب بل كانت تطمح الى دور سياسي يعمل جنباً الى جنب مع طبيعة مهمتها الكنسية.

ان هذه الحقيقة كان لها اثر مباشر في تحديد طبيعة علاقات سلطنة غرناطة السياسية فتلك السلطنة تمثل بحسب رأي الكنيسة جيباً للكفار مدسوساً في خاصرة مناطق النفوذ المسيحي في تلك المدة الزمنية ، الامر الذي ادى الى حدوث تأثير واضح في السلطنة.

ويمكن ان نثبت هنا مظهرين مهمين يكشفان طبيعة التوجهات المسيحية.

اولهما: الاتحاد السياسي بين مملكتي قشتالة وارغون والمستند على توجهات دينية محضة.

وثانيهما: المفاهيم المستخلصة من الخطب البابوية، فنقرأ من خطاب البابا نيقولا الخامس الموجه الى هنري الملاح ملك البرتغال قوله: ((ان سرورنا لعظيم ان نعلم ان ولدنا العزيز، هنري امير البرتغال سار في خطى ابيه،الملك جون، بوصفه جندياً قديراً للمسيح ليقضي على اعداء الله واعداء المسيح من المسلمين الكفرة)).

ان هذه المراهنة على قدرة التوحد المسيحي في إلحاق الاذى بالمسلمين اسهمت بشكل واضح في دفع سلاطين غرناطة الى تلمس عمقهم الستراتيجي والبحث عن مساندة اسلامية يمكن ان تعينهم في الحفاظ على سلطنته، ولاسيما وان الباحث المدقق يمكن ان يلحظ على الفور ان طبيعة علاقات غرناطة السياسية مع الاخرين تحددها الى درجة كبيرة طبيعة علاقاتها مع مملكة قشتالة التي اصبحت رهينة الخطاب المسيحي البابوي.

ان الاضطهاد الذي تعرض له اهالي غرناطة وهم يواجهون محاولات تمييع دورهم السياسي قد جعل علاقات غرناطة مع الممالك الاسلامية علاقات استغاثة ونجدة وطلباً للعون والنصرة، فالعثمانيون على سبيل المثال وعلى الرغم من اعتقادهم الصارم بأنهم يمثلون ما تبقى من الخلافة الاسلامية كانوا يرغبون في الواقع بنصرة غرناطة والاستجابة للمطالب التي حملتها المراسلات الغرناطية الا انهم كانوا يعون ايضاً رهناً للضوابط الستراتيجية التي كانت تحكم العلاقات الدولية في تلك الفترة والمعبر عنها بالمصالح المتبادلة وعوامل الضغط المختلفة.

وهي الوصفة التي تصح عند الحديث عن مدى استجابة الدولة المملوكية لنداءات الاستغاثة الغرناطية، فالمماليك كانوا يخشون من طموحات الدولة العثمانية المتاخمة لحدودهم، وبالتالي كانوا مهتمين بإدامة علاقات ودية مع دول الساحل الجنوبي لأوربا، والاحتفاظ بما لديهم من قوة بصراع محتمل مع الدولة العثمانية.

كما ان الكيانات الجديدة التي صارت اليها الدولة المرينية في شمال افريقيا ضعيفة لدرجة لا يمكن معها ان تكون سنداً حقيقياً للغرناطيين سوى كونها معبراً ومأوى للناجين من التعسف المسيحي في غرناطة.

ان علاقات الدول الاسلامية مع غرناطة الآيلة الى السقوط كانت تعبر بصورة لا لبس فيها عن العجز الكبير في توفير استجابة سريعة تكشف عن شيء من التلاحم الاسلامي.

وعلى اية حال فان عجز الغرناطيين تدبر علاقات سياسية جيدة مع دول الجوار المسيحي المحكوم بالغلو الديني، وكذلك عجز الممالك الاسلامية على ان توفر لنفسها القدرة على الاستجابة للمطالب الغرناطية، قد أسهم بشكل كبير في ضعف مقاومة غرناطة، وبالتالي سقوطها وانتهاء النفوذ العربي الاسلامي في شبه الجزيرة الايبرية.

- القران الكريم

- المخطوطات

* مجهول ، الاندلس و ما فيها من البلاد ، نسخة مصورة عن اصل مخطوطة ، دار صدام للمخطوطات ، تحت رقم (٨٧٩٩) .

- المصادر

الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله الصقلي (ت ٥٦٠هـ) .

- صفة المغرب و ارض السودان و المغرب و الاندلس (جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق) ، طبعة بيرل ، (ليدن –١٩٨٢) .

ابن الاحمر ، اسماعيل بن يوسف بن محمد ، (ت ٨٠٧هـ) .

- نثير الجمان في نظم فحول الزمان ، دراسة و تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، ١٩٦٧ .

ابن الازرق ، ابو عبد الله محمد بن علي (ت ٨٩٦هـ)

- بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق على سامي النشار ، دار الحرية للطباعة و النشر. (بغداد –١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) .
- بدائع السلك في طبائع الملك دراسة وتحقيق ، د. محمد عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب، (تونس –١٩٧٦) .

الاصطخري ، ابن اسحق ابراهيم بن محمد ،(ت في النصف الثامن من القرن ٤ هـ)

- المسالك و الممالك ، تحقيق ، محمد جابر عبد العال الحسيني ، مراجعه ، د. محمد شفيق غربال ، دار التعليم ،(القاهرة –١٣٨١–١٩٦١م) .

أبن اياس الحنفي ، محمد بن احمد ،(ت ٩٣٠هـ)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطبعة بولاق ،(القاهرة –١٣١١هـ)
- بدائع الزهور في وقائع الدهور نشر الدكتور ، محمد مصطفى ،(القاهرة –١٩٥١)

ابن بسام ، ابو الحسن علي الشنتريني ،(ت٥٤٢هـ)

- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق ، احسان عباس ،دار الثقافة ، ط ٢ ، (بيروت – ١٩٧٨) .

ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد ابراهيم ، (ت ٧٧٩هـ) .

- تحفة النظار في غرائب الامصار،المعروفة بالرحلة ، دار صادر،(بيروت –١٣٨٤هـ /١٩٦٤م) .

البغدادي ، اسماعيل باشا .

- هدية العارفين ، اسماء المؤلفين و اثار المصنفين من كشف الضنون ،دار الفكر ، (١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) .

ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن (ت ٨٧٤هـ)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (القاهرة –١٩٢٩)

الثعالبي ، ابي المنصور عبد الملك محمد بن اسماعيل (ت ٤٤٩ هـ)

- تحفة الوزراء ، تحقيق ، حبيب علي ، مطبعة العالي ، (بغداد –١٩٧٧م) .

الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد .

- غاية النهاية في طبقات القراء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت –١٩٨٠)

ابن حجر العسقلاني ، احمد بن محمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ) .

- الدرر الكامنه في اعيان المائة الثامنة ، ضبطة و صححه ، الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت –١٩٩٧م) .
- انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، مراقبة عبد الوهاب النجاري ، دار الكتب العلمية ،ط٢ ، ، (بيروت –١٩٨٦) .

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد ، (ت –٤٥٦هـ)

- فضائل الاندلس و اهلها ، تحقيق ، د. صلاح الدين منجد ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت –١٩٩٨) .
- جمهرة انساب العرب ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، (القاهرة –١٩٦٢)

الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، (ت ٩٠٠هـ)

- صفة جزيرة الاندلس (منتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار) ، تحقيق ، ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، (القاهرة –١٩٩٧) .
- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق ، د. احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت –١٩٧٤) .

ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩هـ)

- المقتبس في اخبار بلاد الاندلس ، تحقيق ، عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، (بيروت –١٩٨٦/١٩٨٥) .

ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن سعيد (ت ٧٧٦هـ)

- الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق ، محمد عبد الله عنان ، الشركة المصرية ، للطباعة ، ط٢ ، (القاهرة –١٩٧٣) .
- اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق ، ليفي بروفسال ، دار الكشوف ، ط٢ ، (بيروت –١٩٦٥) .
- ديوان الصيب و الجهام و الماضي الكهام ، تحقيق ، محمد الشريف ماهر ، الشركة المصرية للنشر ، ط١ ، (الجزائر –١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .
- شرح رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة المحمودية ، (تونس – ١٣٣٦هـ) .
- الكتيبة الكامنه فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تحقيق ، د. احسان عباس، (بيروت –١٩٦٣) .
- كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ،دار الكتاب العربي ، (القاهرة –١٣٨٦هـ /١٩٦٦م) .
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، الناشر ، محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، (القاهرة –١٣٤٧هـ /١٩٢٧م) .
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، دراسة وترجمة اسبانية للنص العربي ، محمد كمال شبانه ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ،(المغرب –١٩٧٧م) .
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، الناشر ، احمد مختار العبادي ، مراجعة ، د. عبد العزيز الاهواني ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة –١٣٨٨هـ /١٩٦٨م)

ابن خرداذبه ، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله .

- المسالك و الممالك ،د.ط. ،(برلين –١٨٨٩)

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)

- التعريف بابن خلدون و رحلته غرباً و شرقاً ، دار الكتاب اللبناني ،(بيروت – د. ت) .
- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، تحقيق ، خليل شهادة ، وسهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت –١٩٨٨) .
- مقدمة ابن خلدون ،دار القلم ، ط١ ، (بيروت –١٩٧٨) .

ابن ابي دينار ، ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم (ت١١١١هـ).

- المؤنس في اخبار افريقيا و تونس ، تحقيق وتعليق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، ط٣، (تونس –١٣٨٧هـ) .

الذهبي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان ،(ت ٧٤٨هـ)

- دول الاسلام ،(سعيد اباد –١٣٣٧هـ).

ابن الربيع ، شهاب الدين احمد بن محمد

- سلوك الملوك في تدبير الممالك ، تحقيق ، ناجي التكريتي ، دار الاندلس ، ط٣ (بغداد – ١٩٨٠) .

الزجالي ، ابو يحيى (ت ٦٩٤هـ) .

- امثال العوام في الاندلس ، تحقيق ، د. محمد بن شريفة ، مطبعة وزارة الدولة ،(الرباط – ١٩٧٥) .

الزركشي ، ابي عبد الله ابراهيم .

- تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق محمد ماخور ، المكتبة العقيقة .

ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن عبد الله ، (ت ٧٢٦هـ)

- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، (مدرير– ١٩٨٠) .
- الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية ، نشر محمد لبيب ابي شنب (الجزائر –١٩٢٠).

السبكي، تاج الدين نصر عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ)

- معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق ، داود و لهام مرهون ، (ليدن –١٩٠٨)

السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة دار الحياة (بيروت –د.ت)

السراج ، محمد بن حميد الاندلسي .

- الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، تقديم و تحقيق ، محمد حبيب الهبلة ، دار الكتب الشرقية ، (د.ت)

ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى ، (ت ٦٨٥هـ)

- رايات المبرزين و غايات المميزين ، تحقيق ، النعمان بن عبد المتعال القاضي ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، ط٤ ، (القاهرة – ١٩٧٣) .
- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى ، تحقيق ،ابراهيم الابياري ، دار الكتاب ، ط٢ (بيروت –١٤٠٠هـ –١٩٨٠م) .
- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٣ (القاهرة – ١٣٨٣هـ /١٩٦٣)

- كتاب الجغرافيا ، حققة و وضع مقدمته وعلق عليه ، اسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع ، (بيروت –١٩٩٧) .

الصدفي ، رزق الله .

- تاريخ دول الاسلام ، مطبعة الهلال ، (القاهرة –١٩٨٠)

الصفدي ، صلاح الدين خليل ايبك ، (ت – ٧٦٤هـ)

- الوافي بالوفيات ،دار صادر ، (بيروت –١٩٧٠)

الصيرفي ، علي بن داود (توفي في القرن العاشر الهجري)

- نزهة النفوس و الابدان في تواريخ الزمان ، تحيقيق و تعليق د. حسن حسني ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٣ .

الضبي ، احمد بن يحيى بن احمد بن عبده (ت ٥٩٩هـ).

- بغية الملتمس ، نشره فرانشيسكو كريدر ، (مدريد –١٨٨٤)

ابو الضياف ، احمد .

- اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس و عهد الامان ، تحقيق لجنة من كتابه ، الدولة للشؤون الثقافية و الاخبار ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، (تونس –١٩٦٣) .

طافور ، من رحالة القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي)

- رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، ترجمة و تصنيف ، حسن حسني ، دار المعارف ،(مصر –١٩٦٨) .

الطرطوشي ، محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت ٥٢٠هـ)

- سراج الملوك ، بولاق ، (مصر ١٢٨٦هـ /١٢٨٩م)

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، (ت٧٠٩هـ)

- الفخري في الاداب السلطانية و الدول السلطانية ، دار صادر ، (بيروت – ١٢٦٠م) .

ابن طولون ، شمس الدين محمد .

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تاريخ مصر والشام ، تحقيق محمد مصطفى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (القاهرة –١٣٨١هـ /١٩٦٢م) .

ابن عاصم الغرناطي (ت ٨٥٧هـ) .

- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله و قضى ، تحقيق صلاح جرار ، دار البشير ، (الاردن –١٤١٠هـ /١٩٨٩م) ، ج١ ، ص١١، مقدمة المحقق.

ابـن عبـدون ، محمـد بـن احمـد التجيبـي ، (مـن اعـلام القـرن السـادس الهجـري / الثـاني عشـر الميلادي) .

- رسـالة فـي القضـاء و الحسـبة ، نشـرت ضـمن ثـلاث راسـائل اندلسـية فـي ادب الحسـبه والمحتسب ، تحقيق ، ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العالي الفرنسي ، (مصر –١٩٥٥) .

ابن عذارى المراكشي ،ابو العباس احمد بن محمد (ت ٧١٣هـ)

- البيان المغرب من اخبار الاندلس و المغرب ، (تطوان –١٩٦٠)
- البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب (قسم الموحدين) ، تحقيق ، محمد ابراهيم الكتاني ، و اخرون ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت –١٩٨٥) .

العذري ، احمد بن محمد بن امين (ت ٤٧٨ هـ)

- نصـوص عـن الانـدلس مـن كتـاب ترصـيع الاخبـار وتنويـع الاثـار ، تحقيـق عبـد العزيـز الاهواني ،(مدريد –١٩٦٥) .

ابن العربي ، محي الدين (ت٥٤٣ هـ)

- انشاء الدوائر ، (ليدن –١٣٣٩هـ)

ابن العماد ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ).

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب،المكتب التجاري للطباعة والنشر،(بيروت – د. ت) .
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة القدس (القاهرة –١٩٣١) .

الغياث ، ابو عبد الله بن فتح الله

- التاريخ الغياثي ، الفصل الخامس من سنة ٦٥٦–٨٩١هـ /١٢٥٨–١٢٨٦ م . دراسة و تحقيق ، طارق نافع الحمداني ، مطبعة السعد ، (بغداد –١٩٧٥) .

ابي الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٧٣هـ) .

- تقـويم البلـدان ، تصـحيح و طبـع ، رينولـد و البـارون مـاك كوكيـت دميلانـد ، دار الطباعـة السلطانية ، (باريس –١٨٤٠م) .

ابن فرحون ، برهان اليدن ابن ابراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ)

- تبصرة الحكام في احوال الاقضية و مناهج الاحكام ، المطبعة النهجية ،(مصر–١٣٠٢هـ)

ابن القاضي المكناسي ، ابي العباس محمد ، (ت ١٠٢٥هـ)

- ذيل وفيات الاعيان ، الم سمى درة الجمال في اسماء الرجال ، تحقيق ، د. محمد الاحمدي ابو النور ، المكتبة العتيقة ، دار التراث ، (القاهرة –١٣٩١هـ /١٩٧١م) .
- لقط الفرائد في لفاضة حقق الفوائد ، مطبوع ضمن كتاب الف سنة من الوفيات ، تحقيق، محمد صبحي ، (الرباط –١٣٩٦هـ /١٩٧٦م) .

➢ الاكسير في فكاك الاسير ، تحقيق محمد الغماسي ، مطبعة الدال ، (الرباط –١٩٦٣) .
القلصادي ، ابو الحسن مكي الاندلسي ، (ت ٨٩١هـ)
➢ رحلة القلصادي ، دراسة و تحقيق ،محمد ابو الاجفان ، (تونس –١٩٧٨)
القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي ، (ت ٨٢١هـ)
➢ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة ١٣٣٣–١٣٣٥هـ /١٩١٥–١٩١٧م) .
➢ صبح الاعشى في صناعة الانشا المؤسسة المصرية للطباعة ، (القاهرة –١٩٦٣)
➢ مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار ، احمد فرج، (الكويت –١٩٦٤)، ج٢ ، ص٢٠٩ .
ابن القوطية ، ابو بكر محمد (ت ٣٦٧هـ)
➢ تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق عبد الله انيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ،(بيروت –١٣٧٨هـ /١٩٥٨)
الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ)
➢ الاحكام السلطانية و الولايات الدينية جمع بين المسائل الشرعية و السياسية ، المطبعة المحمدية ، (مصر . د.ت) .
➢ ادب الوزير ، تحقيق ، حسن الهادي حسن ، مطبعة العصور ، (مصر –١٣٤٨هـ ١٩٢٤)
➢ ادب القاضي ، تحقيق ، د.حجي هلال السرحان ، مطبعة الارشاد ، (بغداد –١٣٩١–١٩٣٢هـ /١٩٧١–١٩٧٢م) .
مؤلف مجهول :
➢ اخر ايام غرناطة ، تحقيق محمد رضوان الدايه ، مطبعة دار حسان للطباعة و النشر ، (دمشق – ١٩٨٤) .
مؤلف مجهول ، من رجال القرن (الثالث الهجري / الرابع عشر الميلادي)
➢ ذكر بعض مشاهير اعيان فاس في القديم ، نشر بعنوان بيوتات فاس الكبرى ، الرباط (١٣٩٢هـ /١٩٧٢م) .

مؤلف مجهول ، من القرن الخامس الهجري .
➢ اخبار مجموعة عن فتح الاندلس ، نشرها و ترجمها الى الاسبانية ،لاقوني القنطرة ، (مدرير –١٨٦٧م) .

مؤلف مجهول .

➢ نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ،طبع ضمن كتاب اخر بني سراج للفيكونت دون توبريان ، ترجمة ، شكيب ارسلان ، مطبعة المنار ، (مصر ١٣٤٣هـ –١٩٢٥) .

ابن مخلوف ، محمد بن محمد (من مؤرخي القرن التاسع الهجري)

➢ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، حققها و خطها و شرحها ووضع فهارسها ، مصطفى العقاد و اخرون ، دار العلم (بيروت – د. ت) .

➢ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية المطبعة السلفية (القاهرة –١٣٤٩هـ /١٩٥٠م)

المرادي ، ابو بكر محمد الحسن .

➢ الاشارة الى ادب الوزارة ، تحقيق ، رضوان السيد ، دار الطليعة ، ط١ ،(بيروت –١٩٨١) .

المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن عبد اللملك (ت ٧٠٣)

➢ الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الثقافة ، (بيروت – د.ت).

المغراوي ، حمد بن بوجمعة الوهراني .

➢ المغراوي و فكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار و التبيان فيما يعرف بين المعلمين و اباء الصبيان ، تقديم و تحقيق ، عبد الهادي الكازي ، نشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج العربي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ –١٩٨٦م .

المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد ،(ت ٣٨٧هـ)

➢ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بيرل ، ط٢ ، (ليدن –١٩٠٦م)

المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ)

➢ ازهار الرياض في اخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا ، و اخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، (القاهرة –١٩٣٩) .

➢ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، تحقيق ، احسان عباس ، دار صادر ،(بيروت –١٩٦٨).

➢ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، تحقيق و تعليق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، (د.ت) .

المقريزي ،تقي الدين احمد بن علي ، (ت ٨٤٥هـ)

➢ شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق ، محمد السيد علي بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، (النجف –١٩٦٧) .

➢ كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار المعروف بالخطط المقريزية ، دار صادر ، (د.ت) .

الملزوزي ، ابو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد ، (ت ٦٩٧هـ)

➢ نظم السلوك في الانبياء و الخلفاء و الملوك ، (الرباط –١٩٦٣)

الناصري السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد ، (ت ١٣١٥هـ).

➢ الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، الدولة المرينية ، تحقيق و تعليق ،جعفر الناصري و محمد الناصري ،دار الكتاب ، (الدار البيضاء –١٩٥٥)

➢ الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، الدولة المرينية ، تحقيق و تعليق ،جعفر الناصري و محمد الناصري ،دار الكتاب ، (الدار البيضاء –١٩٥٥)

النباهي ، ابو الحسن علب بن عبد الله بن الحسن ، (ت ٧٩٣هـ)

➢ نزهة البصائر و الابصار ، نشرة مولر في كتابه (نخب من تاريخ عرب المغرب) (ميوفج ، ١٢٨٣هـ /١٨٦٦م)

➢ تاريخ قضاة الاندلس ، و سماه كتاب المرتبة العليا فيمن يستحق الفتيا ، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع ، (بيروت لبنان – د.ت) .

الونشريسي ، احمد بن يحيى ، (٩١٤هـ)

➢ المعيار المعرب و الجامع المقرب عن فتاوي علماء افريقيا و الاندلس و المغرب، بأشراف جماعة من الفقهاء ، دار الغرب الاسلامي ، ط١ ، (بيروت –١٩٨١) .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)

➢ معجم البلدان ، دار صادر ، ط١ ، (بيروت –١٤٠٧هـ /١٩٨٦م) .

➢ من كتاب معجم البلدان ، السفر الثاني ، البلدان الاندلسية ، تقديم وتعليق ، عبد الاله نبهان ، منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي ، (دمشق –١٩٨٣) .

ابو يعلي الفراء ، محمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)

➢ الاحكام السلطانية ، تحقيق حامد ، مطبعة امين عمران و اخرون ، ط٣ ، (مصر – ١٣٥٦هـ /١٩٣٨م) .

ابو اليمن ، مجير الدين الحنبلي .

➢ الانس الجليل بتاريخ القدس و الخليل ، (القاهرة – ١٢٨٣م) .

➢ الانس الجليل بتاريخ القدس و الخليل ،المطبعة الحيدرية ، (النجف –١٣٨٨/١٩٦٨م) .

يوسف الثالث

➢ ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ، حققه و قدم له ووضع فهارسه عبد الله كنون ، (تطوان –١٩٥٨) .

المراجع

احمد ، محمد رمضان .

- تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط ٣٥-٨٩٧هـ /٦٥٥-١٤٩٢، هيئة الاثار المصرية ، (د. ت) .

ارسلان ، الامير شكيب .

- الحلل السندسية في الاخبار و الاثار الاندلسية ، مطبعة الرحمانية ، (مصر –١٣٥٥هـ /١٩٣٦م) .
- خلاصة تاريخ الاندلس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (د.ت) .

ارفينج، واشنطن.

- قصص الحمراء ، ترجمة ، ابراهيم الابياري ، مراجعة زكي خورشيد ، دار المعارف ، ط٢ ، (مصر –١٩٥٨) .

اسعد ، حومد .

- محنة العرب في الاندلس ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط١ ، (بيروت –١٩٨٨) .

الاوسي ، حكمت علي .

- فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني و الثالث الهجري ، مكتبة النهضة ، ط٢ ، (بغداد –١٣٩٤هـ /١٩٧٤م) .

بروكلمان ، كارل .

- الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ، نقله الى العربية ، د. نبيه ، ط١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ .
- تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ، و منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، (بيروت –١٩٧٩) .

بردي ، ادور

- تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى ، نقله الى العربية ، يوسف اسعد داغرة ، بيروت ،(د.ت) .

البستاني ، بطرس .

- دائرة المعارف الاسلامية .

البسطي ، محمد بن شريفة .

- اخر شعراء الاندلس ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي (بيروت –١٩٨٥) .

التواني ، عبد الكريم.

- مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، مكتبة الرشاد ، ط١ ، (الدار البيضاء –١٩٦٧) .

الجابري ، محمد عايد

- فكر ابن خلدون العصبية و الدولة ، دار الشؤن الثقافية العامة ، (بغداد ،د.ت) .

الجزائري ، د. ابو بكر جابر .

- الدولة الاسلامية ، مطبعة الكتاب الاسلامي ، ط٢، (بيروت –١٤٠٢هـ /١٩٨٢) .

الجميلي ، خالد رشيد .

- احكام الاحلاف و المعاهدات في الشريعة الاسلامية و القانون ، ساعدت جامعة بغداد على نشره (بغداد – ١٩٨٦–١٩٨٧) .

حتاملة ، محمد عبده .

- التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ١٤٧٤–١٥١٦ ، نشر بمساعدة الجامعة الاردنية .
- الاعتداءات الافرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الاندلس و المشرق (حرب متواصله على الاسلام) ، عمان ، الاردن ، –١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) .
- محنة مسلمي الاندلس عشية سقوط غرناطة وما بعدها ، الجامعة العربية ، ط١ ، (الاردن١٣٩٧هـ –١٩٧٧) .

حتي ، فيليب ، واخرون .

- تاريخ العرب مطول ،دار الكشاف للطباعةو النشر و التوزيع ، ط٤ ، ١٩٦٥.

الحجي ، حياة ناصر .

- العلاقات بين سلطنة المماليك و الممالك الاسبانية في القرنين الثامن و التاسع الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، ط١ ، (الكويت –١٩٨٠) .

حسن ، ابراهيم شحاته

- اطوار العلاقات المغربية – العثمانية ، منشأت دار المعارف ، (الاسكندرية ، ١٩٨١) .

الحسون ، علي .

- الدولة العثمانية و علاقاتها الخارجية ، المكتبة الاسلامية ، (د.ت) .
- العثمانيون و البلقان ، المكتب الاسلامي ، (د.ت) .

حسون ، محمد عبد الغني .

- صراع العرب خلال العصور ، دار العالم العربي ، القاهرة – د.ت) .

حمادة ، محمد ماهر ،

- ➢ الوثائق السياسية و الادارية في المغرب و الاندلس و شمال افريقيا ، ٦٤-٨٩٧هـ /٦٨٣-١٤٩٢م ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت –١٩٨٠) .

حمادي ، عبد الله .

- ➢ الموريسكيون و محاكم التفتيش في الاندلس ، ١٤٩٢-١٦١٦، (الجزائر –١٩٨٩) .

حمودة ، علي محمد .

- ➢ تاريخ الاندلس السياسي و العمراني و الاجتماعي ، دار الكتاب العربي ، (بيروت –١٩٥٧) .
- ➢ فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني و الثالث الهجري ، مكتبة النهضة ، ط٢ ، (بغداد –١٩٧٥)

الدراج ، احمد .

- ➢ المماليك و الفرنج في القرن التاسع الهجري / الخامس الميلادي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦١ .

الدوري ، عبد العزيز .

- ➢ النظم الاسلامية ، بيت الحكمة ، (بغداد –١٩٨٨) .

الدوري ، ياس خضير .

- ➢ عبد الرحمن الاول و سياسته الخارجية و الداخلية ، دار الرشيد (بغداد –١٩٨٢) .

ديورانت ، ول .

- ➢ قصة الحضارة ، ترجمة ، عبد الحميد يونس ، الادارة و الثقافة في جامعة الدول العربية ،(د. ت).

رو ، جان بول .

- ➢ الاسلام في الغرب ، تعريب ، فجره هاجر و سعيد الغز ، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع ، ط١ ، (بيروت –١٩٦٠) .

ابو زهرة ، الامام محمد .

- ➢ العلاقات الدولية في الاسلام ، دار الفكر العربي ، (د.ت) .

زيادة ، خالد .

➢ اكتشاف التقدم الاوربي ، دراسة في المؤثرات الاوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر ، دا ر الطليعة للطباعة و النشر ، (بيروت – د.ت) .

سالم ، السيد عبد العزيز .

➢ تاريخ مدينة المرية الاسلامية (قاعدةاسطول الاندلس) ، دار النهضة ، ط١ (بيروت – ١٩٦٩).

➢ دراسات في تاريخ العرب ، مطبعة مؤسسة شباب الجامعة ، (القاهرة –د. ت) .

السامرائي ، خليل ابراهيم ، و اخرون .

➢ تاريخ العرب و حضارتهم في الاندلس ،جامعة الموصل .

➢ تاريخ المغرب الكبير ، (العصر الاسلامي) ، (القاهرة –١٩٦٦) .

شارويم بيك ، ميخائيل .

➢ الكافي في تاريخ مصر القديم و الحديث ، بولاق ، ط١ ، (القاهرة –١٩٩٨) .

شايندلين ، ريموند .

➢ اليهود في اسبانيا المسلمة ، ترجمة ، مريم عبد الباقي ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، تحرير مسلمي الخضراء الجيوسي ، ط١ ، (بيروت –١٩٩٨) .

شبانه ، د. محمد كمال .

➢ يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة ، لجنة البيان العربي ، (القاهرة –١٩٦٩) .

بن شريفة ، محمد .

➢ البسطي اخر شعراء الاندلس ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت –١٩٨٥) .

الشكعه ، مصطفى .

➢ الادب الاندلسي موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، (بيرت –١٩٧٩) .

شلبي ، د.احمد .

➢ السياسة الاقتصادية في التفكير الاسلامي ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، (بيروت –١٩٧٩).

الشناوي ، عبد العزيز .

➢ الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، (القاهرة –١٩٨٠)

شيخاني ، سمير .

➢ مع الخالدين ، دار المعارف ، (لبنان –د.ت)

صفوت ، محمد مصطفى

➢ السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ، دار الفكر العربي ، (القاهرة –١٩٤٨) .

طرخان ، د. ابرهيم .

➢ مصر في عصر دولة المماليك الجراكسه ١٣٨٢-١٥١٧م ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة .

طريبة ، جرجي انطونيوس .

➢ الوجدية و اثارها في الاندلس ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت –١٩٨٠) .

طه ، عبد الواحد ذنون .

➢ حركة المقاومة العربية الاسلامية في الاندلس بعد سقوط غرناطة ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد –١٩٨٨) .

الطويل ، توفيق .

➢ قصة الاضطهاد الديني في المسيحية و الاسلام ، دار الفكر العربي ،(الاسكندرية – ١٩٤٧/٣٦٦) .

عاشور ، سعيد عبد الفتاح .

➢ اوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي ، (القاهرة –١٨٣٠هـ /١٩٦٠م) .

➢ اوربا العصور الوسطى ، التاريخ السياسي ، (د. ت) .

➢ قبرص و الحروب الصليبية ، (القاهرة –١٩٥٧) .

➢ أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، دار المعرفة للتأليف و النشر ، ١٩٦٤ .

ابن عامر ، احمد

➢ الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية ، (تونس –١٩٧٤) .

العبادي ، عبد الحميد .

➢ المجمل في تاريخ الاندلس ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة –د. ت) .

العبادي ، احمد مختار ، السيد عبد العزيز سالم .

➢ تاريخ البحرية الاسلامية في مصر و الشام ، دار النهضة العربة ، بيروت ١٩٨١ .

عبد البر ، حكيم امين

➢ قيام دولة المماليك الثانية ، تقديم ، محمد مصطفى زيادة ، الدار القومية للطباعة و النشر، (القاهرة –١٩٦٦) .

عبد الحليم ، رجب محمد .

➢ العلاقات بين الاندلس الاسلامية و اسبانيا في عصر بني امية و ملوك الطوائف ، دار الكتب الاسلامية ،(القاهرة –١٩٨٥) .

عبد السيد ، د. حكيم امين .

➢ نهاية دولة المماليك الثانية ، تقديم ، د. محمد مصطفى زيادة ، الدار القومية للطباعة و النشر ، (القاهرة –١٩٦٦) .

عبد السيد ، حكيم امين ،د. مصطفى زيادة .

➢ قيام دولة المماليك الثانية الناصر الدار القومية للطباعة و النشر(القاهرة–١٩٦٦) .

عبد محمد ، سوادي

➢ دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الميلادي ، ١٩٨٩ .

عتيق ، عبد العزيز .

➢ الادب العربي الاندلسي ، دار النهضة للطباعة و النشر ، ط١ ، (بيرت –١٣٩٥هـ /١٩٧٥) .

العربي ، محمد عبد الله .

➢ نظام الحكم في الاسلام ، دار الفكر العربي ، (بيروت – د. ت)

العروي ، عبد الله

➢ تاريخ المغرب محاولة التركيب ، ترجمة دوقان قرقوط ، المؤسسة العربية للدراسة و النشر،ط١، (بيروت –١٩٧٧) .

عفيفي ، محمد الصادق .

➢ الاسلام و العلاقات الدولية ، دار الرائد العربي ، ط٢ ، (بيروت ٤٠٦هـ /١٩٨٦) .

العقاد ، صلاح

➢ المغرب من بداية العصور الحديثة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٢ /١٩٦٣ .

علي ، اورخان محمد .

➢ السلطان عبد الحميد الثاني حياته و احداث عصره ، مكتب دار الانبار ، ط١، ١٣٠٧هـ /١٩٨١م.

علي ، سيد امير .

➢ مختصر تاريخ العرب ، ترجمة و تحقيق ، منير البعلبكي ،دار العلم للملايين ، ط١ ، (بيروت –١٩٦١) .

علي ، محمد كرد .

➢ الاسلام و الحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط٣ ، (القاهرة – ١٩٦٨) .

العمايرة ، د. محمد نايف .

➢ مراحل سقوط الثغور الاندلسية بيد الاسبان ،ط١ ، عمان (الاردن –١٤٢٠هـ /١٩٩٩م).

عنان ، محمد عبد الله .

➢ نهاية الاندلس و تاريخ العرب المتضررين (وهو العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام في الاندلس) ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط٣ ، (١٣٧٨هـ /١٩٥٨م) .

➢ نهاية الاندلس و تاريخ العرب المتنصرين ، المطبعة المدني ، ط٤ ، (صر ١٤٠٨هـ /١٩٧٨م) .

➢ الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال ، لجنة التأليف و النشر و الترجمة ، ط٢ ، (القاهرة – ١٣٨٣هـ /١٩٦١م) .

➢ دولة الاسلام في الاندلس الخلافة الاموية و الدولة العامرية ، العصر الاول .

➢ ديوان التحقيق و المحاكمات الكبرى ، مطبعة الكتب المصرية ، (القاهرة –١٣٤٨هـ /١٩٣٠).

➢ مصر الاسلامية و تاريخ الخطط المصرية ، (القاهرة –١٣٥٠هـ /١٩٣١م) .

الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد

➢ كيف ضاع الاسلام من الاندلس بعد ثمانية قرون ، مأساة الفردوس المفقود (٩٢-٨٩٧هـ /٧١١-١٤٩٢م) ، دار الكتبالقومية ،دار الكتب القومية ، ١٩٩٣ .

غوشة ، عبد الله .

➢ الدولة الاسلامية دولة انسانية ، المؤسسة الصحفية ، (عمان ، ١٩٧٩) .

فرحات ، يوسف شكري .

➢ غرناطة في ظل بني الاحمر دراسة حضارية ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (بيروت –١٩٨٢) .

فريد بك ، محمد .

➢ تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مطبعة محمد افندي مصطفى ، (مصر –١٣١٤هـ /١٨٩٦م)

فشر ، هـ أ ل .

➢ تاريخ اوربا (العصور الوسطى) ، القسم الثاني ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، و اخرون ، ط٢ ، دار المعارف ، (مصر د.ت) .

فكري ، احمد .

➢ قرطبة في العصر الاسلامي ، تاريخ و حضارة ، مطبعة جريدة السفير ، (الاسكندرية – د. ت) .

فهمي ، نعيم زكي .

➢ طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب (اواخر العصور الوسطى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٣٩٣هـ /١٩٧٣) .

كارديال ، لاوي .

➢ الموريسكيون الاندلسيون و المسيحيون المجابهة الجدلية (٤٩٢–١٦٤٠هـ) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيون بأمريكا ، تعريب و تقديم ، عبد الجليل التميمي ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، و ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، (تونس –١٩٨٣) .

كولان ، ج.–س .

➢ الاندلس ، ترجمة ، ابراهيم خورشيد ، واخرون ،دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، (بيروت – ١٩٨٠).

الكيالي ، سامي .

➢ في الربوع الاندلسية ، مكتبة الشرق (حلب –١٩٦٣) .

كيب ، جوزيف ماك .

➢ مدنية العرب في الاندلس ، ترجمة ، د. تقي الدين الهلالي ، مطبعة العلمي (١٣٦٩هـ /١٩٥٠م) .

لوبون ، غوستاف

➢ حضارة العرب ، نقله الى العربية ، عادل زعيتر ، ط٢ ، دار احياء الكتب العربية ، (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨) .

لوثينا ، لويس سيكودي .

➢ و ثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، مطبعة معهد الرداسات الاسلامية ، (مدريد ١٣٨٠ هـ /١٩٦١م) .

لودينغ ، هاغميان .

➢ المسيحية و الاسلام تاريخ المواجهات ، ترجمة ، محمود مكي ، (بيروت –٢٠٠٠) .

لورد ، دوروثي .

- اسبانيا شعبها و ارضها ، ترجمة ، طارق فوده ، مكتبة النهضة المصرية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، (القاهرة –١٩٦٥) .

لين بول ، ستانلي .

- طبقات سلاطين الاسلام ، منشورات العربي (بغداد –١٩٦٩) .
- طبقات سلاطين الاسلام ، ترجمة مكي الطاهر الكعبي ، تحقيق علي البصري ، دار منشورات البصري (بغداد–١٩٦٨) .

ماجد ،عبد المنعم .

- تاريخ الحضارات الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة سجل العرب (القاهرة د. ت)

متز ، ادم .

- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة د. محمد عبد الهادي ابو ريده ، مطبعة لجنة التأليف ، (القاهرة –١٣٥٩هـ /١٩٤٠م) .

مصطفى ، احمد عبد الرحمن .

- اصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، ط١ ، (القاهرة –١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) .

المعاضيدي ، د. خاشع .

- تاريخ الدولة العربية في الاندلس ٩٢–٨٩٧هـ /٧١١–١٤٩٢م مطبعة التعليم العالي ، (بغداد –١٩٨٨) .

مكي ، محمود .

- تاريخ الاندلس السياسي ٩٢–٨٩٧هـ /٧١١–١٤٩٢م ، مؤسسة الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، تحرير د. سلمى الخضراء الجبوسي ، مركز الدراسات الوحدة العربي ، (بيروت –١٩٩٨) .

موسى ، محمد يوسف .

- نظام الحكم في الاسلام ، تحقيق ، حسين يوسف موسى ، مطبعة دار الكتاب العربي ، ط٢ ، (القاهرة – د. ت) .

مؤنس ، حسين .

- رحلة الاندلس ، الشركة العربية للطباعة و النشر ، ط١ ، (القاهرة –١٣٨٥هـ /١٩٦٣).

النبهان ، محمد فاروق .

- نظام الحكم في الاسلام ، مطبعة جامعة الكويت ، (الكويت –١٩٨٧) .

ندا ، د. طه .

- فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية ، دار النهضة العربية ، (بيروت –١٩٧٥) .

هارفي ، ليونارد باتريرك .

- المدجنون ، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ،تحرير سلمي الخضراء الجيوسي ، ط١ (بيروت –١٩٩٨) .
- تاريخ الموريسكيون السياسي و الاجتماعي و الثقافي ، ترجمة ، عبد الوهاب لؤلؤة ، نشر ضمن موسوعة الحضارة الاسلامية في الاندلس ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٨) .

اليوسف ، عبد القادر احمد .

- العصور الوسطى الاوربية ، ٤٧٦–١٥٠٠ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، (بيروت –١٩٦٧) .
- علاقات بين الشرق و الغرب بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر ، منشورات المجلة العصرية ، صيدا (بيروت –١٩٦٩) .

المراجع

- احمد ، محمد رمضان .

تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط ٣٥-٨٩٧هـ /٦٥٥-١٤٩٢، هيئة الاثار المصرية ، (د. ت) .

- ارسلان ، الامير شكيب .

الحلل السندسية في الاخبار و الاثار الاندلسية ، مطبعة الرحمانية ، (مصر –١٣٥٥هـ /١٩٣٦م) .

- ارفينج، واشنطن.

قصص الحمراء ، ترجمة ، ابراهيم الابياري ، مراجعة زكي خورشيد ، دار المعارف ، ط٢ ، (مصر –١٩٥٨) .

- اسعد ، حومد .

محنة العرب في الاندلس ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط١ ، (بيروت –١٩٨٨) .

- الاوسي ، حكمت علي .

فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني و الثالث الهجري ، مكتبة النهضة ، ط٢ ، (بغداد –١٣٩٤هـ /١٩٧٤م) .

- بروكلمان ، كارل .

الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ، نقله الى العربية ، د. نبيه ، ط١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ .

تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ، و منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، (بيروت –١٩٧٩) .

- البستاني ، بطرس .

دائرة المعارف الاسلامية .

- بردي ، ادور

- تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى ، نقله الى العربية ، يوسف اسعد داغرة ، بيروت ،(د.ت) .

- التواني ، عبد الكريم.

مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، مكتبة الرشاد ، ط١ ، (الدار البيضاء –١٩٦٧) .

- الجابري ، محمد عايد

- فكر ابن خلدون العصبية و الدولة ، دار الشؤن الثقافية العامة ، (بغداد ،د.ت) .

- الجزائري ، د. ابو بكر جابر .
الدولة الاسلامية ، مطبعة الكتاب الاسلامي ، ط٢، (بيروت –١٤٠٢هـ /١٩٨٢) .
- الجميلي ، خالد رشيد .
احكام الاحلاف و المعاهدات في الشريعة الاسلامية و القانون ، ساعدت جامعة بغداد على نشره (بغداد – ١٩٨٦–١٩٨٧) .
- حتاملة ، محمد عبده .
التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ١٤٧٤–١٥١٦ ، نشر بمساعدة الجامعة الاردنية .
- حتاملة ، محمد عبده .
الاعتداءات الافرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الاندلس و المشرق (حرب متواصله على الاسلام) ، عمان ، الاردن ، –١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) .
- حتاملة ، محمد عبده .
محنة مسلمي الاندلس عشية سقوط غرناطة وما بعدها ، الجامعة العربية ، ط١ ، (الاردن١٣٩٧هـ –١٩٧٧) .
- فيليب ،حتي ، واخرون .
تاريخ العرب مطول ،دار الكشاف للطباعةو النشر و التوزيع ، ط٤ ، ١٩٦٥.
- الحجي ، حياة ناصر .
العلاقات بين سلطنة المماليك و الممالك الاسبانية في القرنين الثامن و التاسع الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، ط١ ، (الكويت –١٩٨٠) .
حسن ، ابراهيم شحاته
اطوار العلاقات المغربية – العثمانية ، منشأت دار المعارف ، (الاسكندرية ، ١٩٨١) .
- الحسون ، علي .
الدولة العثمانية و علاقاتها الخارجية ، المكتبة الاسلامية ، (د.ت) .
العثمانيون و البلقان ، المكتب الاسلامي ، (د.ت) .
- حسون ، محمد عبد الغني .
صراع العرب خلال العصور ، دار العالم العربي ، القاهرة – د.ت) .
- حمادة ، محمد ماهر ، الوثائق السياسية و الادارية في المغرب و الاندلس و شمال افريقيا ، ٦٤–٨٩٧هـ /٦٨٣–١٤٩٢م ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت –١٩٨٠) .
- حمادي ، عبد الله .
الموريسكيون و محاكم التفتيش في الاندلس ، ١٤٩٢–١٦١٦، (الجزائر –١٩٨٩) .
- حمودة ، علي محمد .

تاريخ الاندلس السياسي و العمراني و الاجتماعي ، دار الكتاب العربي ، (بيروت –١٩٥٧) .
- حمودة ، علي محمد
فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني و الثالث الهجري ، مكتبة النهضة ، ط٢ ، (بغداد – ١٩٧٥)
الدراج ، احمد .
المماليك و الفرنج في القرن التاسع الهجري / الخامس الميلادي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦١ .
- الدوري ، عبد العزيز .
النظم الاسلامية ، بيت الحكمة ، (بغداد –١٩٨٨) .
- الدوري ، ياس خضير .
عبد الرحمن الاول و سياسته الخارجية و الداخلية ، دار الرشيد (بغداد –١٩٨٢) .
- ديورانت ، ول .
قصة الحضارة ، ترجمة ، عبد الحميد يونس ، الادارة و الثقافة في جامعة الدول العربية ، (د. ت).
- رو ، جان بول .
الاسلام في الغرب ، تعريب ، فجره هاجر و سعيد الغز ، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع ، ط١ ، (بيروت –١٩٦٠) .
- ابو زهرة ، الامام محمد ، العلاقات الدولية في الاسلام ، دار الفكر العربي ، (د.ت) .
- زيادة ، خالد ، اكتشاف التقدم الاوربي ، دراسة في المؤثرات الاوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر ،دار الطليعة للطباعة و النشر ، (بيروت – د.ت) .
- سالم ، السيد عبد العزيز .
تاريخ مدينة المرية الاسلامية (قاعدةاسطول الاندلس) ، دار النهضة ، ط١ (بيروت –١٩٦٩).
دراسات في تاريخ العرب ، مطبعة مؤسسة شباب الجامعة ، (القاهرة –د. ت) .
- السامرائي ، خليل ابراهيم ، و اخرون .
تاريخ العرب و حضارتهم في الاندلس ،جامعة الموصل .
- شارويم بيك ، ميخائيل .
الكافي في تاريخ مصر القديم و الحديث ، بولاق ، ط١ ، (القاهرة –١٩٩٨) .
- شايندلين ، ريموند .
اليهود في اسبانيا المسلمة ، ترجمة ، مريم عبد الباقي ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، تحرير مسلمي الخضراء الجيوسي ، ط١ ، (بيروت –١٩٩٨) .
- شبانه ، د. محمد كمال .

يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة ، لجنة البيان العربي ، (القاهرة –١٩٦٩) .
- بن شريفة ، محمد .
البسطي اخر شعراء الاندلس ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت –١٩٨٥) .
- الشكعه ، مصطفى .
الادب الاندلسي موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، (بيرت –١٩٧٩) .
- شلبي ، د.احمد .
السياسة الاقتصادية في التفكير الاسلامي ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، (بيروت –١٩٧٩) .
- الشناوي ، عبد العزيز .
الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، (القاهرة –١٩٨٠)
- شيخاني ، سمير .
مع الخالدين ، دار المعارف ، (لبنان –د.ت)
صفوت ، محمد مصطفى
السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ، دار الفكر العربي ، (القاهرة –١٩٤٨) .
- طرخان ، د. ابرهيم .
مصر في عصر دولة المماليك الجراكسه ١٣٨٢–١٥١٧م ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة .
- طربية ، جرجي انطونيوس .
الوجدية و اثارها في الاندلس ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت –١٩٨٠) .
- طه ، عبد الواحد ذنون .
حركة المقاومة العربية الاسلامية في الاندلس بعد سقوط غرناطة ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد –١٩٨٨) .
- الطويل ، توفيق .
قصة الاضطهاد الديني في المسيحية و الاسلام ، دار الفكر العربي ،(الاسكندرية –١٩٤٧/٣٦٦) .
- عاشور ، سعيد عبد الفتاح .
اوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي ، (القاهرة –١٨٣٠هـ /١٩٦٠م) .
اوربا العصور الوسطى ، التاريخ السياسي ، (د. ت) .
- قبرص و الحروب الصليبية ، (القاهرة –١٩٥٧) .
- أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، دار المعرفة للتأليف و النشر ، ١٩٦٤ .
ابن عامر ، احمد
الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية ، (تونس –١٩٧٤) .
عبد البر ، حكيم امين

قيام دولة المماليك الثانية ، تقديم ، محمد مصطفى زيادة ، الدار القومية للطباعة و النشر ، (القاهرة –١٩٦٦) .

- عبد الحليم ، رجب محمد .
العلاقات بين الاندلس الاسلامية و اسبانيا في عصر بني امية و ملوك الطوائف ، دار الكتب الاسلامية ،(القاهرة –١٩٨٥) .
- عبد السيد ، د. حكيم امين .
نهاية دولة المماليك الثانية ، تقديم ، د. محمد مصطفى زيادة ، الدار القومية للطباعة و النش ، (القاهرة –١٩٦٦) .
- عبد السيد ، حكيم امين ،د. مصطفى زيادة .
قيام دولة المماليك الثانية الناصر الدار القومية للطباعة و النشر(القاهرة–١٩٦٦) .
عبد محمد ، سوادي
دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الميلادي ، ١٩٨٩ .
- العبادي ، عبد الحميد .
المجمل في تاريخ الاندلس ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة –د. ت) .
- العبادي ، احمد مختار ، السيد عبد العزيز سالم .
تاريخ البحرية الاسلامية في مصر و الشام ، دار النهضة العربة ، بيروت ١٩٨١ .
- عتيق ، عبد العزيز .
الادب العربي الاندلسي ، دار النهضة للطباعة و النشر ، ط١ ، (بيرت –١٣٩٥هـ /١٩٧٥) .
- العربي ، محمد عبد الله .
نظام الحكم في الاسلام ، دار الفكر العربي ، (بيروت – د. ت)
العروي ، عبد الله
تاريخ المغرب محاولة التركيب ، ترجمة دوقان قرقوط ، المؤسسة العربية للدراسة و النشر،ط١، (بيروت –١٩٧٧) .
- عفيفي ، محمد الصادق ، الاسلام و العلاقات الدولية ، دار الرائد العربي ، ط٢ ، (بيروت ١٤٠٦هـ /١٩٨٦) .
- علي ، محمد كرد .
الاسلام و الحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط٣ ، (القاهرة – ١٩٦٨) .
- علي ، سيد امير .

مختصر تاريخ العرب ، ترجمة و تحقيق ، منير البعلبكي ،دار العلم للملايين ، ط١ ، (بيروت – ١٩٦١) .

- علي ، اورخان محمد .

السلطان عبد الحميد الثاني حياته و احداث عصره ، مكتب دار الانبار ، ط١، ١٣٠٧هـ /١٩٨١م.

- العمايرة ، د. محمد نايف .

مراحل سقوط الثغور الاندلسية بيد الاسبان ،ط١ ، عمان (الاردن –١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) .

- عنان ، محمد عبد الله .

نهاية الاندلس و تاريخ العرب المتضررين (وهو العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام في الاندلس) ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط٣ ، (١٣٧٨هـ /١٩٥٨م) .

نهاية الاندلس و تاريخ العرب المتنصرين ، المطبعة المدني ، ط٤ ، (صر ١٤٠٨هـ /١٩٧٨م) .

الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال ، لجنة التأليف و النشر و الترجمة ، ط٢ ،(القاهرة – ١٣٨٣هـ /١٩٦١م) .

دولة الاسلام في الاندلس الخلافة الاموية و الدولة العامرية ، العصر الاول .

ديوان التحقيق و المحاكمات الكبرى ، مطبعة الكتب المصرية ، (القاهرة –١٣٤٨هـ /١٩٣٠).

مصر الاسلامية و تاريخ الخطط المصرية ، (القاهرة –١٣٥٠هـ /١٩٣١م) .

- الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد

كيف ضاع الاسلام من الاندلس بعد ثمانية قرون ، مأساة الفردوس المفقود (٩٢-٨٩٧هـ /٧١١-١٤٩٢م) ، دار الكتبالقومية ،دار الكتب القومية ، ١٩٩٣ .

- غوشة ، عبد الله .

الدولة الاسلامية دولة انسانية ، المؤسسة الصحفية ، (عمان ، ١٩٧٩) .

- فشر ، هـ أ ل ، تاريخ اوربا (العصور الوسطى) ، القسم الثاني ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، و ارخرون ، ط٢ ، دار المعارف ، (مصر د.ت) .

- فرحات ، يوسف شكري .

غرناطة في ظل بني الاحمر دراسة حضارية ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (بيروت –١٩٨٢) .

- فكري ، احمد .

قرطبة في العصر الاسلامي ، تاريخ و حضارة ، مطبعة جريدة السفير ، (الاسكندرية – د. ت) .

- فريدريك ، محمد .

تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مطبعة محمد افندي مصطفى ، (مصر –١٣١٤هـ /١٨٩٦م)

- فهمي ، نعيم زكي .

طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب (اواخر العصور الوسطى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٣٩٣هـ /١٩٧٣) .

- كارديياك ، لاوي .

الموريسكيون الاندلسيون و المسيحيون المجابهة الجدلية (٤٩٢–١٦٤٠هـ) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيون بأمريكا ، تعريب و تقديم ، عبد الجليل التميمي ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، و ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، (تونس –١٩٨٣) .

- كولان ، ج.–س .

الاندلس ، ترجمة ، ابراهيم خورشيد ، واخرون ،دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، (بيروت –١٩٨٠).

- الكيالي ، سامي ،في الربوع الاندلسية ، مكتبة الشرق (حلب –١٩٦٣) .

- كيب ، جوزيف ماك .

مدنية العرب في الاندلس ، ترجمة ، د. تقي الدين الهلالي ، مطبعة العلمي (١٣٦٩هـ /١٩٥٠م) .

- لوبون ، غوستاف

حضارة العرب ، نقله الى العربية ، عادل زعيتر ، ط٢ ، دار احياء الكتب العربية ، (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨) .

- لوثينا ، لويس سيكودي ، و ثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، مطبعة معهد الرداسات الاسلامية ، (مدريد ١٣٨٠ هـ /١٩٦١م) .

- لودينغ ، هاغميان .

المسيحية و الاسلام تاريخ المواجهات ، ترجمة ، محمود مكي ، (بيروت –٢٠٠٠) .

- لورد ، دوروئي .

اسبانيا شعبها و ارضها ، ترجمة ، طارق فوده ، مكتبة النهضة المصرية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، (القاهرة –١٩٦٥) .

- لين بول ، ستانلي .

طبقات سلاطين الاسلام ، منشورات العربي (بغداد –١٩٦٩) .

طبقات سلاطين الاسلام ، ترجمة مكي الطاهر الكعبي ، تحقيق علي البصري ، دار منشورات البصري (بغداد–١٩٦٨) .

- ماجد ،عبد المنعم .

تاريخ الحضارات الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة سجل العرب (القاهرة د. ت)

- متز ، ادم .

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة د. محمد عبد الهادي ابو ريده ، مطبعة لجنة التأليف ، (القاهرة –١٣٥٩هـ /١٩٤٠م) .

- مصطفى ، احمد عبد الرحمن .

اصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، ط١ ، (القاهرة –١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) .

- المعاضيدي ، د. خاشع .

تاريخ الدولة العربية في الاندلس ٩٢–٨٩٧هـ /٧١١–١٤٩٢م مطبعة التعليم العالي ، (بغداد – ١٩٨٨) .

- مكي ، محمود .

تاريخ الاندلس السياسي ٩٢–٨٩٧هـ /٧١١–١٤٩٢م ، مؤسسة الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، تحرير د. سلمى الخضراء الجبوسي ، مركز الدراسات الوحدة العربي ، (بيروت – ١٩٩٨) .

- موسى ، محمد يوسف .

نظام الحكم في الاسلام ، تحقيق ، حسين يوسف موسى ، مطبعة دار الكتاب العربي ، ط٢ ، (القاهرة – د. ت) .

- مؤنس ، حسين .

رحلة الاندلس ، الشركة العربية للطباعة و النشر ، ط١ ، (القاهرة –١٣٨٥هـ /١٩٦٣) .

- النبطي ، محمد بن شريفة .

اخر شعراء الاندلس ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي (بيروت –١٩٨٥) .

- النبهان ، محمد فاروق .

نظام الحكم في الاسلام ، مطبعة جامعة الكويت ، (الكويت –١٩٨٧) .

- ندا ، د. طه .

فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية ، دار النهضة العربية ، (بيروت –١٩٧٥) .

- هارفي ، ليونارد باتريرك .

المدجنون ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ،تحرير سلمي الخضراء الجيوسي ، ط١ (بيروت –١٩٩٨) .

تاريخ الموريسكيون السياسي و الاجتماعي و الثقافي ، ترجمة ، عبد الوهاب لؤلؤة ، نشر ضمن موسوعة الحضارة الاسلامية في الاندلس ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٨) .

- وزوت ، و شاخت .

تردي الاسلام ، مجلة عالم المعرفة ، (الكويت –١٩٨٨).

- اليوسف ، عبد القادر احمد .

العصور الوسطى الاوربية ، ٤٧٦-١٥٠٠ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، (بيروت -١٩٦٧) .
- اليوسف ، عبد القادر احمد .
علاقات بين الشرق و الغرب بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر ، منشورات المجلة العصرية ، صيدا (بيروت -١٩٦٩) .

الدوريات

اترستافيز ، بيارتر .

- ➢ حول مفهوم المدجن الاسباني – العربي و ابعادة الاجتماعية و الفنية و الادبية ، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية ، عدد/٣ (تونس ، ١٩٧٥) .

احمد ، علي

- ➢ رجال الادارة و السياسة و الجيش الاندلسيون و المغاربة في مطلع القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع للهجرة ، مجلة دراسات تاريخية ، عدد ٣–٤ ، ١٩٨٧ .

ادهم ، علي

- ➢ مأساة سقوط غرناطة ، بحث منشور في مجلة العربي ، العدد / ٢٤ ، ديسمبر ، ١٩٧٨.

امين ، عبد الامير .

- ➢ نظرة جديدة للأنجازات السياسية و العسكرية و التجارية البرتغالية في اسيا ، دراسة في عوامل تدهور الامبراطورية البرتغالية و انحلالها ، الجامعة الاردنية ، مجلة دراسات ، المجلد الخامس عشر ، العدد السابع ، ذو القعدة –١٤٠٨هـ/ تموز ١٩٨٨م.

الاهواني ، د. عبد العزيز

- ➢ سفارة سياسية من غرناطة الى القاهرة في القرن التاسع الهجري (سنة ٨٤٤ هـ) ، بحث منشور في مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، المجلد السادس عشر ، الجزء الاول ، مطبعة جامعة القاهرة ،(القاهرة –١٩٥٤) .

بالار ، ماريونوس اريباس

- ➢ بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين اراغون و غرناطة ، (تطوان –١٩٦٣) .

البخيت ، محمد عدنان .

- ➢ رسالة السلطان العثماني بايزيد الثاني الى عبد المعز بن ابراهيم بن عمر عثمان الحفصي سنة ٨٩٦هـ /١٤٩٥ ، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية ، العدد ،٩ ، (تونس – ١٩٧٧) .

بدر ، د. احمد

- ➢ الاندلسيون و المغاربة في القدس ، مجلة اوراق ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، العدد ، ٤ ، سنة ١٩٨١ .

بطانية ، د. محمد خيف

➢ القضاء في الاسلام ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد،٣٢ ، السنة ١٤٠٧هـ /١٩٨٧ .

بوزرت ، و شاخت

➢ تراث الاسلام ، مجلة عالم المعرفة ، (الكويت – ١٩٨٨) .

بيدال ، ارامون مندن .

➢ اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية و الاسلام ، تعريب لطفي عبد البديع يحيى ، بحث منشور في صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية المنشور في مدريد ، العدد الاول ، السنة الاولى ، (مدريد – ١٩٥٣) .

التازي ، عبد الهادي

➢ مع ابن الازرق في مخطوطته بدائع السلك في طبائع الملك ، بحث منشور في مجلة دعوة الحق ، العدد،٦ ، (المغرب ١٣٩٤هـ /١٩٧٤).

التميمي ، د. عبد الجليل .

➢ رسالة من السلطان العثماني احمد الاول الى دوق البندقية حول الموريسكيون ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد خاص ، ٧–٨ (تونس –١٩٧٧) .

الجراري ، عباس .

➢ البرتغال بصمات تاريخ مشترك ، بحث منشور في مجلة المناهل ، العدد/١١ ، السنة الخامسة ، المغرب ، (الرباط –ربيع الاول ، ١٣٩٨ هـ /مارس ١٩٧٨) .

الحسيني ، محمد باقر

➢ اضواء على نهاية العرب في الاندلس من خلال نقد ذهني باسم الملكين الكاثوليكين فرديناند وايزابيلا ، بحث منشور في مجلة افاق عربية ، العدد ، ١ ، السنة الرابعة ، ايلول –١٩٧٨.

خطاب ، محمود شيت

➢ الاندلس و ما جاورها ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن و الثلاثون ، الجزء الثاني و الثالث ، (بغداد –١٣١٥هـ /١٩٨٧م) .

دراج ، احمد

➢ جم و سلطان العلاقات الدولية ، البحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، سنة ١٩٥٩ .

رمضان ، د. عبد العظيم .

➢ محاكم التفتيش اسوأ استخدام لأسم الله ، بحث منشور في مجلة العربي ، العدد ،٢٥٨ ، مايو (الكويت –١٩٨٠) .

زيادة ، محمد مصطفى

➢ نهاية سلاطين المماليك في مصر ، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الاول ،(مايو –١٩٥١) .

السائح ، حسن .

➢ غرناطة في عصر ابن الخطيب ، بحث منشور في مجلة دعوة الحق ، العدد ،٧ ، السنة ١٣٩٨هـ /١٩٥٣م .

الساحلي ، خليل .

➢ مغاربة في تركيا في اواخر القرن الخامس عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد،١ ، (تونس –١٩٧٤) .

طه ، عبد الواحد ذنون .

➢ تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس و اثره على سقوط غرناطة ،بحث منشور في مجلة البحث العلمي ، العدد ،٣٤ ، (الرباط –١٩٨٤) .

➢ تحالف الممالك الاسبانية في الاندلس و اثره على سقوط غرناطة ، بحث منشور في مجلة دراسات اندلسية ، المجموعة الاولى ، ط١ ، (بغداد –١٩٨٦) .

شاهين ، طلعت

➢ احتضار الاندلس ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد ، ٤٨ ، السنة الثانية ، (ابو ظبي –١٩٩٨) .

شبانة ، محمد كمال

➢ باب الشريعة احدى مداخل الحمراء الرئيسة ،بحث منشور في مجلة دعوة الحق ، العدد ٦–٧ ، السنة العاشرة ، ١٣٧٨هـ /١٩٦٧ .

شيخة ، د. جمعة

➢ صدى سقوط غرناطة في الشعر الاندلسي ،بحث منشور في مجلة دراسات اندلسية ، العدد ،٧ ، طبع بمطبعة المغاربة للطباعة و النشر و الاشهار ، عدد خاص ،(١٤١٢هـ /١٩٩٢) .

عبد القادر ، زمامة .

➢ بنو الاحمر في غرناطة ، بحث منشور في مجلة البحث العلمي ، العدد ، ٢٦ ، (الرباط – ١٩٧٦م) .

العراقي، احمد .

➢ ابو الحجاج يوسف الاول ملك غرناطة شاعرا ، بحث منشور في مجلة دعوة الحق ، العدد /١٥–١٦ ، السنة ١٣٩٢هـ –١٩٧٢م.

عنان ، محمد عبد الله .

➢ وثيقة اندلسية قشتالية في القرن التاسع الهجري ، بحث منشور في صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الثاني ، (مدريد ١٣٧٣هـ /١٩٥٤م) .

الكبيسي ، خليل ابراهيم .

➢ هجرة الاندلسيين الى المغرب العربي ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي ، الجزء الثالث ، المجلد الرابع و الاربعون ،(بغداد –١٤١٨هـ /١٩٧٧م) .

الكتاني ، علي .

➢ الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية لشبه الجزيرة الايبيرية قبل سقوط غرناطة ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد،٦ ، (الرباط –١٤٢٩هـ /١٩٩٨م) .

كرباخ ،جورج .

➢ عناصر المجتمع الاندلسي ، بحث منشور في مجلة افاق عربية ، العدد ،١ (بغداد – ١٣٠٢هـ /١٩٨٤م) .

مجهول

➢ بلغة الامنية و مقصد اللبيب فيمن كان بسبته من الدوله المرينية من مدرس و استاذ و طبيب ، تحقيق محمد بن ناصر ، بحث منشور في مجلة تطوان ، العدد التاسع ، سنة ١٩٤٤.

المنوى ، محمد

➢ تعريف بالدولة المرينية ، بحث منشور في مجلة دعوة الحق ، العدد ٣ ، السنة الثامنة ، (الرباط –١٩٨٢) .

ايرفينج ، واشنطن .

➢ بنو سراج و مصيرهم في قصر الحمراء ، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية ، السنة الثامنة ، العدد ، ٢١–٢٢ ، (تونس –١٩٨١).

➢ سقوط مدينة غرناطة بيد الملكين الكاثوليكين ، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث و المعاصر ، مطبعة الاتحاد العام التونسي للتشغيل ، العدد،٣١-٣٢ ، السنة العاشرة ، (تونس -١٩٨٣) .

العبادي ، احمد مختار

➢ الحياة الدينية و الدنيوية في مملكة غرناطة ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد،٦ ،(بغداد -١٩٧٨) .

➢ الاعياد في مملكة غرناطة ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، العدد،١٥ ، السنة ١٩٧٠ .

كاردياك ، لوك

➢ قضية الموريسكيون بأمريكا ، نقله الى العربية ، عبد الجليل التميمي ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد،٦ ، (تونس -١٩٧٦) .

➢ الموريسكيون و البروتستانت ، ترجمة عبد الجليل التميمي ، المجلة التاريخية المغربية، عدد،٢٧-٢٨ ، (تونس -١٩٨٢) .

المسيري ، عبد الوهاب محمد .

➢ الايديولوجية الصهيونية ، دراسة حالية في علم اجتماع المعرفة القسم الاول ، عالم المعرفة ، (الكويت -١٩٨٢) .

الرسائل الجامعية

التميمي، عباس جبر سلطان.

- نظم الحكم والادارة في الاندلس "عصر بني الاحمر" ٦٣٥-٨٩٧ هجرية، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، مقدمة الى كلية التربية، جامعة بغداد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

حبيب، بهاء موسى.

- دور غرناطة في مواجهة تحديات الممالك الاسبانية الشمالية، (٦٢٩-٨٩٧ هـ/ ١٢٣٢-١٤٩٢م)، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة الكوفة، (١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٢م).

الخالدي ، وسام علي محمد حسين

- الشعر الاندلسي في ظل البلاط الحفصي ، (٦٣٤ –٩٨١هـ) ، رسالة ماجستير في اللغة العربية ، مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م .

الخالدي ، وسن سمين محمد امين

- الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في مدينة فاس على عهد بني مرين ٦٦٨ –٨٦٩ ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢ م .

الجواري ، رياض حميد مجيد

- تنظيمات الجيش في سلطنة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ /١٢٣٨-١٤٩٢م) ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، (الكوفة ١٩٩٧م) .

الدليمي، حسين حبيب نجم.

- دور العلماء في الحياة السياسية والادارية والاجتماعية في سلطنة غرناطة (٦٣٠-٨٩٧هـ/١٢٣٧-١٤٩٢م)، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

الزوبعي، بشرى محمود صالح.

- محاكم التفتيش الاسبانية ١٤٨٠-١٥١٦م، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

سلمان، صفاء داود.

➢ الفكر التربوي والمنهج التعليمي عند ابن الازرق (محمد بن علي قاسم بن مسعود ابو عبد الله ت. ٨٩٦هـ)، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي (بغداد- ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

شيال، سعدي عواد.

➢ القضاء في مملكة غرناطة (٦٣٥- ٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، (بغداد- ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

عباس، صالح مهدي.

➢ الحياة الفكرية في مملكة غرناطة الاسلامية (٦٣٥- ٨٩٧ هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م)، رسالة دكتوراه مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد- ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م).

عبد الله، خالد محمود.

➢ جهاد بني مرين في الاندلس، (٦٥٦- ٦٨٥ هـ/ ١٢٥٨-١٢٨٦م)، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، (بغداد- ١٤١٠ هـ/١٩٨٩م).

➢ معاهدات الصلح بين الاندلس والممالك الاسبانية (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٧-١٤٩٢م)، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، (١٤١٧هـ/١٩٩٦).

عبد الرزاق، زاهدة عبد الله.

➢ الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال عهد مملكة غرناطة (٦٣٥- ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م)، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، مقدمة الى كلية التربية، الجامعة المستنصرية، (بغداد- ١٤١٨هـ/ ١٩٨٧م).

محمد ، مزاحم علاوي

➢ الدولة المرينية في عصر ابي الحسن علي بن عثمان (٧٣١-٧٥٢هـ /١٣٣١-١٣٥٢م) ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة الموصل ، (الموصل –١٩٨٢م) .

المياحي، عبد حمزة محسن.

➢ العلاقات السياسية لمملكة غرناطة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، رسالة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة البصرة، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

نصر، حسين.

➢ الشعر في غرناطة في عهد بني الاحمر، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، (بغداد- ١٩٨٩م).

بن يوسف ، مصطفى .

- ادب الاستنجاد في الاندلس من (القرن الخامس الى القرن التاسع الهجري) ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٥ .

References

Alarcin Y. Santon Y R.G. de linares: los Documents Arabes diplomticos del Archivod la corna de Arogoy. Alarconay Santon, Y Roman, Greiade Linares los, Do cumentos Arabes Diplomatics del Arckivo de la corna de Aragon (Madrid –1940).

Angel, Miguel ladero Quesada, "Granada- Historia de un pais Islamice 1231- 1571, edilora Gredos, 20 ed. (Madrid- 1979).

Al-Cantara. L, Historia de Granada, vol. III (Granada- 1904).

Ballestcros Y Berctta, (Antonio), Historia de Espana Y sun inflaenciaenla Istoria universal. Barcelona, 1922, T.III, p. 678.

Caspar Y Remiro uitimos pactosy correspondencia inxina entre los Reys catolics J Boabdil, (Granada, 1910).

Miguel, Lafunte Alcantra, Historia de Granada, (Granada- 1904).

Alonso de Sant Cruz, Cronica de los reges, Catolicos, ed icio. Y estudio por Juan de Mata Carriazo, publicucioues de la Escuela de Estudios Hispano – Americanos de Sevilla, 491, 2 vols- (Sevilla- 1951).

Anwar, G, chegne, Historia De Espana Musulmana, Ediciones Catedra S-M, (Madrid –1980).

Cf. Juan Rejia, La Eopulsionde los Moriscosy sus conse cuenias in Hispana, XIII, (Madrid- 1953).

Conde – J.A. History of the Dominion of the Arabs in Spain, Translated from The Spanish of, Mrs. Jonathan Foster, vol-111, (London-1913).

Creen, V, H. A., Renassance and Reformation, (London- 1970).

Cremen Munoz Roca, Tollada, Vidas de Mujeres Husteres, Vidade damaria de pocheco comunero, provenza, (Barcelona- 1848).

Della Vida, Havi, (Regon de Granada nel 1465- 66 nei recordi di un viaggiatane Egiziano), Al-Andalus, (Madrid- Granada- 1933).

De Castries Les Souvces indites, Historia du mooroc-portugal I , Espagne I . (Paris-1921).

Dominguez Oritz (Antonio) Y vincent (Bernand), Historia de los Moriscos. Viday trajedia de una Minoria, edit, Revista de Occident. (Madrid-1978).

Fletjher, Richard, Morish Spain, University of California press Berkcley, Printed in the United state of America, (Los- Angeles- 1984) .

Elesegundo Ren Chico. Muhammad XI, Y lasucesion de las Abu Nasr. Sa'd, 1452- 56, Al- Andalus, Rerista de las Escaelas de Estudios Arabes Madris Y Granada, OO. VIII, (Granada- 1963).

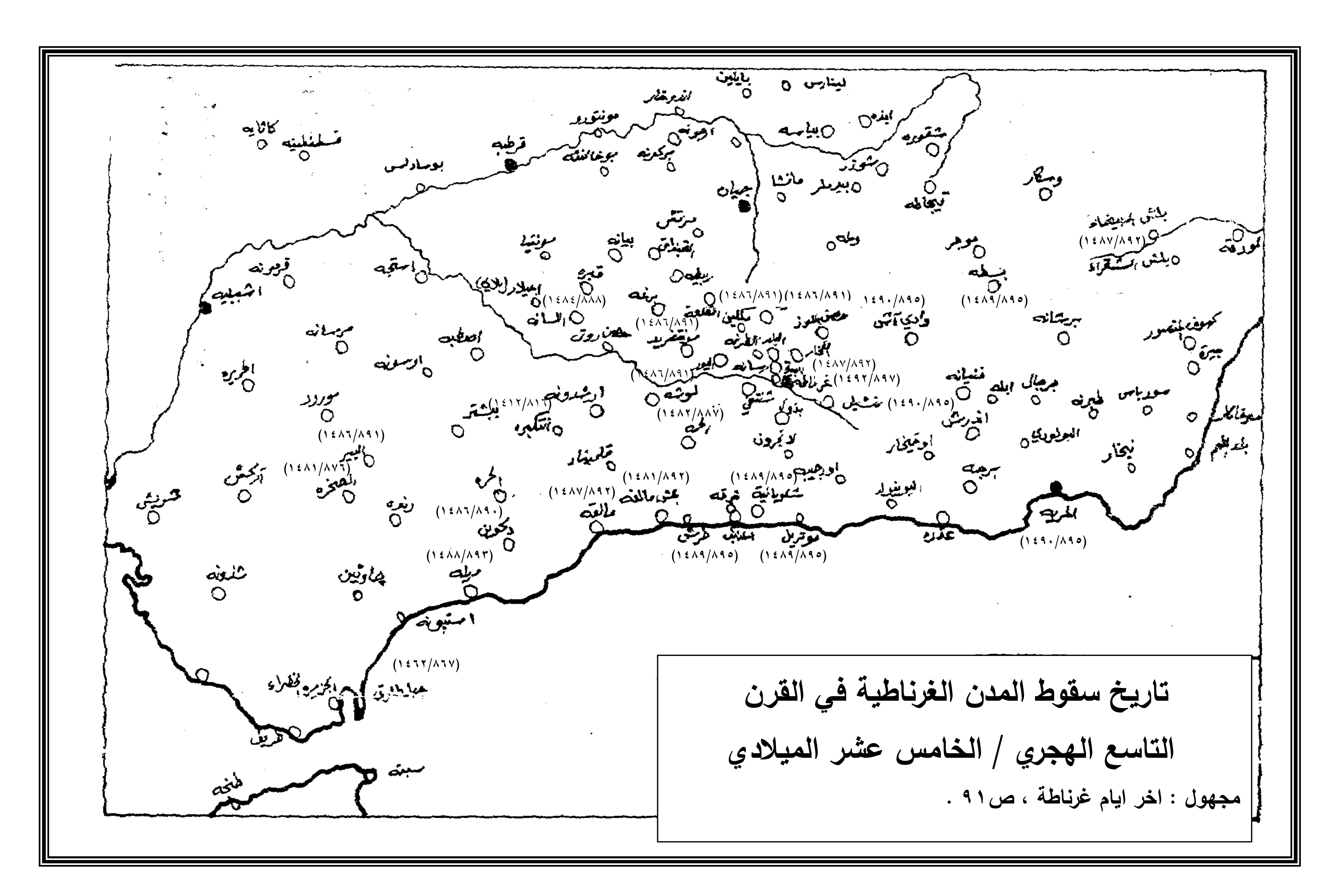
Fullard, Harold, Philips new School Atlas, (London –1983).

Grayzed, Solomon, History of the jews, (Newed). (New Yourk- 1968).

Henri Peres, La poesie Andolous en Arab Classijne auxisiecle, (Paris – 1957).

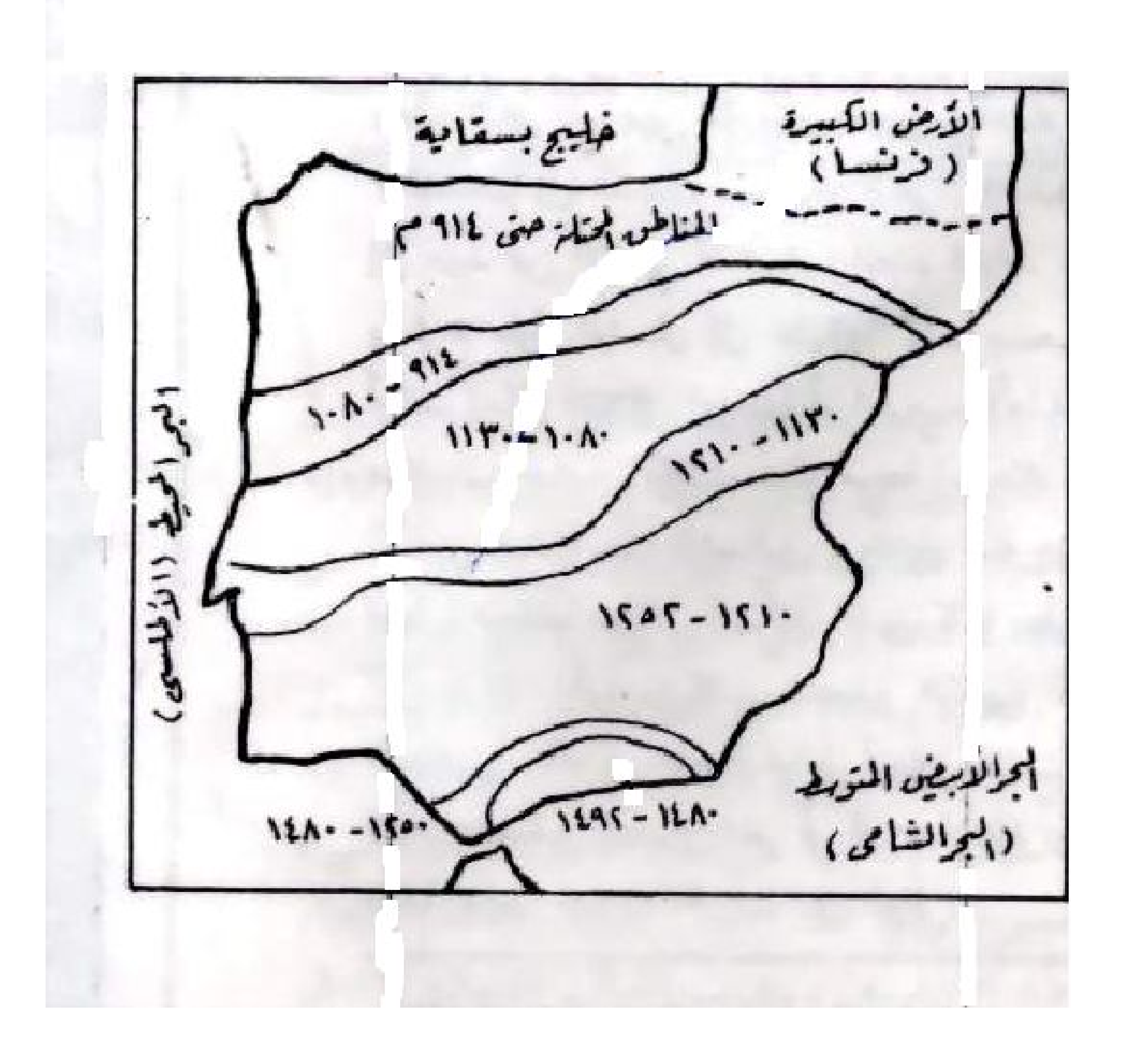
Hime , Martin , A.S. " Spain its Greatnness and decay " (1479-1788) , (Combridge –1940) .
Jamil M- Abun- Nasr, A history of the Maghrib, (Cambridge- 1975), p. 159.
J.D latham, "Nasrids", El: vol, VII, (Leiden- 1983).
Jackson, Joseph, The Last story of Granada, (London- 1998).
Joseph, J. The last story of Granada, (London- 1998).
L'occiden't, Librairie, plon, print-5, (paris- 1958).
La Cronica del More del Moro rasis (Memoria Sorela autenticidadla Cronica deno Minada del More rasis, Memories del la real Academia de la Historia, VIII, (Modrid – 1852).
La fuente Al cantara, Historia General de Espan, (Barcelona- 1879).
Marcelina Menende Peloye, Historia de Espana, Cuartaedcion, (Madrid- 1941).
Marrio He , J. , The Eastern Question , (Oxford –1958) .
Martin , A.S. ; Hume " Spaintis greeathness and decay " , 147-1988, Revised by Edward Armsterong , (Cambridge –1940) .
Mc Cab, Joseph, The Splendour of Moorish Spain, first published, (London- 1935).
Newhall , R. " The crusehed , (N.Y.-1963) .
Perez Bustamante C, Compendio de Historia de Espana (Madrid- 1946).
Poole, Stanly lane, The Moorish in Spain, with the collaboration of Arthur Gllman, M.A. Khagats, (Beirat- 1967).
Prescott, W, History of Reign of Ferinand, and Isabella, The Catholic (London –1860).
Quoted in , Simon Dubnov , " History of the Jews " , Vol. 111, (New York –1969) .
Rafael Al. Tamira, A history of Spain "from the beginings to the Resent day". (New Yourk- 1949).
R. Al Tamira, A history of Spain from the begings to the present, (London- 1949).
Revista "Al- Andalus", EL Cementerio Reldelos Nazaries En. Mondujar, Revista deles Arabs de Y. Granada, vol. VII, (Madrid- 1942).
Revista "Al- Andalus",Cuando Sublo Muley Hacen Al trono de Granada, Revista de les Estudios Arabs de Madrid Y Granada, Madrid, vol. XXII, (Granada- 1957).
Revista "Al- Andalus", Mas rectificacions A la Historia de los Ultoms Nasries, un Sultan llamado Muhammad "El ChiQuto", Revista de los

Estudios Arabes de Madrid Y Granada, Madrid, vol, XXIV, (Granada- 1959).
Revista “Al- Andalus”, Revista deles Estudios Arabes de Madrid Y Granada, Madrid, XIII, (Granada- 1984).
Roth, Ernest, The Spanish Iryuistion, (London- 1964).
S.M, Imamuddin, Apolitical History of Muslim Spain pranted at zeeco pacca-1, (Pakistan- 1961)
Secode Lucena paredes. L, Mohammad IX sultande Granada, (Granada- 1978).
Sir Arthury , Helps , “ The Sanish Conyuest in America “ , Vol. 1 ,(London –1900) .
Terrasse, Hnry, Islam D’a Spaine une recontre de L’orient Et De The New Encyclopedia, Aragone, Kingdom (V.I, 1974).
Trent (J), The civilization of Spain, (London- 1963).
The new Encyclopedia , Aragon , king dom of , V.I. , 1974 ,
Vilar , Picree , “ Spain a brief history “ Pregamon Press “ , New York .
W.Atkinson , “ A history of Spain and purtogal “ , (Middle east –1960).
W. H Press Cott, History of the Reign of Ferdinand and Isabella Abridged and edited by: C. Harvey Gradinen, (London –1962).



تاريخ سقوط المدن الغرناطية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي

مجهول : اخر ايام غرناطة ، ص٩١ .



سقوط المناطق الاندلسية بيد الاسبان بأتجاه الجنوب حتى سقوط سلطنة غرناطة



موقع سلطنة غرناطة بالنسبة الى شبه الجزيرة الايبيرية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي .



ايزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة (عن الاصل المحفوظ بقصر مدريد)[1]

(1) عنان ، محمد عبد الله : ديوان التحقيق و المحاكمات الكبرى ، ص٢٢ .



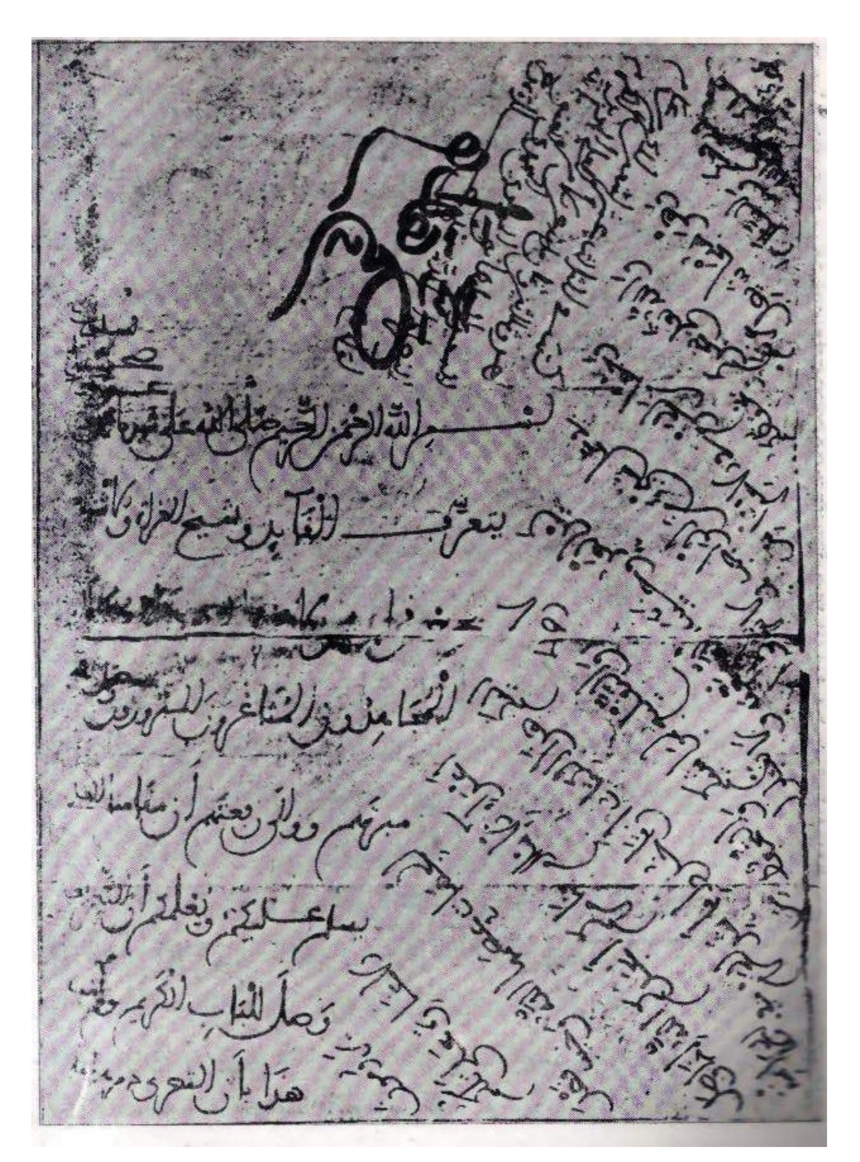
تركويمادا منظم ديوان التحقيق الاسباني [١]

[١]عنان ، محمد عبد الله : ديوان التحقيق و المحاكمات الكبرى ، ص٢٨ .



فرناندو الخامس (الكاثوليكي) ملك قشتالة [1]

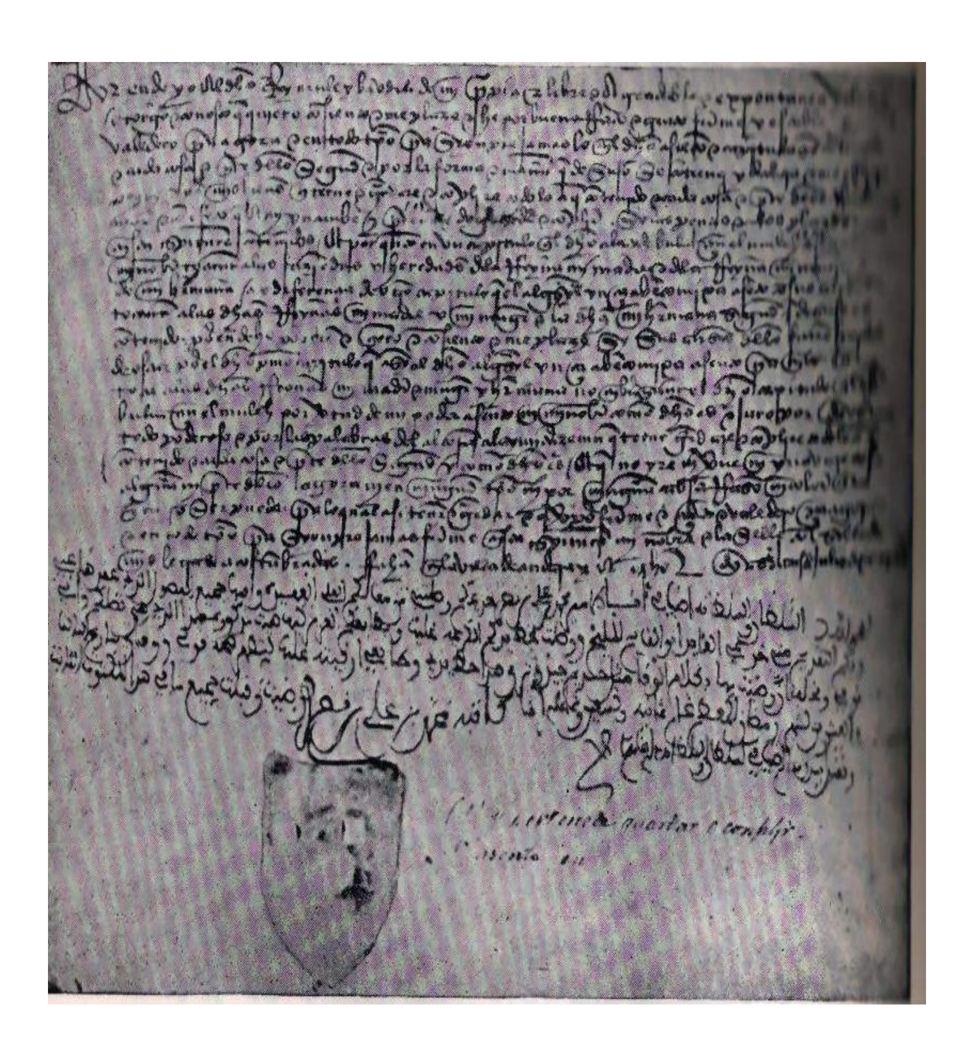
[1]عنان ، محمد عبد الله : ديوان التحقيق و المحاكمات الكبرى ، ص٣٦ .



صورة رسالة وجهها السلطان ابو عبد الله الايسر الى قادة و اشياخ حصن قمارش بوجوب اليقظة و الحرص على الدفاع عنه مؤرخة في شعبان ٨٣١هـ (١٤٢٨م). [١]

---

[١] عنان : نهاية الاندلس ، ١٥٧ .



ذيل المعاهدة النهائية التي عقدت بين الملكين الكاثوليكيين و ابي عبد الله بتاريخ ١٥/ابريل سنة ١٤٩٣ و فيها يتعهد ببيع املاكه و مغادرة اسبانيا نهائيا . و قد ذيل عليها ابو عبد الله بخطه بالقبول ، و بصمها بخاتمه و ذلك بتاريخ ٢٣ رمضان سنة ٨٩٨هـ (٧ اغسطس ١٤٩٣) . و الاصل محفوظ بدار المحفوظات العامة في سيمانقا .[١]

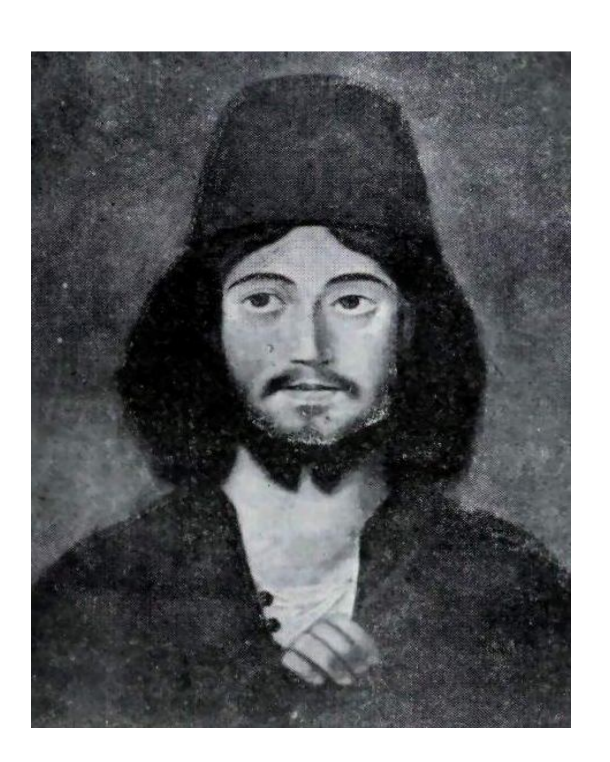
---

[١] حتاملة ، محمد عبده : محنة مسلمي الاندلس ، ص٦٨ .



الصفحة الاخيرة من معاهدة التسليم التي اصدرها الملكان الكاثوليكيات لأبي عبد الله و اهل غرناطة مؤرخة في ٢٥ نوفمبر سنة (١٤٩١م) (٢١ محرم ٨٩٧هـ) ، و عليها توقيعا فرناندو و ايزابيلا و توقيع سكرتيرهما فرناندو دي ثافرا ، و ختم مملكة قشتالة . [١]

[١] عنان : نهاية الاندلس ، ٢٥٣ .



ابو عبد الله الصغير اخر ملوك الاندلس

عن الصورة التي كانت محفوظة من قبل بمتحف جنة العريف بغرناطة (١)

---

(١) عنان : نهاية الاندلس ، ٢٧٥ .

ملحق (١)

وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و على اله و سلم تسليما،

ليعلم كل من يقف على هذا الكتاب الكريم اننا الايسر ابو الحجاج يوسف ابن المولى ،سلطان غرناطة و مالقة و المرية و جبل الفتح ووادي اش و بسطة ، و مالكي ذلك كله ، لما دخلنا دار ملكنا بحمراء غرناطة حرسها الله ، كلما عقدت و اشترطت في هذا العقد ، الذي عقدته مع كبير مولانا السلطان المعظم ذون جوان صاحب قشتالة و ليون و هو دياقة غومس ذا الربيرة الظلظاضة الكبير بالاندلسية [Don Diejo de Riberas Adelatudo] و المفوض على الفليترة وواحد من اهل راية قنافاين علية و يدي مشدودة فيه و قولي صحيح في كل ما اشترطت في هذا العقد المذكور مع الظلظاضة المذكور من غير زيادة على مافيه و لانقص منه ، و نحلف على ذلك بالله الواحد الحق ، و محمد صلى الله عليه و سلم ، و بالقران العظيم و بالأيمان الذي يعتقدونها ولا يخالفونها .

نسخة عقد الصلح

الحمد لله . ليعلم كل من يقف على هذا الكتاب الكريم اننا الامير ابو الحجاج يوسف بن المولى النصري ..... نقول انه لما كان السلطان المعظم المرحوم ابو عبد الله محمد بن السلطان ابي الحجاج بن نصر رحمهم الله سلطاناً لغرناطة بتحقيق و صدق و يقين ، خالفة الغدار المخالف الخافي الكل ، ابي محمد الايسر ، الذي خان العهد و لم يخاف [٢] الله تعالى و لم يراعي [٣] العهود و المواثيق و الامان ، الذي امن مولاه السلطان المذكور و لآخيه ابي الحسن علي ، رحمه الله عليهما و رضوانه و قهره و غصبه في ملكه و سلطانه ، بغير حق و بغير شرع ، و اخرجه عن ملكه و بلاده ، فكان ذلك الفعل القبيح الذي فعله ذلك الغدار الكذاب ابو محمد الايسر سببا

---

[١] هذه الوثيقة مأخوذة عن . عنان ، محمد عبد الله : وثيقة اندلسية قشتالية ، ص٤١-٤٥ .

[٢] كذا في الاصل و الصواب : لم يخف

[٣] كذا في الاصل و الصواب : لم يراع

لتوجهنا و انتصارونا بمولانا السلطان المعظم دون جوان ، سلطان قشتالة و ليون الذي رأس اشبانية فأستعنا بحكمته و مرته و كبير سلطانه ، و جئنا له بالخضوع ، عن و من لنا قوادنا و فرساننا ، حيث كان بمحلته مقيما على مدينة غرناطة ، وهو بجيش عظيم و قدرة كبيرة ، ليكون مولانا السلطان المذكور عوناً لنا على اخذ الملك من يديه محمد الايسر ، لغدره و شيمته القبيحة ، و ان نكونوا[١] نحن عوضا منه في الملك خداماً و متاعاً لمولانا السلطان صاحب قشتالة ، بمعاونته و حزمته ، و بما اظهر علينا من جاهه و احسانه و نصرله لنا على عدونا الايسر الغدار ، و نحن نشاهدوا [٢] على انفسنا الى الفارس المكرم دون دياقة غومس الربيره الضلنطاضة الكبير ، المفوض على جميع الكبار بالأندلسية سلمه الله ، اذ هو نائبا [٣]عن مولانا السلطان صاحب قشتالة و قائما مقامة، و هو على جميع الفرسان بالفلنتيره المعاندين لجميع المسلمين . فنحن نشهد على انفسنا بأننا خداماً [٤] لمولانا السلطان صاحب قشتالة من الان الى ما يأتي بعد ، ملكنا الملك او لم نملكوه[٥] و خدمتنا [٦] له بنيتنا و قدر استطاعتنا في جميع الامور بعضها و كلها و نحن نشرط و نشهد على انفسنا اننا اذا تمهد لنا ملكنا ، و دخلنا دار ملكنا الكريم ، ان نحرر جميع الاسارى الذين بملكنا من النصارى في حضرتنا العليه ، وجميع بلادنا النصرية ما عدا الاصناح منهم و المصلون الذين بدارنا ؛ و نشهد على انفسنا و نشترط اداء عشرين الف دينار من الذهب العين البلدي الوازن في كل سنه ، موصله ليدي مولانا السلطان حيث ما يكون من بلاده و مواضعه و حصونه ، حتى يستقر بيده الكريمة مع من نستثيقوه و نطمئنوا [٧] فيه من خدامنا و قوادنا . و نشترط و نشهد على انفسنا معاونة مولانا السلطان بألف فارس و خمسمائة فارس مسلحون من فرساننا و بمرتبتنا ونعمتنا ، نوجهوهم[٨] له للموضع الذي يحتاجهم فيه من بلاده لمحاربة من يريد محاربته و معاندته و منازعته ، نصارى كانوا او مسلمون[٩] ، و نشرط و نشهد على انفسنا انه اذا احتاجنا لمخاطبتنا فنتوجه اليه بأنفسنا و جيوشنا الى الكرتس الذي يكون فيه في البلاد و

---

[١]كذا في الاصل و الصواب : نكون

[٢]كذا في الاصل و الصواب: نشهد

[٣] كذا في الاصل و الصواب : نائب

[٤] كذا في الاصل و الصواب : خدام

[٥]كذا في الاصل و الصواب : نملكه

[٦]كذا في الاصل و الصواب : خدمنا

[٧]كذا في الاصل و الصواب : نستثيقه و نطمئن

[٨]كذا في الاصل و الصواب : نوجهه

[٩] كذا في الاصل و الصواب : مسلمين

المواضـع، فأن كـان الكورتس من الابرات التـي تلـي طليطلـة لناحيـة بـلاد المسلمين فنتوجـه بأنفسنا ، و ان كـان الكورتس من ابرات طليطلـة بداخل قشتالة فنوجـه احدا من ابنائنا او احداً من قرابتنا او اقربنا ناساً الينا . و نشـهد و نشرط على انفسنا مهما توجـه نصرانيا اصلياً الـى خدمتنا فنرده الـى مولانا صـاحب قشتالة لأقرب وقت ، و لا سبيل لـه ان يقيم معنا بوجـه و لا بحال بل نردوه بكتابنا لمولانا السلطان ليقع نظره الجميل فيه .

فهذا الشروط كلها نشترطوا منها على انفسنا و نلزموا انفسنا ما يلزم في كل ما قلناه ، ونحلف اننا نوفوا [1] بما قلنا علـى اتم الكمال ، الذي يرضـاه مولانا السلطان صلحب قشتالة ، فنقولها بالله الذي لا الـه الا هو عالم الغيب و الشهادة ، الرحمن الرحيم ، و بحق محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و [اله] و سلم) و بحق القران العظيم ، الذي انزل على محمد (صلى الله عليه و [اله] و سلم) اننا لا نخالف العقد ، في كلمة واحدة مما قلنا في هذا العهد و ان خالفنا فالله تعالى شاهد بيننا و المعاقب لنا ، و انا الضلنطاضـه ذياقة غومس ذا الربيرة ، المذكور قبل ، نايباً عن مولانا السلطان ذون جوان صاحب قشتالة بأمره الكريم مفوض عليه بتقديمه و كتابه ، انا قابل منك يا دون يوسف سلطان غرناطة و راض به عن مولانا السلطان، ذون جوان كلها ما قلته وشهدت به علـى نفسك ، قد رضيته و امضيته فيـه عن مولانـا السلطان صـاحب قشتالة ، و عهدتك عهدا صحيحا ، و قول صادقا لا شك فيه ، عن مولانا السلطان صاحب قشتالة بقوله : الصلح يطول ايامكم يا دوق يوسف سلطان غرناطة ، و ايام مولانا دون جوان ، و ايام أبنائكم ، و على شروط الاصـلاح الصـحيحة ، و علـى حسـب العوايد بين الملوك من النصـارى و المسلمين ، و العهود الصحيحة بينهم و تسريح جميع الابرات بجميع البلاد النصرانية ، و تأمين جميع التجار النصارى و المسلمين ، و ليتوجهوا بجيمع السلع و الكسب ، و جميع الاشياء المباح بيعها و شراؤها بين النصارى و المسلمين ، الى جميع البلاد و تحت الامن و الحرمة و من غير خوف عليهم و لا عارض يعترضـهم في توجههم و ايابهم ، لا يلزمن احد منهم غير الواجب الذي هو عادة بين النصارى و المسلمين ، و كذلك معاونة مولانا السلطان صاحب قشتالة لكم يا دون يوسف سلطان غرناطة على جميع من يعارضكم او من يريد محاربتكم ، او فساد بلادكم من نصارى او مسلمين ، و نصرته لكم بما يمكنه ، و كذلك بأذونة يوسف اذا توجهتم لخدمة مولانا الى الكرتس المذكور قبل ، من عام او اعوام ، فأن الملازم المذكورة قبل، تخفف عنكم ، و كذلك كل من يتوجه من المسلمين لبلاد مولانا السلطان صاحب قشتالة ، انه لا يبيح لهم جوازا لشرق او لغرب ، و لا يخفيهم معه ، بل يكتب لهم بالشفعة لمولاهم دون يوسف سلطان غرناطة و على ان الاسارى

---

[1] كذا في الاصل و الصواب : نوف

الكونت انما الحديث عنهم خاصة ، و اما غيرهم فلا حديث فيهم ، و كذلك الفرسان الالف و الخمسمائة فارس و مرتبتهم من السلطان ذون يوسف ثلاثة اشهر ،وما زاد على ذلك فمن صاحب قشتالة مولانا ذون جوان ، و اذا توجه السلطان ذون يوسف الى الكرتس انما يتوجه بنفسه و بما يقتضى نظره بقليل او بكثير ، و ثبتوا بالقول في هذا العقد ان العشرين الف دينار ، المذكورة اعلاه ، فهي توجه السلطان ذون يوسف بجيشه و مقدورته، يعاون ذون جوان صاحب قشتالة و تخفف عنه ، ومهمى وجه الالف و خمسمائة فارس فلا يخفف عنه ، و نثبتوا قولنا في ذلك بالأيمان المذكورة قبل و قد تم القول و العهد ، و الزم الضلنظاضة المذكور ما قيل عنه ، و ما قال عنه مولانا دون جوان صاحب قشتالة ، و شهد بما قال ذون يوسف سلطان غرناطة على نفسه بما قال ، و في نسختين بالعربي و العجمي ، و من حصن برضالش بتاريخ يوم الاحد السادس عشر لشهر ستيتز عام ١٤٣١ الف و اربعمائة وواحد و ثلاثون يوافق السابع من شهر الله المحرم عام ٥٨٣ خمسة و لاثين و ثمان مائة معرض للتدخير .

و من الاشهاد اننا الامير الايسر ابو[1] الحجاج يوسف بن المولى سلطان غرناطة و مالقة و المرية و جبل الفتح ووادي اش و بسطة و ما الى ذلك كله ، نشهد على انفسنا في هذا العقد المقيد اعلاه و نجدد الايمان التي قيدت فيه ، و عهدنا الله عليها ، من الحمراء العلية بخطنا عليه و طابع الذهب المعلق بشرادي الحرير في يوم الاحد السابع و العشرين ليز عام الف و اربعمائة و اثنين و ثلاثين يوافق اليوم الثاني و العشرين من جمادي الاولى عام خمس و ثلاثين و ثمان ماية عرف للتدخيرة) .

---

[1] كذا في الاصل و الصواب : ابا

ملحق (٢)

رسالة السلطان محمد الايسر سلطان غرناطة الى ملك قشتالة دون خوان[1]

و فيما يلي نص هذه الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على سيدنا محمد و اله و صحبه و سلم تسليما

الى السلطان المعظم ، الخبير ، الحافل الاسمى ، الاصيل ، الاشهر ، الارقى ، ذون خوان سلطان قشتالة و ليون . اكرمه الله تعالى بتقواه . واسعده برضاه .

سلام عليكم سلاما يراجع سلامكم كثيرا اثيرا ، من الكثير الحب في مقامكم ، المبني على مكارم سلطانكم ، عبد الله محمد بن نصر سلطان غرناطة و ما اليها من بلاد المسلمين . ايده الله بمعونته و يسرة .

كتبه اليكم من حمراء غرناطة – حسرها الله تعالى – عن الخير و العافية و ما عود الله من النعم الواقيه ، و عن الذي تعلمونه من المحبة و المودة الخالصة الى ما لنا من تعظيم مقداركم و ترفيع مقامكم .

والى هذا ايها السلطان المعظم فأن كتابكم الاثير وصل الينا ، ووقفنا على ما ذكرتم فيه من كون مقامكم عرف بأنه سنة شهر [2].... في الطريق القريبة من رنده .... و اخذ له جملة من الذهب و طلب من مقامكم العزيز .. و انه ظهر لكم الكتب الينا فيها ، الرغبة منكم لنا في ان نأمر بالبحث عن القضية ، حتى يعلم الحق فيها . و أن نأمر بالحكم على الفاعلين والانصاف من الذهب المذكور مما تضمنه كتابكم من الجزئيات و استوفينا جميع ذلك .

---

[1] مجهول : اخر ايام غرناطة ، ص١٧٢-١٧٤ .

[2] (......) سقط مقام النقاط شيئ من السطرة بفعل الارضة ، ص١٧٢ . هامش (١) .

و يعلم الله ايها السلطان المعظم ان ذلك الواقع مما شق علينا ، وعظم لدينا مما لنا من القصد الجميل في الخير ، وبما نخص به جاهكم الرفيع من المحبة الصادقة ، و المودة الخالصة و ان ساعة وقوفنا على كتابكم الخطير امرنا بالمبادرة بالكتب لقوادنا و اشياخنا بروندة و الشيطنيل و الجهة كلها ؛ وكدنا في البحث عن القضية المذكورة حتى نفقوا على جبله منها حقيقة فيها كما يجب و امرناهم ان يشتدوا في الطلب على المفسرين و القبض عليهم حيثما وجدوهم ليعاقبوهم بالشرع و امرناهم بالأنصاف و الاخلاص من جميع ما اخذ للمذكور ان شاء الله .

و اعلموا ايها السلطان المعظم اننا مازلنا نتب لجميع من في مدننا و بلادنا و مواضعنا من القواد و الاشياخ .. و التسكين و حفظ ما بيننا و بينكم من العهود الكريمة ، و المحبة القديمة. و ان لا يتطرق احد من ارضنا و رياستنا الى ضرر او فساد بأرضكم و رياستكم . و ما زلنا نؤكد في هذا المعنى كثيرا ، ونأمر بتنفيذ الحكم فيما تقع من الشكايات و المفاسد ، و ان ينصف ذلك بالشرع و يؤخذ على ايدي الفاعلين ، ويحكم فيها بما يجب من .. الشديد الى غير ذلك مما يطول ذكره . و ربما يكون الحكم قد وقع في هذه القضية التي ذكرتم فأعلموا ذلك .. ايها السلطان المعظم انه لما طال هنا لكم مقام رسولنا القائد ابراهيم الامين اعزه الله ، و استمر على وجهته المباركة بحول الله ازيد من عام و ربما تشوشت من الجهتين النفوس ، و تشغيت الخواطر ، ووجد المفسرون من الجهتين سبيلا الى الفساد ، وقد وقع بجهات كثيرة جملة من المفاسد و الشكايات و امر وزير مقامنا حفظة الله ان يعرف مقامكم العزيز ببعض منها على الاختصار لتكون ... عندكم السبب ، و الاعظم من ذلك اما هو ابطاء رسولنا المذكور هنا لكم و نحن نرغب منكم ان تنظروا في ذلك نظركم الجميل ، و ان تأمروا بأبرام الحديث مع رسولنا القائد ابراهيم الامين المذكور حينما توجه اليد لبيلة ، على مقتضى المحبة الخالصة و المودة الصادقة ، و كما يليق برفيع مقداركم .. و الله يهيئ ما فيه الخير للجميع بحوله و كرمه ، و كل ما يكون لمقامكم العزيز بدارنا و رياستنا من الحوائج و الاغراض فنحن يأمرنا العمل الواجب في ذلك .

و الله يرفع قدركم و يزكي الخير عندكم و السلام يراجع سلامكم كثيرا اثيرا و كتب في الخامس لشهر ذي العقدة عام ستة و اربعين و ثماني مئة.

ملحق (٣)

صدر مكاتبة صاحب الاندلس للأمير ابي عبد الله محمد بن نصر الخزرجي صاحب الاندلس

عبد الله وولية السلطان المالك الملك الظاهر .... [الى اخر الالقاب] خلد الله تعالي سلطانه .

يخص الحضرة العلية السنية السرية ، السنية المكرمة الميمونة الاورعية الاوزعية المنصوره المصونة .

حضرة الامير العالم المجاهد ، المرابط المثاغر ، الموحد الاوحد ، ابا عبد الله ، ذخر الاسلام و المسلمين ،عدة الدنيا و الدين ، قدوة الموحدين ، ناصر الغزاة و المجاهدين ، سيف جماعة المشركين ، صلاح الملوك امير المسلمين ، محمد بن نصر الخزرجي ، اعز الله تعالى انصاره ، و اعلى في الدارين مناره .

ولا زالت عزماته بالتأييد مقترنة ، ونفوس العدة في اجسادهم لقوابضهم مستودعة مرتهنة ، و رؤوس اهل الشرك تحت سنابك جياده مبهدلة ممتهنة .

اصدرنا الى الحضرة العلية / تهدي اليه افضل السلام ، و تخصه بالتحية و الاكرام ، و توضح لعلمة الكريم بعد حمد الله على نعمه التي بمزيد الفضل منَّ بها علينا ، و جاد بعنايته الربانية لنا الى ان صارت مقاصد الملوك تعرض بين يدينا ، و قهر العدى بمهابتنا السائرة ، فهرعوا بالطاعة لدينا ، و اضفى حلل السعادة و النصر على من يسنده حديث ولائه القديم الينا .
و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الذي بوسيلتنا به الى الله التقينا و بأقتفاء اثار سنته و لوامع اسنته في جدال العدى و جلادهم اقتدينا ، و على اله و صحبه انصار الدين ، اقر الله باجتهادهم في سبيله عينا
ان...مكاتبته..

....

....

....

....

بعد حمد الله على نعمه الطاهرة و الظاهرة و منته الجزيلة الوافية و منحه الوافرة ، و عوارف فضله الباهرة ، و التي هي اعظم من البحور الزاخرة .

و الصلاة و السلام علىسيدنا محمد ذي المعجزات المتكاثرة ، و على اله و صحبه ذوي العصابة الزاهرة ، و المنابع الفاخرة . و نبدي لعلمه الكريم ان مكاتبته وردت على يد ...... فوقفنا عليها ، و صرفنا وجه الاقبال الشريف اليها ، فوجدناها من اعظم المبهجات لدينا الواردة علينا .

هو الكتاب الشريف ، بل السحب المطيف ، بل البحر الذي يقذف دراً ، و يرفع سريراً و يطلع قمراً و يطول اوضاحاً و غرراً ، و يحدث عن السحاب خبراً ، و تهب الرياح من غربة سحراً ؟ فوجدناه ابدي لنا محبته القديمة ، و مساعيه في المخالصة المستديمة ، و شكرنا مبرراته المبرورة ، التي رفعها الى ابوب القبول ، و اهداها الى نيل الارب و السؤال .

والله تعالى يجمع بسعادته كلمة الاسلام و المسلمين ، و ينصره على الاعداء ، و يسد عن حوزته الشريفة ابواب الردى ، و نوع المطيع له في الخدمة ، و اتباع الخلق الواضح الى طريق الهدى [1] .

و قد جهزنا الى الحضرة فلان و حملناه من المشافهات ما يnديه الى محلة الاسنى ،و ملكه الذي حسن صورة و معنى .

---

[1] مخطوط بالمكتبة المركزية الاهلية بباريس ، القسم العربي ، رقم ٤٤٤٠ ، ورقة ٦٠ ب –٦١ أ .نقلاً عن دراج ،اثر المماليك و الفرنج ، ص١٧٨–١٨٠ ، ملحق (٩) .

ملحق (٤)

نسخة من كتاب صاحب الاندلس محمد الايسر ابو عبد الله

تحت البسملة الشريفة ...

الابواب التي ظلال رعاياتها مديدة الافياء عالية السدول ، و مكارم معاليها تفضح الغيث الواكف و تخجل الغمام الهمول ، و اعمال اغراضها الشريفة كفيلة لهذا الثغر الغريب بانالة القصد و اسعاف المأمول .

ابواب الملك المعظم ن الاعلى الخطير ، سلطان الحرمين ، مبلغ قاصدي معاهد الصفاء و العلمين ، مقيم رسم الحج ، مرغم انف عدو الدين متى طغى في الكفران ولجَّ .

العادل الفاضل ، المدافع المناضل ، الكافي الكامل ، المؤمل المرتجى ، الاطول الاصول ، الواهب الكريم ، العالم العامل ، الخاشع الخاشي ، الصالح الاسنى ، الاصعد الاسعد ، الكامل ، ابي سعيد جقمق الظاهر ، صاحب الديار المصرية ، وبلاد الشام ،ابقاه الله تستقبل بابه الكريم الوجوه و الابصار ، و تفتخر بالأنتساب الى موالاته الملوك على تباعد الجها[ت] و تنازح الامصار ، و لا زالت ايات سعده بأنجاز امله و قصده تتلى على تداول الايام و تعاقب الاعصار.

سلام كريم عما تنسم الصباح او تبسم زهرة الادواح ،يعتمد ابوابكم الشريفة الفخر الصراح ، الكفيلة لصدر الدين الحنيف بالأنشراح ، و رحمة الله و بركاته .

اما بعد حمد الله رب الارباب ، الذي نتمسك من الطافه الخفيه في هذا الثغر الوحيد بأقوى الاسباب ، و نقرع في الانتصار بمدده اكرم باب و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد الذي اضمحل به ليل الضلالة و انجاب ، و بدت انوار الحق لا تتوارى بالحجاب ، المبعوث بالمعجزات ، فالقمر لتصديقه انشق ،و الدوح اقبل لدعوته و اجاب ،و الرضوان على اله و صحبه [الذين] احلوا الدين – من وقايتهم– في اعز كنف و أوقر جناب ، و مدوا على الملة من نصرتهم رواقاً مسدول الاطناب ، و اشتملوا على عز الفضائل التي لا يحصى ذكرها /[لا] بالأكثار في الكلام و لا بالأطناب ، و الدعاء لأبوابكم الشريفة بأتصال السعد الذي تخضع له صيد الرقاب ، و تتلى على توالي السنين و تداول الاحقاب .

فأنا كتبنا الى ابوابكم العزيزة ، كتب الله لها ما يهيج قلب الاسلام من السعد الواضح الاعلام ، و قد فعل . كما انطق بفضل معاليها من اختفى و انتقل من حمراء غرناطة دار ملك

الجهاد بثغر الاندلس ، القطر الغريب الحلال ، الآوي الى ناف ، ذلك الملك الذي له الزعامة الوارفة الظلال ، تداركه الله بعضده ، و نصر من بها من المسلمين الغرباء ، فما النصر الا من عند الله و عندنا ثقة بنصر الله الذي تعودنا من صنعه الجميل ما تعودنا ، و بلغنا به في امداد كلمة الحق بهذه الديار الغريبة ما اردنا .

و نحن نوجب التعظيم لتلكم ابواب الكريمة ، و الثناء على ما عندنا من المواهب المتصلة و المنح العميمة ، كافأ الله عنا ، مالها من الحقوق التي قامت المفاخر منها على سوق .

و الى هذا فموجبه الى تلكم الابواب الشريفة ، و الاعلام بأن الواصل بهذا الكتاب الى الابواب العزيزة ، التاجر الاتقى الافضل ابو عبد الله محمد البنيولي ،كتب الله سلامته . توجه برسم تلكم الايالة الكريمة و تلكم السمطية العظيمة ، و في اكترائه واكتراء من معه من المركب الذي وصلوا فيه الى تلكم البلاد الشريفة ، و اكتراؤه برسم ما يسنى الله من المعونة لهذا الثغر الغريب ، و الوطن الذي هو من العدو قريب ، المرتقب لما يسره الله تعالى من صدقات المسلمين ، ونوافل خيراتهم التي يعتمدون بها ما عند الله من الثواب الجسيم ، و الجزاء الذي يخلد في دار النعيم . و مواهب ابوابكم العزيزة هي العطايا الفاخرة و المنح التي توفى سعادة الاخرة .

و ان المركب المذكور يصل بالسلامة الى ثغر الاسكندرية ، حماها الله . و القصد من ابوابكم العزيزة ان تأمروا بالمشاركة في تفريغه ووثقه ، و في كل ما يحتاج اليه ، حتى يتم معونة هذا الوطن السمتصرخ بأبوابكم المتمسك بأسبابكم و مبلغ كراء المركب المذكور في سفرة و عودته ثلاثة عشر الف و خمسمائة دينار من الذهب الفارسي ، كتب الله سلامته .

و ابوابكم الشريفة ، زادها الله تشريفاً و ابقى بها جانب الاسلام منيفاً ، كفيلة / باتمام هذا القصد و اكماله و اسعاف غرض ثغر الجهاد و تبليغ امالة .

و اللهتعالى يبقى شرف تلكم الابواب عالياً ، و يجعل سعدها متوالياً و السلام الكريم يعتمد ابوابكم الشريفة من مقامنا السلطاني المحمدي العالي النصري ، اعز الله جهادة و حمى معاقله و بلاده .

و رحمة الله و بركاته .

كتب في الثالث عشر من جمادي الاولى عام خمسة و خمسين و ثمانمائة . [1]

---

[1] المخطوط السابق ، ورقة ٥٨أ –٥٩ أ ، نقلا عن : د

الملحق (٥)

الحمد لله نسخة كتاب صاحب الاندلس الوارد الى الابواب الشريفة الملكية الظاهرية خشقدم

بعد البسملة الشريفة :

الابواب التي اعتلى في العز معراجها و تجلى في سماء البسيطة و افق الارض المحيطة شمسها المنير و سراجها . وعلم بأرشادها و تأييدها للجهاد و امدادها طريق الخيرات و منهاجها ، وقام ببرهان امرة الحرمين الشريفين شاهدها على الفخار و احتجاجها .

ابواب السلطان المعظم الاعلى ، الهمام الاشرف ، العزيز الخطير ، الاصعد الاسعد ، الامام الممجد الممدح ، الكافي الكافل ، الكريم الجواد ، المانح الواهب ، الاطول الاصول ، العادل الفاضل الكامل ، عاصب تاج الفخار ، هازم الفرنج و الترك و التتار .

سلطان الحرمين الشريفين ، مقيم رسم الحج ، كبير الملوك ، حجة العدل ، لسان الحق ، غيث الجود ، ظل الله في ارضه ، الموقر المبجل ، المفضل المنعم . ملك مصر و سلطانها ، ابقاءالله دوحة الرجاء من اهل الارجاء الى غمام كرمه مصروف ، امداده للجهاد معلوم في سبيل الله معروف ، ووطن المثاغر بحمايته و عنايته محفوف ، فتعز به لكتائب الاسلام صفوف ، و يكون به للتوحيد مزية و شغوف ، حتى يحل الدين في حرز حريز [و ما ذلك على الله بعزيز] ، فهو بعبادة رحيم رؤوف . موجب الحقوق لسلطانه الذي انسحبت من معلوماته على الجوزاء الذوائب و حثت الى التماس ايالته الركائب . و اسعفت من انالته للراغبين الرغائب ، وعاد الاملون يحثون حقائبهم بمكارمه مطوقين ، و بالثناء على سلطانه ناطقين .

عبد الله امير المسلمين ، سعد المستعين بالله ، ابن الامير المنعم ابي الحسن ، ابن امير المسلمين ابي الحجاج ، ابن امير المسلمين ابي عبد الله ابن امير المسلمين ابي الحجاج ، ابن امير المسلمين ابي الوليد بن نصر ايده الله بنصره و امده بيسره .

سلام كريم طيب عميم ، ينافح شذا الروض الاريج ، و قد افاد مروى نهره خبر الضحاك من زهره بالتخرج ، و يجلس الصبح البهيج وقد ملأ دم شفقة و جنة افقة بالتضريج ، يعتمد ابوابكم

التي يلقى عصا التسيار حول مشارعها ركب المعيج ، و تطوف الامال بكعبتها طوفان الحجيج ، و رحمة الله و بركاته .

اما بعد حمد لله الذي اوضح لنا من التعاون على البر و التقوى سبلا شريفة الاثار ، و جعل التوكل عليه كفيلا بأقالة العثار ، و ادراك الثأر و نظم النثار . الولي النصير الذي لا يغالب مدد نصره لا بالأحتشاد و لا بالأستكثار ، الذي وصى بالصبر و جعله مقدم الايثار ، اذا أومضت بروق السيوف في سحب النقع المثار .

و الصلاة و السلام على سيدنا محمد نخبة الاكوان ، و نور الله المبين قبل وجود الانوار ، و رحمته المخرجة من دار البوار ، الداعية من جوار التوحيد الى اشرف الجوار ، المؤيد بسوابغ المعجزات المخرجة من داعيات الضلال ، فالبدر صدقة بأنشقاقه ،و الجذع حن لفراقه حنين الحوار ، صلى الله عليه و سلم ، صلاة نجدها من اوقى الاطم و امنع الاسوار ، ما تفجرت جداول / الفجر من بحر النهار ، و ما صيغت دراهم الانهار من لجين الانهار . الرضا عن اله و صحبه نجوم الهدى المشرقة الاسفار ، الذين امنت بهم ذمم النصرة من الاخفار ، و منازلها من الاقفار ، الاسود في مواقف الحروب ، الرهبان في مجالس الاستغفار الرحماء بينهم الاشداء على الكفار .

و الدعاء لأبوابكم ، ابواب المواهب المستهلة الامطار ، والمعلوات الشهيرة الاخطار ، و المفاخر البيعدة المطار ، بأتصال السعادة التي يهيم بذكرها حادي القطار في جميع الاقطار ، و اعتلاء المظاهر المعمورة بالقنا الخطار ، المتأرجة عن شذا النصر المعطار .

فأنا كتبناه الى ابوابكم التي تشيد لها الصيت الحاصل ، و امتد نوالها المتواصل ، و اقترنت بأسباب الطغاة منها الفواصل . كتب الله لها سعادة يتأيد عليها المستأصل ، و نصراً يعم العدى بالأقتناص حتى تحول بينهم و بين المناص المفاصل ، من منزلها المحبور بالأنتساب لودكم ، و الانتماء المستمطر بسحب مواهبكم الهامية الاهماء ، المجلى بأنوار المتوكل على الله غياهب الغماء بحمراء غرناطة دار ملك الجهاد بالأندلس ، القطر التوحيد الذي لم يبق فيه من لتوحيد غير الذماء ، امده الله في الارض بمدد ملائكة السماء ، و تداركه بكشف داهيته الدهماء ، و اوزعنا شكر ما عوده اللطيف الخفي من النعماء و لا زائر الا بنفوس على الله متوكلة ، وقلوب بالصبر متجملة ، و لنصر لله متأملة و عندنا من التعظيم لسلطانكم ما لو وصفناه لا ستوعب القريض ، و التصريح و التعريض ، و من الثناء على تلكم الابواب ما لو استودعناه صدر الجو لعطر افقه العريض ، و اصبح نسيمه المريض محبة لا نزال نستجلي صبحها و سيماً ، و نعتبر الاستمساك

بأسبابها لطفاً من الله جسيماً ، و نستمنح بها الامداد متوكلين على الرب الذي يرد صدر كظيماً ، و شمل النصر عظيماً ، و من يتوكل على الله فقد فاز فوزاً عظيماً .

و الى هذا [أ] على الله مظاهر / تلكم الابواب التي مصعدها منيع ، و جنابها فريع ، و شأنها عمل في سبيل الله و صنيع ،و بابها الى داعي الندى و التكرم سريع ، فقد استقر في علومكم التي هي على التقوى مؤسسة الاركان ، وتمكن في اسماع سلطانكم العزيز على بعد المكان ما هذا القطر الغريب عليه من مدافعة العدو الكفور ، و مكافحة جيشه الموبور ، و تسول له عدة الشيطان الغرور ، على التوالي من الايام و المرور ، من استئصال هذه الكلمة ، و الاستيلاء على نفوس هذه الامة المسلمة ليرد المساجد بيعاً ، ويملك البلاد زمراً من الكفر و شيعاً ، يعطلون من مجال التوحيد الفسيح ، و يعلنون بالتثليث ، و يهتفون بأباطيل الدين الخبيث ، فهو يعاهد كل يوم هذه الارجاء المنقطعة عن منازل الاسلام ، و يطرقها بالأضرار و الايلام ، و يقضى على كفره فرض الطواف بأركانها و الاستلام فالدين هنا في خطب مهول ، و اشتباك مع الكافرين الذين عمروا الحزون و السهول ، حتى اذهلوا مع قلتنا القلوب و العقول ، فنحن نستغيث بنصرتكم فنقول :

ياولي المسلمين ، الذي نؤمل بغياثة رحمة أرحم الراحمين ، ابقاكم الله تقع بمعونتكم اواصر الكافرين ، و تتدارك ارماق هؤلاء المنقطعين . نحن و الله مقيمون في سفط واحد مع الحيات ، متعرضون لسهام المنايا الوحيات ، فحسبنا الله و نعم الوكيل ، كلمة المستسلمين لأمره ، الطامعين في نصره ، الواثقين في الشدائد و المضايق بيسره الواقفين لجموع هذا المشرك الذي لج في طغيانه و كفره اقتداء بما انزل الله في كتابه المبين ، اذ يقول وهو اصدق القائلين :

((الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايماناً و قالوا حسبنا الله و نعم الوكيل . فأنقلبوا بنعمة من الله و فضل لم يمسسهم سوء و اتبعوا رضوان الله و الله ذو فضل عظيم)) (1) .

ولا يأس من روح الله وفي الله مطمع / و قد توقف لنصرتكم قلب و مسمع ((**فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده** (2))) . و لا يخذلنا من معونته ، فأن يخذلنا فمن ذا الذي

---

(1) ال عمران : ١٧٣-١٧٤.

(2) المائدة : ٥٢ .

ينصرنا من بعده و ((**سيجعل الله بعد عسر يسراً**)) [١] و لايكون كل من يخاف منه ((**و لعل الله يحدث بعد هذا امراً**)) [٢].

و لتعلموا يا ولي المؤمنين ان هذه الجزيرة قد اوهن الشرك قواها و اخاف الكفر مثواها ،فطرق ديارها ، و عكس اختيارها ، فهي لا تدفع عن نفسها في شدة ، و لا تستظهر اذا مسها خطب – من ضعفها – بقوة و لا بعد فالمعونة المعونة ، و البدار البدار ، بما يمكنكم الله تعالى منه . و الحمد لله من القوه و الاقتدار ، فسل اقتحام الدار ، ووهى الجدار ، فقد احوج و الافتقار و الاضطرار ، و جنحت الشمس للأصفرار و ما بعد العشية من عرار .

هذا العدو المشرك صاحب قشتالة – قصمة الله – في كل عام يهجم على بلادنا و ثغورنا ، و يجدد في كل ساعة و لحظة اشجان قلوبنا و صدورنا . تملك في العام الفارط مدينة جبل الفتح من بلادنا [٣] ، وهو محل الفتح الاول ، و المعقل الذي عليه الاعتماد و المعول ، ازال عنه كلمة الاسلام ، و عمر مأذنه بالنواقيس ومساجده و ملأه بقوم يعبدون اوثانهم ، و يحكمون صلبانكم ، و يجدون فيه مع الساعات كفرهم و طغيانهم . اصيب منهم المسلمون بالمصيبة العظيمة ، و الفجيعة المقعدة المقيمة [التي]ملأت القلوب تفطراً ، و النفوس تفكراً .

و في العام المذكور استولى العدو ايضا علىحصن اللقوق [٤] من حصون المسلمين ، حصن عينة الارض الكافرين مراعيه ، و اذنه لسماع اخبارهم واعية ،و اليه كان يركن من شن الغارة على ارض الكفر ، و به كان يعتصم من تخلص من ايدي المشركين من الناب و الظفر ، ضاعف قوة المشركين ، وامن طرق الاعداء السالكين .

و الان استولى العدو على حصن ارجذونة [٥]، المعقل الذي شهاب عزازته متألق ، وكف منعته بالسماء متعلق ، ينظر ارض العدى عن كثب ، و يلاحظ العدو اذا وثب / ، و يحذر من مكائده ، و ينذر من مراصه فوهت القوى ، و ترادفت البلوى ، و عظمت الشكوى ، و ضاق المجال ، و منت الامال ، و اعوز الاحتيار . فيالله و ياللمسلمين ، عزيز على و الله كلمة التوحيد ان تخذل و منكم النصير ، أو ان تضعف و بين ايديكم الخير الكثير ،((**ربنا امنا بما انزلت و اتبعنا الرسول**

---

[١] الطلاق : ٧ .

[٢] الطلاق : ١.

[٣] المقصود بهذه المدينة الجزيرة – انظر :

GAUDEFROY – DEFMOMBYNES : Masalik El-Absar , PP.243-244.

[٤] هكذا ورد ذكر هذا الحصن في الاحاطة بأخبار غرناطة الجزء الاول ، طبعة القاهرة ، ص٢٣ .

[٥] ياقوت : معجم البلدان – مشاهدات لسان الدين الخطيب ، ص٩٤ ، ج٤ .

فأكتبنا مع الشاهدين))[١].لا نشرك بك احداً ، و لا نجعل لك صاحبة و لا ولداً ، و لا نجد من دونك ملتحداً ، **(ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من اله))**[٢] – **((لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . و قال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله بي و ربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و مأواه النار و ما للظالمين من انصار** [٣] **))** .

فتعالوا يا ولي المسلمين ، وناصر الدين ، القائم علىاصوله ، المبني حب الله ورسولة ، ندعو الله في كف هؤلاء المشركين فالذين قاموا بالحق و لا تشرعوا ، و نمد يد الضراعة ، فالله يقول **(فلولا اذ جائهم بأسنا تضرعوا** [٤]**)** ان يؤيد الله الكلمة ، و يتدارك ارماق هذه الطائفة المسلمة بالنصر على الطاغية و (على) جنود العدو الباغية .

و سيؤدي هذه الرسالة الى ابوابكم العلية الشيخ الحاج المبرور الارضي الاوفى ، ابو عبد الله محمد بن الفقيه ، وصل الله عزته ، و كتب سلامته ، و يبلغ كل ما تبذلونه في سبيل الله لهذه الجزيرة ، لدينه المتين و فضله المبين ، وهو يقرر ما عنده من اشتداد الحال و ضيق المجال ، فلأبوابكم العزيزة الفضل فيما يلقيه و يقرره و يلخصه و يحرره .

و الله تعالى يصل لكم سعادة ظلها مديد وركنها شديد بفضله و رحمته .

و السلام التام يعتمد ابوابكم العلية . في تاريخ جمادي الاول سنة ثمانية و ستين و ثمانمائة [٥].

---

[١] ال عمران : ٥٣ .

[٢] المؤمنون : ٩١ .

[٣] المائدة : ٧٢ .

[٤] الانعام : ٤٣.

[٥] المخطوط السابق ، ورقة ٦٢ –٦٥ أ ، نقلا عن داج : احمد ن المماليك و الفرنج ، ص١٩١–١٩٩ .

ملحق (٦)
نص الاتفاقية السرية
معاهدة تسليم غرناطة السرية المعقودة
بين ابي عبد الله الصغير والملكين الكاثوليكيين
ضون فرناندو و ضونيا ايسابيلا

و في اليوم الذي وقعت فيه معاهدة تسليم غرناطة وهو يوم ٢١ محرم سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني ، و في المكان نفسه وهو المعسكر الملكي بمرج غرناطة ، ابرمت معاهدة اخرى في غاية من السرية ملحقاً لهذه المعاهدة ، و تضمنت الحقوق و الواجبات و الالتزامات و الامتيازات التي اعطيت لأبي عبد الله الصغير ملك غرناطة ، و افراد اسرته و حاشيته . و قد مثل المسلمين – في هذه الاتفاقية – القائد المليح وكيلاً لأبي عبد الله الصغير ملك غرناطة ، وقعها باسمه ، ومهرها بخاتمه . و هي تنحصر في ست عشرة مادة على النحو التالي :

Las Tahas de Brja	الارجاء و الكور في برجه
Dalias	دلاية
Marchena	مرشانة
Boloduy	بلذوذ
Luchar	لوتشار
Andarax	اندرش
Jubiles	شبيلش
Ugijar	اجيجر

Orgiba	ارجية
Cueihel	سويهل
poqeria	بقيرة

ادرج ادناه النص الكامل لبنود الاتفاقية – السرية – بين ابو عبد الله الصغير و الملكين الكاثولكيين .

١- يتعهد ملك غرناطة و القادة و القضاة و الحجاب و العلماء و المفتون و الشيوخ ، ووجهاء غرناطة و البيازين و اهاليهما و ارباضهما كافة صغاراً و كباراً ، او من ينتابه في جو من الوفاق و المسلمة و في مدة اقصاها ستون يوماً ، اعتباراً نم ٢٥-نوفمبر ١٤٩١ . الاماكن التالية :

قلاع الأمراء و حصونها و ابوابها وابراجها ، و اية ابواب اخرى في مدينة غرناطة و كورها ، وكذلك جميع الابواب التي تحددها هذه المعاهدة ، و ان يعلنوا عن ولائهم و طاعتهم و اخلاصهم لصاحبي السمو ، وان يؤدوا واجبهم تجاه ساداتهم الجدد ، شأن سائر رعايا البلاد المخلصين ، و لضمان تنفيذ سلامة هذه البنود ، يقدم ملك غرناطة و قادته جميع الاشخاص المذكورين اعلاه خمسمائة شخص من ابناء علية القوم و اخوانهم في المدينة و البيازين ، لصاحبي السمو المعسكر في المعسكر الملكي بمرج غرناطة و ذلك قبل تسليم الحمراء بيوم واحد ، مصطحبين معهم الحاجب يوسف بن قماشة ، ليكونوا جميعهم رهائن لدى صاحبي السمو لمدة عشرة ايام ، يتم خلالها ترميم القلاع و تزويدها بالمؤن ، شريطة ان يعامل الرهائن الى حين انتهاء الفترة معاملة حسنة ، و عند أنتهاء الاجل ، يرد الرهائن الى ذويهم ، و تسري هذه الاتفاقية على صاحبي السمو ابنهما الامير ضون خوان و عقبهم ، و ان يعامل ابو عبد الله الصغير و جماعته وجميع اشراف منطقة غرناطة و البيازين و اية اماكن اخرى كرعايا و اتباع لهم نفس الحقوق التي هي للرعايا الاصليين و ان تشملهم حماية صاحب السمو و رعايتهما ، و ان تترك لهم جميع منازلهم و احوالهم و املاكهم ، من الان و الى اجل غير مسمى ، دون ان يلحقها أي اذى او يصدر شيئ منها ، و في مقدمة ذلك كله يعامل الجميع بأحترام و تقدير ، شأن سائر الرعية من الاسبان .

٢- و في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء و الحصون و القلاع و الابواب التي حددتها الاتفاقية ، يقوم صاحب السمو بأعادة ابن ابو عبد الله الصغير المحجوز لديهما مع سائر الخدم و الحشم . الذين لم يكرهوا على التنصر اثناء احتجازهم الى الملك ابو عبد الله الصغير .

٣- بعد ان ينفذ ابو عبد الله الصغير كل البنود المذكورة في المعاهدة ، يتعهد صاحب السمو بمنح ابي عبد الله الصغير و احفاده وورثته حق الملكية المطلقة على الاماكن التالية :

أ- الارجاء و الكور في برجة

ب-دلاية

ج- مرشانة

د- بلذوذ

هـ-لوتشار

و- اندرش

ز- شبلس

ح- اجيجر

ط- ارجبة

على ان تؤدى جميع الضرائب و الاتاوات و الرسوم المستحقة الى صاحبي السمو ، و يحق لأبي عبد الله الصغير و اولاده و احفاده وورثته بحكم الملكية المطلقة لهذه المناطق وما يلحق بها ن الارجاء المسكونة و غير المسكونة تحصيل خراجها و موروثاتها و ريعها و عشورها و حقوقها ، كما يحق لأي واحد من هؤلاء ان يتولى القضاء في هذه الارجاء ن و الكور بأعتباره سيدها ، و لكنه في الوقت نفسه تابع و خاضع لصاحبي السمو ، و لا يستطيع أي انسان السيطرة على أي من هذه المناطق ، لأنها تعتبر من الناحية القانونية ملكاً شرعياً لأبي عبد الله الصغير ، و له حق التصرف بها ، و حرية بيعها او رهنها متى شاء ، شريطة ان تكون الاولوية عند البيع او الرهن لصاحبي السمو ، و اذا اراد شراءها فيتفقان مع ابي عبد الله على الثمن الذي يرضى به .

و يستطيع صاحب السمو الاحتفاظ بقلعة عذرة و اراضيها مع سائر القلاع و الابراج الممتدة على الساحل اذا رغب بذلك ، و اذا شاء صاحبا السمو استغلال قلعة عذرة بالأضافة الى مياه شاطئ عذرة – ان امكن ذلك – وتبقى القلعة تابعة الى ابي عبد الله الصغير ، بعد ان يصلحها و يحصنها صاحبا السمو ، وفي مراحل الاصلاح و التحصين تكون تابعة لصاحبي السمو بالفوائد المستحقة على القلاع و الابراج الممتدة على ساحل البحر ، اما حراستها و حمايتها فهي من شأن ابي عبد الله الصغير و اما دخل هذه القلاع و الكور و الارجاء ، ووارداتها في مراحل الاصلاح و التقوية و الاستغلال فليس لأبي عبد الله شيئ منه ، بأستثناء عائدات تأجيرها ، و لكن هذه القلاع و

الارجاء و الكور تبقى ملكاً لأبي عبد الله الصغير و لا تصادر منه ، و اذا انعم صاحبا السمو على شخص ما بشيئ من هذه الممتلكات التي اقطعت لأبي عبد الله الصغير ، فلا يجوز له بيعها ، و اذا ما رأى التخلي عنها ، يقوم صاحبا السمو بتعويضه عنها بالطريقة التي ترضيه ، اما اذا تركت هذه الاملاك للملك ابي عبد الله الصغير فيبقى ريعها و دخلها من حق ابي عبد الله ، كما هو شانها الان و فيما بعد ، دون ان يتهددها أي خطر او حجز او اعتراضات اخرى .

٤- يقدم صاحبا السمو الى الملك عبد الله الصغير هبة قدرها ثلاثون الف جنيه قشتالي من الذهب ، تعادل (١٤) كوينتس و (٥٥٠٠٠٠) مرافيدي يبعثان بها اليه عقب تسليم الحمراء و بقية القلاع في الوقت المحدد لها .

٥- يمنح صاحبا السمو للملك ابي عبد الله الصغير كل ما ورثه عن والده السلطان ابي الحسن ، شعواء في غرناطة او البشرات .لتكون ملكاً له و لأولاده و عقبه وورثته . و تتضمن هذه الشركة معاصر للزيت و اراضي و مزارع و حدائق (حواكير) ، و له الحق في بيعها او رهنها و التصرف بها كيفما يشاء كسائر الكور و الارجاء التي سلف ذكرها ، بأستثناء الاملاك التي كانت بحوزة بني نصر ملوك غرناطة السابقين ، فأنها تبقى ملكاً للدولة ، و لا يجوز التصرف بها الا بأمر صاحبي السمو .

٦- يمنح صاحب السمو لملكات غرناطة ، خاصة عائشة والدة ابي عبد الله الصغير و اخته و زوجته مريمه و ثريا زوجة والدة

زات

الممنوحة لأبي عبد الله الصغير .

٧- تعفى جميع التركات التي ورثها ابو عبد الله الصغير ، و الملكات المذكورات و ثريا زوجة مولاي ابي الحسن علي بن نصر ، من الضرائب والفوائد اعتبارا من الان و الى الابد .

٨- يعطى للملك المذكور (ابو عبد الله الصغير) و للملكات المذكورت كل ما كان لهم في مطريل ، و تعطى الحجة مريحة العقارات التي كانت لها في مطريل ، لتساوي بالأمتيازات الممنوحة سابقاً .

٩- اذا استسلمت لصاحبي السمو اية قرى او مواقع تابعة للمملكة قبل تسليم الحمراء فعلى صاحب السمو أعادة جميع هذه المواقع للملك ابي عبد الله الصغير بشكل طوعي ، و سوف تحظى هذه الاماكن بعناية ابي عبد الله الحسنة .

١٠- ان لا يطلب صاحبا السمو او أي واحد من سلالتهما ملك غرناطة او ايا من اتباعه في أي وقت يتبادل ما غنمه الطرفان من الاموال و العقارات بأستثناء ما تنص عليه الاتفاقات ومعاهدات التسليم الخاصة المعقودة بين صاحبي السمو و ملك غرناطة ، بحيث يدفع صاحبا لسمو لمالك العقارات ثمناً لها فتنتقل ملكيتها اليهما ، و يحظر على أي انسان المطالبة بأحقيته بوضع يده عليها بقليل و لا بكثير ، و من يخالف ذلك تتخذ بحقه اشد العقوبات الصارمة ، و يعتبر خارجاً عن القوانين الاسلامية و المسيحية على السواء .

١١- عندما يرغب الملك ابو عبد الله الصغير و الملكات المذكورات انفا و زوجة مولاي ابي الحسن على والده ابي عبد الله الصغير ، واولادهم و احفادهم ، وقادتهم و اتباعهم و نساؤهم و فرسانهم و رماتهم و عيالهم ، في العبور الى المغرب ، فسوف يجهز صاحبا السمو سفينتين كبيرتين من مدينة جنوة للجواز بهم في الوقت الذي يشاؤون ، و بحوزتهم اموالهم و ثيابهم و ذهبهم و فضتهم و جواهرهم و مواشيهم و اسلحتهم ما عدا ذخائر تلك الاسلحة دون مقابل من نفقة او اجر اثناء صعودهم السفن او نزولهم منها مع تأمين وصولهم بطمأنينة و امان و حسن معاملة ، لأي مكان معروف سواء في المغرب او الاسكندرية او تونس او اوران او فاس ، او أي مكان يرغبون بالهبوط فيه .

١٢- اذا لم يتكمن الملك المذكور او أي شخص من المذكورين اعلاه من بيع عقاراته المشار اليها فله الحق في تفويض من يشاء لأستلام ريعها و ارسالها له اينما كان ، دونما عائق او قيد اوغرامة .

١٣- يسمح للملك ابي عبد الله الصغير متى شاء ، ان يرسل بعض اتباعه او عماله الى ارض المغرب للأتجار بالسلع ، مصدرين و مستوردين دون ان يتوجب عليهم دفع اية نفقات او ضرائب او غرامات مالية مقابل هذا الاتجار لا في ذهابهم و مكوثهم هناك و لا في ايابهم .

١٤- يسمح للملك أبي عبد الله أن يبعث بست دواب محملة بالسلع الى اية ناحية من النواحي التابعة لصاحبي السمو ، من اجل مقايضتها بالزاد و المؤونة اللازمة ، و تكون هذه الدواب معفاة من جميع الضرائب في المواني و المدن و القرى ، و الاماكن التي تجري فيها المقايضة اعفاء مطلقاً دون قيد او نفقة .

١٥- عندما يخرج الملك ابوعبد الله الصغير من مدينة غرناطة تمنح له حرية الاقامة و المسكن في الوقت الذي يشاء و في الاراضي التي اقتطعت له حسب الاتفاقية ، ويسمح له بالخروج مع من يشاء من حشمه و قادته و علمائه و قضاته و فرسانة ، و كل من يرغب بالخروج معه بخيولهم و دوابهم و اسلحتهم ، وبرفقة زوجاتهم و عبيدهم ، و لا يؤخذ منهم سوى الذخائر التي سوف يضع صاحبا السمو عليها ايديهما ، و لن يفرض على أي من ذؤيتهم في أي وقت وضع علامة مميزة لهم في ثيابهم ، و لهم ان يتمتعوا بسائر الامتيازات المتفق عليها في وثيقة تسليم مدينة غرناطة ( ).

الملحق (٧)

نص الاتفاقية العلنية

المعقودة بين ابي عبد الله الصغير ،و الملكين الكاثوليكيينضون فرديناند و ضونيا ايسابيلا بتاريخ ٢١ محرم ، سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٤٩١م بمرج غرناطة (المعسكر الملكي)

( ) الذنون : عبد الحكيم ، افاق غرناطية ، ص ٥٣-٥٨ .

المادة الاولى :

علـى ملـك غرناطـة و القـادة و الفقهـاء و الحجـاب و العلمـاء و المفتـين و الوجهـاء بمدينـة غرناطة و البيازين و ضواحيها ان يسلموا الى صاحبي السمو ، او من ينتدبانه للنيابة عنهما في مدة اقصـاها ستون يومـاً ، اعتبـاراً مـن ٢٥ تشرين الثـاني عـام ١٤٩١ م معاقل الحمراء ، و البيـازين ، و ابواب تلك المعاقل ، وابراجها ، و ابواب المدينـة المذكورة ، و البيازين و ضـواحيهما ، و ضـمن هذه الشروط يـأمر صـاحبا السمو بـأن لا يصـعد أي نصـراني السـور القـائم بـين الحمـراء و البيـازين ، لـئلا يكشـف عـورات المسلمين فـي بيـوتهم ، وان خـالف احـد هـذه الاوامـر يعاقـب عقوبـة شـديدة ، و ضـمن هذا الشرط سيقدم المسلمون الطاعة و الاخلاص و الولاء كاتباع مخلصين لصاحبي السمو .

و ضـماناً لسـلامة تنفيـذ هـذه البنـود يقـدم ابـو عبـد الله الصـغير ملـك غرناطـة الـى صـاحبي السـمو ، خمسمئة شـخص مـن أبنـاء و بنـات عليـة القـوم . فـي المدينـة و البيـازين و ضـواحيهما ، و ذلـك قبيـل تسليم الحمراء بيوم واحد ، مصطحبين معهم الحاجب يوسف بن قماشة ليكونوا جميعهم رهائن لدى صاحبي السمو ، لمدة عشرة ايام يتم خلالها ترميم المعاقل المذكورة ، شريطة ان يعامل الرهائن الـى حين انتهـاء هذه الفترة معاملـة حسنة ، و فـي نهايـة الاجل يرد الرهائن الى ملك غرناطـة ، و يراعـى هذه الاتفاقية صاحبا السمو و ابنهما ضون خوان و سلالتهم ، و يعتبر ابو عبد الله الصـغير و سـائر قادتـه ، و جميـع سكان غرناطـة و البيـازين ، و ضـواحيهما و قراهمـا و اراضـيها ، و القرى و الامـاكن التابعـة للبشـرات ، رعايـا طبيعيين ، و يبقـون تحـت رعـايتهم و دفـاعهم ، و تتـرك لهـم جميـع بيـوتهم و اراضيهم ، و عقارهم و املاكهم حالياً و دائماً دون ان يلحق بها أي ضـرر او حيـف ، و ان لا يؤخذ شيئ مما يخصـهم بـل بـالعكس ، سيتم احترام الجميـع و مسـاعدتهم و يلقـون المعاملـة الطيبـة مـن قبـل صاحبي السمو و شعبهما كخدم و اتباع لهما .

المادة الثانيـة :

فـي الوقـت الـذي يتسلم صـاحبا السـمو قصـر الحمـراء ، يـأمران اتباعهمـا بالـدخول مـن بـابي العشار و نجدة ، و من الحقل القائم خارج المدينة ، وعلى من يعين لأستلام الحمراء ان لا يـدخل في وسط المدينة .

المادة الثالثة :

فـي اليـوم الـذي يـتم فيـه تسـليم الحمـراء و البيـازين ، و شـوارعهما و قلاعهمـا و ابوابهمـا و غيرذلك ، يقوم صـاحبا السمو بتسليم ابن الملك ابي عبد الله الصـغير ، المحتجز في قلعة موكلين ، مـع سـائر الرهـائن الموجـودين معـه و سـائر الحشـم و الخـدم الـذين كـانوا برفقتـه ، و لا يكرهـون علـى التنصر اثناء احتجازهم .

المادة الرابعة :

يسـمح صـاحبا السـمو و سـلالتهما ، للملـك ابـي عبـد الله الصـغير و شـعبه ان يعيشـوا دائمـاً ضـمن قـانونهم – أي بممارسـة الشـعائر الاسـلامية ، دون المسـاس بسـكناهم و جوامعهم وابـراجهم ، و سـيأمران بالحفـاظ علـى مـواردهم ، و سـيحاكمون بموجـب قـوانينهم و قضـاتهم . حسـبما جـرت عليـه العادة وسيكونون موضع احترام من قبل النصارى . كما تحترم عاداتهم و تقاليدهم الى غير حين .

المادة الخامسة :

لـن تصـادر مـن المسـلمين اسـلحتهم او خيـولهم او أي شـيئ اخـر ، حاضـرا و الـى الابـد ، باستثناء الذخرية الحربية التي يجب تسليمها لصاحبي السمو .

المادة السادسة

يسـمح لمـن يرغـب فـي الجـواز الـى العـدوة ( ) او أي مكـان اخـر ، مـن اهـالي غرناطـة و البيـازين و البشـرات و المنـاطق الاخـرى ، التابعـة لمملكـة غرناطـة ببيـع ممتلكـاتهم و اراضـيهم لمـن شـاؤوا ، و لـن يحـاول صـاحبا السـمو و ذريتهمـا منعهـم مـن ذلـك ابـداً ، و أذا مـا رغـب صـاحبا السـمو بشرائها من اموالهم الخاصة ، فشأنهما في ذلك شأن سائر الناس ، و لكن الاولوية تكون لهما .

المادة السابعة :

( ) ارض المغرب العربي

الاشخاص الذين يرغبون في العبور الى العدوة تجهز عملية نقلهم في غضون ستين يوماً من تاريخه ، على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم ، حسب رغبة المبحرين ليحملوا احراراً و طوع ارادتهم الى المكان الذي يرغبون النزول فيه فيما وراء البحر – ارض المغرب – خاصة الموانئ التي كانت ترسو عليها تلك السفن .

اما الاشخاص الذين يرغبون في العبور في غضون الاعوام الثلاثة القادمة فتهيأ لهم السفن الخاصة من الموانئ القريبة لمكان اقامتهم ،شريطة ان يقدموا طلباتهم قبل موعد الرحيل بخمسين يوماً ، و ينقلون برعاية تامة الى الميناء الذي يرغبون بالنزول فيه ، ولا يترتب على من يريد العبود الى العدوة خلال الاعوام الثلاثة هذه اجر او نفقة ، اما الذين يرغبون في العبور بعد انتهاء الاعوام الثلاثة ، فعليهم دفع دوبلة واحدة فقط عن كل شخص ، اما الذين لا يتمكنون من بيع املاكهم الموزعة في جميع انحاء مملكة غرناطة قبل سفرهم ، فيحق لهم تقويض أي شخص من اجل تحصيل حقوقهم و ليقوموا مقامهم ، و يتولوا بعد ذلك ارسال هذه الحقوق لأصحابها اينما كانوا و بدون أي عوائق .

المادة الثامنة :

لا يرغم صاحبا السمو و سلالتهما حاضراً و الى الابد المسلمين و اعقابهم على وضع اية اشارة مميزة لملابسهم .

المادة التاسعة :

لا يحق لصاحبي السمو لمدة ثلاث سنوات من تاريخه تحصيل الاتاوات من الملك ابي عبد الله الصغير و سكان غرناطة و البيازين و ارباضهما ، و هي الاتاوات التي يترتب اداؤها عن دورهم و املاكهم الموروثة ، بل يكفي ان يدفع المسلمون لصاحبي السمو ، عشر الخبز و الذرة ، و عشر المواشي خلال شهري نيسان و مايس .

المادة العاشرة :

على الملك ابي عبد الله و سائر سكان المملكة الذين شملتهم الاتفاقية ان يطلقوا سراح جميع الاسرى النصارى ، الذين في قبضتهم او في أي مكان اخر طواعية و دون اية فدية ، و ذلك حين تسليم المدينة .

المادة الحادية عشرة :

على صاحبي السمو ان لا يستخدما أي رجل من اتباع ابي عبد الله او سكان المملكة ، او ان يسخرا دوابهم في أي غرض دون ارادتهم ، و دون ان تدفع لهم اجورهم .

المادة الثانية عشرة :

لا يسمح لأي نصراني بدخول المساجد ، او أي مكان لعبادة المسلمين دون اذن من الفقهاء ، و من يخالف ذلك يعاقبه صاحبا السمو .

المادة الثالثة عشرة :

لا يجوز لأي يهودي ان يتولى الجباية ، او تحصيل الضرائب من المسلمين بشكل مباشر ، او ان يمنح اية سلطة او ولاية عليهم .

المادة الرابعة عشرة :

يعامل صاحا السمو الملك ابا عبد الله الصغير و سائر رعاياه الذين شملتهم هذه المعاملة معاملة شريفة ، و تحترم عاداتهم و تقاليدهم ، و تمنح للقادة و الفقهاء الحقوق ، و تبقى الحقوق التي كان يتمتع بها هؤلاء زمن ابي عبد الله الصغير على حالها ، و يعترف لهم بتلك الحقوق .

المادة الخامسة عشرة :

يجب ان يقضى في اية دعوى ، او مشكلة تقع بين المسلمين القضاة وفقاً لأحكام الشريعة الاسلامية ، كما جرت عليه العادة .

المادة السادسة عشرة :

يصـدر صـاحبا السـمو اوامرهمـا للمسـلمين بعـدم ايـواء الضـيوف فـي النصـارى ، او اخـراج الثيـاب او الـدواجن او الـدواب ، و يشـمل ذلـك صـاحبي السـمو و جماعتهمـا ، اذ يمنـع علـى هـؤلاء النصارى دخول بيوت المسلمين و استعمال مضايفهم لأقامة الحفلات .

المادة السابعة عشرة :

اذا دخل نصراني منزل مسلم قسرا يطلب صاحبا السمو من العدالة ايقاع العقوبة عليه .

المادة الثامنة عشرة :

فيما يتعلق بقضايا التركات عند المسلمين يجب ان ينظر بها القضاة المسلمون ، وفق النظم الاس

اء بجميــع الاعفــاءات الممنوحــة خــلال الســنوات الثلاث.

المادة العشرون :

يتولى الفقهاء ادارة ايراد الجوامع و الحلقات الدراسية فيها ، ما يرصد من اجل الصدقة او عمل الخير ، بما في ذلك ايرادات المدارس التي تنفق في تعليم الصبيان ، لايحق لصاحبي السمو التدخل بـأي حـال مـن الاحـوال فـي شـأن هـذه الصـدقات ، او الامـر بمصـادرتها فـي أي وقـت فـي الحاضر ، أو فيما بعد .

المادة الحادية و العشرون :

لا يجوز لمن يتولى القضاء اصدار قرارات ضد أي مسلم بذنب اقترفه اخر ، فلا يؤخذ الاب بذنب ابنه ، و لا الولد بذنب والده ، و لا اخ بذنب اخيه ، و لا القريب بذنب قرابته ، بل تقع العقوبة على من يقترف الجرم .

المادة الثانية و العشرون :

يقرر صاحبا السمو العفو عن المسلمين من اتباع القائد حميد ابي علي الذين كانوا يذودون عن حصونهم ضد هجمات النصارى و لا يطلب أي تعوض عمن قتل النصارى اثناء اصطدامهم مع المدافعين من المسلمين ، او عما اخذه المسلمون من المكاسب في ذلك المكان في الحاضر او فيما بعد .

المادة الثالثة و العشرون :

يغفر صاحبا السمو لمسلمي مدينة الكابطي هجماتهم و اعتداءاتهم التي كانت تستهدف حرس الملكين ، و تنمح لهم حرية العيش كبقية اخوانهم الذي شملتهم هذه المعاهدة .

المادة الرابعة و العشرون :

يعتبر صاحبا السمو جميع اسرى المسلمين أو الفارين من الاسر الى مدينة غرناطة و البيازين و ارباضهما ، او ألى أي ناحية تابعة لمدينة غرناطة احراراً ، و لا تصدر العدالة بحقهم أي حكم كان ، لكن هذا الامتياز خاص بمسلمي الاندلس و لا يشمل اسرى الجزر او كناريس .

المادة الخامسة و العشرون :

لا يدفع المسلمون لصاحبي السمو اكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم المسلمين من الاتاوات.

المادة السادسة و العشرون :

يسمح لجميع من عبروا العدوة من سكان غرناطة ، و الارجاء التابعة لها ، و البيازين و ارباضهما ، و البشرات و غيرها ، بالعودة خلال ثلاث اعوام من تاريخ ابرام الاتفاقية و التمتع بالأمتيازات التي تمنحها لهم هذه الاتفاقية .

المادة السابعة و العشرون :

لا يجبر أي مسلم حمل معه بعض الاسرى النصارى الى العدوة و جعلهم في قبضة سلطة اخرى ، على ارجاع هؤلاء الاسرى ، او اعادة الاجر الذي قاضاه لقاء تسليمهم .

المادة الثامنة و العشرون :

يحق للملك ابي عبد الله ، او أي من قواده ، او سكان القرى و الارجاء المجاورة لغرناطة و البيازين و البشرات و غيرها ، ممن عبروا الى العدوة و لم تطلب لهم الاقامة هناك ، ان يعودوا خلال الاعوام الثلاثة ، و لهم الحق بأن يتمتعوا بكافة نصوص الاتفاقية المبرمة .

المادة التاسعة و العشرون :

يحق لتجار مدينة غرناطة و البيازين و ارباضهما ،و البشرات و غيرها ان يحملوا سلعهم الى المغرب ، و يعودا بها امنين مطمئنين ، كما يحق لهم دخول سائر الارجاء التي في حوزة الملكين الكاثوليكيين ، دون ان تترتب عليهم اية اتاوة مترتبة على النصارى .

المادة الثلاثون :

لا يجوز ارغام اية نصرانية تزوجت من احد المسلمين و اعتنقت الدين الاسلامي على العودة الى النصرانية الا طائعة ، و بعد ان تسال في ذلك امام جمع من المسلمين و النصارى ، وفيما يتعلق بأبناء الروميات ، و بناتهن فلهم نفس الحقوق المنصوص عليها في هذه الفقرة .

المادة الحادية و الثلاثون :

اذا سبق لنصراني ذكرا كان او انثى اعتناق الاسلام قبل ابرام هذه الاتفاقية فلا يحق لأحد من النصارى ان يهدده ، او ينال منه بأية صورة ، و من يفعل ذلك يلق اثاماً .

المادة الثانية و الثلاثون :

لا يجوز ارغام مسلم او مسلمة على اعتناق النصرانية .

المادة الثالثة و الثلاثون :

اذا رغبت امرأة مسلمة متزوجة او ارملة او بكر في اعتناق النصرانية بدافع العشق فلا يستجاب لها ، جتى تسأل و توعظ وفقا للشريعة الاسلامية ، واذا حملت معها خفية بعض الحلي او غيرها في دار والدها او اقاربها او أي شخص اخر فيجب اعادة هذه الاشياء الى ذويها و تعتبر اختلاسا و تتولى العدالة اتخاذ الاجراءات الصارمة بحقها .

المادة الرابعة و الثلاثون :

ان لا يرغم صاحبا السمو او أي واحد من عقبهما حاضرا او مستقبلاً ، ابا عبد الله الصغير ، و جماعته او حاشيته ، او أي واحد من سكان المملكة او خارجها مسلمين و نصارى و مدجنين برد ما غنموه اثناء الوقائع التي جرت بينهم ، من الثياب و المواشي و الانعام و الفضة و الذهب و غيرها من الاشياء ، التي وضع المسلمون ايديهم عليها ، و لا يحق لأحد ان يطالب بشيئ يكتشف انه كان له ، و اذا طالب به فأنه يعرض نفسه لأقصى العقوبات .

المادة الخامسة و الثلاثون :

اذا سبق مسلم ان اهان اسيرا نصرانيا –ذكر كان ام انثى – او جرحه او قتله اثناء احتفاظه به فلا يسأل عن شيئ مما كان .

المادة السادسة و الثلاثون :

بعد انتهاء السنوات الثلاث المنصوص عليها في الاتفاقية تدفع ضريبة الاملاك و الضياع الاميرية ، وفقاً لقيمتها الحقيقية شأن سائر الاملاك و الاراضي .

المادة السابعة و الثلاثون :

تعامل امـلاك الفرسان و القادة المسلمين المعاملـة المنصـوص عليها البند السابق فـلا يـدفع عنها اكثر مما دفع عن الاملاك العادية .

المادة الثامنة و الثلاثون :

و تشـمل هـذه الاتفاقيـة ايضـا اليهـود مـن مواليـد مدينــة غرناطــة و البيـازين و ارباضــهما و الاراضـي التابعة لهما ، و اليهود الـذين كـانوا من قبل نصـارى ، و يسمح لهؤلاء اليهود بـالعبور الـى العدوة خلال شهر من تاريخه .

المادة التاسعة و الثلاثون :

ان يعامـل الحكـام و القـواد و القضـاة الـذين يعينـهم صـاحبا السـمو علـى مدينــة غرناطــة و البيـازين و الكـور التابعـة لهمـا النـاس بـالحسـنى ،و ان يحـافظوا علـى امتيـازاتهم الممنوحـة لهـم فـي المعاهدة ، و اذا اخل احدهم بذلك ، او ارتكب خطيئة يصدر صـاحبا السمو أوامرهما بمعاقبته علـى قـدر جرمـه ، وعزلـه مـن منصبه و توليـة غيره . مـن يحسـنون معاملـة المسلمين كمـا نصـت عليـه الاتفاقية .

المادة الاربعون :

لا يحـق لصـاحبي السـمو اواي مـن ابنائهمـا و احفادهمـا منـذ الان التعقـب علـى شيئ ارتكبـه الملك ابو عبد الله الصغير ، او احد من رعاياه الى حين تسليم الحمراء أي بعد مروو ستين يوماً من توقيع هذه الاتفاقية .

المادة الحاية و الاربعون :

ان لا تولى على جماعة ابي عبد الله الصغير واحد من الفرسان او القادة او الخاصـة الذين كانوا موالين لمولاي ابي عبد الله الزغل ملك وادي اش ، عم ابـي عبد الله الصـغير الـذي كانت بينـه و بين ابي عبد الله عداوة قديمة .

المادة الثانية و الاربعون :

يتولى النظر في الخصومات التي قد تقع بين مسلم و نصراني ، او مسلمة و نصرانية ، مجلس مؤلف من حكمين : احدهما مسلم و الاخر مسيحي ، تحاشياً للتظلم من الاحكام القضائية.

المادة الثالثة و الاربعون :

و بالأضافة الى جميع ما نصت عليه الاتفاقية ، يأمر صاحبا السمو بمنح ابي عبد الله الصغير كل الامتيازات المنصوص عليها في الاتفاقيات الموثقة بخاتم الامير – نجل صاحبي السمو – و الموقعة من قبل كاردينال اسبانيا و الكهان و الاساقفة و رؤساء الاديرة و الشرفاء والدوقات و المركيزات و الكونتات و اصحاب المراتب الجليلة و كتاب العدلية في مدينة غرناطة ، اعتبارا من يوم تسليم الحمراء و البيازين و ابوابهما و ابراجهما ، و تعتبر جميع محتويات هذه الاتفاقية نافذة و سارية المفعول في الحاضر و فيما بعد .

المادة الرابعة و الاربعون :

يصدر صاحبا السمو اوامرهما بالأفراج عن اسرى المسلمين ، ذكورا واناثا ، من اهالي غرناطة و البياسين و ارباضهما و الكور التابعة للمملكة افراجاً غير مشروط او فدية او غيرها ، و ذلك بغية ارضاء الملك ابي عبد الله الصغير و اهالي غرناطة و البيازين و الاباضهما و ضياعهم كافة ، و يتم الافراج عن هؤلاء الاسرى على النحو التالي :
يفرج عن جميع اسرى مدينة غرناطة و البيازين و ارباضهما و ضياعهما الموجودين في الاندلس ، خلال الاشهر الخمسة التي تعقب ابرام المعاهدة ، و يفرج عن الاسرى الموجودين في قشتالة ، خلال الاشهر الثمانية التالية ، و بعد انقضاء يومين من تسليم اسرى النصارى لصاحبي السمو ، يتسلم المسلمون مئتي اسير مسلم ، مئة م الرهائن و المئة الثانية من غير الرهائن .

المادة الخامسة و الاربعون :

يصدر صاحبا السمو اوامرهما بأخلاء سبيل (ابن الدارمي) الاسر عند (غونثالوفرنانـدث) و (عثمان) اسير (الكونت تنديا) ، وابن رضوان اسير الكونت (قبرة) ، و اعادة ابن الفقيه محي الدين

و خمسة اشخاص من خاصة ابراهيم بن السراج الذين فقدوا و عرف مكان وجودهم ، و ذلك في الوقت الذي يسلم فيه صاحبا السمو اسرى مدينة الحمراء و البيازين المئة و الرهائن المئة .

المادة السادسة و الاربعون:

اذا خضعت اية ناحية من نواحي البشرات لسلطة صاحبي السمو فأنه يتأتى على المسلمين تسليم جميع الاسرى النصارى الموجودين لديهم في مدة اقصاها خمسة عشر يوما من تاريخ الانضمام ، دون ان يؤدي سموهما أي شيئ مقابل ذلك التسليم ، كما يجب على هذه النواحي تسليم اية رهينة من النصارى لديهم خلال المدة ، و يقوم صاحبا السمو في مقابل ذلك بأعادة جميع اسرى المسلمين المحتجزين لدى الاسبان .

المادة السابعة و الاربعون :

يتعهد صاحبا السمو لجميع السفن التي تأتي من المغرب ، و ترسو في موانئ مملكة غرناطة ،بحرية التنقل ذهاباً و اياباً ، و هي امنة شريطة ان لا تقوم بنقل الاسرى من النصارى ، و يصدر صاحبا السمو اوامرهما للنصارى بعدم اعتراض هذه السفن او الاضرار بها و بأهلها او بمصادرة شيئ منها .. و في حالة مخالفة احدى السفن هذه التعليمات بنقل الاسرى من النصارى فأن حقها في الحماية يصبح لاغيا ، و يحق لسموهما ارسال مفتش او مفتشين يتوليان مهمة تفتيش السفن التي تعبر الى المغرب ، للتحقق من نفاذ هذه التعليمات .

ملحق (٦)

نص الاتفاقية السرية

معاهدة تسليم غرناطة السرية المعقودة

بين ابي عبد الله الصغير والملكين الكاثوليكيين

دون فرناندو ودونيا ايسابيلا[١]

وفي اليوم الذي وقعت فيه معاهدة تسليم غرناطة وهو يوم ٢١ محرم سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني ، وفي المكان نفسه وهو المعسكر الملكي بمرج غرناطة ، ابرمت معاهدة اخرى في غاية من السرية ملحقاً لهذه المعاهدة ، و تضمنت الحقوق و الواجبات والالتزامات و الامتيازات التي اعطيت لأبي عبد الله الصغير ملك غرناطة ، و افراد اسرته وحاشيته . و قد مثل المسلمين – في هذه الاتفاقية – القائد المليح وكيلاً لأبي عبد الله الصغير ملك غرناطة ، وقعها باسمه ، ومهرها بخاتمه . و هي تنحصر في ست عشرة مادة على النحو التالي:

---

[١] الذنون ، عبد الحكيم : افاق غرناطية ، ص ٥٣-٥٨ ؛ حتاملة ، محمد عبده : الاعتداءات الافرنجية ،ص٩٨-١٠٣ .

الارحاء و الكور في برجه	Las Tahas de Brja
دلاية	Dalias
مرشانة	Marchena
بلذوذ	Boloduy
لوتشار	Luchar
اندرش	Andarax
شبيلش	Jubiles
اجيجر	Ugijar
ارجية	Orgiba
سويهل	Cueihel
بقيرة	poqeria

ادرج ادناه النص الكامل لبنود الاتفاقية – السرية – بين ابو عبد الله الصغير و الملكين الكاثولكيين.

١- يتعهد ملك غرناطة و القادة و القضاة و الحجاب و العلماء و المفتون و الشيوخ ، ووجهاء غرناطة و البيازين و اهاليهما و اربضهما كافة صغاراً و كباراً ، او من ينتابه في جو من الوفاق و المسلمة و في مدة اقصاها ستون يوماً ، اعتباراً نم ٢٥-نوفمبر ١٤٩١ . الاماكن التالية :

قلاع الأمراء و حصونها و ابوابها وابراجها ، و اية ابواب اخرى في مدينة غرناطة و كورها ، وكذلك جميع الابواب التي تحددها هذه المعاهدة ، و ان يعلنوا عن ولائهم و طاعتهم و اخلاصهم لصاحبي السمو ، وان يؤدوا واجبهم تجاه ساداتهم الجدد ، شأن سائر رعايا البلاد المخلصين ، و لضمان تنفيذ سلامة هذه البنود ، يقدم ملك غرناطة و قادته جميع الاشخاص المذكورين اعلاه خمسمائة شخص من ابناء علية القوم و اخوانهم في المدينة و البيازين ، لصاحبي السمو المعسكر في المعسكر الملكي بمرج غرناطة و ذلك قبل تسليم الحمراء بيوم واحد ، مصطحبين معهم الحاجب يوسف بن قماشة ، ليكونوا جميعهم رهائن لدى صاحبي السمو لمدة عشرة ايام ، يتم خلالها ترميم القلاع و تزويدها بالمؤن ، شريطة ان يعامل الرهائن الى حين انتهاء الفترة معاملة حسنة ، و عند أنتهاء الاجل

، يرد الرهائن الى ذويهم ، و تسري هذه الاتفاقية على صاحبي السمو ابنهما الامير ضون خوان و عقبهم ، و ان يعامل ابو عبد الله الصغير و جماعته وجميع اشراف منطقة غرناطة و البيازين و اية اماكن اخرى كرعايا و اتباع لهم نفس الحقوق التي هي للرعايا الاصليين و ان تشملهم حماية صاحب السمو و رعايتهما ، و ان تترك لهم جميع منازلهم و احوالهم و املاكهم ، من الان و الى اجل غير مسمى ، دون ان يلحقها أي اذى او يصدر شيئ منها ، و في مقدمة ذلك كله يعامل الجميع بأحترام و تقدير ، شأن سائر الرعية من الاسبان .

٢- و في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء و الحصون و القلاع و الابواب التي حددتها الاتفاقية ، يقوم صاحب السمو بأعادة ابن ابو عبد الله الصغير المحجوز لديهما مع سائر الخدم و الحشم . الذين لم يكرهوا على التنصر اثناء احتجازهم الى الملك ابو عبد الله الصغير .

٣- بعد ان ينفذ ابو عبد الله الصغير كل البنود المذكورة في المعاهدة ، يتعهد صاحب السمو بمنح ابي عبد الله الصغير و احفاده وورثته حق الملكية المطلقة على الاماكن التالية :

أ- الارجاء و الكور في برجة

ب-دلاية

ج- مرشانة

د- بلذوذ

هـ-لونتشار

و- اندرش

ز- شبلس

ح- اجيجر

ط- ارجبة

على ان تؤدى جميع الضرائب و الاتاوات و الرسوم المستحقة الى صاحبي السمو ، و يحق لأبي عبد الله الصغير و اولاده و احفاده وورثته بحكم الملكية المطلقة لهذه المناطق وما يلحق بها ن الارجاء المسكونة و غير المسكونة تحصيل خراجها و موروثاتها و ريعها و عشورها و حقوقها ، كما يحق لأي واحد من هؤلاء ان يتولى القضاء في هذه الارجاء ن و الكور بأعتباره سيدها ، و لكنه في الوقت نفسه تابع و خاضع لصاحبي السمو ، و لا يستطيع أي انسان السيطرة على أي من هذه

لمناطق ، لأنها تعتبر من الناحية القانونية ملكاً شرعياً لأبي عبد الله الصغير ، و له حق التصرف بها ، و حرية بيعها او رهنها متى شاء ، شريطة ان تكون الاولوية عند البيع او الرهن لصاحبي السمو ، و اذا اراد شراءها فيتفقان مع ابي عبد الله على الثمن الذي يرضى به .

و يستطيع صاحب السمو الاحتفاظ بقلعة عذرة و اراضيها مع سائر القلاع و الابراج الممتدة على الساحل اذا رغب بذلك ، و اذا شاء صاحبا السمو استغلال قلعة عذرة بالأضافة الى مياه شاطئ عذرة – ان امكن ذلك – وتبقى القلعة تابعة الى ابي عبد الله الصغير ، بعد ان يصلحها و يحصنها صاحبا السمو ، وفي مراحل الاصلاح و التحصين تكون تابعة لصاحبي السمو بالفوائد المستحقة على القلاع و الابراج الممتدة على ساحل البحر ، اما حراستها و حمايتها فهي من شأن ابي عبد الله الصغير و اما دخل هذه القلاع و الكور و الارجاء ، وورادتها في مراحل الاصلاح و التقوية و الاستغلال فليس لأبي عبد الله شيئ منه ، بأستثناء عائدات تأجيرها ، و لكن هذه القلاع و الارجاء و الكور تبقى ملكاً لأبي عبد الله الصغير و لا تصادر منه ، و اذا انعم صاحبا السمو على شخص ما بشيئ من هذه الممتلكات التي اقطعت لأبي عبد الله الصغير ، فلا يجوز له بيعها ، و اذا ما رأى التخلي عنها ، يقوم صاحبا السمو بتعويضه عنها بالطريقة التي ترضيه ، اما اذا تركت هذه الاملاك للملك ابي عبد الله الصغير فيبقى ريعها و دخلها من حق ابي عبد الله ، كما هو شانها الان و فيما بعد ، دون ان يتهددها أي خطر او حجز او اعتراضات اخرى .

٤- يقدم صاحبا السمو الى الملك عبد الله الصغير هبة قدرها ثلاثون الف جنيه قشتالي من الذهب ، تعادل (١٤) كوينتس و (٥٥٠٠٠٠) مرافيدي يبعثان بها اليه عقب تسليم الحمراء و بقية القلاع في الوقت المحدد لها .

٥- يمنح صاحبا السمو للملك ابي عبد الله الصغير كل ما ورثه عن والده السلطان ابي الحسن ، شعواء في غرناطة او البشرات . لتكون ملكاً له و لأولاده و عقبه وورثته . و تتضمن هذه الشركة معاصر للزيت و اراضي و مزارع و حدائق (حواكير) ، و له الحق في بيعها او رهنها و التصرف بها كيفما يشاء كسائر الكور و الارجاء التي سلف ذكرها ، بأستثناء الاملاك التي كانت بحوزة بني نصر ملوك غرناطة السابقين ، فأنها تبقى ملكاً للدولة ، و لا يجوز التصرف بها الا بأمر صاحبي السمو .

٦- يمنح صاحب السمو لملكات غرناطة ، خاصة عائشة والدة ابي عبد الله الصغير و اخته و زوجته مريمه و ثريا زوجة والده السلطان ابي الحسن علي المعروفة بأيسابيل دي سوليس ، كل ما كان يملكه في غرناطة و البشرات من الحواكير و الاراضي و الارجاء و الطواحين و الحمامات ، يصبح ملكا لهن و لعقبهن الى الابد ، و لهن الحق في بيعها و رهنها و التصرف بها كما يشأن ، مع ما يلحق ذلك من الامتيازات الممنوحة لأبي عبد الله الصغير .

٧- تعفى جميع التركات التي ورثها ابو عبد الله الصغير ، و الملكات المذكورات و ثريا زوجة مولاي ابي الحسن علي بن نصر ، من الضرائب والفوائد اعتبارا من الان و الى الابد .

٨- يعطى للملك المذكور (ابو عبد الله الصغير) و للملكات المذكورت كل ما كان لهم في مطريل ، و تعطى الحجة مريحة العقارات التي كانت لها في مطريل ، لتساوي بالأمتيازات الممنوحة سابقاً .

٩- اذا استسلمت لصاحبي السمو اية قرى او مواقع تابعة للمملكة قبل تسليم الحمراء فعلى صاحب السمو أعادة جميع هذه المواقع للملك ابي عبد الله الصغير بشكل طوعي ، و سوف تحظى هذه الاماكن بعناية ابي عبد الله الحسنة .

١٠- ان لا يطلب صاحبا السمو او أي واحد من سلالتهما ملك غرناطة او ايا من اتباعه في أي وقت يتبادل ما غنمه الطرفان من الاموال و العقارات بأستثناء ما تنص عليه الاتفاقات ومعاهدات التسليم الخاصة المعقودة بين صاحبي السمو و ملك غرناطة ، بحيث يدفع صاحبا السمو لمالك العقارات ثمناً لها فتنتقل ملكيتها اليهما ، و يحظر على أي انسان المطالبة بأحقيته بوضع يده عليها بقليل و لا بكثير ، و من يخالف ذلك تتخذ بحقه اشد العقوبات الصارمة ، و يعتبر خارجاً عن القوانين الاسلامية و المسيحية على السواء .

١١- عندما يرغب الملك ابو عبد الله الصغير و الملكات المذكورات انفا و زوجة مولاي ابي الحسن على والده ابي عبد الله الصغير ، واولادهم و احفادهم ، وقادتهم و اتباعهم و نساؤهم و فرسانهم و رماتهم و عيالهم ، في العبور الى المغرب ، فسوف يجهز صاحبا السمو سفينتين كبيرتين من مدينة جنوة للجواز بهم في الوقت الذي يشاؤون ، و بحوزتهم اموالهم و ثيابهم و ذهبهم و فضتهم و جواهرهم و مواشيهم و اسلحتهم ما عدا ذخائر تلك الاسلحة دون مقابل من نفقة او اجر اثناء صعودهم السفن او نزولهم منها مع تأمين وصولهم بطمأنينة و امان و حسن معاملة ، لأي مكان

معـروف سـواء فـي المغـرب او الاسـكندرية او تـونس او اوران او فـاس ، او أي مكـان يرغبـون بالهبوط فيه .

١٢- اذا لم يتكمن الملك المذكور او أي شخص من المذكورين اعلاه من بيع عقاراته المشار اليها فله الحق في تفويض من يشاء لأستلام ريعها و ارسالها له اينما كان ، دونما عائق او قيد اوغرامة .

١٣- يسمح للملك ابي عبد الله الصغير متى شاء ، ان يرسل بعض اتباعه او عماله الى ارض المغرب للأتجار بالسلع ، مصدرين و مستوردين دون ان يتوجب عليهم دفع اية نفقات او ضرائب او غرامات مالية مقابل هذا الاتجار لا في ذهابهم و مكوثهم هناك و لا في ايابهم .

١٤- يسمح للملك أبي عبد الله أن يبعث بست دواب محملة بالسلع الى اية ناحية من النواحي التابعة لصاحبي السمو ، من اجل مقايضتها بالزاد و المؤونة اللازمة ، و تكون هذه الدواب معفاة من جميع الضرائب في المواني و المدن و القرى ، و الاماكن التي تجري فيها المقايضة اعفاء مطلقاً دون قيد او نفقة .

١٥- عندما يخرج الملك ابوعبد الله الصغير من مدينة غرناطة تمنح له حرية الاقامة و المسكن في الوقت الذي يشاء و في الاراضي التي اقتطعت له حسب الاتفاقية ، ويسمح له بالخروج مع من يشاء من حشمه و قادته و علمائه و قضاته و فرسانة ، و كل من يرغب بالخروج معه بخيولهم و دوابهم و اسلحتهم ، وبرفقة زوجاتهم و عبيدهم ، و لا يؤخذ منهم سوى الذخائر التي سوف يضع صاحبا السمو عليها ايديهما ، و لن يفرض على أي من ذؤيتهم في أي وقت وضع علامة مميزة لهم في ثيابهم ، و لهم ان يتمتعوا بسائر الامتيازات المتفق عليها في وثيقة تسليم مدينة غرناطة.

الملحق (٧)

نص الاتفاقية العلنية

المعقودة بين ابي عبد الله الصغير، و الملكين الكاثوليكيين ضون فرديناندو ضونيا ايسابيلا

بتاريخ ٢١ محرم، سنة ٨٩٧هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٤٩١م

برج غرناطة (المعسكر الملكي)

المادة الاولى :

على ملك غرناطة و القادة و الفقهاء و الحجاب و العلماء و المفتين و الوجهاء بمدينة غرناطة و البيازين و ضواحيها ان يسلموا الى صاحبي السمو ، او من ينتدبانه للنيابة عنهما في مدة اقصاها ستون يوماً ، اعتباراً من ٢٥ تشرين الثاني عام ١٤٩١ م معاقل الحمراء ، و البيازين ، و ابواب تلك المعاقل ، وابراجها ، و ابواب المدينة المذكورة ، و البيازين و ضواحيهما ، و ضمن هذه الشروط يأمر صاحبا السمو بأن لا يصعد أي نصراني السور القائم بين الحمراء و البيازين ، لئلا يكشف عورات المسلمين في بيوتهم ، وان خالف احد هذه الاوامر يعاقب عقوبة شديدة ، و ضمن هذا الشرط سيقدم المسلمون الطاعة و الاخلاص و الولاء كاتباع مخلصين لصاحبي السمو .

و ضماناً لسلامة تنفيذ هذه البنود يقدم ابو عبد الله الصغير ملك غرناطة الى صاحبي السمو ، خمسمئة شخص من أبناء و بنات علية القوم . في المدينة و البيازين و ضواحيهما ، و ذلك قبيل تسليم الحمراء بيوم واحد ، مصطحبين معهم الحاجب يوسف بن قماشة ليكونوا جميعهم رهائن لدى صاحبي السمو ، لمدة عشرة ايام يتم خلالها ترميم المعاقل المذكورة ، شريطة ان يعامل الرهائن الى حين انتهاء هذه الفترة معاملة حسنة ، و في نهاية الاجل يرد الرهائن الى ملك غرناطة ، و يراعى هذه الاتفاقية صاحبا السمو و ابنهما ضون خوان و سلالتهم ، و يعتبر ابو عبد الله الصغير و سائر قادته ، و جميع سكان غرناطة و البيازين ، و ضواحيهما و قراهما و اراضيها ، و القرى و الاماكن التابعة للبشرات ، رعايا طبيعيين ، و يبقون تحت رعايتهم و دفاعهم ، و تترك لهم جميع بيوتهم و اراضيهم ، و عقارهم و املاكهم حالياً و دائماً دون ان يلحق بها أي ضرر او حيف ، و ان لا يؤخذ شيئ مما يخصهم بل بالعكس ، سيتم احترام الجميع و مساعدتهم و يلقون المعاملة الطيبة من قبل صاحبي السمو و شعبهما كخدم و اتباع لهما .

المادة الثانية :

في الوقت الذي يتسلم صاحبا السمو قصر الحمراء ، يأمران اتباعهما بالدخول من بابي العشار و نجدة ، و من الحقل القائم خارج المدينة ، وعلى من يعين لأستلام الحمراء ان لا يدخل في وسط المدينة .

المادة الثالثة :

في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء و البيازين ، و شوارعهما و قلاعهما و ابوابهما و غيرذلك ، يقوم صاحبا السمو بتسليم ابن الملك ابي عبد الله الصغير ، المحتجز في قلعة موكلين ، مع سائر الرهائن الموجودين معه و سائر الحشم و الخدم الذين كانوا برفقته ، و لا يكرهون على التنصر اثناء احتجازهم .

المادة الرابعة :

يسمح صاحبا السمو و سلالتهما ، للملك ابي عبد الله الصغير و شعبه ان يعيشوا دائماً ضمن قانونهم – أي بممارسة الشعائر الاسلامية ، دون المساس بسكناهم و جوامعهم وابراجهم ، و سيأمران بالحفاظ على مواردهم ، و سيحاكمون بموجب قوانينهم و قضاتهم . حسبما جرت عليه العادة وسيكونون موضع احترام من قبل النصارى . كما تحترم عاداتهم و تقاليدهم الى غير حين .

المادة الخامسة :

لن تصادر من المسلمين اسلحتهم او خيولهم او أي شيئ اخر ، حاضرا و الى الابد ، باستثناء الذخرية الحربية التي يجب تسليمها لصاحبي السمو .

المادة السادسة

يسمح لمن يرغب في الجواز الى العدوة ( ) او أي مكان اخر ، من اهالي غرناطة و البيازين و البشرات و المناطق الاخرى ، التابعة لمملكة غرناطة ببيع ممتلكاتهم و اراضيهم لمن شاؤوا ، و لن يحاول صاحبا السمو و ذريتهما منعهم من ذلك ابداً ، و أذا ما رغب صاحبا السمو بشرائها من اموالهم الخاصة ، فشأنهما في ذلك شأن سائر الناس ، و لكن الاولوية تكون لهما .

المادة السابعة :

الاشخاص الذين يرغبون في العبور الى العدوة تجهز عملية نقلهم في غضون ستين يوماً من تاريخه ، على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم ، حسب رغبة المبحرين ليحملوا احراراً و طوع ارادتهم الى المكان الذي يرغبون النزول فيه فيما وراء البحر – ارض المغرب – خاصة الموانئ التي كانت ترسو عليها تلك السفن .

اما الاشخاص الذين يرغبون في العبور في غضون الاعوام الثلاثة القادمة فتهيأ لهم السفن الخاصة من الموانئ القريبة لمكان اقامتهم ،شريطة ان يقدموا طلبتهم قبل موعد الرحيل بخمسين يوماً ، و ينقلون برعاية تامة الى الميناء الذي يرغبون بالنزول فيه ، ولا يترتب على من يريد العبود الى

( ) ارض المغرب العربي

العدوة خلال الاعوام الثلاثة هذه اجر او نفقة ، اما الذين يرغبون في العبور بعد انتهاء الاعوام الثلاثة ، فعليهم دفع دوبلة واحدة فقط عن كل شخص ، اما الذين لا يتمكنون من بيع املاكهم الموزعة في جميع انحاء مملكة غرناطة قبل سفرهم ، فيحق لهم تقويض أي شخص من اجل تحصيل حقوقهم و ليقوموا مقامهم ، و يتولوا بعد ذلك ارسال هذه الحقوق لأصحابها اينما كانوا و بدون أي عوائق .

المادة الثامنة :

لا يرغم صاحبا السمو و سلالتهما حاضراً و الى الابد المسلمين و اعقابهم على وضع اية اشارة مميزة لملابسهم .

المادة التاسعة :

لا يحق لصاحبي السمو لمدة ثلاث سنوات من تاريخه تحصيل الاتاوات من الملك ابي عبد الله الصغير و سكان غرناطة و البيازين و ارباضهما ، و هي الاتاوات التي يترتب اداؤها عن دورهم و املاكهم الموروثة ، بل يكفي ان يدفع المسلمون لصاحبي السمو ، عشر الخبز و الذرة ، و عشر المواشي خلال شهري نيسان و مايس .

المادة العاشرة :

على الملك ابي عبد الله و سائر سكان المملكة الذين شملتهم الاتفاقية ان يطلقوا سراح جميع الاسرى النصارى ، الذين في قبضتهم او في أي مكان اخر طواعية و دون اية فدية ، و ذلك حين تسليم المدينة .

المادة الحادية عشرة :

على صاحبي السمو ان لا يستخدما أي رجل من اتباع ابي عبد الله او سكان المملكة ، او ان يسخرا دوابهم في أي غرض دون ارادتهم ، و دون ان تدفع لهم اجورهم .

المادة الثانية عشرة :

لا يسمح لأي نصراني بدخول المساجد ، او أي مكان لعبادة المسلمين دون اذن من الفقهاء ، و من يخالف ذلك يعاقبه صاحبا السمو .

المادة الثالثة عشرة :

لا يجوز لأي يهودي ان يتولى الجباية ، او تحصيل الضرائب من المسلمين بشكل مباشر ، او ان يمنح اية سلطة او ولاية عليهم .

المادة الرابعة عشرة :

يعامل صاحا السمو الملك ابا عبد الله الصغير و سائر رعاياه الذين شملتهم هذه المعاملة معاملة شريفة ، و تحترم عاداتهم و تقاليدهم ، و تمنح للقادة و الفقهاء الحقوق ، و تبقى الحقوق التي كان يتمتع بها هؤلاء زمن ابي عبد الله الصغير على حالها ، و يعترف لهم بتلك الحقوق .

المادة الخامسة عشرة :

يجب ان يقضى في اية دعوى ، او مشكلة تقع بين المسلمين القضاة وفقاً لأحكام الشريعة الاسلامية ، كما جرت عليه العادة .

المادة السادسة عشرة :

يصدر صاحبا السمو اوامرهما للمسلمين بعدم ايواء الضيوف في النصارى ، او اخراج الثياب او الدواجن او الدواب ، و يشمل ذلك صاحبي السمو و جماعتهما ، اذ يمنع على هؤلاء النصارى دخول بيوت المسلمين و استعمال مضايفهم لأقامة الحفلات .

المادة السابعة عشرة :

اذا دخل نصراني منزل مسلم قسرا يطلب صاحبا السمو من العدالة ايقاع العقوبة عليه .

المادة الثامنة عشرة :

فيما يتعلق بقضايا التركات عند المسلمين يجب ان ينظر بها القضاة المسلمون ، وفق النظم الاسلامية المتبعة .

المادة التاسعة عشرة :

تشمل هذه المعاهدة قاطني الاحياء المجاورة لمدينة غرناطة ، و سكان القرى و الارجاء التابعة للمدينة و البشرات و اماكن اخرى ، بما في ذلك الاشخاص الذين قد يقبلون المعاهدة بعد مرور ثلاثين يوما من تسليم غرناطة ، و يتمتع هؤلاء بجميع الاعفاءات الممنوحة خلال السنوات الثلاث.

المادة العشرون :

يتولى الفقهاء ادارة ايراد الجوامع و الحلقات الدراسية فيها ، ما يرصد من اجل الصدقة او عمل الخير ، بما في ذلك ايرادات المدارس التي تنفق في تعليم الصبيان ، لايحق لصاحبي السمو التدخل بأي حال من الاحوال في شأن هذه الصدقات ، او الامر بمصادرتها في أي وقت في الحاضر ، أو فيما بعد .

المادة الحادية و العشرون :

لا يجوز لمن يتولى القضاء اصدار قرارات ضد أي مسلم بذنب اقترفه اخر ، فلا يؤخذ الاب بذنب ابنه ، و لا الولد بذنب والده ، و لا اخ بذنب اخيه ، و لا القريب بذنب قرابته ، بل تقع العقوبة على من يقترف الجرم .

المادة الثانية و العشرون :

يقرر صاحبا السمو العفو عن المسلمين من اتباع القائد حميد ابي علي الذين كانوا يذودون عن حصونهم ضد هجمات النصارى و لا يطلب أي تعوض عمن قتل النصارى اثناء اصطدامهم مع

المدافعين من المسلمين ، او عما اخذه المسلمون من المكاسب في ذلك المكان في الحاضر او فيما بعد .

المادة الثالثة و العشرون :

يغفر صاحبا السمو لمسلمي مدينة الكابطي هجماتهم و اعتداءاتهم التي كانت تستهدف حرس الملكين ، و تنمح لهم حرية العيش كبقية اخوانهم الذي شملتهم هذه المعاهدة .

المادة الرابعة و العشرون :

يعتبر صاحبا السمو جميع اسرى المسلمين أو الفارين من الاسر الى مدينة غرناطة و البيازين و ارباضهما ، او ألى أي ناحية تابعة لمدينة غرناطة احراراً ، و لا تصدر العدالة بحقهم أي حكم كان ، لكن هذا الامتياز خاص بمسلمي الاندلس و لا يشمل اسرى الجزر او كناريس .

المادة الخامسة و العشرون :

لا يدفع المسلمون لصاحبي السمو اكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم المسلمين من الاتاوات.

المادة السادسة و العشرون :

يسمح لجميع من عبروا العدوة من سكان غرناطة ، و الارجاء التابعة لها ، و البيازين و ارباضهما ، و البشرات و غيرها ، بالعودة خلال ثلاث اعوام من تاريخ ابرام الاتفاقية و التمتع بالأمتيازات التي تمنحها لهم هذه الاتفاقية .

المادة السابعة و العشرون :

لا يجبر أي مسلم حمل معه بعض الاسرى النصارى الى العدوة و جعلهم في قبضة سلطة اخرى ، على ارجاع هؤلاء الاسرى ، او اعادة الاجر الذي قاضاه لقاء تسليمهم .

المادة الثامنة و العشرون :

يحق للملك ابي عبد الله ، او أي من قواده ، او سكان القرى و الارجاء المجاورة لغرناطة و البيازين و البشرات و غيرها ، ممن عبروا الى العدوة و لم تطلب لهم الاقامة هناك ، ان يعودوا خلال الاعوام الثلاثة ، و لهم الحق بأن يتمتعوا بكافة نصوص الاتفاقية المبرمة .

المادة التاسعة و العشرون :

يحق لتجار مدينة غرناطة و البيازين و ارباضهما ،و البشرات و غيرها ان يحملوا سلعهم الى المغرب ، و يعودا بها امنين مطمئنين ، كما يحق لهم دخول سائر الارجاء التي في حوزة الملكين الكاثوليكيين ، دون ان تترتب عليهم اية اتاوة مترتبة على النصارى .

المادة الثلاثون :

لا يجوز ارغام اية نصرانية تزوجت من احد المسلمين و اعتنقت الدين الاسلامي على العودة الى النصرانية الا طائعة ، و بعد ان تسال في ذلك امام جمع من المسلمين و النصارى ، وفيما يتعلق بأبناء الروميات ، و بناتهن فلهم نفس الحقوق المنصوص عليها في هذه الفقرة .

المادة الحادية و الثلاثون :

اذا سبق لنصراني ذكرا كان او انثى اعتناق الاسلام قبل ابرام هذه الاتفاقية فلا يحق لأحد من النصارى ان يهدده ، او ينال منه بأية صورة ، و من يفعل ذلك يلق اثاماً .

المادة الثانية و الثلاثون :

لا يجوز ارغام مسلم او مسلمة على اعتناق النصرانية .

المادة الثالثة و الثلاثون :

اذا رغبت امرأة مسلمة متزوجة او ارملة او بكر في اعتناق النصرانية بدافع العشق فلا يستجاب لها ، جتى تسأل و توعظ وفقا للشريعة الاسلامية ، واذا حملت معها خفية بعض الحلي او غيرها في دار والدها او اقاربها او أي شخص اخر فيجب اعادة هذه الاشياء الى ذويها و تعتبر اختلاسا و تتولى العدالة اتخاذ الاجراءات الصارمة بحقها .

المادة الرابعة و الثلاثون :

ان لا يرغم صاحبا السمو او أي واحد من عقبهما حاضرا او مستقبلاً ، ابا عبد الله الصغير ، و جماعته او حاشيته ، او أي واحد من سكان المملكة او خارجها مسلمين و نصارى و مدجنين برد ما غنموه اثناء الوقائع التي جرت بينهم ، من الثياب و المواشي و الانعام و الفضة و الذهب و غيرها من الاشياء ، التي وضع المسلمون ايديهم عليها ، و لا يحق لأحد ان يطالب بشيئ يكتشف انه كان له ، و اذا طالب به فأنه يعرض نفسه لأقصى العقوبات .

المادة الخامسة و الثلاثون :

اذا سبق مسلم ان اهان اسيرا نصرانيا –ذكر كان ام انثى – او جرحه او قتله اثناء احتفاظه به فلا يسأل عن شيئ مما كان .

المادة السادسة و الثلاثون :

بعد انتهاء السنوات الثلاث المنصوص عليها في الاتفاقية تدفع ضريبة الاملاك و الضياع الاميرية ، وفقاً لقيمتها الحقيقية شأن سائر الاملاك و الاراضي .

المادة السابعة و الثلاثون :

تعامل املاك الفرسان و القادة المسلمين المعاملة المنصوص عليها البند السابق فلا يدفع عنها اكثر مما دفع عن الاملاك العادية .

المادة الثامنة و الثلاثون :

و تشمل هذه الاتفاقية ايضا اليهود من مواليد مدينة غرناطة و البيازين و ارباضهما و الاراضي التابعة لهما ، و اليهود الذين كانوا من قبل نصارى ، و يسمح لهؤلاء اليهود بالعبور الى العدوة خلال شهر من تاريخه .

المادة التاسعة و الثلاثون :

ان يعامل الحكام و القواد و القضاة الذين يعينهم صاحبا السمو على مدينة غرناطة و البيازين و الكور التابعة لهما الناس بالحسنى ،و ان يحافظوا على امتيازاتهم الممنوحة لهم في المعاهدة ، و اذا اخل احدهم بذلك ، او ارتكب خطيئة يصدر صاحبا السمو أوامرهما بمعاقبته على قدر جرمه ، وعزله من منصبه و تولية غيره . من يحسنون معاملة المسلمين كما نصت عليه الاتفاقية .

المادة الاربعون :

لا يحق لصاحبي السمو اواي من ابنائهما و احفادهما منذ الان التعقب على شيئ ارتكبه الملك ابو عبد الله الصغير ، او احد من رعاياه الى حين تسليم الحمراء أي بعد مروو ستين يوماً من توقيع هذه الاتفاقية .

المادة الحاية و الاربعون :

ان لا تولى على جماعة ابي عبد الله الصغير واحد من الفرسان او القادة او الخاصة الذين كانوا موالين لمولاي ابي عبد الله الزغل ملك وادي اش ، عم ابي عبد الله الصغير الذي كانت بينه و بين ابي عبد الله عداوة قديمة .

المادة الثانية و الاربعون :

يتولى النظر في الخصومات التي قد تقع بين مسلم و نصراني ، او مسلمة و نصرانية ، مجلس مؤلف من حكمين : احدهما مسلم و الاخر مسيحي ، تحاشياً للتظلم من الاحكام القضائية.

المادة الثالثة و الاربعون :

و بالأضافة الى جميع ما نصت عليه الاتفاقية ، يأمر صاحبا السمو بمنح ابي عبد الله الصغير كل الامتيازات المنصوص عليها في الاتفاقيات الموثقة بخاتم الامير – نجل صاحبي السمو – و الموقعة من قبل كاردينال اسبانيا و الكهان و الاساقفة و رؤساء الاديرة و الشرفاء والدوقات و المركيزات و الكونتات و اصحاب المراتب الجليلة و كتاب العدلية في مدينة غرناطة ، اعتبارا من يوم تسليم الحمراء و البيازين و ابوابهما و ابراجهما ، و تعتبر جميع محتويات هذه الاتفاقية نافذة و سارية المفعول في الحاضر و فيما بعد .

المادة الرابعة و الاربعون :

يصدر صاحبا السمو اوامرهما بالأفراج عن اسرى المسلمين ، ذكورا واناثا ، من اهالي غرناطة و البياسين و ارباضهما و الكور التابعة للمملكة افراجاً غير مشروط او فدية او غيرها ، و ذلك بغية ارضاء الملك ابي عبد الله الصغير و اهالي غرناطة و البيازين و الاباضهما و ضياعهم كافة ، و يتم الافراج عن هؤلاء الاسرى على النحو التالي :

يفرج عن جميع اسرى مدينة غرناطة و البيازين و ارباضهما و ضياعهما الموجودين في الاندلس ، خلال الاشهر الخمسة التي تعقب ابرام المعاهدة ، و يفرج عن الاسرى الموجودين في قشتالة ، خلال الاشهر الثمانية التالية ، و بعد انقضاء يومين من تسليم اسرى النصارى لصاحبي السمو ، يتسلم المسلمون مئتي اسير مسلم ، مئة م الرهائن و المئة الثانية من غير الرهائن .

المادة الخامسة و الاربعون :

يصدر صاحبا السمو اوامرهما بأخلاء سبيل (ابن الدارمي) الاسر عند (غونثالوفرناندث) و (عثمان) اسير (الكونت تنديا) ، وابن رضوان اسير الكونت (قبرة) ، و اعادة ابن الفقيه محي الدين و خمسة اشخاص من خاصة ابراهيم بن السراج الذين فقدوا و عرف مكان وجودهم ، و ذلك في الوقت الذي يسلم فيه صاحبا السمو اسرى مدينة الحمراء و البيازين المئة و الرهائن المئة .

المادة السادسة و الاربعون:

اذا خضعت اية ناحية من نواحي البشرات لسلطة صاحبي السمو فأنه يتأتى على المسلمين تسليم جميع الاسرى النصارى الموجودين لديهم في مدة اقصاها خمسة عشر يوما من تاريخ الانضمام ، دون ان يؤدي سموهما أي شيئ مقابل ذلك التسليم ، كما يجب على هذه النواحي تسليم اية رهينة من النصارى لديهم خلال المدة ، و يقوم صاحبا السمو في مقابل ذلك بأعادة جميع اسرى المسلمين المحتجزين لدى الاسبان .

المادة السابعة و الاربعون :

يتعهد صاحبا السمو لجميع السفن التي تأتي من المغرب ، و ترسو في موانئ مملكة غرناطة ،بحرية التنقل ذهاباً و اياباً ، و هي امنة شريطة ان لا تقوم بنقل الاسرى من النصارى ، و يصدر صاحبا السمو اوامرهما للنصارى بعدم اعتراض هذه السفن او الاضرار بها و بأهلها او بمصادرة شيئ منها .. و في حالة مخالفة احدى السفن هذه التعليمات بنقل الاسرى من النصارى فأن حقها في الحماية يصبح لاغيا ، و يحق لسموهما ارسال مفتش او مفتشين يتوليان مهمة تفتيش السفن التي تعبر الى المغرب ، للتحقق من نفاذ هذه التعليمات .

ملحق (٨)

الروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس*

هذه الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور ابو عبد الله الصغير الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي ، و هي من انشاء الكاتب المجيد البارع البليغ ابي عبد الله محمد بن عبد الله العربي [١] العقيلي رحمه الله و تعالى و سماها ((بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس)) و نصبها بعد الافتتاح :

مولى الملوك ملوك العرب و العجم ... رِعياً لما مثله يرعى من الذمم [٢]

بك ستجرنا و نعم الجار انت لمن ... جار الزمان عليه جور منتقم

حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا ... و افظع الخط ما يأتي على الرغم

حكم من الله حتم لا مرد له ... و هل مرد لحكم منه منحتم

و هي الليالي و قاك الله صولتها ... تصول حتى على الاساد في الاجم

كنا ملوكا لنا في ارضنا دول ... نمنا بها تحت افنان من النعم

فأيقظتنا سهام للردى صبب ... يرمى بأفجع حتف من بهن رمي [٣]

فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا ... و أي ملك بظل الملك لم ينم

يبكي عليه الذي قد كان يعرفه ... بأدمع مزجت امواهها بدم

كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا ... يشم بّو الصغار الانف ذا الشمم

وصل اواصر قد كانت لنا اشتبكت ... فالملك بين ملوك الارض كالرحم

و ابسط لنا الخلق المرجو باسطه ... و اعطف و لا تنحرف و اعذر و لا تلم

لا تأخذونا بأقوال الوشاة و لم ... نذنب و لوكثرت اقوال ذى الوخم[٤]

---

* اخذ نص هذه الرسالة من كتاب : المقري ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص٢٨١-٣٠٢ .

[١] في نسخة عندا (المغربي) و في اخري (العرفي)

[٢] في اصب (راعيا لمن مثله يرعى من الذمم)

[٣] في ((سهام للردى صيب)) وتقرأ بضم الصاد و الياء المثناة ، و معناها صائبات .

[٤] في اصل (لا تأخذنا باقوال الوشاة) ، و قد اخذ هذا البيت من قول كعب بن زهير في لاميته التي مدح فيها رسول الله (ص) : لا تأخذني بأقوال الوشاة و لم اذنب و لو كثرت في الاقاويل .

فما ، اطقنا دفاعا للقضاء ، و لا   الرادت انفسنا ما حل من نقم

ِلا ركوباً بأزعاج لسابحة   في زاخر بأكف الموج ملتطم

و المرء ما لم يعنه الله اضيع من   طفل تشكى بفقد الام في اليتم

و كل ما كان غير الله يحرسه   فأن محروسه لحم على وضم

كن كالسموأل اذ سار الهمام له   في جحفل كسواد الليل مرتكم

فلم يبح ادرع الكندي و هو يرى   ان ابنه البر قد اشفى على الرجم

او كالمعلى مع الضليل الاروع اذ   اجاره من اعاريب و من عجم

ِ صار يشكره شكراً يكافئ ما   اسدى اليه من الالاء و النعم

و لا تعاتب على اشياء قد قدرت   و خط مسطورها في اللوح بالقلم

و عد عما مضى اذ لا ارتجاع له   وعد احرارنا في جملة الخدم

ايه حنانيك يا ابن الاكرمين على   ضيف الم بفاس غير محتشم

فأنت انت ، و لولا انت ما نهضت   بنا اليها خطا الوخادة الرسم

رحماك ياراحما ينمى الى رحما   في النفس و الاهل و الاتباع و الحشم [1]

فكم مواقف صدق في الجهاد لنا   و الخيل عالكة الاشداق للجم

و السيف يخضب بالمحمر من علق   ما ابيض من سبل و اسود من لمم [2]

و لا ترى صدر غضب غير منقصف   و لا ترى متن لدن غير منحطم

حتى دهينا بدهيا لا اقتدار بها   سوى على الصون للأطفال و الحرم

فقال من لم يشاهدها فربتما   يخال جامعها يقتاد بالخطم

هيهات لو زبنته الحرب كان بها   اعيى يدا من يد جالت علىرخم [3]

تالله ما اضمرت غشا ضمائرنا   و لا طوت صحة منها على سقم

لكن طلبنا من الامر الذي طلبت   ولاتنا قبلنا في الاعصر الدهم

فخاننا عنده الجد الخؤن ، و من   تقعد به نكبات الدهر لم يقم

ـأسود ما اخضر من عيش دهته عداً   بالأسمر اللدن او الابيض الجذم

و شتت البين شملا كان منتظما   و البين اقطع للموصول من جلم [4]

---

(1) رحما : اصله رحماه جمع رحيم ، مثل كريم و كرماء و بخيل و بخلاء ، و قصره لما اضطر لأقامة الوزن.

(2) العلق ، هنا : الدم .

(3) في ب ((من يد جالت على رحم))

(4) الجلم : المقراض (المقص)

فرب مبنى شديد قد اناخ به ... ركب البلا فقرته ادمع الديم
قمنا لديه اصيلانا نسائله ... اعيا جوابا و ما بالربع من ارم
و ما ظننا بأن تبقى الى زمن ... نرى به غرر الاحباب كالحمم
لكن رضا بالقضا الجاري و ان طويت ... منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يا من دعا نحو حضرته ... دعا ابراهم الحجاج للحرم
و اعط الامان الذي رصت قواعده ... على اساس وفاء غير منهدم [٥]
خليفة الله و افاك العبيد فكن ... في كل فضل و طول عند ظنهم
وبين اسلافنا ما قد علمت به ... من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
و انت منهم كأصل مطلع غصنا ... او كالشراك الذي قد قدمن ادم
وقد خطوت خطاهم في ماثرهم ... فلم يذموا اذن فيها و لم تذم
و صبت مولى الورى الشيخ الامام غدا ... في الناس اشهر من نار على علم [١]
سلالة الامراء الجله الكبرا ... ء العلية الطهراء القادة البهم [٢]
بنو مرين ليوث في عرين ابوا ... رؤيا قرين لهم في البأس و الكرم
النازلين من البيضاء وسط حمى ... احمى من الابلق السامي و من ارم
و الجائسين بدهم الخيل كل ذرا ... و الداعسين بسمر الخط كل كمى
يريك فارسهم ان هز عامله ... في مارق بلظى الهيجاء مضطرم
ليثا على اجدل عار من اجنحة ... يسطو بأرقم لداغ بغير فم
في اللام يدغم من عسالة الف ... و لم نجد الفا اصلا بمدغم
اهل الحفيظة يوم الروع يحفضهم ... من عصمة الله ما يربى على العصم
يا من تطير شرار منه محرقة ... لكل مدرع بالحزم محتزم
هم بطائفة التثليث قد فتكوا ... كمثل ما يفتك السرحان بالغنم [٣]
و ان يلثمهم يوم الوغى رهج ... انسوك ما ذكروه عن ذوي اللثم
تضئ اراؤهم في كل معضلة ... اضاءة السرج في داج من الظلم
هذا و لو من حياء ذاب محتشم ... لذاب منهم حياء كل محتشم

---

(٥) فيب و نسخة عند ((الامان الذي رضت قواعده))

(١) في و نسخة عند ((غدا في الفصل اشهر من نار على علم))

(٢) في اصل ((الظهراء القادة اليهم))

(٣) السرحان : الذئب

طابت مدائحهم اذ طابت انفسهم ... فأشتقت النسمات اسما من النسم

لله درهم و السحب باخل ... بدرهن على الانعام و النعم

بحيث الافق يرى من لون حمرته ... كالشيب يخضب بالحناء و الكنم

هناك تنهل ايديهم بصوت حيا ... يحيا بالاحداث ما فيها من الرمم

و ان بيتي زياد طالما ذكروا ... اذا المت أحاديث بذكرهم

احلام عاد و اجسام مطهرة ... من المعقة و الافات و الاثم

يرون حاق عليهم حفظ جارهم ... فلم يضل نازل فيهم و لم يضم [٤]

فروعهم بالدواهي لا يراع ، و لا ... يغم منها بما يعرو من الغمم

هم البحار سماحا غير ان بها ... ما قد اناف على الاطواد من همم

و ليس يسلم من حتف محاربهم ... حتى يكون اليهم ملقى السلم

كم فيهم من امير اوحد ندس ... يقرطس الغرض المقصود بالفهم

و لا كسبط ابي حسون من حسنت ... امداحه حسن ما فيه من الشيم

هذا كم ابن ذكرى الهمام فقل ... في اصله المنتقى من مجده العمم [١]

خليفة الله حقا في خليقته ... كنائب ناب في حكم عن الحكم

مهما تنر قسمات منه نيرة ... تنل بنازلة ما جل من نعم

فوجهه بدجاً او كفه بجدى ... ابهى من الزهر او اندى من الريم [٢]

و فضله و له الفضل المبين جرى ... كجرى الامثال في الاقطار و الامم

وجودة المتوالي للبرية ما ... وجوده بينها طرا بمنهدم

اذا ابتغت نعما منه العفاة له ... لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم [٣]

و ان يعبس زمان في وجوههم ... لم يبصروا غير وجه منه مبتسم

وجه تبين سمات المكرمات به ... كما تبين سمات الصدق في الكلم

و راحة لم تزل في كل اونة ... في نيلها راحة الشاكي من العدم

لله ما التزمته من نوافله ... ايام لا فرض مفروض بملتزم

انسى الخلائف في حلم و في شرف ... و في سخاء و في علم و في فهم

---

[٤] في اصل ((يرون حقا عليهم حفظ جارهم)) تحريف .

[١] في اصل ((من مجده القمم)) تحريف .

[٢] الجدى – بفتح الجيم – العطاء و الديم : جمع ديمه ، و اصله المطر الدائم الذي لا ينقطع .

[٣] العفاة : جمع عاف ،وهو طالب المعروف ، و في نسخة عند ((اذا ابتغت نعما منه البغاة)) .

فجاز معتمدا منهم و معتضدا   و امتاز عن واثق منهم و معتصم
و ناصر الدين في الاقبال فاق ، و في   محبة العلم أزرى بأبنه الحكم
أفعال اعدائه معتلة ابدا   متى يرم جزمها بالحذف تنجزم
فويل اهل الفلى من حية ذكر   للمتلئب اللهام المجر ملتقم [٤]
راموا عداوة من ان شاء غادرهم   مثل الاحاديث عن عاد و عن ارم
فسوف يكلهم من جيشه لجب   بكل قرم الى لحمانهم قرم
و ان الاعراب اذ ساروا لغايته   لسائرون الى لقم على لقم
و هم كما قاله ماض ((ارى قدمي   بسعيه نحوحتفي قد اراق دمي))[٥]
فقل اذن للمناوي الناولان اذى   يا غر غرك ما ابصرت في الحلم
و ان روحك عن قرب سيقبضه   قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذي ماله ند يشابهه   من كل متصف بالدهى متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه   مما عسى ان يرى فيه من الوهم
و يبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا   تعمى عن ادراكه الحاظ كل عمي
و ينعم النظر المفضي بناظره   لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو نتائجه   عن مبطل بخصام المبطل الخصم
و مسمع ليس يصغي للوشاة فلم   يتفق لديه الذي عنهم اليه نمى
فعقله لاتوازيه العقول ، و هل   يوازن الطود ما قد طال من اكم ؟
ايه جمع الورى من بدو او حضر   نداء مرتبط بالنصر مرتسم [١]
شدوا و جدوا ولا تعنوا و لا تهدوا   قد لفها الليل بالسواقة الحطم [٢]
هذا الامام المريني السعيد له   سعد يؤيده في كل مصطدم
قد اقسمت انه لمنصور السنة   من نخبه الاوليا مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا عجبا   و تظفروا معه بالأجر و الغنم
و الحمد لله اذ ابقى خلافته   كهفا لنا من يخيم فيه لم يرم

---

[٤] القلى – بكسر القاف – البغض ، و في اصل (فويل اهل الفلا) و في نسخة عندها (اهل العلا)
[٥] يشير الى قول الشاعر ((ارى قدمي قد اراق دمي)) وهو من ابيات الجناس .
[١] كذا في اصل أ ، و ب ، و في نسخة عند ب ((ايد جميع الزرى)) تحريف .
[٢] اخذ هذا في قول الحطم :

قد لفها الليل بسواق الحطم   ليس يرلعي ابل و لا غنم
ولا بجزار على ظهر و ضم له

حرز حريز و عز قائم و ندى غمر دراك بلا من و لا سأم
دامت و دام لها سعد يساعدها و في كل مبتدأ منه و مغنم
فالله عز اسمه قد زانها تجلى من غر امداحه كالدر في النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب كالجمر يلمع في مستوقد الضرم
و الفعال الفعل لم يهمم به احد و القائل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فأعجب انه هرم جوداً و حاشاه ان يعزي الى هرم[٣]
و حسبنا ان ايدينا به اعتصمت من حبله بوثيق غير منفصم
فما محالفه يوما بمضطهد ولا مؤالفه يوما بمهتضم [٤]
ولا موافيه في جهد بمطرح ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا محيا محبيه بمكنكسف ولا رجاء مرحبيه بمنجزم
و ما تكرمه سرا بمنكشف ولا تنكره جهرا بمنكتم
و ليس لامح مراة بمكتئب و ليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مقبل بمناه الكريمة في محل ممتهن بل دست محترم
و ما وسيلتنا العظمى اليه سوى ما ليس ينكر ما فيها من العظم
و انما هي و ما ادراك ما هي من وسيلة ردها ادهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى محمد خير خلق الله كلهم
داعي الورى من اولى خيم و اهل قرى الى طريق رشاد لاحب امم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت (امن تذكر جيران بذي سلم)[١]
و ما تشفع فيها بالشفيع له دخيل حرمته العلياء في الحرم

ربنا ظلمنا انفسنا و ان لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين ، انت ولينا فأغفر لنا و ارحمنا و انت خير الغافرين ، ربنا عليك توكلنا ، و اليك انبنا ، و اليك المصير ، ذلك بأن الله مولى الذين امنوا و ان الكافرين لا مولى لهم ، نعم المولى و نعم النصير .

---

[٣] هرم : شبهه بهرم بن سنان ممدوح زهير بن ابي سلمى المزني.

[٤] في اصل (ما مخالفه) تحريف .

[١] ضمن هذا البيت صدر مطلع قصيدة البوصيري (البردة) و البيت بتمامه :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

اما بعد حمد لله الذي لا يحمد على السراء و الضراء سواه ، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح ، يدعو الى سبيل كل فلاح ، اولى قلوب غافلة و نفوس سواه ، و الرضا عن اله و اصحابه و عترته الاكرمين و احزابه الذين تلقوا بالقبول ما توردہ عليهم من اوامر و نواه[٢] و عزروه و نصروه في حال قربه و نواه ، فيا مولانا الذي أولانا من النعم ما أولانا لاحط الله تعالى لكم من العزة اروافا [٣] ، و لا اذوى لدوحة دولتكم اغصانا و لا اوراقا ، و لا زالت مخضرة العود ، مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود ، ممطورة بسحائب البركات المتذركات دون برق [٤] ولا رعود هذا مقام الفائز بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذمامكم ، المترجي لعواطف قلوبكم و عوارف انعامكم [و] المقبل الارض تحت اقدامكم ، المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم ، وما [ذا] الذي يقول من وجهه خجل ، و فؤاده وجل ، و قضيته المقضية عن التنصل و الاعتذار نجل ، بيد اني اقول لكم ما اقوله لربي و اجترائي عليه اكثر ، و احترامي اليه اكبر : اللهم لا برئ فأعتذر و لا قوي فأنتصر ، لكني مستقيب ، مستتيل مستقبل [١] مستغفر و ما ابرئ نفسي ، ان النفس لأمارة بالسوء ، هذا على طريق التنزل و الانصاف [٢] بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف ، و اما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته الام ابنه الصديق : و الله اني لأعلم اني ان اقررت بما يقوله الناس و الله يعلم اني منه بريئة لأقول[٣] ما لم يكن ، و لئن انكرت ما تقولون و لا تصدقوني ، فأقول ما قاله ابو يوسف : صبر جميل و الله المستعان على ما تصفون ، على اني لا انكر عيوبي فأنا معدن العيوب ، و لا اجحذ ذنوبي فأنا جبل الذنوب ، الى الله اشكو عجري [٣]وبجري و سقطاتي و غلطاتي ، نعم كل شيئ و لا ما يقوله المتقول ، المشنع المهول ، الناطق بفم الشيطان المسول ، و من امثالهم ((سبني و اصدق ، و لا تفتر [٤] و لا تخلق)) ، أفمثلي كان يفعل امثالهم ، و يحتمل من الاوزار

---

[٢] نواه في الفقرة الاولى جمه نهى على غير قياس ، و نواه في الفقرة الثانية هو النوى بمعنى البعد مضافا الى الضمير العائد على النبي صلى الله عليه و سلم .

[٣] كذا في ب و نسخة عند أ في اصل ((رواقا))

[٤] في أ (دون بروق)

[١] في اصل أ (و الاتصاف)

[٢] في اصل أ (و الاتصاف)

[٣] في اصل أ ((لا اقول ما لم يكن)) و لا يصح معه المعنى ، و عدم اقتران المضارع المثبت الواقع جواب قسم مقترن بلامه وارد في الشعر .

[٣] في نسخة ((عجزي))

[٤] في نسخة ((و لا تغتر))

المضاعفة احمالها ؟و يهلك نفسه و يحبط اعمالها ، عياذاً بالله من خسران الدين ، و ايثار الجاحدين و المعتدين))[٥] ، قد ظللت اذا و ما انا من المهتدين ، و ايم الله لو علمت شعرة في مودي تميل الى تلك الجهة لقطعتها ، بل لقطفت [٦] ما تحت عمامتي من هامتي و قطعتها ، غير ان الرعاع في كل وقت و أوان ، للملك اعداء و عليه احزاب و اعوان ، كان احمق او اجهل من ابي ثروان ، او اعقل او اعلم من اشج[٧] بني مروان رب متهم برئ ، ومسربل بسربال وهو عنه عرى ، و في الاحاديث صحيح و سقيم ، ومن التراكيب المنطقية منتج و عقيم ، و لكن ثم ميزان عقل ، تعتبر به اوزان النقل ، و على الراجح الاعتماد ، ثم اشاعة الاحماد ، المتصل التماد ، و للمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح ، بعد النفض من الراح ، و اكثر ما تسمعه الكذب ، و طبع جمهور الخلق الا من عصمه الله تعالى اليه منجذب ، و لقد قذفنا من الاباطيل بأحجار ، و رمينا بما لا يرمى به الكفار ، فضلا عن الفجار ، و جرى من الامر المنقول على لسان زيد و عمرو ، ما لديكم منه حفظ الجار و اذا عظم الانكاء فعلى تكاءة التجلد الاتكاء ، اكثر المكثرون ، و جهد في تعثبرنا المعتبرون ، و رمونا عن قوس واحدة ، و نظمونا في سلالة الملاحدة ، اكفرا ايضا كفراً غفراً لهم ، اعد نظرا يا عبد قيس ، فليس الامر على ما خيل لك ليس ، على ان طلبنا حقنا مما رام محقه و محقنا ، فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائظين ، فأتفق علينا فتق لم يمكننا له رتق ، و ما كنا للغيب [١] حافظين ، و بعد فأسأل اهل الحل و العقد ، و التمييز و النقد ، فعند جهينتهم تلقى الخبر [٢] يقينا ، و قد رضينا بحكمهم يؤتمنا فيوبقنا او يبرئنا فيقينا ، ايه يا من اشرأب الى ملامنا ، و قدح حتى في اسلامنا ، رويدا رويدا ، فقد وجدت قوة و ايدا ، و يحك انما طال لسانك علينا ، و امتد بالسوء الينا ، لأن الزمان لنا مصغر ، و لك مكبر ، و الامر عليك مقبل و عنا مدبر ، كما قال كاتب الحجاج الموبر ، و على الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقاله جدلا ، و ذهبنا فأقررنا بالخطأ في كل ورد و صدر ، فلله در القائل :

---

[٥] في نسخة ((و المتمردين))

[٦] في نسخة ((لفظت)) و في اخرى ((لقطعت))

[٧] اشج بني مروان :هو عمر بن عبد العزيزي رضي الله عنه ، ووقع في أصل أ (أو اعلم او شجع من بني مروان))

[١] في اصل (و ما كنا عن الغيب حافظين)) و العبارة اقتباس من الاية ٨١ من سورة يوسف ، لا جرم كان ما في خطأ أ .

[٢] هذا من مثل وهو قولهم ((و عند جهينة الخبر اليقين))

* ان كنت اخطأت فما اخطأ القدر *

و كان بمتعسف [١] اذا وصل الى هنا و عدم انصافه يعلمه الهنا ، و قد أزور متجانفا ، ثم افتر متهانفا ، جعل يتمثل بقولهم : اذا عيروا فقالوا مقادير قدرت ، و بقولهم : المرء يعجزه المحال ، فيعارض الحق بالباطل ، و الحالي بالعاطل ، و منزع بقول القائل : رب مسمع هائل ، و ليس تحته [من] طائل ، و قد فرغنا اول امس من جوابه ، و تركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به[٢] ، و سلم الان بما يوسعه تسكينا و يقطعه تبكيتا ، فنقول له : ناشدناك الله تعالى ، هل اتفق لك قط و عرض ، خروج امر ما عن القصد منك فيه و الغرض ؟ مع اجتهادك اثناءه في اصدارك و ايرادك ، في وقوعه على وفق اقنراحك و مرادك ، او جميع ما تزاوله بأرادتك ، لا يقع الا مطابقا لأرادتك او كل ما تقصده و تنوية ، تجرزه كما تشاء و تحويه ؟ فلا بد ان يقر اضطرارا ، بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا ، بل كثيرا ما يفلت صيده من اشراكه ، و يطلبه فيعجز عن ادراكه ، فنقول : و مسألتنا من هذا القبيل ، ايها النبيه النبيل ، ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ما شينا [٣] مما يسايرنا في غرضنا منه و يماشينا ، كقوله صلى الله عليه و سلم ((كل شيئ بقضاء و قدر ، حتى العجز و الكيس)) وقوله ايضا ((لو اجتمع اهل السماوات و الارض على ان ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، و لو اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه ، او كما قال صلى الله عليه و سلم ، فأخلقبه يلوذ بأكناف الاحجام ، و يزم على نفثه [٤] فيه كانما الجم بلجام ، حينئذ نقول له و الحق قد ابان وجهه و جلاه ، و قهر بحجته و علاه ، ليس لك من الامر شئ قل ان الامر كله لله)) و في محاجة ادم و موسى مايقطع لسان الخصم و يرحض [٥] عن اثواب اعراضنا ما عسى ان يعلق بها من دون الوصم ، وكيفما كانت الحال ، وان ساء الرأي و الانتحال ، ووقعنا في اوجال و أوحال ، فثل عرشنا ، و طويت فرشنا ، و نكس لوانا ، و ملك مثوانا ، فنحن امثل من سوانا ، و في الشر خيار ، و يد اللطائف تكسر من صولة الاغيار ، فحتى الان لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ولا عدمنا ادوات ادعية تعطف بلا مهلة على جملتها المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفا ، و الا فتلك بغداد دار السلام و متبوأ الاسلام ، المحفوف بفرسان السيوف و الاقلام مثابة الخلافة العباسية ، و مقر العلماء و الفضلاء و اولى

---

[١] في نسخة ((بمتعسف))

[٢] في نسخة ((حزازة الجوى))

[٣] شينا : اصله شئنا ، فسهل الهمزة بقلبها ياء لسكونها و انكسار ما قبلها .

[٤] نفثه : اراد نفخة فمه

[٥] يرحض : يغسل و كذا هو في ب و نسخة عند أ ، و في اصل أ ((يرخص))

السير الاويسية [١] و العقول الاباسية [٢] ، و قد نوزلت بالجيوش و زوولت بالزحوف و زلزلت ، و تحيف جوانبها الحيف [٣] ، و دخلها كفار التتار [٤] عنوة بالسيف و لا تسل اذ ذاك عن كيفية [٥]ايام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها مبدية و جرت الدماء في الشوارع و الطرق كالأنهار و الاودية ، و قيد الائمة و القضاة تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم في رقابهم و الاردية ، و للنجيع سيول ، تخوضها الخيول ، فتخضبها الى ارساغها ، وتهم ظماؤها بوردها فتتكل عن تجرعها و مساغها ، فطاح عاصمها و مستعصمها و راح و لم يعد [٦] ظالمها و متظلمها ، و خربت مساجدها و ديارها و اصطلم بالحسام اشرارها و خيارها ، فلم يبق من جمهور اهلها غير تطرف ، حسبما عرفت او حسبما تعرف فلا تك متشككا متوقفا فحديث تلك الواقعة الشنعاء اشهر عند المؤرخين من قفا [٧] ، فأين تلك الجحافل ، و الاراء في المحافل ؟ حين اراد الله تعالى بأدالة الكفر ، لم تجد و لآقلامه ظفر ، اذن فمن سلمت [له] نفسه التي هي رأس ماله و عياله و اطفاله اللذان هما من اعظم اماله و كل اوجل او اقل رياشة ، و اسباب معاشه الكفيلة بأنتهاضه و انتعاشه ، ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص ، في حال ميسرة و سهلة دون تصعب و اعتياص ، بعد ما ظن كل الظن ان لا محيد و لا مناص ، فما احقه حينئذ و اولاه ، ان يحمد خالقه و رازقه و مولاه ، على ما اسداه اليه من رفدة و خيره ، ومعافاته مما ابتلى به كثير من غيره ، ويرضى بكل ايراد و اصدار ، تتصرف فيهما [٨] الاحكام الالهية و الاقدار ، فالدهر غدار ، والدنيا دار مشحونة بالأكدار ، و القضاء لا يرد و لا يصد ، و لا يغالب و لا يطالب ، و الدائرات تدور ، و لا بد من نقص و كمال للبدور ، والعبد مطيع لا مطاع ، و ليس يطاع الا المستطاع ، وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للأذهان عن مداه انقطاع .

و مالي و التكلف لما لا احتاج اليه من هذا القول ، بين يدي ذي الجلال و المجادة و الفضل و الطول ؟ فله من العقل الارجح ، و من الخلق الاسجح ، مالا تلتاط معه تهمتي بصفره و لا تنفق عنده وشاية الواشي لا عد من نفره ، ولا فاز قدحه بظفره ، و المولى يعلم ان الدنيا تلعب

---

[١] نسبة الى اويس .

[٢] نسبة الى اياس مضرب المثل في الزكانة و الفطنة

[٣] تحيف : انتقض ،و الحيف : الجور و الظلم .

[٤] في اصل أ ((دخلها كفر السترة)) تحريف

[٥] في ب و نسخة عند أ ((عن كيف ، ايام تجلت – الخ))

[٦] في نسخة ((و لم يعد)) و في اخرى ((ولم يفد))

[٧] اراد اشهر من ((قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)) معلقة امرئ القيس

[٨] في أ ((تتصرف بهما))

باللاعب ، و تجر براحتها الى المتاعب ، و قديما للأكياس من الناس خدعت [١] ، و انحرفت عن وصالهم اعقل [٢] ما كانوا و قطعت ، و فعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب [٣] [تلك] التي جبت و جدعت ، و لئن رهصت و هصرت ، فقد نبهت و بصرت ، و لئن قرعت [٤] و معضت ، ، لقد ارشدت ووعظت و ياويلنا من تنكرها لنا بمرة ، و رميها لنا في غمرة أي غمرة ، ايام قلبت لنا ظهر المجن ، و غيم افقها المصحى و ادجن ، فسرعان ما عاينا حبالها منبته ، و رأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغتة ، فمن استعاذ من شيئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور ، و انحطاط من النجد الى الغور .

فبينا نسوس الناس و الامر امرنا   اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتبا لدينا لا يدوم نعيمها   تقلب تارات بنا و تصرف [٥]

و ابيها لقد ارهقتها ارهاقا من صاب الاوصاب كأسا دهاقا ، و لم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب ، المنفتح حين سدت الابواب ، و لم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما البسنا الملك من الاثواب ، و الى امه يلجأ الطفل لجأ اللهفان ، و عند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان [٦] ، ووجه الله تعالى يبقى و كل من عليها فان ، و الى هنا ينتهي القائل ثم يقول حسبي هذا و كفان .

و لا ريب في اشتمال العلم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها في الحديث و القديم ، من الاخذ باليد عند زلة القدم ، و قرع الاسنان و عض البنان من الندم ، دينا تدينت [حتى] مع اختلاف الاديان ، و عادة اطردت [فيهم] على تعاقب الازمان و الاحيان .

و لقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خير فيها ، و اعطى من امانة المؤكد فيه خطه بايمانه ما يقنع النفوس و يكفيها ، فلم نر و نحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ، ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهراني الكفر ، ما وجدنا عن ذلك مندوحة و لو شاسعة ، و امنا من المطالب المشاغب حمة شر لنا لاسعة ، و ادكرنا أي ادكار ، قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار (ألم تكن ارض الله واسعة) وقول الرسول عليه الصلاة و السلام ، المبالغ في ذلك بأبلغ

---

[١] في نسخة عند أ ((حدعت)) و في اخرى ((جذعت)) و احسهما محرفتين عن ((جدعت)) او عما اثبتناه عن أ ، ب

[٢] في أ ((اغفل ما كانوا)) تحريف

[٣] يسار : عبد كان يتعرض لبنت مولاه فربطت استه زيتا و ربطنه قريبا من قرية النمل فأكل النمل انثييه

[٤] في اصل أ ((فزعت و معضت))

[٥] في أ ((فأف لدنيا .. نقلب تارات بها و تصرف))

[٦] في أ ((تمتاز السيوف في الاجفان من الاجفان)) و في نسخة عندها ((في الاجفان من الاجفان))

الكلام (و انا برئ من مؤمن مع كافر لا تترالى نارهما) وقول الشاعر الحاث على حث المطية ، المتثاقلة عن السير في طريق منجاتها البطية :

و ما أنا و التلدد نحو نجد و قد غصت تهامة بالرجال[١]

ووصلت ايضا من الشرق الينا ، كتب كريمة المقاصد لدينا ، تستدعي الانحياز الى تلك الجنبات ، و تتضمن ما لا يزيد عليه من الرغبات ، فلم نختر الا دارنا التي كانت دار ابائنا من قبلنا ولم نرتض الانضواء الا لمن بحبله و صل حبلنا ، و بريش نبله ريش نبلنا ، ادلالا على محل اخاء متوارث لا عن كلالة و امتثالا اوصاة اجداد لانظارهم و اقدارهم اصالة و جلالة ، اذ قد روينا عمن سلف من اسلافنا ، في الابصاء لمن يخلف بعدهم من اخلافنا ، ان لا يبتغوا اذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا ، و لا يجدوا عن طريقها في التوجه الى فريقها معدلا ، فأخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج ، و ركبنا الى البحر الفرات [٢] ظهر البحر الاجاج ، فلا غرو ان نرد منه على ما يقر العين ، و يشفى النفس الشاكية من ألم البين ، و من توصل هذا التوصل ، و توسل بمثل ذلك التوسل ، تطارحا على سدة اميرالمؤمنين ، المحارب للمحاربين ، و المؤمن للمستأمنين ، فهو الخليق الحقيق بأن يسوغ اصفى مشار به ، و يبلغ اوفى مأربه ، على توالي الايام و الشهور و السنين ، و يخلص من الثبور الى الحبور ، و يخرج من الظلمات الى النور ، خروج الجنين ، و لعل شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قبول اقباله تسرى الينا ، فتخامرنا اريحية تحملنا على ان نبادر ، لآنشاد قول الشريف الرضي في الخليفة القادر :

عطفا امير المؤمنين فأننا	في دوحة العليا لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت	ابدا، كلانا في المعالي معرق[٣]
الا الخلافة ميزتك ، فأنني	انا عاطل منها و انت مطوق

---

[١] في أ ب ((و ما انا و التلذذ نحو نجد)) بذالين معجمتين ، و ليس بذاك ، و التلدد بالمهملتين – التلبث في حيرة و تلفت .

[٢] البحر الفرات : العذب ، و اراد به الملك الذي نزل بساحته ، و البحر الاجاج : الملح ، وهو الذي ركب منه اليه .

[٣] في نسخة عند أ ((كلانا في المعالي مغرق)) بالغين المعجمة – و هو غير الثابت في ديوان الشريف و غير المحفوظ .

لا بل الاحرى بنا و الاحجى ، و الانجح لسعينا و الارجى ، ان نعدل عن هذا المنهاج ، و يقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج ، و ينشد ما قال في الشيرازي ابن الحجاج :

الناس يفدونك اضطرارا   منهم ، و افديك بأختياري
و بعضهم في جوار بعض   و أنت حتى اموت جاري
فعش لخبزي و عش لمائي   و عش لداري و اهل داري

و نستوهب من الوهاب تعالى جلت اسماؤه ، و تعاظمت نعماؤه ، و رحمة تجعل في يد الهداية اعنتنا ، و عصمة تكون في مواقف [١] المخاوف جنتنا ، و قبولا يعطف علينا نوافر القلوب ، و صنعا يسنى لنا [٢] كل مرغوب و مطلوب ، و نسأله و طالما بلغ السائل سؤلا و مأمولا ، متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ، ثم عزاء حسنا و صبرا جميلا ، عن ارض اورثها من شاء من عباده معقبا لهم و مديلا ، و سادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا ، سنة الله التي قد خلت من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا ، فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا ، كان ذلك في الكتاب مسطورا ، لم نستطع عن مورده صدورا ، وكان امر الله قدرا مقدورا ، الا و ان الله سبحانه في مقامكم العلي الذي ايده و اعانه ، سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل ، و ترجع فروع البشائر الصادقة ، بالفتوحات المتلاحقة ، من قاعدته المتأصلة الى اصل ، فبمثله يجب اللياذ ، و العياذ ، و لشبهه بحق الالتجاء ، و الارتجاء ، و لآمر ما اثرناه و اخترناه ، بعد ان استرشدنا الله سبحانه و استخرناه ، و منه جل جلاله نرغب ان يخير لنا و لجيمع المسلمين ، و يؤب [٣] بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع و جناب رفيع [٤] آمين آمين آمين ، و نرجو ان يكون ربنا ، الذي هو في جميع الامور حسبنا ، قد خار لنا حيث ارشدنا و خدانا ، و ساقنا توفيقه و هداما ، الى الاستجارة بملك حفي ، كريم وفي ، اعز جارا من ابي داود[٥] و احمى انفا من الحارث بن عباد [٦] ، يشهد بذلك الداني و القاصي و الحاضر و الباد ، ان اغاث ملهوفا فما الاسود بن قنان يذكر ،

---

[١] في اصل ((في المقام المخاوف)) و في نسخة عندها ((في مواقف الخزى و المخاوف))

[٢] يسنى لنا : بيسر و يسهل

[٣] في اصل أ ((ويؤوينا))

[٤] في اصل أ ((و جناب أمين))

[٥] ابو داود الايادي يضرب المثل بجاره ، لأنه حماه اعظم حماية

[٦] الحارث بن عباد : فارس النعامة ، اعتزل حرب البسوس ثم اقتحم اهوالها بعد ان قتل المهلهل ولده و قال : بوبشسع نعل كليب

و ان انعش حشاشة هالك فما كعب بن مامه على فعله وحده يشكر جليسه كجليس القعقاع بن شور ، و مذكراه كمذاكر سفيان المنتسب من الرباب [١] الى ثور الى التحلي بامهات الفضائل ، التي اضدادها امهات الرذائل ،و هي الثلاث الحكمة والعدل و العفة التي تشملها الثلاثة الاقوال و الافعال و الشمائل ، و ينشأ منها ما شئت من عزم و حزم ، وعلم و حلم و تيقظ ، و تحفظ ، و اتقاء ، و ارتقاء ، و صول ، وطول ، و سماح ونائل ، فبنور حلاه المشرق ، يفتخر المغرب على المشرق ، و بمحتده[٢] السامي خطره في الاخطار ، و بيته الذي ذكره في النباهة و النجابة قد طار ، يباهي جميع ملوك الجهات و الاقطار ، و كيف لا وهو الرفيع المنتمي و النجار [٣] ، الراضع من الطهارة صفو البان ن الناشئ من السراوة وسط احجار في ضئضئ [٤] المجد و بحبوح بحبوح الكرم ، و سراوة اسرة المملكة التي اكنافها حرم ، و ذؤابة الشرف التي مجاذبتها لم ترم ، من معشر أي معشر بخلوا ان وهبوا ما دون اعمارهم ، و جبنوا ان لم يحموا سوى ذمارهم ، بنومرين ، وما ادراك ما بنومرين :

سم العداة و افة الجزر النازلون بكل معترك[٥]

و الطيبون معاقد الارر

لهم من الهفوات انتفاء ، و عندهم من السير النبوية اكتفاء ، انتسبوا الى بر بن قيس ، فخرجوا في البر عن القيس ، ما لهم القديم المعروف ، قد نفد في سبيل المعروف ، و حديثهم الذي نقلته رجال الزحوف ، من طريق القنا و السيوف ، على الحسن من المقاصد موقوف ، تحمد من صغيرهم و كبيرهم ذابلهم و لدنهم ، فله اباء انجبوهم و امهات و لدنهم ، شم الانوف من الطراز الاول [٦] اليهم في الشدائد الاستناد و عليهم في الازمات المعول ، و لهم في الوفاء و الصفاء و الاحتفاء و العناية و الحماية و الرعاية الخطو الواسع و الباع الاطول ، كأنما عناهم بقوله جرول [٧] :

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا   و ان عاهدوا اوفوا و ان عقدوا شدوا

---

[١] في اصل أ ((المنتسب من الدباب))

[٢] في ب ((و بمجده السامي))

[٣] المنتمي : موضع الانتماء و الاتساب و النجار : الاصل

[٤] ضئضئ المجدا : أصله

[٥] هذه الاشطار الثلاثة من قصيدة للخرنق اخت طرفة بن العبد البكري ترثى فيها قومها و كانوا قتلوا يوم قلاب

[٦] عجز بيت لحسان بن ثابت الانصاري يمدح ابناء جفنه ملوك الشام

[٧] جرول : هو الحطيئة

و ان كانت النعماء فيهم جزؤا بها و ان انعموا لاكدرها و كدوا
و تعذلني ابناء سعد عليهم و ما قلت الا بالتي علمت سعد[1]

و بقول الوثيق مبناه البليغ معناه :

قوم اذ عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج و شدوا فوقه الكربا

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم ، و ليس لـه منهم غائب و لا واصم ، فهو احق بما قاله في منقر قيس بن عاصم :

لا يفطنون لعيب جارهم و هم لحفظ جوارهم فطن

حلاهم هذه الغريزة التي ليست بأستكراه و لا جعل ، و امير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذوا النعل بالنعل ، ثم هو عليهم و على من سواهم بالأوصاف الملوكية مستعل ، ارفض مزنهم منه من غيث ملث يمحو اثار اللزبة[2] ، و انشق غليهم منه عن ليث ضار متقبض[3] على براثنة اللوثبة ، فقل لسكان الفلا : لا تغرنكم اعدادكم و امدادكم فلا يبالي السرحان المواشي سواء مشى اليها النقري او الجفلي ، بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ، ثم يبتلع بعد اشلائهم المعفرة ابتلاع التنين ، فهو كما عرفوه ، و عهدوه والفوه اخو المنايا ، و ابن جلا و طلاع الثنايا [4] [4] ، مجتمع اشده ، قد احتنكت و بان رشده ، جاد مجد ، محتزم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد :

لا يشرب الماء الا من قليب دم و لا يبيت له جار على وجل
اسدى القلب ادمى الرواء لابس جلد النمر يزوي العناد و النواء
و ليس بشاري عليه دمامة اذا ما سعى يسعى بقوس و اسهم
و لكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين لـه طائعين ، و الوجل لاحقين بـه خاضعين قبل ان تساقوا اليـه مقرنين في الاصفاد ، و يعيا الفداء بنفائس النفوس و الاموال على الفاد ، حينئذ يعض ذو الجهل

---

[1] في نسخ ديوان الحطيئة ((و تذلي افناء سعد عليهم)).

[2] اللزبة : الشدة ، و القط و المجاعة .

[3] في نسخة ((منقبض)) .

[4] اخذ هذا وما بعده من قول سجيم :

انا ابن جلا و طلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني
اخو خمسين مجتمع اشدى و تجدني مادورة الشؤون

و الفدامة ، على يديه حسرة و ندامة ، اذا رأى ابطال الجنود ، تحت خوافق الرايات و البنود ، قد لفحتهم نار ليست بذات خمود ، و اخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد و ثمود ، زعقات تؤز الكتائب ازا ، و همزا محققا للخيل بعد المد المشبع للأعنة همزا ، و سلا للهندية سلا و هزا للخطية هزا ، حتى يقول النسر للذئب : هل تحس منهم من احدا او تسمع لهم ركزا، ثق خليفة الله بذاك ، في كل من رام اذى رعيتك او ذاك ، فتلك عادة الله سبحانة وتعالى في ذوى الشقاق و النفاق ، الذين يشقون عصا المسلمين ، و يقطعون طريق الرفاق ، وينصبون حبائل البغى و الفساد في جميع النواحي و الافاق ، فلن يجعلهم الله عز وجل من الامنين ، اني و كيف و قد افسوا و خانوا وهو سبحانة لا يصلح عمل المفسدين ، و لا يهدي كيد الخائنين ، وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس و التعظيم ، بعد ما زينا معاطفها باستعطافهم بدر ثناء ابهى من در العقد النظيم ، منتظمين من سلك اوليائكم ، متشرفين بخدمة عليائكم ، و لا فقد عزة و لا عدمها ، من قصد مثابكم [1] العزيزة و خدمها ، و ان مترامي على سنانكم ، لجدير بحرمتكم و اعتنائكم ، و كل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا ، عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا ، و قد قيل في بعض الكلام : من قعدت به نكاية الايام ، اقامته اغاثة الكرام ، و مولانا ايده الله تعالى و لى ما يزفة الينا من مكرمة بكر ، و يصنعه لنا من صنيع حافل يخلد في صحائف حسن الذكر ، و يروى معنعن حديث حمده و شكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر ، و غيره من ينام عن ذلك فيوقظ ، و يسترسل مع الغفلة حتى يذكر و يوعظ ، و ما عهد منذ وجد الا سريعا الى داعي الندى و التكرم ، بريئا من الضجر بالمطالبة و التبرم ، حافظا للجار الذي اوصى النبي صلى الله عيه و سلم بحفظه مستفرغا وسعة في رعية المستمر ولحظة ، اخذا من حسن الثناء في جميع الاوقات و الاناء بحظه :

فهو من دوحة السنا فرع عز ... ليس يحتاج مجتبيه لهز
كفه في الامحال اغزر وبل ... و ذراه في الخوف امنع حرز [2]
حلمه يسفر اسمه لك عنه ... فتفهم يا مدعي الفهم لغزي
لاتسله شيئا و لا تستتله ... نظر منه فيك تغني و تجزي [3]
فنداء هو الفرات الذي قد ... عام فيه الانام عوم الاوز
و حماه هو المنيع الذي تر ... جع عنه الخطوب مرجع عجز

---

[1] المثابة : المكان الذي يرجع اليه ، و اراد مستقره

[2] الامحال : جمع محل ، و هو الجدب

[3] تستتله : تطلب نواله ، و تجزي : اصله تجزئ – بالهمزة – فقلب الهمزة ياء لسكونها بالوقف و انكسار ما قبلها

فدعوا ذهنه يزاول قولي فهو ادرى بما تضمن رمزي

دام يحيى بكل صنع و من و يعافى من كل بؤس و رجز

و كأنا به قد عمل على شاكلة جلاله ، من مد ظلاله ، و تميد خلاله ، و تلقى ورودنا بحسن تهلله و استهلاله ، و تأنيسنا بجميل قبوله و اقباله ، و ايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله[1] و الله سبحانه يسعد مقامه العلي و يسعدنا به في حله و ترحاله ، و ما له و حاله ، ويؤيد جنده المظفر و يؤدينا بتأيده على نزال عدوه و استنزاله ، و هز الذوابل لأطفاء ذباله ، و هو سبحانه و تعالى المسؤول ان يريه قرة العين في نفسه و اهله و خدامه و امواله ، و انظاره و اعماله ، و كافة شؤنه و احواله ، واحق ما نصل بالسلام و اولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى ، ازكى الصلاة و السلام على خاتمة أنبيائه و ارساله ، سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و على جميع اصحابه و اله ، صلاة و سلاما ذائمين ابدا موصولين بدوام الابد و اتصاله ، ضامنين لمجددهما و مرددهما صلاح فساد عماله [2] ،و بلوغ غاية الامال ، و ذلك بمشيئة الله تعالى و اذنه و فضله و افضاله و انتهى .

---

[1] في اصل ((المترع بزلاله)) تحريف

[2] في اصل أ ((صلاح فاسد اعماله))

ملحق (٩)

فتوى الونشريسي بحق الاندلسيين الموريسكيين التي سميت :

(اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر) [١]

(احمد بن يحيى الونشريسي)

و كتب الّى الشيخ الفقيه المعظم الفاضل القدوة الصالح البقية ، و الجملة الفاضلة النقية ، العدل الارضى ابو عبد الله بن قطية ، ادام الله سموه و رقيه ، بما نصه :

الحمد لله وحده ، جوابكم يا سيدي رضي الله عنكم و متع المسلمين بحياتكم في نازلة ،وهي ان قوما من هؤلاء الاندلسيين الذي هاجروا من الاندلس و تركوا هناك الدور والارضيين و الجنات و الكرمات و غير ذلك من انواع الاصول و بذلوا على ذلك زيادة كثيرة من ناص المال ، و خرجوا من تحت حكم الملة الكافرة و زعموا انهم فروا الى الله سبحانه بأديانهم و انفسهم و اهليهم و ذرياتهم و ما بقي بأيديهم او ايدي بعهم من الاموال ، و استقروا بحمد الله سبحانه بدار الاسلام تحت طاعة الله و رسولة و حكم الذمة المسلمة ندموا على الهجرة بعد حصولهم بدار الاسلام و سخطوا و زعموا بأنهم وجدوا الحال عليهم ضيقة و انهم لم يجدوا بدار الأسلام التي هي دار المغرب هذه صانها الله و حرس اوطانها ونصر سلطانها بالنسبة الى التسبب في طلب انواع المعاش علىلجملة رفقاً و لا يسراً و لا مرتفقاً ، و لا الى التصرف في الاقطار امناً لائقاً ، و صرحوا في هذا المعنى بأنواع من قبيح الكلام الدال على ضعف دينهم و عدم صحة يقينهم في معتقدهم ، و ان هجرتهم لم تكن لله و رسوله كما(.......) كانت لدنياً يصبونها عاجلا عند وصولهم جارية على وفق اهوائهم (......) يجدوها وفق اغراضهم صرحوا بذم دار الاسلام و شأنه

---

[١] الونشيريسي : احمد بن يحيى ، المعيار المعرب و الجامع المقرب عن فتاوي علماء افريقية و الاندلس و المغرب ، اخرجه جماعة من الفقهاء ، بأشراف د. محمد مجي ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت – ١٤٠١هـ /١٩٨١م) ، مج ٢ ، ص١١٩–١٣٦ .

، و شتم الذي كان السبب لهم في هذه الهجرة و سبه ، و بمدح دار الكفر و اهله و الندم على مفارقته ، و ربما حفظ عن بعضهم انه قال على جهة الانكار للهجرة الى دار الاسلام التي هي هذا الوطن صانه الله :الى ها هنا يُ هاَجُر من هناك ، بل من هاهنا تجب الهجرة الى هناك ، و عن اخر منهم ايضا انه قال : ان جاء صاحب قشتالة الى هذه النواحي نسير اليه فنطلب منه ان يردنا الى هناك يعني دار الكفر ، و عن بعضهم ايضا انهم يرومون اعمال الحيلة في الرجوع الى دار الكفر معاودة للدخول تحت الذمة الكافرة كيف امكنهم ، فما الذي يلحقهم في ذلك من الاثم و نقص رتبة الدين و الجرحة ؟ و هل هم به مرتكبون المعصية التي كانوا فروا منها ان تمادوا على ذلك و لم يتوبوا و لم يرجعوا الى الله سبحانه منه ؟ و كيف من رجع منهم بعد الحصول على دار الاسلام الى دار الكفر و العياذ بالله ؟ هل يجب على من قامت عليه منهم بالتصريح بذلك او بمعناه شهادة ادب ؟ او لا حتى يتقدم اليهم فيه بالوعظ و الانذار ؟ فمن تاب الى الله سبحانه ، ترك ورجى له قبول التوبة ، و من تمادى عليه ادب او يعرض عنهم و يترك كل واحد منهم و ما اختاره ؟ فمن ثبته الله في دار الاسلام راضيا فله نيته و اجره على الله سبحانه ، و من اختار الرجوع الى دار الكفر و معاودة الذمة الكافرة فهو يذهب الى سخط الله ، و من ذم دار الاسلام منهم تصريحاً او معنى ترك و ما عول عليه ، بينوا لنا حكم الله تعالى في ذلك كله ، و هل من شرط الهجرة ان لايهاجر احد الى الا دنيا مضمونة يصيبها عاجلا عند وصوله جارية على وفق غرضة حيث حل بلداً من نواحي الاسلام ، او ليس ذلك بشرط ؟بل يجب عليهم الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام حلو او مر او وسع او ضيق او عسر او يسر بالنسبة الى احوال الدنيا ، وانما القصد بها سلامة الدين و الاهل و الولد مثلا ، و الخروج من حكم عيش او سعته و نحو ذلك من الاحوال الدنيوية ، بياناً شافياً مجرداً مشروحاً كافياً ، يأجركم الله سبحانه ، و السلام الكريم يعتمد مقامكم العلي و رحمة الله تعالى و بركاته .

فأجبه بما هذا نصه :

الحمد لله تعالى وحده ، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد ، بعده :

الجواب عما سألتم عنه ، و الله سبحانه و لي التوفيق ، بفضله ، ان الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فريضة اليوم القيامة ، و كذلك الهجرة من ارض الحرام و الباطل بظلم او فتنة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شف الجبال و مواقع القطر يفر بدينه من الفتن . اخرجه البخاري و الموطأ و ابو داود و النسائي .

وقد روى اشهب عن مالك : لا يقيم احد في موضع يعمل فيه بغير الحق . قال في العارضة :فأن قيل فاذا لم يوجد بلد الاكذلك ؟ قلنا يختار المرء اقلها اثماً ، مثل ان يكون بلد فيه

كبر وبلد فيه جور خير منه ، او بلد فيه عدل و حرام و بلد فيه جور و حلال خير منه للمقام ، او بلد فيه معاص لحقوق الله فهو اولى من بلد فيه معاص من مظالم العباد . و هذا الانموذج دليل على ما رواه . و قد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلان بالمدينة و فلان بمكة و فلان باليمن و فلان بالعراق و فلان بالشام امتلأت الارض و الله جورا و ظلماً انتهى . و لايسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنة الله على معاقلهم و بلادهم الا تصور العجز عنها بكل وجه و حال ، لا الوطن و المال فأن ذلك كله ملغي في نظر الشرع قال الله تعالى : الا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم و كان الله عفوا غفورا . فهذا الاستضعاف المعفو اتصف به غير الاستضعاف المعتذر به اول الاية و صدرها وهو قول الظالمي انفسهم كنا مستضعفين في الارض ، فان الله تعالى لم يقبل قولهم في الاعتذار به ، فدل على انهم كانوا قادرين على الهجرة من وجه ما ، و عفى عن الاستضعاف الذي لا يستطاع معه حيلة و لا يهتدى به سبيل لقوله فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم ، و عسى من الله واجبة . فالمستضعف المعاقب في صدر الاية هو القادر من وجه و المستضعف المعفو عنه في عجزها هو العاجز من كل وجه ، فاذا عجز المبتلى بهذه الاقامة عن الفرار بدينه و لم يستطع سبيلا اليه ولا ظهرت له حيلة و لا قدر عليها بوجه و لا حال اوكان بمثابة المقعد او المأسور او كان مريضاً جدا او ضعيفاً جداً فحينئذ يرجى له العفو و يصير بمثابة المكره على التلفظ بالكفر ، و مع هذا لا بد ان تكون له نية قائمة انه لو قدر و تمكن لهاجر و عزم صادق مستصحب انه ان ظفر بمكنه و قتاً ما فيها هاجر و اما المستطيع بأي وجه كان و بأي حيلة تمكنت فهو غير معذور و ظالم لنفسه ان قام حسبما تضمنته الايات و الاحاديث الواردة قال الله تعالى : ((يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي و عدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة و قد كفروا بما جاءكم من الحق الى قوله و من يفعله منكم فقد ظل سواء السبيل)) .

و قال الله تعالى :يا أيها الذين امنوا لا تتذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون . و قال تعالى : لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيئ الا ان تتقوا منهم تقاه و يحذركم الله نفسه و الى الله المصير . قال تعالى : و لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار و مالكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون ، و قال تعالى : بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فأن العزة لله جميعا الى قوله : و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، و قال تعالى :

يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون لتجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا .

و قال تعالى : يا ايها الذين امنوا لا تخذوا اليهود و النصارى اولياء بعضهم اولياء بعض و من يتولهم منكم فأنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين . و قال تعالى : يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا و لعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم و الكفار اولياء و اتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزؤا و لعبا و ذلك بأنهم قوم لايعقلون . و قال تعالى : انما وليكم الله و رسوله و الذين تمنوا و الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون و من يتول الله و الذين امنوا فأن حزب الله هم الغالبون .

و قال تعالى : ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأويهم جهنم و ساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم و كان الله عفوا غفورا و قال تعالى : ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبيس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون و لو كانوا يؤمنون بالله و النبئ و ما انزل اليه ما تخذوهم اولياء و لكن كثيرا منهم فاسقون و الظالمون انفسهم في هذه الاية السابقة انما هم تاركون للهجرة مع القدرة عليها حسبما تضمنه قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها . فظلمهم انفسهم انما كان بتركها وهي الاقامة مع الكفار و تكثير سوادهم و قوله توفاهم الملائكة فيه التنبيه على ان الموبخ على ذلك و المعاقب عليه انما هو مات مصرا على هذه الاقامة ، و اما من تاب عن ذلك و هاجر و ادركه الموت و لو بالطريق فتوفاه الملك خارجا عنهم فيرجى قبول توبته و ان لايموت ظالما لنفسه ، و يدل على ذلك ايضا قوله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله الى قوله و كان الله غفورا رحيما)).

فهذه الايات القرانية كلها او اكثرها ما سوى قوله ترى كثيرا منهم الى اخر نصوص في تحريم الموالاة الكفرانية . و اما قوله تعالى : يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى اولياء بعض و من يتولهم منكم فأنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ، فما ابقت متعلقا الى التطرق لهذا التحريم . و كذا قوله تعالى :يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا و لعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم و الكفار اولياء و اتقوا الله ان كنتم مؤمنين .

و تكرار الايات في هذا المعنى و جربها على نسق وتيرة واحدة مؤكد للتحريم و رافع للأحتمال المتطرق اليه ، فأن المعنى اذا نص عليه واكد بالتكرار فقد ارتفع الاحتمال لا شك ، فتتعاضد هذه النصوص القرانية و الاحاديث النبوية و الاجماعات القطعية على هذا النبي ، فلا

تجد في تحريم هذه الاقامة و هذه الموالاة الكفرانية مخالفاً من اهل القبلة المتمسكين بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بيد يده و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهو تحريم مقطوع به من الدين كتحريم الميته و الدم و لحم الخنزير و قتل النفس بغير حق و اخواه من الكليات الخمس التي اطبق ارباب الملل و الاديان على تحريمها ، و من الف الان في ذلك أو رام الخلاف من المقيمين معهم و الراكنين اليهم فجوز هذه الاقامة و استخف امرها و استسهل حكمها فهو مارق من الدين و مفارق لجماعة المسلمين و محجوج بما لا يدفع فيه لمسلم و مسبوق بالأجماع الذي لا سبيل الى مخالفته و خرق سبيله .

قال زعيم الفقهاء القاضي ابو الوليد بن رشد رحمة الله في اول كتاب التجارة الى ارض الحرب من مقدماته : فرض الهجرة غير ساقط ، بل الهجرة باقية لازمة الى يوم القيامة ، واجب بأجماع المسلمين على من اسلم بدار الحرب ان لا يقيم بها حيث تجرى عليه احكام المشركين ، و ان يهجرها و يلحق بدار المسلمين حيث تجري عليه احكامهم . قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : انا برئ من كل مسلم مقيم مع المشركين ، الا ان هذه الهجرة لا يحرم على المهاجر بها الرجوع الى وطنة و ان عاد دار ايمان و اسلام كما حرم على المهاجرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم الرجوع الى مكة الذي اذخره الله لهم من الفضل في ذلك . قال : فاذا وجب بالكتاب و السنة و اجماع الامة على من اسلم بدار الحرب ان يهجره و يلحق بدار المسلمين و لا يثوي بين المشركين و يقيم بين اظهرهم ليلا تجري عليه احكتمهم ، فكيف يباح لأحد الدخول الى بلادهم حيث تجري عليه احكامهم في تجارة او غيرها ؟ و قد كره مالك رحمه الله ان يسكن احد ببلد يسب فيه السلف ، فكيف ببلد يكفر فيه بالرحمان ، و تعبد من دونه الاوثان ، لا تستقر نفس احد على هذا الا مسلم مريض الايمان . انتهى .

فأن قلت : المستفاد من كلام صاحب القدمات و غيره من الفقهاء المتقدمين صورة طرو الاسلام على الاقامة بين اظهر الشمركين ،و الصورة المسؤول عنها هي صورة طرو الاقامة على اصالة الاسلام . و بين الصورتين بون بعيد فلا يحسن الاستدلال به على الصورة المسؤول الان عن حكمها .

قلت :تفقه المتقدمين انما كان في تارك الهجرة مطلقاً . و مثلوا ذلك بصورة من صوره وهو من اسلم في دار الحرب و اقام ، و هذه المسؤول عنها ايضا صورة ثانية من صوره لا تخالف الاولى الممثل بها الا في طرو الاقامة خاصة ، فالصورة الاولى لممثل بها عندهم طرأ الاسلام فيها على الاقامة ، و الصورة الثانية الملحقة بها طرأت الاقامة فيها على الاسلام . و اختلاف الطرو فرق صوري وهو غير معتبر في استدعاء قصر الحكم عليه و انتهائه اليه ، و انما خص من تقدم

من ائمة الهدى المقتدى بهم الكلام بصورة من اسلم و لم يهاجر ، لأن هذه الموالاة الشركية كانت مفقودة في صدر الاسلام و في غرته ، و لم تحدث على ما قيل الا بعد مضي مئات من السنين ، وبعد انقراض ايمة الامصار المجتهدين فلذلك لا شك لم يتعرض لأحكامها الفقهية احد منهم ، ثم لما نبغت هذه المرة الموالاة النصرانية في المائة الخامسة و ما بعدها من تاريخ الهجرة وقت استيلاء ملاعين النصارى دمرهم الله على جزيرة صقلية و بعض كور الاندلس . سئل عنها بعض الفقهاء و استفهموا عن الاحكام الفقهية المتعبقة بمرتكبها . فأجاب : بأن احكامها جارية على احكام من اسلم و لم يهاجر ، و الحقوا هؤلاء المسئول عنهم و المكسوت عن حكمهم بهم و سووا بين الطائفتين في الاحكام الفقهية المتعبقة بأموالهم و اولادهم و لم يروا فيها فرقاً بين الفريقين ، و ذلك لأنهما في موالاة الاعداد و مساكنتهم و مداخلتهم و ملابستهم و عدم مباينتهم و ترك الهجرة الواجبة عليهم و الفرار منهم و سائر الاسباب الموجبة لهذه الاحكام المسكوت عنها في الصورة المسئول عن فرضها بمثابة واحدة ،فألحقوا رضي الله عنهم الاحكام المسكوت عنهم بالأحكام المتفقة فيها في اولئك ، فصار اجتهاد المتأخرين في هذا مجرد الحاق المسكوت عنه بمنطوق به مساو له في المعنى من كل وجه ، وهو منهم رضي الله عنهم عدل من النظر و احتياط في الاجتهاد و ركون الى الوقوف مع من تقدم من أيمة الهدى المقتدى بهم ، فكان غاية في الحسن و الزين .

و اما الاحتاج على تحريم هذا الاقامة من السنة فما خرجه الترمذي ان النبي صلى الله عليه و سلم بعث سرية الى خثعم فأعتصم ناس بالسجود فأسرع فيهم القتل و بلغ ذلك النبي صلى الله عليه و سلم فأمر لهم بنصف العقل و قال انا برئ من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين قالوا يا رسول الله و لم قال لا تتراءى ناراهما و في الباب ان النبي صلى الله عليه و سلم قال لا تساكنوا المشركين و لا تجاعوهم فمن ساكنهم او جامعهم فهو منهم . و التنصيص في هذين الحديثين على المقصود بحيث لا يخفى على احد ممن له نظر سليم ، و ترجيح مستقيم ، و قد ثبتا في الحسان من المصنفات الستة التي تدور على رحى الاسلام . قالوا و لا معارض لها لا ناسخ ولا مخصص و لا غيرهما ، و مقتضاهما لا مخالف لهما من المسلمين و ذلك كاف في الاحتجاج بهما . هذا مع اعتضادهما بنصوص الكتاب و قواعد الشرع و شهادتهما لهما ، و في سنن ابي داوود من حديث معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لا تنقطع الهجرة حتر تنقطع التوبة و لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها . و فيه حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة لا هرة بعد الفتح و لكن جهاد و نية و ان استنفرتن فأنفروا . و قال ابو سليمان الخطابي : كانت الهجرة في اول الاسلام مندوبا الها غير مفروضة و ذلك

قوله سبحانه و تعالى : و من يهار في سيل الله يجد في الارض مراغماً كثيرة و سعة . نزل حين اشتد اذى المشركين على المسلمين بمكةثم وجبت الهجرة على المسلمين عند خروج النبي صلى الله عليه و سلم الى المدينة ، و امروا بالأنتقال الى حضرته ليكونوا معه فيتعاونوا و يتظاهروا ان حزبهم امر و ليتعلموا امر دينهم و لتفقهوا فيه ، و كان عظم الخوف في ذلك الزمان من قريش و هم اهل مكة ، فلما فتحت مكة و بخعت بالطاعة زال ذلك المعنى و ارتفع وجوب الهجرة و عاد الامر فيها الى الندب و الاستحباب ، فهما هجرتان فالمنطقة منها هي الفرض ، و الباقية هي الندب ، فهذا وجه الجمع بين الحديثين على ان بين الاسنادين ما بينهما : اسناد حديث ابن عباس متصل صحيح و اسناد معاوية فيه مقال . انتهى .

قلت : هذان الهجرتان اللتان تضمنهما حديث معاوية و حديث ابن عباس هما الهجرتان للتان انقطع فرضهما بفتح مكة فالهجرة الاولى من الخوف على الدينو النفس كهجرة النبي صلى الله عليه و سلم و اصحابه المكيين فأنها كانت عليه فريضة لا يجزئ ايمان دونها ،و الثانية هجرة الى النبي صلى الله عليه و سلم في داره التي استقر فيها فقد بايع من قصده على الهجرة و بايع اخرين على الاسلام ، و اما الهجرة م ارض الكفر فهي فريضة الى يوم القيامة .

قال ابن العربي في الاحكام : الذهاب في الارض ينقسم الى ستة اقسام :

الاول : الهجرة و هي الخروج من دار الحرب دار الاسلام ، و كانت فرضا في ابان النبي عليه السلام و هذه الهجرة باقية مفروضة الى يوم القيامة و التي انقطعت بالفتح هي القصد الى ان النبي صلى الله عليه و سلم حيث كان ، فأن بقي في دار الحرب عصى و يختلف في حاله ، انظر بقية اقسام الهجرة فيها . و قال فيالعارضة : ان الله حرم اولا على المسلمين ان يقيموا بين اظهر المشركين بمكة ، و افترض عليهم ان يلحقوا بالنبي بالمدينة ، فلما فتح الله مكة سقطت الهجرة و بقي تحريم المقام بين اظهر المشركين و هؤلاء الذين اعتصموا بالسجود و لم يكونوا اسلموا و اقاموا مع المشركين ، انما كان اعتصامهم في الحال . نعم انه لا يحل قتل من بادر الى الاسلام اذا رأى السيف على رأسه بأجماع من الايمة و لكن قتلوا لأحد معين اما لأن السجود لا يعصم و انما يعصم الايمان بالشهادتين لفظاً ،واما لأن الذين قتلوهم لم يكونوا يعلمون ان ذلك يعصمهم و هذا هو الصحيح ، فأن بني جذمة لما اسرع فيهم خالد القتل قالو صبأنا و لم يحسنوا ان يقولوا اسلمنا فقتلهم ، فوداهم النبي صلى الله عليه و سلم لخطأ خالد ، و خطأ الامام و عامله في بيت المال .

قال و هذا يدل على انه ليس بشرط الاسلام قول لا اله تلا الله محمد رسول الله على التعيين ، و انما وداهم نصف العقل على معنى الصلح و المصلحة كما ودى اهل جذيمة بمثلي

ذلك على ما اقتضته حال كل واحد في قوله . و قد اختلف الناس فبمن اسلم و بقي بدار الحرب فقتل او سبى اهله و ماله فقال مالك حقن دمه و ماله لمن اخذه حتى يجوزه بدار الاسلام ، و قيل عنه انه يجوز اله و اهله و به قال الشافعي ، و المسألة محققة في نسائل الخلاف مبنية على ان الحربي هل يملك ملكاً صحيحاً ام لا ؟ و أن العاصم هل هو الاسلام ام الدار ؟ فمن ذهب الى انه يملك ملكاً صحيحاً تمسك بقوله عليه السلام هل ترك لنا عقيل من دار ، و بقوله صلى الله عليه و سلم : امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم و اموالهم الا بحقها . فسوى بين الدماء و الاموال و اضافها اليهم ، و الاضافة تقتضي التمليك ، ثم اخبر عمن اسلم منهم انه معصوم ، و ذلك يقتضى ان لا يكون لأحد عليه سبيل و تمسك ايضا من اتبعه ماله بقوله صلى الله عليه و سلم : من اسلم على شيئ فهو له ، و بقوله صلى الله عليه و سلم : لا خل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه . و اما مالك و ابو حنيفة و من قال بقولهما فعندهم ان العاصم انا هو الدار ، فما لم يجر المسلم ماله وولده بدار الاسلام ، و الا فما اصيب من ذلك بدار الكفر فهو فئ للمسلمين ، و كأن الكفار عندهم لا يملكون ، بل اموالهم و اولادهم حلال لمن يقدر عليها من المسلمين كدمائهم ، فمن اسلم منهم و لم يحز مالا ولا ولدا بدار الاسلام فكأنه لامال له ولا ولد ، و كأن اليد للكفار كما ان الدار لهم و ليست يد صاحبه الاسلامي يداً اذا كان بين اظهرهم .

و قال ابن العربي ايضاً : العاصم لدم المسلم والاسلام ، و الماله الدار ، قال الشافعي : العاصم لهما جميعاً هو الاسلام . و قال ابو حنيفة العاصم المقوم لهما هو الدار و الموثم هو الاسلام ، و تفسير ذلك ان من اسلم و لم يهاجر حتى قتل فأنه تجب فيه الكفارة عنده دون الدية و القود ، و لو هاجر لوجبت الكفارة و الدية على عاقلته ، قيل فعلى هذا دمه محقون عند مالك و الشافعي ، و قتله خطأ و لا دية فيه عند ابي حنيفة و انما فيه الكفارة خاصة ، وهو الظاهر من قول المفسرين و احتجوا في ذلك بقوله تعالى : و الذين امنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيئ حتى يهاجروا و بقوله تعالى :فاذا كان من قوم عدو لكم وه مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة و لم يذكر دية :قالوا و المراد بهذا المؤمن انما هو المسلم الذي لم يهاجر ، لأنه مؤمن في قوم اعداء فهو منهم لقوله تعالى : و من يتولهم منكم فهو مؤمن من قوم عدو ، فلما ذكر الدية في اول الاية في المؤمن المطلق و في اخرها في المؤمن الذي قومه تحت عهدنا و ميثاقنا وهو الذميون و سكت عنها في هذا المؤمن الذي بين الاعداء ، دل على سقوطها ، و انه انما اوجب فيه الكفارة خاصة ، هذا حكم دمه .

قال ابن العربي :و هذه المسألة خراسانية عظماً لم تبلغها المالكية و لا عرفتها الايمة العراقية ، فكيف بالمقلدة الغربية ؟ احتج اصحاب ابي حنيفة علىان العاصم الدار بأن التحرز و الاعتصام و الامتناع انما يكون بالحصون و القلاع ، و ان الكافر اذا صار في دارنا عصم دمه و ماله فصار كالمال اذا كان مطروحاً على الطريق و لم يلزم فيه قطع ، و اذا حوز بحوزة كان مضمونا بالقطع و احتج الشافعي بقول النبي صلى الله عليه و سلم : امرت ان اقاتل الناس ، الحديث فنصر على ان العصمة للنفس و المال انما تكون بكلمة الاسلام .ولو ان مسلماً دخل الى دار الحرب فأنه معصوم الدم و المال و الدار معدومة . و أما قول اصحابنا ان الاسلام عاصم النفس دون المال و الولد ، و قول اصحاب ابي حنيفة ان التحرز و التعصم يكون بالقلاع فكلام فاسد ، لأنه تعلق بالعصمة الحسية التي يكتسبها الكافر و المحارب و لايعتبرها الشرع ، و انما الكلام على ما يعتبره الشرع . الا ترى ان المحارب من المسلمين و الكافر يتحصنان بالقلاع و دمهما و اموالهما مباحان ، احدهما على الاطلاق ، و الثاني بشرط ان يستمر و لا يقلع و يتمادى و يتمنع ، و لكن المال انما يمنعه احراز صاحبه له بكونه معه في حرز .

قلت : بقول الشافعي : قال اشهب و سحنون ،و هو اختيار ابي بكر بن العربي حسبما تضمنه كلامه الان و يقول مالك قال ابو حنيفة و اصبغ بن الفرج ، و اختاره ابن رشد وهو المشهور عن مالك رحمه الله و منشأ الخلاف ما مر تقريره ، واجرى الفقيه القاضي الشهير ابو عبد الله بن الحاج ة غيره من المتأخرين مال هذا المسلم المسئول عنه المقيم بدار الحرب و لم يبرح عنها بعد استيلاء الطاغية عليها على هذا الخلاف المتقدم بين علماء الامصار في مال من اسلم و اقام بدار الحرب ، ثم فرق ابن الحاج بعد الالحاق و التسوية في هذه الاحكام الملحقة بأن مال من أسلم كان مباحاً قبل اسلامه ، و بخلاف مال المسلم ، لأن يده لم تزل و لا تقدم له في وقت ما كفر يبيح ماله وولده يوماً للمسلمين ، فليس لأحد عليهما من سبيل وهو راجح من القول وواضح من الاستدلال و النظر ، و ظاهر عند التأمل لمنشأ الخلاف الذي تقدم بيانه على ما لا يخفى .

و يعتضد هذا الفرق بنص اخر مسألة من سماع يحيى من كتاب الجهاد و لفظة : و سألته عمن تخلف من اهل برشلونة من المسلمين عن الارتحال عنهم بعد السنة التي اجلت لهم يوم فتحت في ارتحالهم فأغار على المسلمين تعوذاً مما يخاف من القتل ان ظفر به ، فقال ما اراه الا بمنزلة المحارب لذي يتلصص بدار الاسلام من المسلمين ، و ذلك انه مقيم على دين الاسلام ، فأن اصيب فأمره الى الامام يحكم فيه بمثل ما يحكم في اهل الفساد و الحرابة . و اما ما له فلا اراه يحل لأحد اصابه انتهى محل الحاجة منه . ابن رشد : قوله انهم في غارتهم على المسلمين بمنزلة المحاربين صحيح لا اختلاف فيه ، لأن المسلم اذا حارب فسواء كانت حرابته في بلد

الاسلام او في بلد الكفر الحكم فيه سواء . و اما قوله في ماله انه لا يحل لأحد اصابة فهو خلاف ظاهر قول مالك في المدونة في الذي يسلم في دار الحرب ثم يغزو المسلمون تلك الدار فيصيبون اهله و ماله ان ذلك كله فيئ اذا لم يفرق فيها بين ان يكون الجيش غنم ماله وولده قبل خروجه او بعد خروجه .

قلت : فظاهر كلام ابن رشد هذا يؤذن بترجيح خلاف ما رجحه معاصرة و بلدية القاضي ابو عبد الله بن الحاج في مال هؤلاء المسؤول عنهم و اولادهم فتأمله ، و قال بعض المحققين من الشيوخ يظهر ان الاحكام الملحقة بهم في الانفس و الاولاد و الاموال جارية على المقيمين مع النصارى الحربيين على حسب ما تقرر من الخلاف و تمهد من الترجيح ، ثم ان حاربونا مع اوليائهم ترجحت حينئذ استباحه دمائهم ، و ان اعانوهم بالمال على قتالنا ترجحت استباحة اموالهم ، و قد يرجح سبي ذراريهم للأستخلاص من ايديهم و انشل\ائهم بين اظهر المسلمين امنين من الفتنة في الدين ، معصومين من معصية ترك الهجرة .

و ما ذكر في السؤال من حصول الندم و التسخط لبعض المهاجرين من دار الحربين الى دار المسلمين لما زعموه من ضيق المعاش و عدم الانتعاش زعم فاسد ، و توهم كاسد ، في نظر الشريعة الغراء ن فلا يتوهم هذا المعنى و يعتبره و يجعله نصب عينية الا ضعيف اليقين ، بل عديم العقل و لدين ، و كيف يتخيل هذا المعنى يدلى يه حجة في اسقاط الهجرة من دار الحرب ، و في بلاد الاسلام اعلى الله كلمته مجال رحب للقوى و الضعيف ،و الثقيل و الخفيف ، و قد وسع الله البلاد فيستجير بها من اصابته هذه الصدمة الكفرانية و الصاعقة النصرانية ، في الدين و الاهل و الاولاد فقد هاجر من جلة الصحابة و اكابرهم رضوان الله عليهم الى ارض الحبشة فراراً بدينهم من اذى المشركين اهل مكة جماعة عظيمة ، ورفقة كريمة ، منهم جعفر بن ابي طالب ، و ابو مسلمة بن عبد الاسد ،و عثمان بن عفان ، و ابو عبيدة بن الجراح ، و حال ارض الحبشة ما قد علم . و هاجر اخرون الى غيرها و هاجروا اوطانهم و اموالهم و اولادهم و اباءهم و نبذوهم و قاتلوهم و حاربوهم تمسكاً منهم بدينهم و رفضاً لدنياهم .

فكيف بعرض من اعراضها [1] لا يخل تركه يتكسب بين اظهر المسلمين و لا يؤثر رفضه في متسعالمسترزقين ، و لا سيما بهذا القطر الديني المغربي صانه الله و زاده عزاً و شرفاً ، ووقا من الاغيار و الاكدار وسطاً و طرفاً ، فأنه من اصب ارض الله ارضاً ، و اشيعها بلادا طولاو عرضاً ،و خصوصاً حاضرة فاس وانظارها ، و نواحيها من كل الجهات و اقطارها و لئن سلم هذا الوهم ، وعدم صاحبه و العياذ بالله العقل لراجح و الرأي الناجح و الفهم ن فقد أقام علماً

---

[1] في نسخة : بغرض من اغراضها .

و برهاناً علـى نفسـه الخسيسـة الرذلـة بتـرجيح غـرض دنيـاوي حطـامي محتقـر ، علـى عمـل دينـي اخروي مدخر ، و بئست هذه المفاضلة و الارجحية و خاب و خسر من اثرها ووقع فيها ، اما علم المغبـون فـي صـفقته النـادم علـى هجرتـه ، مـن دار يـدعى فيهـا التثليـث و تضـرب فيهـا النـواقيس و يعبد فيها الشيطان و يكفر بالرحمان ، ان ليس للأنسان الا دينـه ، ادبـه نجاتـه الابديـة و سـعادته و الاخروية ، و عليه يبذل نفسه النفيسة فضلاً عن جلة مالـه ، قال الله تعالى : يا أيها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم و لا اولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . و قال تعالى : انما اموالكم و اولادكم فتنة و الله عنده اجر عظيم . و اعظم فوائد المال واجلها عند العقلاء انفاقه في سبيل الله و ابتغاء مرضاته ، و طيف يقتحم بالتشبث و يترامى و يتطارح او يتاسرع من اجلـه الى موالاة العداة ، و قد قال تعالى : فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصبنا دائرة ... الخ . و الدائرة في هذه النازلة قوات التمسك بعقار المال ، فوصف بمرض القلب و ضعف اليقين و لو كان قوي الدين صحيح اليقين واثقاً بالله تعالى معتمدا عليه و مسندا ظهره اليـه لمـا اهمل قاعدة التوكل علـى علو رتبتهـا و نمـو ثمرتهـا و شـهادتها بصـحة الايمـان و رسـوخ اليقين .

و اذا تقررهذا فلا رخصة لأحد مما ذكرت في الرجوع و لا في عدم الهجرة بوجه و لا حال ، و انـه لا يعـذر مهمـا توصـل الـى ذلـك بمشـقة فادحـة اوحيـاة دقيقـة ، بـل مهمـا وجـد سـبيلا الـى التخلص من ربقة الكفر ، و حيث لا يجد عشيرة تذب عنه و حماة يحمون عليه و رضي بالمقام بمكان فيه الضيم على الدين و المنع من اظهار شعائر المسلمسن ، فهو مارق من الدين منخرط في سلك الملحدين . و الواجب الفرار من دار غلب عليها اهل الشرك و الخسران الى دار الامن و الامـان . و لـذلك قوبلـوا فـي الجـواب عنـد الاعتـذار بقولـه : ألـم تكـن ارض الله واسـعة .. الـخ . أي حيما توجه المهاجر و ان كان ضعيفا فأنـه يجد الارض واسعة متصلة فلا عذر بوجه المستطيع و ان كـان بمشـقة فـي العمـل او فـي الحيلـة او فـي اكتسـاب الـرزق او ضـيق المعيشـة الا المستضـعف العـاجز رأسـا الـذي لا يسـتطيع حيلـة و لا يهتـدي سـبيلا . و مـن بـادر الـى الفـرار ، و سـارع فـي الانتقال من درا البوار الى دار الابرار فذلك امارة ظارة في الحال العاجلة لما يصير الهي حالـه في الاجلـة ، لأن ن يسـر لـه العمـل الصـالح كـان مـأمولا لـه الظفـر و الفـوز ، و مـت تيسـر لـع الهمـل الخبيث كان مخوفاً عليه الهلاك و الخسران ، جعلنا الله و اياكم ممن يسر لليسرى و انتفع بالذكر .

و ما ذكرت عن هؤلاء المهاجرين من قبيح الكلام و سبب دار الاسلام و تمنى الرجوع الى دار الشرك و الاصنام ، و غير ذلك من الفواحش المنكرة التي لا تصدر الا من اللئام ، يوجب لهم خـزي الـدنيا و الاخـرة و ينـزلهم أسـوأ المنـازل . و الواجـب علـى مـن مكنـه الله فـي الارض و يسـره

لليسرى ايقبض على هؤلاء و ان يرهقهم العقوبة الشديدة و التنكيل لامبرح ضرباً و سجناً حتى لا ياعدوا حدود الله ، لأن فتنة هؤلاء اشد ضرراً من فتنة الجوع و الخوف و النهب الانفس و الاموال . و ذلك ان من هلك هنالك فألى رحمة الله تعالى و كريم عفوه ، و من هلك دينه فألى لعنة الله و عظيم سخطة ، فأن محبة الموالاة الشركية و المساكنة النصرانية و العزم على رفض الهجرة و الركون الى الكفار و الرضى بدفع الجزية اليهم و نبذ العزة الاسلامية و الطاعة الامامية و البيعة السلطانية ، و ظهور السلطان النصراني عليها و اذلاله اياها فواحش عظيمة مهلكة قاصمة للظهر يكاد ان تكون كفرا و العياذ بالله ، و اما جرحه المقيم بعد الهجرة و المتمني الرجوع و تأخيره عن المراتب الكمالية الدينية من قضاء و شهادة و امامة فمما لا فاء فيه و لا امتراء ممن له ادني مسكة من الفروع الاجتهادية و المسائل الفقهية . و كما لا تقبل شهادتكم كذلك لا تقبل خطاب حكامهم ، قال ابن عرفة رحمه الله : و شرط قبول خطاب القاضي صحة ولايته ممن تصح تربيته بوجه لحترازاً من مخاطبة قضاة اهل الدجن كقضاة مسلمي بسنية و طرطوشة و موصرة عندنا و نحو ذلك انتهى .

(القاضي و العدل المقيمان بدار حرب اضطراراً لا يقدح ذلك في عداليتهما)

و سئل الامام ابو عبد الله المازري رحمه الله في زمانه عن احكام من صقلية من عند قاضيها او شهود عدول ، هل يقبل ذلك منهم ام لا ؟ مع انها ضرورة و لا تدري اقامتهم هناك تحت اهل الكفر هل هي اضطراراً ام اختياراً ؟

فأجاب القادح في هذا وجهان ، الاول يشتمل على القاضي و بيناته من ناحية العدالة ، فلا يباح المقام في دار الحرب في قيادته اهل الكفر و الثاني من ناحية الولاية اذ القاضي مولى من قبل أهل الكفر . و الاول له قاعدة يعتمد عليها في هذه المسألة و شبهها و هي تحسين الظن بالمسلمين و مباعدة المعاصي عنهم فلا يعدل عنها الظنون كاذبة و توهمات واهية تجويز من ظاهرة العدالة ، و قد يجوز في الخفاء و في نفس الامر ان يكون ارتكب كبيرة الا من قام الدليل على عصمته . و هذا التجويز مطرح ، و الحكم للظاهر اذ هو الراجح ، الا ان يظهر من المخايل ما يوجب الخروج عن العدالة ، فيجب التوقف حينئذ حتى يظهر ما يوجب زوال موجب راجحية العدالة ، و يبقى الحكم لغلبة الظن بعد ذلك و الحكم هو مستفاد من قرائن محصورة فيعمل عليها ، و قرائن العدالة مأخوذة من امر مطلق فتلغى [1] و قد امليت من هذا طرفا في شرح البرهان . و ذكرت طريقة ابي المعالي و طريقي لما تكلمنا فيما جرى بين الصحابة من الوقائع و الفتن رضي الله عنهم اجمعين .

---

[1] في نسخة : متلقى

و هذا المقيم بلد الحرب ان كان اضطراراً فلا شك انه لا يقدح في عدالته ، و كذا ان كان تأويله صحيحاً مثل اقامة ببلد اهل الحرب لرجاء هداية اهل الحرب او نقلهم عن ضلالة ما اشار اليه الباقلاني ، و كما اشار اصحاب مالك في الجواز الدخول فلكاك الاسير ، اما لو اقام بحكم الجاهلية و الاعراض عن التأويل اختياراً فهذا يقدح في عدالته ، و اختلف المذهب في رد شهادة الداخل اختيارا لتجارة ، و اختلف في تأويل المدونة فيها اشد ، فمن ظهرت عدالته منهم و شك في اقامته على أي وجه فالأصل عذره لأنجل الاحتمالات السابقة تشهد لعذر ، فلا ترد لأحتمال واحد الا ان تكون قرائن تشهد ان اقامته كانت اختباراً لا لوجه ،و أما الثاني وهو تولية الكافر للقضاء و الامناء و غيرهم لحجز الناس بعضهم عن بعض فواجب ، حتى ادعى بعض اهل المذهب انه واجب عقلاً ، وان كان باطلاً تولية الكافر لهذا القاضي . اما بطلب الرعية له و اقامته لهم للضرورة ، لذلك فلا يقدح في حكمه و تنفيذ احكامه ،كما لو كان ولاه سلطان مسلم ، و في كتاب الامان في مسألة الحالف ليقضينك حقك الى اجل اقام شيوخ المكان مقام السلطان عند فقده لما يخاف من فوات القضية ، و عن مطرف و ابن الماجشون فيمن خرج على الامام و غلب على بلد فولى قاضياً عدلاً فأحكامه نافذة انتهى .

قلت : و افتى شيوخ الاندلس فيمن كان في ولاية الثائر المارق عمر بن حفصون انه لا يجوز شهادتهم و لا قبول خطاب قضاتهم . و اختلف في قبول ولاية القضاء من الامير غير العدل . ففي رياض النفوس في طبقات علماء افريقية لأبي محمد بن عبد الله المالكي قال سحنون اختلف ابو محمد عبد الله بن فروخ و ابن غانم قاضي افريقية ، و هما من رواة مالك رضي الله عنه ، فقال ابن فروخ لا ينبغي لقاض اذا ولاه امير غير عدل ان يلي القضاء ، وق ال ابن غانم يجوز ان يلي و ان كان الامير غير عدل ، فكتب بها الى مالك ، فقال مالك : اصاب الفارسي يعني ابن فروخ ، و اخطأ الذي يزعم انه عربي يعني ابن غانم انتهى .

و قال ابن عرفة : لم يجعلوا قبوله الولاية للمتغلب المخالف للأمام جرحه لخوف تعطيل الاحكام انتهى . هذا ما يتعلق بهم من الاحكام الدنيوية و اما الاخروية المتعلقة بمن قطع عمره و أفنى شبابه في مساكنتهم و توليتهم و لم يهاجر او هاجر ثم راجع وطن الكفر و أصر لى ارتكاب المعصية الكبيرة الى حين وفاته و العياذ بالله ، فالذي عليه السنة و جمهور العلماء انهم معاقبون بالعذاب الشديد ، الا انهم غير مخلدين في العذاب بناء على مذهبهم الحق في انقطاع عذاب اهل الكبائر و تخليصهم بشفاعة سيدنا و نبينا و مولانا محمد صلى الله عليه و سلم المصطفى المختار ، حسبما وردت به صحاح الاخبار ، و الدليل على ذلك قوله عز و جل ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، و قوله : قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من

رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، و قوله و ان ربك لذو مغفرة على ظلمهم ، الا ان قوله تعالى و من يتولهم منكم فأنه منهم و قوله عليه السلام انا برئ من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين ، وقوله عليه السلام فمن ساكنهم او جامعهم فهو منهم شديد جدا عليهم . وما ذكرتم عن سخيف العقل و الدين منقوله الى ها هنا يهاجر ! في قالب الازدراء و التهكم . وقوله السفيه الاخر ان جاز صاحب قشتالة الى هذه النواحي نسير اليه الخ لامه البشيع ، و لفظه الشنيع ، لا يخفي على سيادتكم ما في كلام كل واحد منهما من السماجة في التعبير ، كما لا يخفي ما على كل منهما في ذلك من الهجنة و سوء النكير ، اذ لا يتفوه بذلك و لا يستبيحة الا من سفه نفسه ، و فقد و العياذ بالله حسه ، ورام ما صح نقله ومعناه و لم يخالف في تحريمة احد في جميع معمور الارض الاسلامية من مطلع الشمس الى مغربها لأغراض فاسدة في نظر الشرع لا رأس لها و لا ذنب ، فلا تصدر هذه الاغراض الهوسية الا من قلب استحوذ عليه الشيطان ، فأنساه حلاوة الايمان ، و مكانة من الاوطان . و من ارتكب هذا و تورط فقد استعجل لنفسه الخبيثة الخزي المضمون في العاجل و الاجل ، الا انه يساوي في العصيان و الاثم و العدوان و المقت و السماجة و الابعاد وز الانتقاص و استحقاق اللئيمة و المذمة الكبرى ، التارك للهجرة بالكلية بموالاة الاعداء الو السكن بين اظهر البعداء ، لأن غاية ما صدر من هذين الخبيثين عزم وهو التصميم وتوطين النفس على الفعل و هما لم يفعلا.

ملحق (١٠)

و مما كتبه بعض اهالي الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان ابي زيد [١] خان العثماني ، رحمه الله .

ما نصه بعد سطر الافتتاح :

الحضرة العلية ، و صل الله سعادتها ، واعلى كلمتها ، و مهد اقطارها ، و اعز انصارها ، و اذل عداتها ، حضرة مولانا ، و عمدة ديننا و دنيانا ، السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا و الدين ، سلطان الاسلام و المسلمين ، قامع اعداء الله الكافرين ، كهف الاسلام ، و ناصر دين نبينا محمد عليه السلام ، محي العدل ، و منصف المظلوم ممن ظلم [٢] ،ملك العرب و العجم والترك و الديلم ، ظل الله في ارضه ، القائم بسنته و فرضة ، ملم البرين و سلطان البحرين ، حامي الذمار ، و قامع الكفار ، مولانا و عمدتنا ، و كهفنا و غياثنا [٣] ، مولانا ابو يزيد ، لا زال ملكه موفور الانصار ، مقرونا بالأنتصار مشروع المعالي و الفخار ، مستأثرا من الحسنات بما يضاعف الله به الاجر الجزيل ، في الدار الاخرة و الاثناء الجميل ، و النصر في هذه الدار . و لا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ، مجردة على اعداء الدين من بأسها ، ومايروى صدور السمر و الصفاح [٤]و السنة السلاح ، باذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الاخاير و مفارقة الارواح للأجساد ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا اللة و طاعته يوم الاشهاد :

سلام كريم دائم متجدد		اخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذي المجد و العلا		و من البس الكفار ثوب المذلة
سلام على من وسع الله ملكه		و ايده بالنصر في كل وجهة

---

[١] في ط : (بايزيد)

[٢] في ط : (من الظالم)

[٣] في ط : (غوثنا)

[٤] الصفاح : جوانب السيوف ، الواحدة :صفح

سلام على مولاي من دار ملكة		قسنطينة اكرم بها من مدينة
سلام على من زين الله ملكه		بجند واتراك من اهل الرعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم		و زادكم ملكا على كل ملة [١]
سلام على القاضي و من كان مثله		من العلماء الاكرمين الاجلة
سلام على اهل الديانة و التقى		و من كان ذا رأي من اهل المشورة
سلام عليكم من عبيد تخلفوا		بأندلس بالغرب [٢] في ارض غربة
احاط بهم بحر من الروم زاخر		و بحر عميق ذو ظلام و لجة
سلام عليكم من عبيد اصابهم		مصاب عظيم يالها من مصيبة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت		شيوبهم بالنتف من بعد عزة
سلام عليكم من وجوه تكشفت		على جملة الاعلاج من بعد سترة
سلام عليكم من بنات عواتق		يسوقهم اللباط قهرا لخلوة [٣]
سلام عليكم من عجائز اكرهت		على اكل خنزير و لحم لجيفة
نقبل نحن الكل ارض بساطكم		و ندعو لكم بالخير في كل ساعة
ادام الاله[٤] ملككم و حياتكم		و عافاكم من كل سوء و محنة
و ايدكم بالنصر و الظفر بالعدا		و اسكنكم دار الرضا و الكرامة
شكونا لكم مولاي ماقد اصابنا		من الضر و البلوى و عظم الرزية
غدرنا و نصرنا و بدل ديننا		ظلمنا و عوملنا بكل قبيحة
و كنا على دين النبي محمد		نقاتل عمال [٥] الصليب بنية
و نلقى امورا في الجهاد عظيمة		بقتل و اسر ثم جوع و قله
فجاءت علينا الروم من كل جانب		بسيل عظيم جملة بعد جملة
و مالوا علينا كالجراد بجمعهم		بجد و عزم من خيل و عدة
فكنا بطول الدهر نلفي جموعهم		فنقتل فيها فرقة بعد فرقة

---

[١] رواية هذا الشطر في ط : (و زادكم ملكا في ملكه) و هو محرف .

[٢] في ط : (في الغرب)

[٣] اللباط : من رجال الدين بالكنيسة ، كما في معجم دوزي . يشير الى ما فعله نصارى الاسبان من اكراه المسلمين على ترك دينهم .

[٤] في ط : (الهي) .

[٥] و في ط : (اعمال) . و في رواية : (عباد) .

و فرسانهم تزداد في كل ساعة		و فرساننا في حال [1] نقص و قلة
فلما ضعفنا خيموا في بلادنا		و مالوا علينا بلدة بعد بلدة
وجاءوا بأنفاط [2] عظام كثيرة		تهدم اسوار البلاد المنيعة
و شدوا عليها في الحصار بقوة		شهورا و اياما بجد و عزمة
فلما تفانت خيلنا و رجالنا		و لم نر من اخواننا من اغاثة
و قلت لنا الاقوات و اشتد حالنا		اطعناهم بالكرة خوف الفضيحة
و خوفا على ابنائنا و بناتنا		من ان يؤسروا او يقتلوا شر قتلة
على ان نكون مثل من كان قبلنا		من الدجن من اهل البلاد القديمة
و نبقي على اذاننا و صلاتنا		و لا نتركن شيئاً من امر الشريعة
و من شاء منا البحر جاز مؤمنا		بما شاء من مال لى ارض عدوة
الى غير ذاك من شروط كثيرة		تزيد على الخمسين شرطا بخمسة
فقال لنا سلطانهم وكبيرهم		لكم ما اشترطتم كاملا بالزيادة
و ابدى لنا كتبا بعهد و موثق		و قال لنا هذا اماني و ذمتي
فكونوا على اموالكم و دياركم		كما كنتم من قبل دون اذية
فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم		بدا عذرهم فينا بنقض العزيمة
وخان عهودا كان قد غرنا بها		و نصرنا كرها [3]بعنف و سطوة
و احرق ما كانت لنا من مصاحف		و خلطها بالزبل او بالنجاسة
و كل كتاب كان في امر ديننا		ففي النار القوه بهزء و حقرة
و لم يتركوا فيها كتاباً لمسلم		و مصحفاً يخلي به للقراءة
و من صام او صلى و يعلم حاله		ففي النار يلقوه على كل حالة
و من لم يجئ منا لموضع كفرهم		يعاقبه اللباط شر العقوبة
و يلطم خدية و يأخذ ماله		و يجعله في السجن في سوء حالة
و في رمضان يفسدون صيامنا		بأكل و شرب مرة بعد مرة
و قد امرونا ان نسب نبينا		و لا نذكرنه في رخاء و شدة
و قد سمعوا قوماً يغنون باسمه		فأدركهم منهم اليم المضرة

---

[1] في ط : (في كل)

[2] كذا في ط . و يريد بالأنفاط : الالات التي ترمي بهاالالحصون و الاسوار كالمدافع.

[3] في ط : (قهرا)

و عاقبهم حكامهم وولاتهم		بضرب و تغريم و سجن و ذلة
و من جاء الموت و لم يحضر الذي		يذكرهم لم يدفنوه بحيلة
و يترك في زبل طريحا مجدلا		كمثل حمار ميت او بهيمة
الى غير هذا من امور كثيرة		قباح و افعال غزار ردية
و قد بدلت اسماؤنا و تحولت		بغير رضا منا و غير ارادة
فاها على تبديل دين محمد		بدين كلاب الروم شر البرية
و اها على اسمائنا حين بدلت		بأسماء اعلاج من اهل الغباوة
و اها على ابنائنا و بناتنا		يروحون للباط في كل غدوة
يعلمهم كفرا و زورا و فرية		و لا يقدروا ان يمنعوهم بحيلة
و اها على تلك المساجد سورت		مزابل للكفار بعد الطهارة
و اها على تلك الصوامع علقت		نواقيسهم فيها نظيرالشهادة
و اها على تلك البلاد و حسنها		لقد اظلمت بالكفر اعظم ظلمة
و صارت لعباد الصليب معاقلا		و قد امنوا فيها وقوع الاغارة
و صرنا عبيدا لا اسارى فنفتدي		و لا مسلمين نطقهم بالشهادة
فلو ابصرت عيناك ما صار حالنا		اليه لجادت بالدموع الغزيرة
فيا ويلنا ، يا بؤس ما قد اصابنا		من الضر و البلوى و ثوب المذلة
سألناك يا مولاي بالله بنا		و بالمصطفى المختار خير البرية
و بالسادة الاخيار ال محمد		و اصحابه اكرم بهم من صحابة
و بالسيد العباس عم نبينا		و شيبته البيضاء افضل شيبة
و بالصالحين العارفين بربهم		و كل ولي فاضل ذي كرامة
عسى تنظروا فينا و فيما اصابنا		لعل اله العرش يأتي برحمة
فقولك مسموع و امرك نافذ		و ما قلت من شيئ يكون بسرعة
و دين النصارى اصله تحت حكمكم		و من ثم يأتيهم الى كل كورة
فبالله يا مولاي منوا بفضلكم		علينا برأي او كلام بحجة
فانتم اولوا الافضال و المجد و العلا		و غوث عباد الله في كل افة
فسل بابهم[1]اعني المقيم برومة		بماذا اجازوا الغدر بعد الامانة

[1] يريد البابا رئيس الدين المسيحي .

و ما لهم مالوا علينا بغدرهم		بغير اذى منا و غير جريمة
و جنسهم المغلوب في حفظ ديننا		و امن ملوك ذي وفاء اجلة
لم يـُخرجوا من دينهم و ديارهم		و لا نالهم غدر و لا هتك حرمة
و من يعط عهدا ثم يغدر بعهده [١]		فذاك حرام الفعل في كل ملة
و لا سيما عند الملوك فانه		قبيح شنيع لا يجوز بوجهة
وقد بلغ المكتوب منكم اليهم		فلم يعلموا منه جميعا بكلمة
و ما زادهم الا اعتداء و جرأة		علينا و اقداما بكل مساءة
و قد بلغت ارسال [٢] مصر اليهم		و ما نالهم غدر و لا هتك حرمة
و قالوا لتلك الرسل عنا بأننا		رضينا بدين الكفر من غير قهرة
و ساقوا عقود الزور ممن اطاعهم		و و الله ما نرضى بتلك الشهادة
لقد كذبوا في قولهم و كلامهم		علينا بهذا القول اكبر فرية
و لكن خوف القتل و الحرق ردنا		نقول كما قالوه من غير نية
و دين رسول الله ما زال عندنا		و توحيدنا لله في كل لحظة
وو الله ما نرضى بتبديل ديننا		و لا بالذي قالوا من امر الثلاثة
و ان زعموا انا رضينا بدينهم		بغير اذى منهم لنا و مساءة
فسل وحرا [٣]عن اهلها كيف اصبحوا		اسارى و قتلى تحت ذل و مهنة
و سل بلفيقا عن قضية امرها		لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة
و منيافة بالسيف مزق اهلها		كذا فعلوا ايضا بأهل البشرة [٤]
و اندرش [٥]بالنار احرق اهلها		جامعهم صاروا جميعاً كفحمة
فها نحن يا مولاي نشكو اليكم		فهذا الذي نلناه من شر فرقة
عسى ديننا يبقى و صلاتنا		ما عاهدونا قبل نقض العزيمة
و الا فيجلونا جميعا من ارضهم		بأموالنا للغرب دار الاحبة
فأجلاؤنا خير لنا من مقامنا		على الكفر في عز على غير ملة

---

[١] في ط : (ثم يغدر بعده) .

[٢] يريد بالأرسال (هنا) : جمع رسول .

[٣] و حرا و منيافة : اسما بلدين ، و لم نعثر عليهما في المعاجم .

[٤] البشرة : جهة تنظيم قرى ثيرة نزهة قرب غرناطة .

[٥] اندرش (اندراش) : بلدة بالأندلس من كورة البيرة .

فهذا الذي نرجوه من عز جاهكم		و من عندكم تقضي لنا كل حاجة
و من عندكم نرجو[ا] زوال كروبنا		و ما نالنا من سوء حال و ذلة
فأنتم بحمد الله خير ملوكنا		و عزتكم تعلو على كل عزة
فنسأل مولانا دوام حياتكم		بملك و عز في سرور و نعمة
و تهدين [١] اوطان و نصر على العدا		و كثرة اجناد و مال و ثروة
وثم سلام الله تلوه رحمة		عليكم مدى الايام في كل ساعة

[١]و التهدين : التسكين و ط : (و تهذيب) .

ملحق (١١)

النصيحة التي ارسلها المغراوي[1] الى الغرباء في الاندلس

((الحمد لله و الصلاة والسلام على سيدنا محمد و اله وصحبه و سلم تسليما))
اخواننا القابضين على دينهم ، كالقابض على الجمر ، من اجزل الله ثوابهم ، فيما لقوا في ذاته ، و صبروا النفوس و الاولاد في مرضاته ، الغرباء و القرباء ان شاء الله من مجاورة نبيه في الفردوس الاعلى من جناته ،اورثوا سبيل السلف الصالح ، في تحمل المشاق ، و ان بلغت النفوس الى التراق ،نسأل ان يلطف بنا ،و ان يعيننا و اياكم على مراعاة حق ، بحسن ايمان و صدق ، و ان يجعل لنا و لكم من لامر فرجاً ، و من كل ضيق مخرجاً . بعد السلام عليكم ، من كاتبه اليكم من عبيد الله اصغر عبيده ، و احوجهم الى عفوه و مزيده ، عبيد الله تعالى ، حمد بن جمعة المغراوي ثم الوهراني ، كان لله للجميع بلطفه و ستره سائلاً من اخلاصهم و غربتهم حسن الدعاء ، بحسن الخاتمة و النجاة من اهوال هذه الدار ، و الحشر مع الذين انعم الله عليهم من الابرار ، مؤكدا عليكم في ملازمة دين الاسلام ، امرين به من بلغ من اولادكم ، ان لم تخافوا دخول شر عليكم من اعلام عدوكم بطويكم ، فطربى للغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس ، و ان ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى فأعلموا ان الاصنام خشب منجور و حجر جلمود ، لا يضر و لا ينفع ، و ان الملم ملك الله ما اتخذ الله من ولد ، و ما كان معه من اله . فأعبدوه ، و اصطبروا لعبادته ، فالصلاة ولو بالأيماء ، و الزكاة ولو كان هدية لفقيركم او رياء ، لأن الله لا ينظر الى صوركم و لكن بقلوبكم ، والغسل من الجنابة و لو عوماً في البحور ، و ان منتعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار ، و تسقط في الحكم طهارة الماء ، و عليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان ، فان لم يكن فالمشهور سقوط الصلاة و قضاؤها لعدم الماء و الصعيد الا ان يمكنكم الاشارة اليه بالأيدي و الوجه الى تراب طاهر او حجر او شجر مما يتيمم به ، فأقصدوا بالأيماء ، نقلة ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام : فأتوا منه ما استطعتم ، و ان اكرهوكم في وقت صلاة الى السجود للأصنام او حضور صلاتهم ، فأحرموا بالنية و انووا صلاتكم المشروعة ، و اشيروا لما يشيرون اليه من صنم ، و مقصودكم الله ، و ان كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة

[1] نشرها الاستاذ محمد عبد الله عنان في مجلة الثقافة المصرية عدد ٧٢٤ بتاريخ ١٩٥٢/١١/١٠.

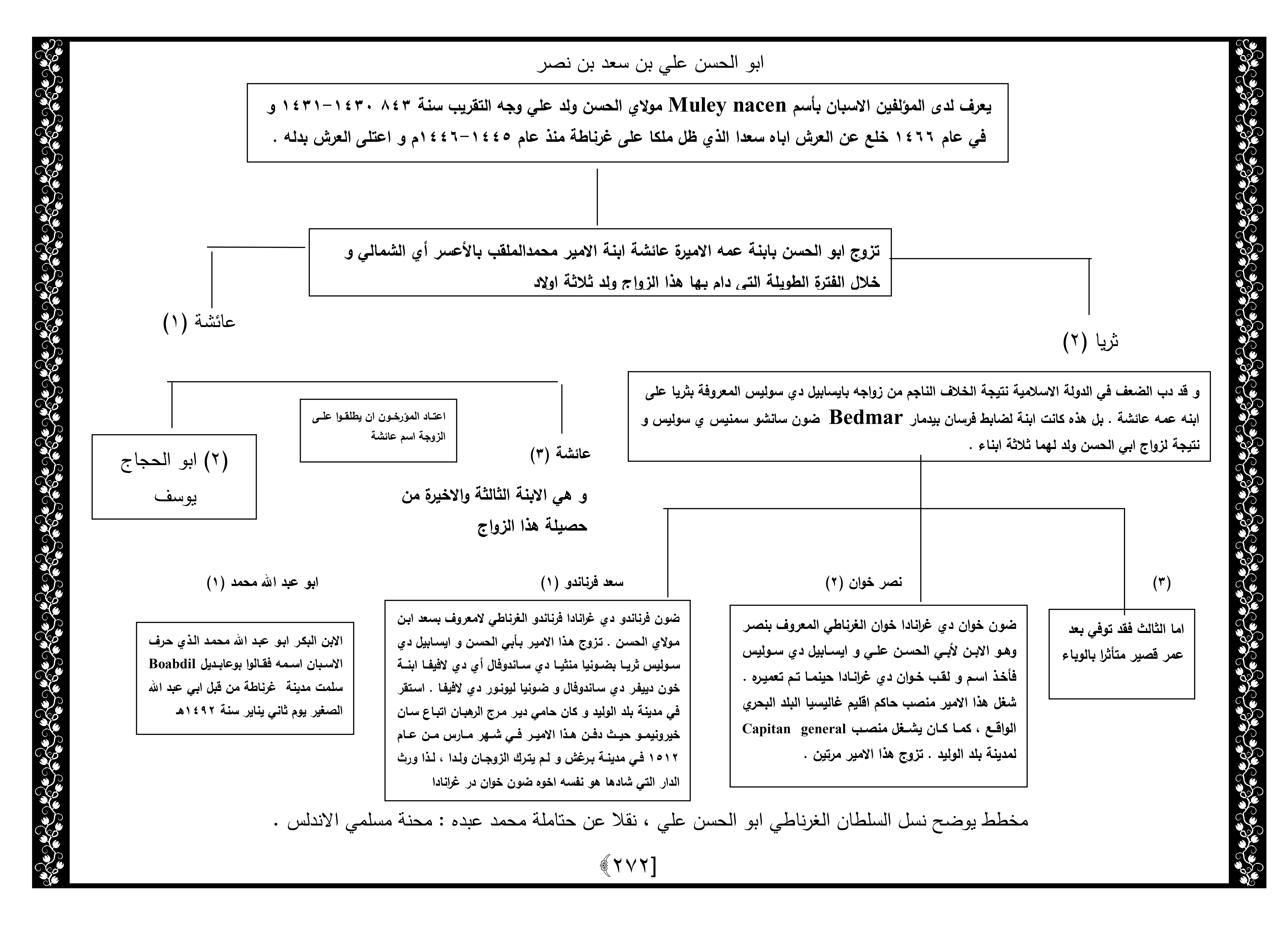
الخوف عند الالتحام ، و ان اجبروكم على شرب الخمر ، فأشربوه و لكن ليس بنية استعماله ، و ان كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه و لكن ناكرين اياه بقلوبكم ، و معتقدين في تحريمه ، و كذا ان اكرهوكم على محرم ، و ان زوجوكم بناتهم فائز نكوحهن لكونهم اهل الكتاب ، و ان اكرهوكم على انكاح بناتكم منهم ، فأعتقدوا تحريمه لولا الاكراه ، و انكم ناكرون لذلك في قلوبكم ، ولو وجدتم قوة لغيرتموه ، و كذا ان اكرهوكم على ربا او حرام فأفعلوه منكرين بقلوبكم ، ثم ليس عليكم الا رؤوس اموالكم ، و تتصدقون بالباقي ، ان تبتم الى الله تعالى . و ان اكرهوكم على كلمة الكفر فأن امكنكم التورية و الالغاز فأفعلوا ، و الا فكونوا مطمئني القلوب بالأيمان و ان نطقتم بها ناكرين لذلك ، و ان قالوا اشتموا محمد فأنهم يقولون لهم ممد ، فأشتموا ممد ، ناوين انه الشيطان ، او ممدا اليهود فكثير بهم اسمه . و ان قالوا : قولوا عيسى ابن الله فقولوا ان اكرهوكم ، و انووا اسقاط مضاف أي عبد الاه مريم معبود بحق . و ان قالوا :قولوا المسيح ابن الله فقالوها اكراهاً و انووا بالأضافة للملك كبيت الله لا يلزم ان يسكنه او يحل به ، و ان قالوا : قولوا مريم زوجة له فأنوا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني اسرائيل ثم فرقها قبل البناء . قال السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القران . او وزوجها الله منه بقضاء و قدر . و ان قالوا عيسى توفي بالصلب ، فأنووا من التوفية الكمال و التشريف من هذه و امانته و صلبه و لنشاد ذكرة و اظهار الثناء عليه بين الناس ، و انه استوفاه الله برفعه الى العلو ... و ما يعسر عليكم فابعثوا فيه الينا نرشدكم ان شاء الله على حسب ما تكتبون به و انا اسأل الله ان يديل الكرة للأسلام حتى تعبدوا الله ظاهرا بحول الله من غير محنة و لا وجنة ، بل بصدمة الترك الكرام ، و نحن نشهد لكم بين يدي الله انكم صدقتم الله و رضيتم به ، و لا بد من جوابكم ، و السلام عليكم جميعا ، بتاريخ غرة رجب عام عشرة و تسع مائة ، عرف الله خيرة))[١] .

(يصل الى الغرباء ان شاء الله تعالى)

---

[١] توجد ترجمة قشتالة لهذه الوثيقة على ما افاده الاستاذ عنان . ينظر :

Pedro Longas La Vida Religiosa de los Mariscos Page :305-307.



مخطط يوضح نسل السلطان الغرناطي ابو الحسن علي ، نقلا عن حتاملة محمد عبده : محنة مسلمي الاندلس .

The political relationships of the kingdom of Granada during the nineth century (A.H.) / Fifteen century (A.D.)

A thesis submitted to the council of the collage of education , the university of Babylon in partial fulfilment of the requirements for the degree arts in the Islamic history .

By
Yousif Kathim Jegheel

supervised by
Assist. Prof . Ahmed Saeed Ridha

2003 (D.H.)   1424 (A.H.)

Abstract

Through this study there is an attempt to shed lights upon the following facts . There are circumstances and conditions that are either internal or external helped to develop the political circumstances leading to worsen and falling the kingdom of Granada and then , the end of the Arabic power in the ( ) . These circumstances played a very great role in forming the shape of the political relations between the kingdom Granada and its external circumastance .

The clearest fact which the researcher can point out that the first exclamation level for the general nature for the political system in the Granadi kingdom during the period mentioned in this study was a system belonging to the deetatoric systems with gnatic nature .

During the nineth century (A.H.) fifteen century (A.D.) includes nine kings who roled the kingdom through which each one roled the kingdom more than the once . Mohamed Al-Aisar for example , came into the throne five times by means of the ( ) help , where as Abu-Abdula Al-Sagher , Sa'ad Al-Mustaen , Mohamed Al-Zeghel , Abu-Al-Hasan Ali , Abu Abdula Al- Zagher , twice only .

This clear unstability has clear effects on the nature of the political performance and than on the nature and the political relationship found in the Granada's kingdom .

these relationships that are formed and developed by the increase of unstability and ( ) , and various political ( ) moring from ne king to another . Another important thing to know is that there are so many forms of interferance of women in forming and developing the political relations and increasing the role of the great Granada's families in directing politicis in the kingdom of Granada in some uray , in addition to the illogical interference in shaping these politieal relations .

These circumensace lead to a srap of clear results like dividing the kingdom into two halves each ha;f is raled by one of the kings .
these things and another thing lead to the first appearance of the Granad's politics outside the kingdom in addition to the geographicals nature leading with these factors in developing the political terms limiting the nature of the political relations .

Since the kingdom of Granada shaped with in the kingdoms of spain , it forms the south eastern area in the practical . in addition to the natural

between it and the north african kingdoms or the mediteranian shariy directly with forming the appearance of the political relationships with its stratigical depth high lightened by the historical depth represented by africa.

After showing the great effect which is left by the nature of the political circumstance in the kingdom and the effect of its geographical position in shaping the political relationships . It is possible to mention the third angle of the research triangle which can be able to show tha nature of the employment nature for the political relationships of Granada .

This angle is the religious dimension because the religious nature for this stage was of great effect in drawing the warld's picture , and this has a direct effect on the near areas from the church baboy effect , and these areas were prepared for civilizations conflicts with religious origin between different religions , these areas ahose shapes can be drown beginning from the eastern boundries for the athmarian countries reading to tarik's mountain . the noticer can se that the church dosen't suffize with only its religious role but its hope was to play a political role in addition to its religious jobs .

There , two important shapes that sheadlights on the nature of the christian dimensions .
First of all , the political union between Arigon and Castle depending on the religious directions only .
And second , the drown from the priest's speech nekola the fifth to Henry the Sailor , king of Bartugal saying : ' Our great pleasure is to let our dear son know , Henry prince of Burtugal walked according to his father's steps , and he is a great solider to the chise to distroy the enmies of god and chrise from the plasphamed moslims "

The trace about the capacity of the christian union in hurting the moslums has a very obvious role in leading the kings of Granada to search for the islamic help to assist them in keeping their kingdom . The researcher can easily notice that the nature of Granada's political relations with others is specified by the nature of the relation with the kingdom of castle .

The unstability and tortue faced by the citizen of Granada in facing attempts in losing their political role makes Granadai relations with other islamic kingdom , help and support relations . utman , for instance were eajer to help Granada but they understand the pressure factols and the nature of the international relations at that time .

The kings were afraid from the ambitions of utman kingdom therfore , they were doing good relations with the southren beach of

Europe, and keep their power in case there would be a war with the utmanian country . The relations between the islamic countries with Granada were capable of giving answers about the islamic union .
however ,the uncapacity of the grandanian’s in having good political relations with the christian countries , and the uncapacity of the islamic kings in assistnce Granada helped in weakning Granada and then its falling and ending its power (Arabic Islamic power) in the Al-Aiberian parasel .